حسن بن فرحان المالكي

مثالب معاوية بن أبي سفيان

بالأسانيد الصحيحة



سلسلة مثالب معاوية بن أبي سفيان بالأسانيد الصحيحة

حسن بن فرحان المالكي

سلسلة مثالب معاوية بن أبي سفيان بالأسانيد الصحيحة

(إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)

استعراض طرق الحديث ودراسة أسانيده وتخريجه من مصادر أهل الحديث
مع مناقشة حديثية لآراء المحدثين وردود على شبهات المنكرين



دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

ISBN 978-614-426-609-0



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة في موضوع الكتاب وأسباب تأليفه

يظن كثير من الناس إننا عندما نصحح حديثاً في ذم معاوية مثلاً أو نثبت جريمة فعلها أحد الأمويين، أن هذا نتيجة تعصب مذهبي أو حقد على هذا الشخص أو ذاك، وهم في هذا واهمون، فأنا شخصياً قلت أكثر من مرة، إنني لا أشعر أن في قلبي شيئاً على من لا أثر له في ديننا ولا عقائدنا حتى ولو كان قاتل عمر أو علي أو عثمان، مع أن شعوري هذا قد يكون خطيئة، ولكنني أتحدث عن نفسي، لا أشعر بالحقد على مشرك قُتل يوم بدر إلا إذا كان له أثر على مَن بعده وقام له منتصفون ومتعصبون. هنا أعرف أن أثره لم ينقطع بموته، وأنه ما زال حياً يعيش معي ويسلب حقي في التفكير وفي اتِّباع النبي (ص).

ومن هذا الباب قال السيد محمد بن عمر بن عقيل (لقد ترك لنا معاوية في كل زمن فئة باغية). فالسيد ابن عقيل هنا يشعر أنه لا يستطيع أن ينقل ما يعرفه من هدْي القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأن الاحتجاج عليه بمعاوية وأتباع معاوية يحاصره في كل فكرة نيِّرة، وفي كل دعوة للعدل أو الإنصاف أو العلم... إلخ.

وما شعر به السيد محمد بن عمر بن عقيل أشعر به، ومن هذا الباب قد يكون في قلوبنا على معاوية أشياء كثيرة، ليس من باب العصبية لأهل بدر الذين قتل بعضَهم ولعنَ آخرين مع أن من حقهم علينا أن نغضب لهم ولكن الأمر أكثر من ذلك، إنه مرتبط بحياتنا ومدى قدرتنا على الإفلات من محاصرة معاوية لنا في بيوتنا، وتكميمه أفواهنا، وإجباره لنا على أن نترك كتاب الله وسنة رسوله جانباً، ونقبل على أحاديثه ومروياته وعقائده وسلوكه... إلخ

هنا يجب أن نقاوم، وأن نُقبل على كتاب الله، ونتلمس ما يضارعه ويشابهه من الأحاديث الشريفة، وأن نحذر من تلك الأحاديث التي تصادم القرآن ونفتش عن رواتها، وننظر هل لهم علاقة بمعاوية أم لا؟... إلخ.

فعَلنا هذا واكتشفنا العجائب!

كل يوم نكتشف قُرب معاوية من حياتنا، إنَّ له سلطة علينا أقوى من سلطة نفوسنا! لقد وطأ بقدميه الفاجرتين على صماخ القرآن الكريم، وطرد الرسول (ص) من أمته، وطارد أولياءه في كل زمان ومكان. ويستحيل أن يكون رجل كهذا سليماً من أي تحذير أو ذم نبوي، لابد أن يكون هناك عشرات الحالات، فهو أخطر من الدجَّال وأخفى من إبليس وأقدر على الدخول في بيوت المسلمين من أوسع الأبواب!.

معاوية بن أبي سفيان لا ننكر دهاءه ولا عقله ولا نسبه القرشي، ولا حلمه عن العجزة والشيوخ، ولا حسن إدارته لملكه دنيوياً، ولا تذوقه الشعر والأدب، ولا صلابته في التمسك بالمصلحة الذاتية، ولا علمه بنفوس الناس وعمله على تناقضاتهم وقدرته الفائقة على جذبهم لخدمة مصالحه، ولا بذله للأموال وسخاءه بحقوق المسلمين، ولا غير ذلك، ولا ننكر أن له مستشارين دهاة يستطيعون التهام الأمم والشعوب بدهائهم، كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه ومنصور بن سرجون الرومي وأمثالهم، ممن يستطيعون أن يديروا الناس كما يشاؤون بما فضل من عقولهم، ولولا هذه الصفات في معاوية ومستشاريه ونصحائه، لانصرف الناس عنه إلى غيره، فأكثر الناس مع الدرهم والدينار والمصالح الدنيوية، (وقليل من عبادي الشكور).

وإنما نحن نقول إن طاقاته العقلية والنفسية جعلها في مصالحه الذاتية، واستبد وظلم وعسف، والتهم الدنيا، وسنن السنن، وحرف الدين ليكون من جملة الخدم والموالي. وغير ذلك من عمليات الدهاء والخداع التي لم تمت بموته بل استمرت بعد وفاته.

فقد زرع ديناً مكان دين، وقدوة مكان قدوة، وكتاباً بدلاً من كتاب، وصحابة بدلاً من صحابة، ومبادئ طردت مبادئ أخرى. وهكذا. ولولا أثره العظيم في الفكر لما انشغلت السلفية بالدفاع عن الطلقاء مع إهمالها أهل بدر بين مهجور ومجهول ومتهم بالنفاق إلَّا من يحتاج معاوية إليه منهم فيظهر على السطح وبغلوٍّ فجّ.

بعد هذا كله نستطيع بارتياح أن نقول هنا خطورة معاوية.

خطورة معاوية لا يعرفها السلفية لحماقتهم ولا الشيعة لتعصبهم. إنما يعرفها من عرف القرآن أولاً، وعرف النبي (ص) ثانياً، وكان عنده الوعي التاريخي والسياسي الذي يستطيع به معرفة أثر السلطة والتاريخ في الدين والفكر والسلوك.

وإذا كان معاوية بهذه الخطورة الكبيرة فهل يعقل أن لا نجد في الكتاب العزيز تحذيراً من أمثاله ولو بالوصف؟ وهل يعقل أن لا يبين النبي الكريم ما أجمله القرآن من علامات المنافقين وأشخاصهم المستقبليين، هل يعقل أن يخلو الشرع من التحذير من هذا الخطر الذي تفوق خطورته خطورة الدجَّال أم لا؟ هل يعقل أن يذهب النبي (ص) من هذه الدنيا ولم يبين لنا ما نتقي وما نحذر منه، سواء أكان ذلك أفعالاً أم أشخاصاً؟ هل تركنا كما نردِّد على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك؟ أم لا؟

لا يمكن الجواب على هذه الأسئلة إلَّا بعد البحث والتنقيب والتعب وتلمس الحق وطلب الهداية من الله وحمل النفس على الإنصاف ما أمكن، فلا إفراط ولا تفريط. لا جمود ولا خرافة. لكن لا يمكن أن نترك المنافقين ليفسدوا علينا ديننا بعدما أفسدوا دنيانا بدعوى الورع والكف عما مضى، وأن معاوية قد ذهب إلى ربه! نعم، هو ذهب بجسمه وبقي بأثره في كل شيء، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ودينياً. لقد بقي منه في الأمة أكثر مما بقي من النبي (ص) للأسف، ومن هنا وجب شرعاً تحطيم هذا الصنم الكبير ليرى الناس دينهم وصالحيهم ويرجعوا إلى عقولهم ونفوسهم وعدلهم وقرآنهم ورسولهم وصالحي أمتهم... إلخ[1]، خطورة معاوية لم تنتهِ بزمنه، كما هو حال فرعون وأبي جهل وأبي لهب وبابك الخُرَّمي وهولاكو وأمثالهم، كلا، هو معك أيها المسلم في قلبك وعقلك، وبيتك ومسجدك.

إذن لا بد من مخرج وبيان في القرآن الكريم والسنة المطهرة والتاريخ الكاشف.

وعندما بحثنا. وجدنا القرآن الكريم قبل النبي (ص) قد أخبرنا عن صفات هؤلاء المريبين الذين قد يغترُّ بهم المسلمون ويسمعون لهم يصدقونهم ويحبونهم... إلخ،

---

(١) وهنا أتذكر قول أبي توبة الحلبي أحد النواصب: (معاوية سترٌ لأصحاب محمد)؛ وكلامه هذا ناقص، إنما معاوية ستر لكل شيء! للدين والرسل والصحابة والقرابة. لقد غطى عليهم جميعاً، فإذا رفعناه لعلنا نجدهم ونفكّهم من أسر معاوية وسجنه الكبير.

تابعوا صفات المنافقين في القرآن الكريم، ستجدونها متحققة في معاوية أكثر من تحققها في عبد الله بن أبي بن سلول وأمثاله.

في كثير من الآيات لو نسردها الآن لدخل هؤلاء في الجدل في دلالاتها. وأنها إنما نزلت في قريش حال كفرهم، أو في المنافقين وأن معاوية ليس منهم.

إذن فلننطلق إلى السنة ثم نعود منها إلى القرآن، مادام أن هؤلاء المتعصبين لمعاوية لن يفهموا القرآن إلَّا بالسنة في زعمهم فلننطلق إلى السنة، ثم إذا زعموا أنهم لا يفهمون السنة إلا بفهم السلف سنذهب معهم إلى فهم صفوة هؤلاء السلف من أهل بدر والرضوان، كعلي وعمار وأبي ذر والمقداد وعبادة بن الصامت وشداد بن أوس وأبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وقيس بن سعد بن عبادة وغيرهم كثير وكثير وكثير. فلا تستعجلوا. فأهل بدر الذين قاتلوا معاوية ووصموه بالنفاق بل بالكفر كانوا أتباع عمار بن ياسر، ورأيهم رأيه، فإنه ما سلك وادياً من أودية صفين إلا تبعوه كأنه لهم عَلَم.

وإن رفضوا فهم هؤلاء السلف الكبار من أهل بدر في صفين، وأرادوا الانصراف إلى الأقلية فضلاً وعدداً من الذين اعتزلوا علياً ومعاوية مع ندمهم على ذلك ولكن لو أرادوا أن نذهب إليهم لأنهم في نظرهم أبعد عن التعصب من رسول الله ومن أهل بدر، فسنذهب معهم إلى سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة وعائشة أم المؤمنين. مع أنهم أقل فضلاً وعدداً من مقاتلي معاوية في صفين، علماً بأن نصف هؤلاء سَمَّه معاوية أو قتَلَه أيضاً!.

فإن رأوا بعد البحث أن هؤلاء الصحابة كلهم قد ابتلوا بالفتنة ولن نتَّبع أحداً من الصحابة وإنما سنذهب إلى التابعين الذين هم أسلم من الصحابة في هذه الفتن حتى نعرف رأيهم في معاوية.

فسنذهب معهم إلى فهم سادة التابعين وصلحائهم، كأويس القرني (خير التابعين) والحسن البصري وعلقمة بن قيس وكميل بن زياد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وسلمة بن كهيل وزيد بن علي والباقر والأعمش وأبي حنيفة وإبراهيم النخعي وأغلبية التابعين.

فإن رفضوا إلَّا أن يحصرونا في أربعة أو خمسة من علماء السلطة والنواصب في

القرن الأول تبعهم عشرات في القرن الثاني ثم تبعتهم السلفية كلها في القرن الثالث، فليسمحوا لنا هنا، ذلك أننا لن نترك كتاب الله وسنة رسوله والسلف الصالحين بحق وراءنا؛ ونذهب معهم إلى ابن سيرين وزميله أبي قلابة، ثم أيوب السختياني وزملائه الثلاثة، ثم حماد بن زيد ويزد بن زريع وزملائهم العشرة، ثم أحمد بن حنبل ودولته، فهذا اختيارٌ ناقص، وتركٌ شبه كامل للقرآن والسنة التي هجرها هؤلاء إما إخفاءً أو تأويلاً أو جهلاً أو فتنة، ومع هذا فقد بقي فيهم خير كثير، حتى أتى ابن تيمية وأعدم بقية هذا الخير، وأصبحنا بهذا اسماً بلا مسمًّى، وعنواناً بلا مضمون، وأمة بلا هوية.

هنا نقول لهم ارجعوا معنا للبحث من البداية، ولا تستصعبوا الطريق ولا وحشته، ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾.

فمن أقبل على طلب الهداية من الله وكان مخلصاً فسيؤتيه الله إياها، فالله كريم مطلق الكرم، وليس أسهل عليه من إجابة دعوة عبده إذا دعاه بإخلاص أن يريه الحق وأن يعينه على اكتشافه، فإن الإخفاء كثير، والكذب كثير، والتعصب يحمل الأمرين. والعصبية معصية إبليس الأولى، ولا بد أن يخلفها في أوليائه ويعلمها أصحابه، جنَّبنا الله وإياكم سبل إبليس، ما أمكره وأخبثه وأهلكه لقلوب الرجال إلَّا قلة من الناس.

إذن فسنة النبي (ص) لعلها دعوى الجميع، فهل ورد على لسانه من تحذير من الفتن، وإعلامنا برموزها وقادتها، والفتنة هنا لا تعني القتال، بل عندما يعرض عليك الحق والباطل فلا تدري أيهما تركب، فتن كوجوه البقر لا يُدرى أيُّها من أيّ؟

ومن هذا الباب يمكننا أن نبدأ بالصحيح المتفق عليه، مما نجزم بصحته ثم ننتقل منه إلى ما يشبهه مما لا نجزم بصحته، ولا أظن سلفياً لا يعرف حديث عمار، إنما عندي شك بأن المذهب قد أخذهم في تفسيره إلى مكان قصي لا نستطيع أن نلاحقهم فيه، حتى جعلوا ذلك الحديث من علامات أجر معاوية وفضله، فهذا إذن سنتركه إلى وقت لاحق، وننظر الأحاديث التي هي أصرح وأبلغ مما يشهد لمعنى الأحاديث التي يصححونها. فأفضل فَهْم للسنة هو فَهْم السنة بالسنة نفسها، والنبي (ص) أقدر على فهم كلامه من فهم آخرينٍ لكلامه صلوات الله عليه.

ومن هذا الباب سنستعرض الأحاديث التي وردت في مثالب معاوية، فنعرض طرقها وأسانيدها ونكشف التعصبات في محاولات إبطالها سنداً أو دلالة، فإن الإنصاف ليس

أدل على الحق من دلالة التعصب عليه، هذا عند أصحاب العقول.

وفائدة هذه الأحاديث لا ينكرها مسلم، أعني ليس هناك مسلم يظن أن بعض الأحاديث لا داعي لها، فكل ما قاله النبي (ص) أو عمله له هدف وفائدة ويجب الاستفادة منه، بشرط التحقق من أنه قاله، وهذا التحقق قد يفضي إلى يقين إلى ظن راجح. وهذا مبحث أصولي حديثي ليس هنا مكان مناقشته.

وعلى هذا فاليقين حاصل عند كل مسلم تقريباً بأحاديث وروايات تشكل حماية نفسية من تأنيب الضمير أو الورع السلفي الزائد المزيف الذي يقف عند حدود الظالمين ولا يذمهم وبالتالي يُقِرُّ سنَّتَهم وفكرهم ويتبنَّى لاحقاً سلوكهم.

ملخص عن أبرز الأحاديث الصحيحة وما يقاربها في ذم معاوية

وهذه الأحاديث ستخرج إن شاء الله تباعاً في كتب مفردة، وقد يخرج مجموعة من الأحاديث في كتاب، حسب طرق الحديث وأهميته. ومن أهم تلك الأحاديث التي رواها أهل السنة وصححوا أكثرها في ذم معاوية.

وقد يقول البعض، لماذا لا تقدّم دراسة مناقبه ثم مثالبه؟ فنقول: لم يثبت لمعاوية فضيلة ولا منقبة، وإنما سندرس تلك الأحاديث الموضوعة في فضله - والتي صححها التيار الأموي نفسه- لنتوصل منها إلى دراسة أعلام ذلك التيار الذي دشن المشروع الأموي داخل التراث الإسلامي، وبالتالي أمكنه أن يسيطر على الإسلام، ولا غرابة في ذلك، فإن معاوية عند كثير من المسلمين أهم من الإسلام نفسه ومن النبي (ص) ومن أهل بدر ومن أهل البيت. وهذا موضوع آخر طويل لكنه مادة خصبة للدراسة والتساؤل والتعجب، وفضائل معاوية الموضوعة كثيرة جداً، وهي مادة كبيرة لأي باحث، بشرط أن لا تكون هي هدفاً بذاتها، وإنما يكون الهدف دراسة الظروف التي أنتجتها. هذا مشروع يفتحنا على دراسة السلطة مباشرة، وهناك فقر إسلامي كبير في دراسة السلطة ونفسيتها وأدواتها في السيطرة على عقول الناس ودينهم وسلوكهم، فتلك المناقب ترتد مثالب على معاوية لأنها شاهد حي على وضعه للحديث وأن ذلك جرى بتوجيه وإشراف منه، والدلائل على ذلك سترونها في باب دراسة المناقب.

فلننطلق إلى الأحاديث التي في ذمه:

الأول: حديث **(ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار)**،

وهو متواتر ويتناول معاوية بالدرجة الأولى، ويستطيع السلفي الصادق مع سنة النبي (ص) أن يتخذ هذا الحديث أصلاً لكل حديث صحَّ سنده في ذم معاوية حتى وإن بقي عنده شك في الثبوت، وهذا الحديث وضعتُ فيه كتاباً متوسطاً قد يتجاوز الأربع مائة صفحة، في طرقه وأسانيده ومواقف الناس منه، مع توسع في حرج النواصب منه ومحاولاتهم الكثيرة لإبطال معناه والرد عليها، وهو من دلائل النبوة الكبرى.

الثاني: ويتصل به حديث: (**قاتل عمار وسالبه في النار**)، له أسانيد قوية، وقد صححه الألباني، ولا ريب في أن من وضع الجائزة لمن يأتي برأس عمار هو مشارك في القتل، وقد اختصم القتلة في رأس عمار بين يدي معاوية، فيشمله الحديث من باب أولى، ولأن قتل عمار وتخصيص جائزة لمن قتله ليس لنكايته في الحرب، فقد كان عجوزاً فوق التسعين، وإنما لاستبطان نفاق ضد هذا الصحابي الكبير العريق في الإيمان ونصرة النبي (ص).

الثالث: ويتصل به حديث (**أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين**)، ومجموع طرقه تفيد الصحة، وله طرق كثيرة، وصححه حتى الغلاة من السلفية كالألباني في تحقيقه السنة لابن أبي عاصم. ومعاوية رأس القاسطين، وانظروا حكمَ القاسطين في القرآن الكريم.

الرابع: حديث (**أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية**)، وقد صححه الألباني، واختلف في المراد به بين ثلاثة من بني أمية: عثمان بن عفان، ومعاوية، ويزيد. والراجح أنه معاوية، لأن الغالب على عثمان حسن السيرة، ولأن يزيد لم يأتِ بجديد، وإنما معاوية هو المراد بهذا، ويشهد له حديث (يموت معاوية على غير سنتي)، وهو أحد لفظي هذا الحديث، لأنه قد روي بلفظ (على غير ملتي). والسنة والملة واحدة، لأنه لا يقصد منه أن معاوية غيَّر بعض السنن الصغيرة، بل السنة كلها، والسنة كلها تعني الملة.

الخامس: حديث (**الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون الملك العضوض**)، بمعناه، وهو عندهم حديث لا يقل عن رتبة الحسن، وللملك سياسة تختلف عن سياسة الخلافة، والعضوض أو العاض يعني الظالم.

السادس: حديث **(يموت معاوية على غير ملتي (أو على غير سنتي)، في لفظين،** ولفظه المطول (يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت على غير ملتي، فطلع معاوية)؛ وهو صحيح الإسناد وفق منهج أهل الحديث، إلا أن بعضهم إذا لم يلتزم بمنهجه الذي ارتضاه فهذا شأنه، كأي جماعة أو دولة، فإذا وضعت دولة لها قانوناً فيه معايير الفساد ثم لا تطبقه على الفاسدين فهذا شأنها، ولا يعني أنهم غير فاسدين! والحديث قد روي بأسانيد على شرط الصحيح، في قوة الرجال والاتصال في السند، ورجاله كلهم رجال الشيخين، وأشهر طرقه طريق عبد الله بن عمرو بن العاص (وأرجِّح أنه أذاعه بعد موت معاوية وبعد توبته على يد الحسين بن علي بمكة في أواخر عهد معاوية)، وقد روي بأسانيد أقل صحة عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر، وله شواهد من طريق آخر عن ابن عمر وبسبب ذلك هدد معاوية بقتل عمر ولو كان هناك إنصاف لكان هذا من علامات النبوة.

السابع: حديث: **(لعن الله الراكب والقائد والسائق)**، ورد في معاوية وأبيه وأخيه، وله طرق كثيرة جداً، أغلبها صحيح لذاته، وفق منهج أهل الحديث، بل قد يصل هذا الحديث للتواتر، فهو مروي من طرق سفينة والحسن بن علي والبراء بن عازب وعاصم الليثي وابن عمر والمهاجر بن قنفذ، وكل هذه الطرق صحيحة الأسانيد مع إقرار بعض أصحاب معاوية كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، فالحديث يقترب من التواتر لأن الطرق كلها بين الصحيح والحسن، وسيتفاجأ هؤلاء الغلاة قطعاً بصحة الأسانيد، وإذا ضعفوها فأنا معهم بشرط أن نطرد ذلك ثم ينظرون هل يبقى لنا حديث كثير بعد هذا التشدد، وأنا من المطالبين بالتشدد في قبول الأحاديث، وهل أفسد غلاة السنة والشيعة إلا التساهل في قبول الحديث؟.

الثامن: حديث **الدُّبَيْلَة**: رواه الإمام مسلم في صحيحه، وفيه إشارة واضحة لنفاق معاوية، ولا يعرف هذا إلا من تدبر الحديث بهدوء، فقد قاله عمار وهو متجه إلى قتال أهل الشام جواباً على قيس بن عباد، والحديث يفيد التخليد في النار، لأن فيه (لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)، وسيأتي في بحثي

هذا الحديث ما يثبت بما لا يدع مجالاً للشك عند كل ذي إنصاف أن معاوية من هؤلاء الاثني عشر منافقاً، وهو رأي راوي الحديث عمار بن ياسر، وبه احتجَّ وهو منطلق لقتال معاوية.

التاسع: حديث: (**لا تذهب الدنيا حتى تصير للُكَع بن لُكَع لا يؤمن بالله ورسوله**) (وهما يزيد بن معاوية وأبوه)، والقرائن على ذلك قائمة في الأحاديث نفسها من كون ذلك اللكع الثاني (يزيد) سيأتي على رأس ستين! ومعنى لكع بن لكع، يعني متهم ابن متهم، أو منافق ابن منافق، أو ملعون ابن ملعون، أو خبيث ابن خبيث، أو لئيم ابن لئيم، على اختلاف بين أهل العلم في تفسير ذلك.

روي من طرق صحيحة عن أبي هريرة (عند الإمام أحمد في المسند بسند صحيح) وعن أبي بردة بن نيار (عند ابن أبي شيبة وابن أبي عاصم بسند قوي) وروي عن أنس بن مالك (في صحيح ابن حبان بسند صحيح)، وهو مروي عن أم سلمة وابنتها زينب وعمر وحذيفة وأبي ذر بأسانيد جيدة وفي بعضها ضعف غير شديد، وأخرج هذه الأحاديث الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه وابن أبي شيبة في المصنف والترمذي في سننه والطبراني في معجمه الكبير والبخاري في التاريخ الكبير، ومصادره كثيرة جداً، وهذا الحديث يقترب من التواتر أيضاً.

العاشر: حديث (**اللهم اركِسْهما في الفتنة رَكْساً ودُعَّهما إلى النار دَعَّاً**)، في معاوية وعمرو بن العاص، روي من طريق أبي برز الأسلمي (وسنده صحيح) وله شاهدان عن ابن عباس والمطلب بن ربيعة والأسانيد باللفظ نفسه، وللحديث شاهد بغير لفظه من ثلاث طرق عن الإمام علي وهو حديث (شدخ الرأسين)، وقد حاول أحد النواصب (وهو سيف بن عمر) اختراع اسمين لهذا الحديث زعم أنهما من المنافقين كعادته، وهذا من شواهد شهرة الحديث في القرون الأولى حتى اضطر النواصب إلى تغطيته بأسماء مخترعة، وسيف بن عمر التميمي له أكثر من حادثة يحاول فيها وضع بدائل من الضحايا، لكن سيف متهم بالزندقة والوضع في الحديث، ودلائل التهمتين على رواياته ظاهرة جداً ولي مع سيف بن عمر قصة طويلة، وقد يستشكل البعض بقوله: لماذا ولى عمرو بن العاص

مثلاً إذا صح هذا الحديث؟ يقال: هل قال الحديث بعد توليته ذات السلاسل أم بعدها؟ وهل أعطاه النبي (ص) فرصة ليكفِّر عن ماضيه ففشل في التقاطها؟ وهل وهل... كل هذا سيأتي في الدراسة الموسعة عن كل حديث، ولا ريب في أن ألأحاديث تتفاوت في صحتها وضعفها، ولا نجزم بهذا الحديث كما نجزم بحديث عمار مثلاً. ولكن الأحاديث كلها يتبع ضعيفها قويها، ويدل قويها على ضعيفها، وكأنها خرز منظوم، فيه الخرزة الكبيرة والصغيرة، فإذا ذهبت خرزة أو خرزتين فلا يضر العِقد ذلك.

الحادي عشر: حديث عبادة بن الصامت **في أمراء السوء الذين حذر منهم النبي (ص)** وقَسَم عبادة أنَّ معاوية منهم، وسنده حسن، وعبادة بن الصامت بدري كبير، ليس من الطلقاء ولا الأعراب ولا المنافقين حتى نتهمه في روايته أو تفسيره للحديث، وعلى كل حال فإذا لم يكن فهمه لهذا الحديث من فهم السلف الصالح فأين سنجد فهم السلف الصالح؟ والحديث رواه الشاشي في مسنده والحاكم في المستدرك كاملاً ورواه أحمد مبتوراً. وقد قام أحمد ببتر الحديث حماية لمعاوية، مثلما بتر حديث (لا اشبع الله بطنه)، إذ روى الحديث وبَتَرَ منه هذا الجزء! وثقات السلفية يفعلون هذا، وخاصة البخاري وأحمد وأبو داود وقبلهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة، وأما الأمانة التامة في النقل فستجدونها عن ابن أبي شيبة وعبد الرزاق وابن سعد ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجة والحاكم وابن حبان والطبري وأغلب أهل الحديث، فالمجترئون على حماية معاوية قليل داخل أهل السنة.

الثاني عشر: حديث **(معاوية فرعون هذه الأمة)**، من حديث أبي ذر وله شاهد من حديث ابن عمر من ثلاث طرق عنه، وأسانيده صحيحة في الجملة، وهي أصح من تلك التي في أبي جهل في الأقل، مع توفر الدواعي على كتم الأولى ونشر الثانية، ثم له شواهد كحديث التابوت والموت على غير الملة والدعوة إلى النار... إلخ وكل مثالب معاوية تشهد لبعضها، كلها نفاق وبغي ونار وظلم وفرعنة. إلخ، وقد حاول بعض أهل الحديث زحلقة هذا الحديث إلى أبي جهل والسند في ذلك منقطع، وأبو جهل لا يشبه فرعون لا في سلطانه ولا سَحَرَته!

وليس له أثر في الأمة، إنما ذلك معاوية، خاصة مع صحة الأسانيد في ذلك، وللتحقق من ذلك يمكن استعراض الآيات التي تحدثت عن فرعون، ثم النظر في سيرة معاوية، وسيندهش المتدبر! ولا يمنع السلفية من التصحيح إلا ألفتهم للمألوف ووحشتهم من الغريب، مع اعترافهم بأن الحق سيعود غريباً مع غربة الإسلام نفسه، فالغربة قد تكون من معايير الصحة وليس العكس.

وقد فهم النواصب هذا الحديث في معاوية، فلذلك بادر بعضهم إلى معارضته وتشبيه عليّ بفرعون بدلاً من معاوية؛ كما فعل ابن تيمية(١)! وهذه طريقة ابن تيمية، فكل الأوصاف التي عاب بها علياً في منهاج السنة إنما وجدها وتحقق أنها في معاوية، فلذلك أراد قطع الطريق على من تسوِّل له نفسه اتهام معاوية، بتهديده بأن هذا الوصف أو ذاك أقرب إلى علي بن أبي طالب. فآذن الله بالمحاربة كمعاوية، حاربه معاويةُ بالسيف بدعوى دم عثمان وحاربه ابنُ تيمية بالقلم بدعوى السلفية، والاثنان من الدهاة، أخذ الأول أكثر الأمة في القرون الأولى، وأخذ الثاني نصف الأمة في القرون الأخيرة! فإذا كان هذا دهاء الفقيه - الذي ليس معه دولة - وهو ابن تيمية في محاربة الإمام علي، وقد أخذ نصف الأمة معه، فكيف بدهاء المنافق الذي بيده الدولة وعلماؤها وقُصَّاصها وجيوشها؟ لا بد أن يكون أثره كبيراً جداً عند أكثر الأمة ولو بمستويات متفاوتة، ومن هنا أتى واجب التأليف في مثالب معاوية التي وردت متواترة أو صحيحة الأسانيد، فنحن لا نفتري على أحد، هذه هي المصادر السنية، وهذا هو الجرح والتعديل، وهذا هو التاريخ، وقبل هذا وذاك، هذا كتاب الله ينطق في سورة الكافرون ويس والبقرة والأحزاب والتوبة! وهذه قصة أخرى لها مناسبة أخرى، لكن الهداية ليست في السنة فقط، بل القرآن الكريم أس الهداية وبدايتها ومنطلقها، ومثلما يسرد النواصب الآيات في فضائل معاوية! بحجة أنه صحابي! فيستطيع المعارض له أن يسرد آيات أَولى بمعاوية وأبيه قد أخبرت بأحوالهم بل ومآلهم، وهي ألصق بهم من سائر الناس.

---

(١) منهاج السنة، ٤/ ٢٩٢.

إن حالة النفاق التي أوجدها معاوية ما زالت إلى اليوم تفتك في القرآن وتعاليمه والنبي وسيرته فضلاً عن الإمام علي وأهل البيت.

الثالث عشر: حديث عمرو بن الحمق الخزاعي (**معاوية آية النار**)

الرابع عشر: حديث (**لا أشبع الله بطنه**)، وما فيه من مثالب، منها التأخر عن إجابة النبي (ص) والاستكبار في ذلك، ومنها هذا الدعاء نفسه سخطاً عليه، والحديث في مسلم، وقد روى أحمد شطره الأول وبتر شطره الثاني.

الخامس عشر: حديث (**إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه**)، وهو موضوع كتابنا هذا.

السادس عشر: حديث **العمالقة**، وهو من شواهد حديث فرعون هذه الأمة.

السابع عشر: ومن الحواضن الجامعة لمثالب معاوية حديث (**لا يحب علياً إلَّا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق**)، وهو في صحيح مسلم، وهو من الأحاديث الخمسة الكبرى في الإمام علي[1]، ولا ريب عند مسلم صحيح العقل والقلب، أن معاوية كان أكبر مبغضي علي عليه السلام، ولا أدل على ذلك من تشريعه لعنه على منابر الإسلام، وبغضُ معاوية لعلي ليس حدثاً عرضياً يتعلق بخصومة آنية، حتى نقول إن البغض لخصومة آنية لا تدخل في الحديث، كلا، بغض معاوية لعلي يختلف عن كل من اختلف مع الإمام علي، والنبي (ص) وضع علامات كبرى حتى نرى معاوية كما هو، فالحديث يتناوله قطعاً.

الثامن عشر: وفي المعنى حديث الموالاة وفيه (**اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه**)، وهو حديث كثير الطرق صحيحها، ومجموعها يفيد التواتر، وليس هناك على وجه الأرض أشد معاداة للإمام علي من معاوية، فالحديث يتناوله قطعاً.

التاسع عشر: ومن الحواضن حديث (**لا يحب الأنصار إلَّا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق**)، وكان معاوية من اكبر مبغضي الأنصار، وله معهم مواقف كثيرة في قطع العطاء وذمهم وهجائهم وظلمهم والوصية بسفك دمائهم التي كان من نتائجها

---

(١) بقية الأربعة: المؤاخاة، المنزلة، خيبر، الموالاة (أو الثقلين أو الغدير = العناوين الثلاثة لحديث واحد).

مجزرة الحَرَّة.

العشرون: **ومعظم فضائل علي والأنصار** من الحواضن وتتناول معاوية بالدرجة الأولى: مثل (من آذى علياً فقد آذاني)، (من سب علياً فقد سبني)، و(الويل لمن أبغضك بعدي)، و(يقاتكم على تأويل القرآن كما قاتلتكم على تنزيله)، وأحاديثه في الأنصار غير ما تقدم مثل: (سترون بعدي أثرة)، وقد جبهوا به معاوية فسخر منه وقال (اصبروا حتى تلقوه على الحوض، لعلكم تلقونه هناك)! وبهذه السخرية مالت المعتزلة إلى تكفير معاوية، وهو مذهب قديم لبعض كبار الصحابة.

الحادي والعشرون: ومن الحواضن حديث: الأغيلمة السفهاء الذين يكون فساد الأمة على أيديهم. رواه البخاري وغيره. ففي صحيح البخاري: (**باب قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم هَلاَكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ أُغَيْلِمَةٍ سُفَهَاءَ. حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي جَدِّي قَالَ: كُنْتُ جالساً مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِالْمَدِينَةِ وَمَعَنَا مَرْوَانُ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ يَقُولُ هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ! فَقَالَ مَرْوَانُ لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ غِلْمَةً! فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ بَنِي فُلاَنٍ وَبَنِي فُلاَنٍ لَفَعَلْتُ فَكُنْتُ أَخْرُجُ مَعَ جَدِّي إِلَى بَنِي مَرْوَانَ حِينَ مَلَكُوا بِالشَّامِ فَإِذَا رَآهُمْ غِلْمَانًا أَحْدَاثًا قَالَ لَنَا عَسَى هَؤُلاَءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُمْ قُلْنَا أَنْتَ أَعْلَمُ**)[1].

وهو في مصادر أخرى مثل مسند أحمد بن حنبل: (**حدثنا عبد الله حدثني أبي، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سماك، عن مالك بن ظالم، قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا القاسم صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق يقول: إن هلاك أمتي أو فساد أمتي رؤوس أمراء أغيلمة سفهاء من قريش**)[2]. وفيه: مسند أحمد بن حنبل: (**حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن سماك، قال حدثني**

(١) صحيح البخاري، ٩/ ٦٠.
(٢) مسند أحمد بن حنبل، ٢/ ٢٩٩.

عبد الله بن ظالم، قال: سمعت أبا هريرة قال: سمعت حبي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: إن فساد أمتي على يدي أُغيلمة سفهاء من قريش)[1]. وفيه: مسند أحمد بن حنبل: **(حدثنا عبد الله، قال: حدثني أبي، حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد يعني بن سلمة، أخبرنا عاصم بن بهدلة، عن يزيد بن شريك، أن الضحاك بن قيس أرسل معه إلى مروان بكسوة فقال مروان: انظروا من ترون بالباب؟ قال: أبو هريرة. فأذن له فقال يا أبا هريرة حدثنا بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال سمعته يقول ليتمنينَّ أقوامٌ ولّوا هذا الأمر أنهم خرُّوا من الثُّريا وأنهم لم يلوا شيئاً. قال زدنا يا أبا هريرة؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجري هلاك هذه الأمة على يدي أغيلمة من قريش)**[2]. **وفي صحيح ابن حبان: أخبرنا أبو يعلى، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: حدثنا شيبان، عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلاك أمتي على يدي غلمان سفهاء من قريش. قال: فقال مروان: والغلمان هؤلاء)**[3].

وفي المستدرك للحاكم: **(حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج الحجازي بحمص ثنا بقية بن الوليد عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله نحلاً وكتاب الله دغلاً)**[4].

وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (٤ / ٥٢٦): **(قال أبو بكر بن أبي مريم، وحدثني عمار بن أبي عمار أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: هلاك هذه الأمة على يدي أغيلمة من قريش. هذا حديث صحيح على شرط**

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ٢/ ٤٨٥.
(٢) مسند أحمد بن حنبل، ٢/ ٥٢٠.
(٣) صحيح ابن حبان، ١٥/ ١٠٧.
(٤) المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٥٢٥.

الشيخين ولم يخرجاه ولهذا الحديث توابع وشواهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الطاهرين والأئمة من التابعين لم يسعني إلا ذكرها فذكرت بعض ما حضرني منها)[1].

وفي المستدرك أيضاً على الصحيحين للحاكم: **(ومنها ما حدثناه أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدَّثنا حجاج بن محمد، حدَّثنا شعبة، عن أبي حمزة قال: سمعت حميد بن هلال يحدث عن عبد الله بن مطرف عن أبي برزة الأسلمي قال: كان أبغض الأحياء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)**[2]. تعليق الذهبي في التلخيص: **(على شرط البخاري ومسلم.. إلخ)**.

من هذا الحشد الروائي للأحاديث التي يصححونها توصلنا شيئاً فشيئاً إلى أرباب الفساد في هذه الأمة، فهل يكون جزاؤهم هو حمايتهم أم كشفهم؟

فهذا الحديث إن كانوا يصدقونه فهو يرشد إلى أن فساد الأمة سيكون على أيدي بني أمية، وقدوتهم معاوية فهم سائرون على نهجه، وهو مَن سنَّ لهم الظلم، فظلمهم في صفحته، ومَن سنَّ سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

الثاني والعشرون: وكل حديث في ذم بني أمية هي من حواضن مثالبِ وقرائنها وعواضدها وشواهدها.

إذن فهذه الأحاديث معطَّلة، عطلها حماة السنة ودعاتها! وليس القرآنيون ولا المعتزلة. عطَّلوها وتكتموا عليها، وتمنوا لو أن النبي (ص) سكت، فلم يخبر بشيء ولم يحذر من شيء؛ وهذا نفاق، لأنه من التقدم بين يدي الله ورسوله، بل هو أسوأ، إن هذه الكراهية لبعض ما جاء به النبي (ص) يحتوي على ناقضين من نواقض الإسلام العشرة التي أوردها الشيخ محمد بن عبد الوهاب[3]، لا لشيء إلَّا لأنها وردت في حق

---

(١) المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٥٢٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٥٢٨.

(٣) موسوعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب - (٨ / ١٢٥): قال الشيخ وهو يعدد النواقض

إمام عقائدهم وتاريخهم وشخصياتهم ومنهجهم وسلوكهم. والحمقى يقصرون عن اكتشاف دوافع الدهاة وقوة مكرهم؛ فيقعون ضحايا تتساقط بسهولة أمام أقدام هؤلاء دهاة الطغاة، ويقدمون لهم الإسلام على طبق من ذهب، ليخدمهم في أي أمر أو نازلة.

العشرة:
(الرابع: من اعتقد أن غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكمه فهو كافر). انتهى كلامه.
قلتُ وهم يرون أن هديهم في الكتمان لهذه الأحاديث أولى من هدي النبي في الإعلان!.
(الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو عمل به كفر إجماعاً، والدليل قوله تعالى: (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم). انتهى كلامه.
قلتُ: وهذان الناقضان في معاوية وأتباعه، إلا أننا لا نكفر أتباعه، لجهلهم وتأولهم ونطقهم بالشهادتين. ونضيف: إنهم يبغضون هذه الأحاديث قطعاً، لكنهم لا يشيعون ذلك.

خلاصةٌ في دراسة حديث

(إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)

هذا الحديث له عدة أسانيد صحيحة، وأقصد بالصحة هنا الصحة العامة التي يدخل فيها الحسن والحسن لغيره، والآحاد الظنية الثبوت دون المتواتر القطعي الثبوت، وأسانيد هذا الحديث كسائر الأحاديث في ذم معاوية هي أصح من كل الأسانيد في فضائله الموضوعة من قبل النواصب لمواجهة ما تواتر من سوء سيرته أو ما صح من الأحاديث في ذمه، وعندما نقارن مثل هذا الحديث الذي قد يظنه أكثر الناس لأول وهلة مكذوباً موضوعاً! عندما نقارنه مع أي حديث في فضل معاوية فسنجد أنه أقوى من تلك الفضيلة وفق المنهج العلمي الحديثي التقليدي (منهج الجرح والتعديل عند أهل الحديث)، وإنما يحتاج الأمر لوعي سياسي بسيط؛ وعلى هذا يلزم المتساهل في تصحيح فضائل معاوية أن ينظر إلى الأحاديث في ذمه أولاً. وسيجدها أقوى بكثير من الأحاديث في الثناء عليه، والواجب على الناصبي والسلفي القريب منه أن يدفع هذا بهذا على أقل تقدير، أما أن نرى النواصب ومن شايعهم واغتر بهم من غلاة السلفية متحمسين لتصحيح الأكاذيب في فضل معاوية وإعراضهم عما هو أصح منه بالإجماع وبالمنهج نفسه الذي يعتمدونه، فهذا دليل هوىً وتعصب لأشهر ظلمة التاريخ الإسلامي وأعمقهم أثراً في السياسة والثقافة.

ثم عندما نقول إن الأحاديث في ذم معاوية صحيحة فإننا نأخذ في الاعتبار تلك الظروف السياسية وذلك الرأي العام المسيطر على أغلب أهل الحديث فقد لحقهم من النصب ما لحقهم وليس أدل على ذلك من فتح أعينهم على أدنى تشيع؛ كتفضيل علي

على عثمان، وإهمالهم لأكبر نصب؛ كلعن الإمام علي على المنابر. فتراهم يتوجَّسون من أحاديث الأول ولو كان صحابياً كأبي الطفيل، وينهلون من أحاديث الثاني ولو كان ظالماً متهتكاً كمعاوية أو مروان أو حريز بن عثمان أو غيرهم ممن ثبت أنهم كانوا يلعنون علياً. فهذا الوضوح وهذه الفجاجة في النصب لا تخفى إلا على مَن أضله الله بهواه وأعمى بصره وبصيرته لكثرة إعراضه عن الحق، والله لا يضل إلا من يستحق الضلالة بإعراضه عن الحق، ولا يهدي إلا من جاهد في الله، وليس من جاهد في نصرة مذهب أو شيخ.

إذن فنحن نأخذ في الاعتبار تلك الظروف السياسية التي تحولت مع الزمن إلى ظروف مذهبية جعلت أكثر أهل الحديث يخشون زملاءهم وطلابهم أكثر من خشيتهم الله، وأصبح هناك عقيدة ثابتة يجب نصرتها ولو عاندت النصوص الشرعية، وعن هذه العقيدة تفرع كثير من الجرح والتعديل، فتم تكذيب الصادق، وتصديق الكاذب، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن،وهكذا تتفرع الأمراض المميتة من مرض قديم لم نحسن دراسته وتحليله وتقييمه وتقييم آثاره على الثقافة بما فيها من عقائد وفقه وحديث وجرح وتعديل... إلخ.

ولا يظننَّ أحدٌ أنَّ تلك الظروف انتهت بنهاية الدولة الأموية، كلا. فالأفكار تبقى بعد سقوط الدول، الإمام السني الكبير أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن يقتله النواصب سنة ٣٠٣هـ بعد سقوط الدولة بأكثر من ١٧٠ سنة، لأنه لم يوافق على افتراء حديثٍ في فضل معاوية! ولو أنَّ الشيعة هم الذين قتلوه لصنفت السلفية في فضله والحزن عليه المصنفات، وهاهو الحاكم (٤٠٥هـ) يُضرب ليفتري حديثاً في فضل معاوية بعد سقوط الدولة الأموية بنحو ثلاثة قرون. وهكذا فالأمثلة كثيرة جداً.

فالظروف التي أحاطت بأهل الحديث والعقائد السلفية لم تتح لهم أن يروا الأمور بتجرد حتى لو أرادوا، هذه الظروف هي التي تضغط ضد رواية مثل هذه الأحاديث في ذم معاوية، لأنه إذا كان بعض أهل الحديث قد قُتل وجُلد لأنهم لم يضعوا أحاديث في فضائل معاوية، فكيف بمن روى في ذمه؟ بل إلى اليوم يجد الباحث صعوبة في ترديد حديث متواتر في ذم معاوية (كحديث عمار) بينما يجد الثناء والترحيب إذا صحح أكاذيب في فضله.

ومع ذلك يجب أن ننصف أهل الحديث حتى لو اختصروا أو جعلوا لفظة (فلان) بدلاً من لفظة (معاوية) لأن الشعور بالغربة الاجتماعية شديد على النفس، ولا يتحمل هذه الغربة الاجتماعية إلا القلة ممن وفقهم الله لمراقبته فقط وعبادته فقط. وهؤلاء قليل (وقليل من عبادي الشكور) ولا أرى نفسي من هؤلاء، ولكن نزحف ونحاول، والله يعفو عنا.

لكن يبقى التأكيد على أن الرواة لمثل هذه الأحاديث من أهل الحديث، يشكر لهم روايتها لأنهم بروايتها يكونون قد ضحوا بكثير من سمعتهم ومكانتهم في سبيل رواية ما سمعوا، بينما الوضَّاعون للأحاديث في فضائل معاوية كانوا في وضع مريح سياسياً واجتماعياً ومذهبياً.

ثم إن المتقدمين من أهل الحديث كانوا أكثر إنصافاً من متأخريهم، لذلك لا بد أن نسجل غرابتنا من محاولة أهل الحديث حشر كل هذه الأحاديث بتكلف شديد في كتب الأحاديث الضعيفة والموضوعة، بينما هم أنفسهم يصححون بتلك الأسانيد أحاديث أخرى في موضوعات أخرى، فهذا تحكم وعصبية فرضتها العقائد المستقرة، ولم يفرضها العلم والإنصاف، فلذلك لا يستغرب القارئ أن يكون معظم الأحاديث في ذم معاوية لن نجدها إلا في كتب الضعفاء والموضوعات!

إذن على التنزُّل بأن هناك أحاديث في فضل معاوية وفي ذمه، مع إيماني المطلق بأنه لم يرد في فضله حديث، وأن كل الأحاديث في فضله موضوعة مكذوبة على رسول الله، إلا أنه عند التنزل لو اعتبرنا أن بعضها صحَّ إسناداً، فهنا إن أمكن الجمع فهذا جيد، كأن يقال بأن هذا الفضل كان دعاء والدعاء لم يستجب، بينما مثل حديث عمار إخبار مع تواتره والخبر مقدم على الدعاء.

وكذلك الإخبار بأن معاوية يموت على غير ملة الإسلام (وهو أقلّ صحة من حديث عمار بلا شك، إلا أنه أقوى من جميع فضائل معاوية مجتمعة) فهنا يقدم الخبر على الدعاء.

وإن لم يمكن الجمع فإنه عند التعارض يجب تقديم الأقوى، والقوة لا تقتصر على قوة الإسناد فقط بل يجب أن يضاف إليها الأصعب ظروفاً والأكثر تحملاً للظروف السياسية والمذهبية على الضعف والأكثر راحة سياسياً ومذهبياً، فكيف إذا توافقت

هذه القوة مع قوة الإسناد، فالقوة هنا تتضاعف.

قد لا يقتنع كل الناس بأي أثر للاضطهاد السياسي وأثره على الأحاديث تصحيحاً وتضعيفاً، إلا بعد تجردِ نيةٍ وبحثٍ جاد، لذلك سنقتصر على دراسة الأسانيد والمقارنة بينها فقط إلا ما دعت الضرورة للإشارة إليه.

الحديث ومحاولات إخفائه من المصادر أو تحريفه

وحديث (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)، قد روي بأسانيد بعضها حسُن لذاته ولا ينـزل الحديث بهذه الأسانيد عن رتبة الحسن عند المتشددين من المحدثين وهو مروي من أكثر من عشر طرق، وقد بدأت تتناقص وتختفي مع الزمن، بل حُذف الحديث من بعض المصادر القديمة كمصنف ابن أبي شيبة أو مسندة، ولم نجده إلا في بعض الكتب الناقلة عنه كالمطالب العالية، وما زال تتبع الأحاديث التي في ذم بني أمية وحذفها أو تضعيفها أو تحريفها قائم إلى اليوم والأمثلة كثيرة جداً، كما أن هناك محاولات قديمة لنقله من المرفوع إلى المرسل والتشويش على ذكر اسم معاوية (كما فعل البخاري، وسيأتي نقد كلامه)، فلا بد أن نستحضر هذه الظروف التي حاربت هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث في ذم أعلام من بني أمية، وهؤلاء الأعلام كانوا سلفاً (حقيقياً) لغلاة السلفية، فلذلك نجد الحرص الشديد عند غلاة السلفية لحماية سلفيهم من النبي (ص)، ولكن الله متم نوره، ومن فضل الله أنه يجعل الخذلان والتناقض في كلام هؤلاء، فلا يقولون حجة في مكان إلَّا نقضوها في مكان آخر، وما ضعفوا راوياً هنا إلَّا صححوا له هناك! ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين، وإني لأعجب من بعض هؤلاء على علمهم كيف يختارون إخفاء ما بينه النبي (ص) تحذيراً للأمة من الفتن بعده، وكأن النبي (ص) كسائر العلماء يؤخذ من قوله ويترك! وهذا نفاق، ولا يبغض علياً إلا منافق، كما أنه لا يحب المنافقين إلا منافق، ولا يحب الظالمين إلا ظالم، ومتى انحرفنا عن الهدى الذي أتى به النبي (ص) فلن نجد أهدى منه لا عند ابن تيمية ولا غير ابن تيمية. وعلى كل حال سيأتي أثناء نقد المعارضين لهذا الحديث البيان الكافي الشافي على أن أهل الأهواء من النواصب هم من أكثر الفرق امتعاضاً لبيان النبي (ص) ويظهر هذا الامتعاض في صور شتى سترونها أثناء استعراضنا للأحاديث في ذم معاوية، ولو اتفق المسلمون على ذم من ذمه الله ورسوله (ص) لانتهى أكثر الخلاف،

ولأمكن اكتشاف ذلك التحريف الكبير الذي أدخله هؤلاء المذمومون في دين الله، وهو تحريف كبير جداً لن يكتشفه من يحب الأبالسة، لأنهم يشكلون الغطاء الأكبر على القلوب، حتى أصبح قتل النفس المحرمة من أحب العبادات عندها! والأمثلة كثيرة في التاريخ وفي عصرنا الراهن، فمن أين أتى كل هذا؟ أتى من الإعراض عن الأنبياء وتحذيراتهم والإقبال على مناهج إبليس وأوليائه ومن يحسن الظن بهم! وقد حذرنا الله في قوله ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ لكننا لم نوافق على الالتزام الحرفي بهذا التحذير الإلهي، ولسان حالنا يقول لا بد أن يكون لنا شيء من الأمر، نعوذ بالله من الهوى المضل عن سبيل الله ورسوله.

إجمال في طرق الحديث

وطرق هذا الحديث هي:

- حديث أبي سعيد الخدري (رواه عنه ثقتان، أبو نضرة وأبو الوداك، ويحتمل أن الحسن البصري رواه عنه أيضاً كما في بعض الطرق إلى الحسن البصري)
- حديث رجل من الأنصار، في أحد إسنادي أبي سعيد أيضاً
- حديث سهل بن حنيف (من رواية ابنه أبي أمامة عنه)
- حديث عبد الله بن مسعود (رواه عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عنه)
- حديث جابر بن عبد الله (وعنه أبو الزبير، ولكن أحد النواصب حرَّف لفظه)
- حديث جماعة من أهل بدر (رواية الحسن البصري عنهم في أحد الطريقين إليه)
- حديث عبد الرحمن بن سهل الأنصاري (بدري = لأبقرنَّ بطنه) من رواية محمد بن كعب القرظي عنه.
- حديث أبي ليلى الأنصاري (فابقروا بطنه)
- حديث محمود بن لبيد عن بدريين من بني عبد الأشهل
- حديث أنس بن مالك (فابقروا بطنه) من رواية الأعمش عنه
- حديث الحسين بن علي (فابقروا بطنه)
- حديث الحسن البصري مرسلاً: رواه عنه إسماعيل[1]. والأعمش (عند البلاذري) ويونس بن عبيد (في علل أحمد) وعمرو بن عبيد (عند ابن عساكر

---

(١) سيأتي أن إسماعيل هذا لن يخرج عن أحد ثلاثة: إسماعيل بن أبي خالد أو إسماعيل بن مسلم العبدي، أو إسماعيل بن مسلم المكي.

وابن الجوزي وابن عدي وغيرهم). وفي بعض طرقه أن روايته تلك عن جماعة من أهل بدر، وفي بعض الطرق ما يشير إلى أنه رواه عن أبي سعيد الخدري وحده، فإن صح هذا فيكون قد رواه عن أبي سعيد الخدري ثلاثة من التابعين

- حديث حذيفة بن اليمان، من رواية بلال العبسي عنه
- حديث أبي ذر، من رواية جلام الغفاري

تنبيه مهم: الحديث المقارن

سيلحظ القارئ الكريم أنني في هذا الحديث والسلسلة القادمة، سأنظر مدى اتفاق السنة والشيعة على رواية هذه الأحاديث، وهل هي عند الشيعة بطرقهم أم بطرقنا، لأنني وجدت كثيراً من الناس في هذا الزمن تعجبهم الدراسات المقارنة في الفقه والحديث والعقائد. مع أن الأصل هو البحث في مصادر أهل السنة، ولا نعول على شيء انفرد به الشيعة لا الإمامية ولا الزيدية مع احترامي للمذهبين، فإذا انفردوا بحديث لا ألتفت إليه. سواء كان فعلي صواباً أو خطأً، إلا أنني أؤمن بأن لا يخوض الإنسان إلا فيما يعلم، ومجرد الاطلاع على كتب مذهب من المذاهب عقيدة كانت أو فقهية أو سلوكية أو فلسفية لا يعني هذا العلم، وإنما مجرد اطلاع قد يسمح لك بشيء من المقارنة، ولا أستحي إذا قلت إنني أجهل كثيراً من رجالهم ومنهجهم في الجرح والتعديل.

ولكن مع هذا ليسمح لي أبناء المذهبين بعتب من أخ لهم، وهو أنني لا أرى لهم اهتماماً كافياً بعلم الرجال، إضافة إلى أن الإخوة الإمامية لا أرى لهم اهتماماً بحفظ القرآن الكريم، حتى أن بعض علمائهم الكبار يخطئون في الآية والآيتين عند تلاوتها، وهذا يدل على انكباب على الرواية وإهمال القرآن الكريم، أما الزيدية فهم ألصق الفرق بالقرآن الكريم يعرف هذا من قرأ كتبهم، إلا أنهم يشاركون إخوانهم الإمامية بالضعف في علم الرجال.

بينما هناك كثافة سنية هائلة في علم الرجال والعلل، مع حفظ للقرآن الكريم، إلا أنه صاحب ذلك ضعف شديد في التدبر، بل قد يردُّ أحدُهم خمسين آية بحديث حسَّنه الألباني أو الهيثمي! وهذا غلو في التمسك بالحديث، كغلو الإمامية تماماً، إلا أن السلفية أكثر حفظاً للقرآن الكريم.

وهجر القرآن الكريم مع المبالغة في الإقبال على الراوية مصيبة عامة يشترك فيها الإمامي والسلفي في الغالب وفي المذهبين استثناءات بينما تتفرد الزيدية بالتصاقها بالقرآن الكريم أكثر من السُّنة والإمامية، وخاصة في المتقدمين، هذا ما أراه والله أعلم، وما قلت هذا إلا من باب الشهادة أولاً ثم النصيحة للجميع بتسديد النقص.

والدعوة عامة للمراجعة والنقد الذاتي، فأنا أؤمن أنه داخل كل مذهب هناك مساحة واسعة للنقد الذاتي، وعلم الرجال إذا اقترن بالاهتداء بالقرآن الكريم ثم مع توفر الوعي التاريخي ثم العلم الدقيق بالمؤثرات الخارجية على الجرح والتعديل فإنه يمكن أن ننتقل من حالة التقوقع التي يعيشها المسلمون إلى حالة أفضل من التواصل والانفتاح العلمي. وإذا كان الانفتاح على الثقافات الإنسانية وطرق البحث العلمي عند الأمم، فمن باب أولى انفتاح المسلمين على ثقافاتهم ومناهجهم في الحديث وغير الحديث.

وهذا لا يعني أنني سأمزج بين الجرح والتعديل عند الشيعة والسنة، كلا. سأقتصر على الجرح والتعديل السني لكن بروح منفتحة تدرك الأثر السياسي على الوضع المذهبي ثم تدرك الأثر المذهبي على تصحيح الأحاديث وتضعيفها، وهذا المنهج أولى من التعجل في (الجرح والتعديل المقارن) إن صح التعبير.

ويمكن للباحث السني الحر كما أصنف نفسي وأعرفها أن يقول الحجة بنفسه ولا يخشى في الحق لومة مذهب ولا سلطة سياسية أو دينية، هنا يكون عبداً لله لا للمذهب. وأن يأخذ الحق ممن أتى به. ولا يغتر بكثرة الخبيث ولا قلة الطيب، فقليل من الطيب من القول، أولى من كثير من الخبث، ولو أعجبنا هذا الخبث واستظهرنا به على الناس، واستطلنا به على عباد الله، وجولة الحق خير من دولة الباطل.

هذه المبادئ والمنطلقات السنية العظيمة لم يشوهها إلا أبناؤها، بتعصبهم واغترارهم بالكثرة ونفورهم من الإنصاف، وخشيتهم أنهم إن أنصفوا كان هذا الإنصاف حجة للشيعة، وأن الوقت وقت صراع وليس وقت علم وإنصاف... إلخ. وأنا آسف عندما أرى أن هذه الأعذار العجيبة تسري بين عقلاء من أهل السنة، وكأن الله يطالبنا بالصراع مع الآخر، وليس الشهادة لله. وكأن الآخر إن أفحش وظلم السابقين فإن علينا أن ننصر الظالمين!

ماهذا؟ أين وصل تفكيرنا وديننا ونظرياتنا؟ وإلى أي منحدر نأخذ الشباب السُّني؟

هل نريد أن يشعر شبابنا بالسأم والملل من ضيقنا بالرأي ومناقشته؟ والرد عليه بعلم إن كان باطلاً؟ وقبوله إن كان حقاً؟. ما أدري ماذا أصاب أهل السنة اليوم؟ لا أكاد أرى عالماً سنياً يناقش إلا ونفسه مضطربة حرجاً كأنما يصعد في السماء! هذا إن قبل بالحوار أصلاً! ويظنون أن الاستنصار بالعامة والاقتصار على الظهور في القنوات وكتم الرأي الآخر سيدفع الشباب للسير معهم؟

كانت هذه شقشقةَ باحثٍ سُنِّي حرٍّ يؤسفه ما عليه قومه من الانحدار نحو المذهبية للمذهب فقط، والعصبية للعصبية فقط. وهذا أمر مخيف، وهذا لا يعني أن الآخرين ليس فيهم من العصبية ما فينا، بل لعل عصبيتهم أعظم، ما أدري إن الأمر إلى بحاجة إلى دراسة إلا أنني إن رأيت علماء ألآخرين وهدوءهم في المناقشة أعرف الفرق.

ها أنذا في الرياض منبع السلفية الحديثة، وأعرف كيف يتحاور الناس حتى وهم أصحاب فرع من مذهب وكيف يتعادون ويتباغضون ويشيدون الاصطفافات التفصيلية، فلم يعد الأمر فرزاً بين السلفية والأشاعرة أو الصوفية، وإنما أصبح الباحث لا يستطيع أن يدرك كثرة التفريعات والتصنيفات داخل كل فرع من فروع السلفية، وهذا نتيجة للظلم القديم، ورفض التصحيح، والخشية من الانفتاح، وضعف مناهج التعليم... إلخ.

التفصيل في دراسة طرق الحديث

الطريق الأول: حديث أبي سعيد الخدري

وروي عن أبي سعيد من طريقين، بل إن أحدهما يصححه ابن تيمية إذا أتى بأحاديث أخرى!

وأقوى الطريقين وأشهرهما طريق علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري، وهذا الطريق مشهور عند أهل الحديث رووا من طريقه عشرات الأحاديث في الأحكام والعقائد، وصححوها[1]، والأحاديث عن علي بن زيد بن

(١) وقد أفردناها ببحث ولو أوردنا ذلك البحث ضمن ملاحق هذا الحديث لكان كتاباً، ويكفي أن نقول إن أبلغ النواصب كابن تيمية يحتج بما انفرد به علي بن زيد بن جدعان! فكيف بما توبع عليه هو وشيخه وشيخ شيخه؟.

جدعان وحده وهو أضعف رجل في الإسناد عندهم كثيرة جداً، تبلغ نحو ثلاثة آلاف حديث بالمكرر، وهذا عدد ضخم، ومن الصعب أن لا نستبعد من أحاديثه إلا هذا الحديث في ذم معاوية! فهذا تحكم وعصبية، لا سيما وأنه توبع ولم ينفرد به، لا هو ولا شيخه ولا شيخ شيخه، بل له طرق شتى رويت في زمن صعب، ولاستفاضتها وكثرتها فقد فرضت نفسها على كل الظروف السياسية والمذهبية والبلدانية ووصلتنا عبر هذا الزمن المليء بالحصار والتحريف والبتر والإخفاء والتحفظ والاستنكار. وما زال الإرهاب الفكري يطارد رواتها ومصححيها إلى اليوم، وهذا جزء من الابتلاء المصاحب للحق وأهله، وأرى أن هذا الحديث يندرج تحت أصل عام وهو: هل حذر النبي (ص) أصحابه من الفتن بعده؟ وهل أوضح لهم ما ينجيهم وضوحاً تاماً لا يزيغ عنه إلا هالك؟ أم أن تحذيره كان عاماً لا يمكن أن يعطي هداية ولا يرفع شكاً؟

أنصار معاوية يعترفون مثلما يعترف بقية المسلمين بأن النبي (ص) لم يتركهم سدىً، وانه قد أبان لهم المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ومن تمام ذلك البيان وكماله أن يخبرهم برؤوس الشر بعده، وأن يكون هذا الإخبار واضحاً لا لبس فيه، حتى تقوم الحجة على من خالف ذلك.

وهناك شبهة يقولوها البعض وهي: لماذا إذن لم يقتل النبي (ص) هؤلاء الأشرار الذين سيفسدون في أمته ويحرفون دينه فيريح الأمة منهم؟

وهذا السؤال لا يطرحه إلا مستكبر أو أحمق. لأن الله أقدر على إماتة هؤلاء فلماذا لم يتوفهم قبل أن يفسدوا في الأمة؟ إن لله حكمة في عباده بأن يبقى الابتلاء والاختبار إلى يوم القيامة)أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون؟(. فالابتلاء غاية من غايات الخلق، ولن يتحقق إلا بوجود إبليس وأوليائه بما معهم من زخرف الدنيا والقوة، وفي الجانب الآخر يكون الدليل والبرهان والعقل والعدل وسائر الفضائل. ثم أنت أيها الإنسان في الوسط وتختار. بين الدنيا وزينتها وبين البرهان وتلك الفضائل. وأكثر الناس بلا شك يختارون الدنيا والكثرة والمال والسلطة والمصلحة، وهذه الأكثرية الضالة قد أخبر الله بها في كتابه فلا مجال للشك فيها، وهذا هو ما نراه في الواقع، فالكثرة الحديثة مع الكثرة القديمة، في الإعراض عن الهدي القرآني قبل الهدي النبوي.

فلذلك نرى أن مثل هذه الأسئلة الاستكبارية لا يطرحها أهل العلم بالله وسننه في خلقه، وإنما يطرحها الحمقى والمستكبرون، ولكن الحمقى يطردون في الأسئلة، فيقولون: لماذا لم يقتل الله إبليس ويهلك الظلمة ويزلزل الدول الاستكبارية ويخسف بإسرائيل... إلخ وهؤلاء حمقى لا يعرفون غايات الله في خلقه كالابتلاء والاختبار. ولا يقفون عند الآيات الكريم)ليبلوكم في ما آتاكم(،)ليبلوكم أيكم أحسن عملاً(، ونحو هذا من الآيات التي تخبرها بأسباب بقاء الشرور في هذا العالم.

كانت هذه مقدمة استباقية تمنع الحمقى والمستكبرين من طرح الأسئلة المفسدة للقلوب والعقول، حتى يقرأ القارئ هذه الأحاديث ويصلي على النبي (ص) بأنه قد حذر أمته من كل ما يضرها وأرشدها إلى كل ما ينفعها. لم يكتم خيراً إلا دلهم عليه، ولا شراً إلا حذَّرهم منه وأمرهم بمقاومته. وهذا الحديث هو جزء من تلك التحذيرات الكثيرة التي لم يطبقها أكثر الناس، وإنما هابوها ثم تأوَّلوها ثم أهملوها ثم ضعفوها. كما تأوَّلوا غيرها وهابوا غيرها وضعفوا عن غيرها... إلخ، ولو كان الجيل الأول مطبقين لكل أوامر النبي (ص) لما تنافسوا في الدنيا ولا تقاتلوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا... إلخ، وهذا كله حصل باعتراف الجميع كما أن تحذير النبي (ص) لأمته هذه التحذيرات صحيحة بإجماع الجميع أيضاً، كما أن مخالفتها ثابتة بإجماع الجميع، فلم يبق لحديث معاوية خصوصية حتى نحرقه بالأسئلة، وكأن الصحابة نفذوا جميع الأوامر إلا في موضوع معاوية.

كلا. النكوص عن أوامر النبي (ص) ونواهيه كان كثيراً وفي كثير من الموضوعات. ومن شاء أن يعرف ذلك فهذه كتب الحديث ملأى بتحذير الصحابة من أمور وأمرهم بأمور أخرى. ثم انظروا كيف كان الواقع مع هذه الأوامر والنواهي، واجعلوا الأمر بقتل معاوية في ذيل تلك الأوامر، فإن وجدتم أن الأوامر الأخرى قد طبقها الصحابة فارفضوا عندئذ هذا الحديثَ وضعِّفوا كل من رواه ورُدُّوا على كل من صحَّحه، وأما إن وجدتم أن إهمال الأوامر هي الأصل فلا يجوز استثناء موضوع معاوية بعد تحقق أمثاله وصحة أسانيده.

مصادر وطرق وألفاظ حديث أبي سعيد

وهذا الطريق لحديث (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)، من رواية أبي سعيد، له طرق كثيرة صحيحة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد. فقد رواه عن علي بن زيد بن جدعان كل من سفيان بن عيينة وجعفر بن سليمان الضبعي وحماد بن سلمة، وثلاثتهم ثقات مع تنوع مذهبي، فابن عيينة وحماد بن سلمة ميولهم حديثية سلفية عثمانية أقرب لبني أمية منها إلى آل البيت، وجعفر بن سليمان الضبعي محدث له ميول شيعية، وثلاثتهم ثقات، ومن أهل البصرة، تلك البلدة العثمانية المنحرفة عن الإمام علي[1]، فاتفق السنة والشيعة في مدينة عثمانية ناصبية على رواية هذا الحديث عن علي بن زيد بن جدعان، فيبقى التحقيق في علي بن زيد وشيخه أبي نضرة إذ هما محل البحث.

أما رواية الثلاثة الثقات عن علي بن زيد به؛ ففي هذا الطريق الذي أخرجه ابن عساكر الدمشقي[2] من طرق عن حماد بن سلمة وجعفر بن سليمان الضبعي وابن عيينة ثلاثتهم عن علي بن زيد بن جدعان بالإسناد والمتن ولفظه (إذا رأيتم معاوية على منبري وفي لفظ: على هذه الأعواد فاقتلوه).

وكذلك رواه ابن عدي رواه من طرق عن علي بن زيد بن جدعان به كما في الكامل لابن عدي[3].

ولفظ الحديث كما عند ابن عساكر[4] من طريق عبد الرزاق، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن علي بن زيد، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (**إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه**)، ثم نقل عن ابن عدي قوله: (وهذا الحديث إنما رواه عبد الرزاق عن ابن عيينة عن علي بن زيد وهو بجعفر أشبه).

قلت: لا يحتاج الأمر لتخيير بينهما، فكلاهما قد روى الحديث عن علي بن زيد، وتابعهما حماد بن سلمة، ورُوي عنهما وعنه من طرق صحيحة، وكأن ابن عدي يلمح

(١) قد يأتي بعض طلبة العلم ويستغربون مثل هذا الحشد المعلوماتي، أن هذا فيه نصب وهذا فيه تشيع والبصرة ناصبية و... إلخ؛ وأنا إنما أتحدث هنا مع أهل العلم، ومن الصعب توثيق كل شيء، وليراجعوا الملحق (في نصب أهل البصرة).

(٢) في تاريخ دمشق، ٥٩/ ١٥٥ ١٥٦.

(٣) الكامل لابن عدي، ٢/ ١٤٦، انظر ترجمة جعفر بن سليمان الضبعي.

(٤) في تاريخ دمشق، ٥٩/ ١٥٦.

إلى أن جعفر بن سليمان متشيع وسفيان بن عيينة سلفي فيه نصب، وعلى هذا فالحديث أشبه بجعفر بن سليمان، وهذا صحيح،، لكن سفيان بن عيينة في آخر الأمر صاحب حديث، وأهل الحديث تدفعهم شهوة الحديث أحياناً إلى رواية ما لا يعجبهم، وخاصة إذا وثقوا في الإسناد، وتأخر زمنهم وعلت أسانيدهم، وشيخه علي بن زيد متقدم (توفي نحو ١٣١هـ) فهو قديم وسفيان بقي إلى أن علا إسناده فروى كل ما سمعه من الشيوخ المتقدمين.

ثم أورد ابن عساكر من طريق ابن عدي: حدثنا محمد بن سعيد بن معاوية النصيبي، حدثنا سليمان بن أيوب أبو عمر الصريفيني، حدثنا سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (**إذا رأيتم معاوية على منبري فارجموه**).

وساق ابن عساكر من طريق ابن عدي عن الفضل بن الحباب، أخبرنا محمد بن عبد الله الخزاعي، أخبرنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (**إذا رأيتم معاوية على هذه الأعواد فاقتلوه**)؛ قال فقام إليه رجل من الأنصار وهو يخطب بالسيف فقال أبو سعيد ما تصنع؟ قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (**إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه**)، فقال له أبو سعيد إنا قد سمعنا ما سمعت ولكنا نكره أن يسل السيف على عهد عمر حتى نستأمره. فكتبوا إلى عمر في ذلك فجاء موته قبل أن يجيء جوابه).
وهذه أكمل رواية للحديث ومناسبته.

إشكالات على مناسبة الحديث والجواب

هنا في الحديث أن معاوية خطب في حياة عمر فأين كان ذلك؟ وأنهم أرادوا قتله، وأن عمر مات في تلك الساعات. متى كان هذا؟ وأين؟ لا سيما وأن المشهور أن معاوية في الشام وعمر في المدينة؟ وكذلك أبو سعيد لم يَفِدْ إلى الشام على عهد عمر حتى تقع القصة في الشام؟ كما أن ظاهر الحديث أن خطبة معاوية كانت أيام وفاة عمر ولم يكن بين الخطبة وموت عمر كبير فرق؟ وربما كانت الوفاة قبل الخطبة بيسير من الوقت؟ هذه كلها ألغاز وإشكالات لا يعرفها مَن لم يدقق في التاريخ.

والجواب: أن هذه الواقعة قد حدثت في المدينة أيام مقتل عمر أواخر عام ٢٣هـ بعد الحج مباشرة، وقد كان في ذلك العام أنْ حجَّ الأجناد وأمراؤهم مع عمر ومعاوية من هؤلاء الأمراء وهذا ما يرجح بأن لمعاوية دوراً كبيراً في مقتل عمر، فمقتل عمر في بحث لي خاص أرى أنه تم بتخطيط من معاوية والمغيرة بن شعبة على ما يظهر لي مما لم تنطق به الروايات. فأبو لؤلوة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة لا يعقل أبداً أن يقدم على قتل خليفة المسلمين من أجل ثلاثة دراهم زادها عليه المغيرة بن شعبة! فهذا جنون لا يفعله عاقل إلا بعد ترتيب ووعْد بالحماية وتحريض وتهديد.

والغريب أنهم زعموا أن أبا لؤلؤة نَحَرَ نفسه! وهذا عجيب أيضاً! ومن الصعب أن ينحر الرجل نفسه، فلعلهم قتلوه حتى يختفي السر، فلا أعلم أحداً نحر نفسه لا قبله ولا بعده.

أما القصة المعقولة عندي فخلاصتها أن معاوية والمغيرة وقريش وحلفاءهم قرروا التخلص من عمر بن الخطاب جسدياً بعد أن ضيَّق على الرأسماليين وبدأ يحاسبهم ويشكّ فيهم، وكان قد عزم على السفر إلى الشام بعد الحج مباشرة والبقاء فيها حولاً كاملاً بعد أن وصله عن الشام وأميرها كثير مما يوجب الريبة والمراقبة والاطلاع على عمله عن قرب. فهذه المعلومات وصلت معاوية! ووصله أمر آخر أكثر خطورة وهو أنه علم عبر جاسوسه المغيرة بن شعبة أن عمر يرجِّح علياً للخلافة بعده لقوله للمغيرة: (لو ولّوها الأجلح يعني علياً لسلك بهم الطريق ولو كان السيف على عنقه). فاجتمع هذا السبب مع عزمه السفر إلى الشام والنظر في أحوال أهلها وصالحيها بعد أن أبلغه عبادة بن الصامت عن معاوية وأعماله فيها! وكانت هذه أسباباً كافية لمعاوية لتصفية عمر جسدياً، إضافة إلى ما شاع عن عمر من تنقّصه لمعاوية وندمه على توليته ووصيته أن يبعد الطلقاء عن الخلافة والشورى في أمور كثيرة تدل على توجُّس عمر من معاوية شراً، وكان عمر قوي الفراسة، إلا أن دهاء معاوية كان عظيماً جداً فتغلب دهاء معاوية على فراسة عمر وسارع إلى قتله. ولم يكن معاوية وحده، فقد كان معه جلُّ قريش من الطلقاء وحلفائهم، وكانت معه ثقيف بأعورها الداهية الآخر (المغيرة) الذي قيل عنه إنه يستطيع أن يخرج من أبواب المدينة الثمانية كلها بمكر واحد! مع حلفاء أقوياء من قريش وخاصة بني مخزوم وبني عبد شمس وقريش الظواهر كلها وكل بني سليم

بزعامة أبي الأعور السلمي وحلفاء آخرين أقل قوة كالأزد ومنها دوس وكذلك ثقيف وبجيلة... إلخ، إضافة إلى نصارى الشام من قبائل العرب وغيرهم كقبائل كلب وحمير وسائر قضاعة. فكان مع معاوية ما يستطيع به أن يطمئن على مركزه، فلذلك جرى ما جرى من تخطيط لقتل عمر بعد وعْدهم أبا لؤلؤة أنه لن يصيبه مكروه وأنه سيكون بجانبه من يخرجه من المسجد ويخرجه من جزيرة العرب بأمان إلى بلاد فارس أو العراق، وإن لم يفعل فعليه الويل والثبور له ولعائلته التي معه في المدينة. وكان أبو لؤلؤة ساذجاً ففعل فعلته النكراء، ولما شعر بأن حماته أرادوا قتله طعن منهم من طعن، وطعن غيرهم، وكان عدد من قتلهم نحو العشرة ثم ذبحه محرضوه ليختفي الدليل، ثم زعموا أنه نحر نفسه!

وكان معاوية قد رتب من يذيع لعبيد الله بن عمر بن الخطاب بأن الهرمزان هو قاتل عمر (وكان عبيد الله بن عمر ربيب معاوية) وأن بعض المهاجرين قد أعان الهرمزان، وكأن معاوية والمغيرة يريدان اتهام المهاجرين ومنهم علي وسعد وعبد الرحمن بن عوف حتى يفقدوا حظوظهم في الخلافة!

فكانت أمور لم يتم فيها التحقيق الجدي في مَن أشار على أبي لؤلؤة؟، ولم يتم استجواب المغيرة بن شعبة؟ ولا سؤال أهل المغيرة عن أحوال مولاه أبي لؤلؤة؟ ومَن آخر الناس عهداً به في الأيام الأخيرة؟ وخاصة بعد شكواه لعمر من فعل المغيرة إن صحت القصة أصلاً! ولم يتم كل هذا، وإنما مات الخبر بقتلهم لأبي لؤلؤة.

ولكن ما تحت السطور وما فوقها يدل على أن مقتل خليفة كعمر. لن يقوم به مولى من تلقاء نفسه، ولن يقوم به رجل من كبار المهاجرين يؤمن بعصمة دم المسلم فكيف بالخليفة العادل الذي وقف حجر عثرة أمام أطماع قريش وحلفائها في البذخ والأموال والولايات... إلخ.

والخلاصة أنه يوم موت عمر كان معاوية نفسه في المدينة هو وسائر أمراء الأمصار مع أجنادهم، وكأنه لما علم من الطبيب أن عمر سيموت قريباً انتظر حتى علم بموت عمر قبل الحاضرين فقد كان ربيبه (عبيد الله بن عمر بن الخطاب من أهل بيت عمر)، فلما علم بموته قبْل أكثر الناس صعد المنبر النبوي وخطب، فهنا تذكَّر مَن تذكَّر من الصحابة كأبي سعيد وذلك الأنصاري، ولعل أكثرهم لم يكن في المسجد كانوا

مذهولين أو غيَّاباً ولا يمكنهم أن يبقوا معسكرين في المسجد النبوي ولعل خطبة معاوية كانت في غير وقت الصلاة. وكانت خطبة سياسية.

إذن لما رآه أبو سعيد وغيره من الصحابة ممن أراد قتل معاوية أرادوا تنفيذ الأمر النبوي، وكان سر الأمر النبوي بقتل معاوية أنه في ساعة صعوده إلى المنبر كان مستحقاً للقتل، ولأنه سيحكم دولة عثمان ولأنه قاتل عمر بالتوجيه والأمر والإكراه والإطماع لمولى حليفه المغيرة، ويكون صعوده على المنبر في ذلك اليوم يوم مقتل عمر بداية التحول في مسيرته من السرية إلى العلنية، وكان عمر باب الفتنة كما في حديث حذيفة ذلك الباب الذي كسره معاوية ليدخل الناس في الفتنة عبْره، تلك الفتنة لا يدري فيها المسلم أيركب الحق أم الباطل! فتنٌ كوجوه البقر لا يعرف أيها من أي؟! كما قال حذيفة أيضاً.

وما زلنا إلى اليوم في الفتنة الكبرى من ذلك اليوم الذي صعد فيه معاوية على المنبر النبويّ وهو اليوم الذي مات فيه عمر بمؤامرة معاوية مع المغيرة بن شعبة وغيره من أصحاب المصالح، ونكوص الناس عن قتل معاوية دليل على تمكن معاوية وحلفائه من الأمر، وأن الصحابة قد أصبحوا في قلة وذلة لا يستطيعون أن يجبهوا أجناد تلك الأمصار، وخاصة جند الشام الذين كانوا يحيطون بمعاوية وهو يخطب، وباستطاعتهم منع أي صحابي من تحقيق أمر النبي (ص) بقتل معاوية، لأنه لو قتل في ذلك اليوم لكان القصاص أولاً من قاتل عمر الحقيقي، ولأمكن المسلمين تجنب الآثار السيئة العظيمة التي خلفها معاوية على الفكر والدين والسياسة والعقل. والحديث في إثبات هذا واستنتاجه يطول جداً، لأن الحقيقة مفرقة مبعثرة في الروايات، ولا ينقصها إلا طرح الأسئلة! وها نحن طرحناها مع بعض الأجوبة، ومن دقق في التاريخ وجد شواهد أخرى.

عودة إلى أسانيد الحديث

إذن فكان بيان هذه المناسبة ضرورياً لفهم هدف الحديث ومعناه وظروفه.

ثم ذكر ابن عساكر طرقاً أخرى للحديث عن جابر وابن مسعود وغيرهما، وستأتي؛ إنما كلامنا هنا في حديث أبي سعيد، ويتركز البحث في ترجمة علي بن زيد بن جدعان، لأن الطريق إليه صحيحة، وهو المتهم الأول عند المدافعين عن معاوية، ثم يتم التركيز

بدرجة أقل على شيخه أبي نضرة الراوي عن الصحابي أبي سعيد الخدري، إذن فلا يحتاج أن نبحث في تراجم من قبل علي بن زيد من الرواة، أعني الرواة عنه كحماد بن سلمة وجعفر بن سليمان وسفيان بن عيينة لثقتهم وكثرتهم وتباين مذاهبهم واتفاقهم في الرواية لفظاً وإسناداً، على خلاف طفيف ففي بعض الطرق (فارجموه) بدلاً من (فاقتلوه).

وليس مناسباً أيضاً أن نبحث كثيراً عن مَن بعد علي بن زيد بن جدعان، لأن شيخه أبا نضرة ثقة باتفاقهم وشيخه صحابي.

مع أنني رأيت بعض المتعالمين الصغار من غلاة السلفية يتعبون أنفسهم في الطعن في كل إسناد على حدة بأدنى جرح، حتى طعنوا في عبد الرزاق وجعفر بن سليمان الضبعي، واستشكلوا ما لا يشكل، ونقول لهم إنه بالمنهج نفسه الذي ينتهجه النواصب مع مثالب معاوية وتشددهم في جرح الكبار حتى وصل بهم الأمر لجرح أمثال عبد الرزاق يمكننا بهذا المنهج تضعيف كل فضائل الشيخين وكل فضائل عثمان وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم. فعليهم أن لا يجربوا جمع شواذ الأقاويل واستجلاب الشكوك، فهذا منهج وعر، قد يكون لك اليوم في مسألة، ولكنه سيكون عليك غداً في عشرات المسائل، وليبقوا في منهج وسطي، يعتمد منهج أهل الحديث في الجملة، دون إفراط ولا تفريط، لأن منهج أهل الحديث هو عدة مناهج عند التحقيق، فلكل محدث منهجه وثقافته وعلمه وجهله وإنصافه وتعصبه... إلخ، ومنهج أهل الحديث وخاصة المسائل المستقرة فيه هو حاكم على أهل الحديث، وهم محكومون به، وليس العكس، أعني عندما يقررون أن استقراء مرويات الراوي هو الطريقة المثلى في الحكم على الراوي، وإذا قرروا أن الجرح غير المفسَّر بما يثبت الجرح غير لازم، وعندما يقررون أن بعض الجرح هو للعصبية والحسد والمذهب، كما أن بعض التوثيق هو للموافقة في المذهب والمجاملة... إلخ، فهذا المنهج هو الذي نحكم به على أقوال أهل الجرح والتعديل، فيجب أخذ هذا المنهج والحكم به على مَن جرَّح مذهبياً بردِّ جرحه، وعلى من وثَّق مذهبياً برد توثيقه، وعلى من جرَّح بما لا يجرَّح به بردِّ جرحه، وعلى من وثَّق بما لا يوثق به بردِّ توثيقه... إلخ. هذا معنى أن منهج أهل الحديث يحكم على أهل الحديث، والمنهج العلمي العقلي يحكم على منهج أهل الحديث، فمنهج

أهل الحديث ليس فوق جميع مناهج النقد، بل بعضها فوقه وفيها مثله ودونه.

وفي حديث أبي سعيد الخدري هذا من الطريق الأول عنه، أعني طريق علي بن زيد بن جدعان، نجد الرواة عن علي بن زيد ثلاثة من الثقات عند أهل الحديث، بل من كبار الثقات عندهم، وهم حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وجعفر بن سليمان الضبعي، وكذلك نجد شيخه أبا نضرة ثقة عندهم، وشيخ أبي نضرة هو أبو سعيد الخدري صحابي والصحابة عندهم كلهم عدول لاسيما أن أبا سعيد الخدري من فضلاء الصحابة بإجماع أهل السنة، وليس من المختلف فيهم لا عند الصحابة ولا عند التابعين.

إذن يبقي بحثنا محصوراً في علي بن زيد هل هو ثقة أم لا؟ وهل توبع أم لا؟ هذا هو لبُّ البحث في هذا الإسناد، ويبقى النظر في المتن هل هو منكر أم غير مستنكر؟ وهل هناك نماذج من الأوامر النبوية المستقبلية أو النواهي المستقبلية؟ وهل استجاب الصحابة لتلك الأوامر المستقبلية أم استجابوا لبعضها وعجزوا عن البعض الآخر... إلخ؟

التفصيل في طريق: علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد

ولأن علي بن زيد بن جدعان[1] أشهرَ الحديثَ فقد لحقه بعض التضعيف، وعدُّوا هذا الحديث أنكر ما رواه! مع أنه تابعه عليه ثقات لكن لم يشهروه مثل علي بن زيد، فقد رواه جماعة من الثقات منهم سفيان بن عيينة وحماد بن سلمة وجعفر بن سليمان الضبعي وحجاج بن محمد، روى أربعتهم عن علي بن زيد بن جدعان[2]، عن أبي

---

(١) انظر تصحيح ابن تيمية وغيره لأحاديث ابن جدعان واحتجاجهم بها عندما تخدم عقائدهم! بل من هذا الطريق وأقل منه بنى ابن تيمية ما بناه من النصب كما سيأتي.

(٢) علي بن زيد بن جدعان التيمي القرشي البصري (نحو ١٣١هـ)، من رجال مسلم والسنن، مختلف فيه، وهو صدوق عند التحقيق مع أنه أضعف رجل في هذا الإسناد عندهم، وهذا الرجل يصححون له في أحاديث أخرى، حتى غلاة النواصب كابن تيمية يصحح له، إلا أن أغلب أهل الحديث لانحرافهم عن أهل البيت لا يستنكرون من أحاديث الثقات إلا ما ورد في ذم معاوية وأمثاله، وهذا تحكم مذهبي، وفي علي بن زيد بن جدعان يقول الحافظ في التقريب: (علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي البصري أصله حجازي وهو المعروف بعلي بن زيد بن جدعان ينسب أبوه إلى جد جده ضعيف من الرابعة مات سنة إحدى وثلاثين وقيل قبلها بخ م ٤). وقد أفردته بترجمة مطولة وشيء من أحاديثه ورواياته في الملحق.

نضرة[1]، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي (ص) قال: (**إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه**)[2]، وقد توبع علي بن زيد وشيخه على هذا الحديث كما سيأتي، وفي أنساب الأشراف للبلاذري بسند صحيح ما يدل على أن هذا الحديث كان محل إجماع من الصحابة الذين كانوا في المسجد النبوي ساعة الحادثة، وخاصة الصحابة الذين رأوا ذلك الرجل الأنصاري منطلقاً ليقتل معاوية وهو على المنبر، وكان المسجد النبوي صغيراً يمكن أن يرى ذلك الشخص عدداً لا بأس به من الصحابة، أي أن مجموعة من الأنصار منهم أبو سعيد الخدري، قد أقروا ذلك الأنصاري على هذا الحديث، لكنهم أرادوا أن يستأذنوا عمر في ذلك (وكان وقتها يتمرَّض من طعنة أبي لؤلؤة)، لكن الغريب أن الحديث قد تحول من كونه محل إجماع الصحابة سنة (٢٣هـ) وهي سنة فاة عمر، إلى مشهور إلى حدٍّ ما في عهد التابعين (رواه عن الحسن البصري أربعة من الثقات، ومات الحسن سنة ١١٠هـ) ومات تلميذه ابن جدعان (سنة ١٣١هـ) وكلاهما توفي في العهد الأموي، فكان الحديث مشهوراً بدلالة روايته من أكثر من طريق عن أكثر من تابعي، ثم تحول هذا الحديث من الشهرة المعقولة في العصر الأموي إلى غريب في عهد الإمام أحمد (أواخر العصر العباسي الأول، وهو عصر تمكن السلفية وقوتها)، إلى منكر مكذوب موضوع في عهد ابن تيمية في القرن الثامن، إلى مجهول تماماً في عصرنا الراهن! وهكذا الحق والخير ينقص مع الزمن.

لكن بقاء الحديث حياً في العهد الأموي دليل على أنه كان حديثاً عظيماً بليغاً يسهل حفظه، وأنه كان بمحضر من الصحابة (وهذا من تمام النصيحة النبوية) وكان مشهوراً

---

(١) اسمه المنذر بن مالك بن قطعة البصري (١٠٨هـ)، ثقة عندهم من رجال مسلم والسنن. قال الحافظ في تقريب التهذيب، ١/ ٥٤٦: (المنذر بن مالك بن قطعة بضم القاف وفتح المهملة العبدي العوقي البصري أبو نضرة مشهور بكنيته ثقة من الثالثة مات سنة ثمان أو تسع ومائة خت م ٤).

(٢) وأقدم مصدر بعد ابن أبي شيبة هو البلاذري ففي أنساب الأشراف (٢ / ١٢١): (حدثنا إسحاق بن أبي اسرائيل وأبو صالح الفراء الأنطاكي (وهما ثقتان) قالا: حدثنا حجاج بن محمد (وهو ثقة) حدثنا حماد بن سلمة (وهو ثقة) عن علي بن زيد(وهو صدوق) عن أبي نضرة (وهو ثقة) عن أبي سعيد الخدري (وهو من فضلاء الصحابة): أن رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية، فقلنا له: لا تسل السيف في عهد عمر حتى تكتب إليه، قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه، قال: ونحن قد سمعناه ولكن لا نفعل حتى نكتب إلى عمر، فكتبوا إليه فلم يأتهم جواب الكتاب حتى مات).

جداً بحيث نبع من أمصار الإسلام الكبرى، البصرة (العثمانية) والكوفة (العلوية) والشام (الناصبية) والحجاز (المحايد) كما سنرى في طرق الحديث.

لكن دولة معاوية وبني أمية كانت قد أوجدت أرضية ثقافية أقوى منها، استمرت هذه الأرضية في رفض قبول أي بذرة ّ معاوية بسوء! ثم كانت دولة المنصور والرشيد والمتوكل أدت إلى الضياع الكامل لهذا الحديث واحتقاره ونبذ رواته، لأنهم قاموا على رعاية تلك الأرضية التي هيأها بنو أمية، لأنهم وجدوها أفضل سند للسطان الظالم، بما فيها من جبر ونصب وخرافات وكفِّ يد وطاعة تامة ودعاء للسلطان وهجوم على كل ثورة!

هذا الوعي بالتاريخ والسلطة يجب على الفقيه وجوباً أن يعي أثرهما في الرواية والفقه والعقائد، ومن لا يعرف السلطة لا يعرف كيف وصلنا الإسلام، لقد استطاعت السلطة والمذهب أن تحول النبي (ص) من ذامٍ للظلم وأهله، ومحذِّرٍ من الظالمين ومناهجهم وأثرهم وإضلالهم للناس، إلى صديق حميم للظالمين، يقول بفضلهم ويحث على طاعتهم ومحبتهم! وإدراك السر في ظروف وأسباب ودوافع هذا التحويل سهل جداً!.

الكلام الإجمالي على الإسناد

إذن هذا إسناد بصري وستأتي الأسانيد الأخرى ورجاله ثقات وأضعف رجل في الإسناد هو علي بن زيد بن جدعان، وهو صدوق من رجال مسلم، وكان فقيه أهل البصرة بعد الحسن البصري في الفقه بالبصرة، وإنما ضعفوه بسبب روايته لهذا الحديث على ما يظهر من ترجمته في كتب الضعفاء بل جعلوا هذا الحديث هو أنكر ما رواه! عجبي!

وإنما كثر كلامهم فيه لأنه اشتهر بالحديث ورواه عنه الثقات، ولكن لو كان هذا الإسناد في فضائل معاوية لقبلوه وصححوه ورفعوا ابن جدعان من الضعف الخفيف إلى التوثيق الثقيل، ونحن لا نسايرهم على هذه الازدواجية، ونقر بأن علي بن زيد بن جدعان مع علمه وفقهه وجلالته لم يكن بذلك الضابط، وعنده أوهام كما عند غيره ولكن في غير هذا الحديث لأنه توبع عليه، وقد ضعفه جمع من أهل الحديث ووثقه

آخرون[1]، ولكن يجب الاعتراف في الجانب الآخر، بأنه فقيه أهل البصرة بعد الحسن البصري وأنه من رجال مسلم وأن بعض أهل الحديث يقبلون أحاديثه ويصححونها، وأنه مقبول في المتابعات والشواهد بإجماع (وهذه منها)، وقد حسن له الترمذي وابن حجر وغيرهما، وحديثه هذا من الشواهد وله شواهد، ومن المتابعات وله متابعات، وهذا الإسناد فقط ولو بلا متابعات وشواهد أقوى من جميع أسانيد فضائل معاوية، خاصة عند أخذنا بالقرائن، إضافة إلى كون الإسناد بصرياً هو أبعد عن التهمة، فأهل البصرة قد وصفها بعض أهل الحديث بأنهم (قطعة شامية) لشدة انحرافهم عن الإمام علي وميولهم مع معاوية وبني أمية، فخروج هذا الإسناد من البصرة قرينة قوية على صحته، إضافة إلى أن من تتبع تراجم رجال الإسناد لهذا الحديث وجد فيهم وفرة من العثمانية، ولعل السخط على علي بن زيد خاصة كونه فقيه أهل البصرة بعد الحسن البصري ويروي مثل هذه الأحاديث! فهذه كبيرة عندهم! فلو رواها كوفي لاحتملوه، لكن أن يرويها بصري فهذا يشكل عندهم غزواً شيعياً لمدينة ناصبية يحرصون على الأخذ منها واعتبارها قدوة المدن بالعراق. ويدل على ذلك، أعني من كون بعض أهل الحديث المتأثرين بالنصب إنما ضعفوه بسبب روايته لهذا الحديث، ففي تهذيب التهذيب: (وقال غيره: أنكر ما روى ما حدث به حماد بن سلمة عنه عن أبي نضرة عن أبي سعيد رفعه إذا رأيتم معاوية على هذه الأعواد فاقتلوه! وأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده عن إسحاق عن عبد الرزاق عن ابن عيينة عن علي بن زيد. والمحفوظ عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن علي ولكن لفظ ابن عيينة فارجموه، أورده بن

---

(١) انظر ترجمته في الملحق. والمضعفون كان أنكر ما أخذوا عليه هذا الحديث! من بين مئات إن لم نقل آلاف الأحاديث التي رواها، وهذا دليل على أن هذا الحديث هو السبب الأكبر في تضعيف من ضعَّفه، ولو أن معاوية كان رجلاً صالحاً، أو أنه انفرد به لقلنا إن جرح من جرحه كان لله، أما أن يكون الحديث بهذا الشهرة، ثم يتعارض مع العقائد التي استحدثوها في الصحابة عامة وفي معاوية خاصة، فلا يجوز أن نخضع حديث رسول الله لعقائد محدثة ما أنزل الله بها من سلطان. وقد فصلت في بحث آخر بين (الجرح العلمي والجرح المذهبي) وكذلك هناك (تعديل علمي وتعديل مذهبي) والاثنان موجودان في كتب الرجال لكن بلا إدراك أكثر المشتغلين بهذا العلم لهذه الفروق، وإن اعترفوا بها فإنما يعترفون إذا تعارك منهم اثنان! فهنا تحضر النظريات الجميلة لتوقف الخصومات وتعزلها.

عدي عن الحسن بن سفيان)[١].

وكل من ترجم لعلي بن زيد بن جدعان فإنه يورد هذا الحديث في منكرات ما روى، وهذا يعني أنه لولا روايته هذا الحديث الذي هو عندهم (أنكر ما روى) لكان صدوقاً في الأقل! وهذا الجرح المذهبي غير مقبول عند التحقيق.

و على كل حال: فلهذا الإسناد متابعة، وللحديث نفسه شواهد قوية وستأتي.

متابعة عبد الملك بن أبي نضرة لعلي بن زيد عن أبي نضرة

والآن نبقى في هذا الإسناد أعني طريق أبي سعيد الخدري، ونبحث عن المتابعات القريبة، ثم نبحث لاحقاً عن المتابعات البعيدة، ونعني بالقريبة متابعات علي بن زيد نفسه عن أبي نضرة، وأما المتابعات البعيدة فمتابعة أبي نضرة عن أبي سعيد ثم متابعة أبي سعيد عن النبي (ص)، إذن فهناك متابعة لعلي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد، جاءت من طريق عثمان بن جبلة عن عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه أبي نضرة عن أبي سعيد.

فقد رواه ابن حبان في المجروحين[٢] عن أحمد بن محمد (بن عمرو)[٣] بن مصعب الفقيه عن أبيه وعمه[٤] عن جده[٥] عن يحيى بن عثمان عن عثمان بن جبلة عن عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن أبي سعيد به.

---

(١) تهذيب التهذيب، ٧/ ٢٨٤.

(٢) في كتاب المجروحين، ١/ ١٥٧.

(٣) بعضهم يزيد هذا في نسبه. انظر ترجمته في لسان الميزان وغيره، بينما لم يذكرها ابن حبان وهو ألصق الناس به، والزيادة أوثق، لأن من أسقطها فإنما ينسبه إلى جده (مصعب) لشهرته، بل هذا البيت لهم نسبة إلى مصعب، فيقال (المصعبي).

(٤) عمه هو عبد الله بن مصعب بن بشر، ومن حديثه في طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني (٤ / ٢٤٤): حدثنا أبو بشر، قال: (حدثنا عمي عبد الله بن مصعب بن بشر، عن أبيه، عن عثمان بن جبلة بن أبي رواد، قال: حدثنا شعبة، عن ثابت، عن أنس، عن أبي بكر الصديق، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار قال أبو بكر: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لأبصرنا. فقال: « يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما).

(٥) هو مصعب بن بشر: قال الخليلي في الإرشاد (٣ / ٨٩٦): (يروي عن الثوري غرائب لا يتابع عليها وليس بذلك المرضي عندهم يروي أبو بشر احمد بن محمد بن عمر بن مصعب حفدته (حفيده) عن أبيه عن جده أحاديث ينكرها الحفاظ).

وشيخ ابن حبان؛ أحمد بن محمد بن مصعب بن بشر بن فضالة بن عبد الله[١] بن راشد أبو بشر المروزي المصعبي الكندي الفقيه (٢٥٠- ٣٢٣هـ) فهو في طبقة العقيلي وابن عقدة والطحاوي وابن أبي حاتم، وهو حافظ فقيه متعصب للسنة، بل أطلق عليه الذهبي (الإمام الأوحد)! وجعله السمعاني (إمام أهل بلده والمرجوع إليه في النوازل والحوادث)[٢]! ولكن اتهموه بالوضع وقلب الأسانيد! وإن صحت هذه الاتهامات الكبيرة فكيف يكون إمام أهل بلده والإمام الأوحد ونحو هذه الثناءات الكبيرة؟ ألا يخشون الله؟ إذا كان هذا الرجل يضع الحديث كما يزعم بعضهم، ثم يحتفون به هذا الاحتفاء لأنه صلْب في السُّنَّة! (يعني العقيدة المذهبية) فأي سنَّة تلك؟ أهي سنَّة محمد بن عبد الله؟ هذا سؤال مطروح على من شاء، وعلى كل حال إن صح هذا ولا نراه يصح فمثله لا يقبل لا في المتابعات ولا الشواهد قطعاً، ولكن عندما دققنا النظر وحاولنا معرفة هذا الجرح مفسَّراً؛ وجدنا أن أبلغ ما أنكروا عليه هو دعواه السماع من علي بن خشرم (٢٥٨هـ) وكان لأبي بشر يومئذ نحو الثمان سنوات أو أكثر بقليل، وهذا لا يستوجب هذا الهجوم الكبير، لأن هذا وأمثاله يحصل لكثير منهم، فهذا مسند أحمد ليس له طريق إلا من القطيعي المولود عام (٢٨٦هـ) الذي رواه عن عبد الله بن أحمد المتوفى سنة ٢٩٠هـ!!، فلماذا يقبلون مسند أحمد إذن؟ وقد سمعه ابن الأربع سنوات! وإذا قالوا هذه إجازة، فإن جازت الإجازة هنا جازت هناك.

ثم هذا السماع إنما ادعاه عليه بعضهم وليس له رواية عن علي بن خشرم، بل هو يعترف بأن أول من سمع منه هو أحمد بن سيار، وهو متأخر (ت ٢٨٦هـ) وسماعه منه ممكن جداً فقد كان عمر أبي بشر يوم وفاة ابن سيار ٢٨ سنة، ولكن لم أبحث أبا بشر بحثاً موسعاً حتى أنظر حقيقة هذا الجرح وهل هو علمي أم مذهبي، وعلى كل حال فهذه المتابعة في حديث أبي سعيد هذا كنت أراها غير مقبولة في ردي على

---

(١) عبد الله بن راشد الكندي هذا قيل له صحبة وأنه كان مع وفد الأشعث بن قيس (انظر الإصابة).

(٢) وقد ألقى السمعاني الضوء على عائلة أبي بشر هذا، في نسبة (المصعبي) من الأنساب، وعرف ببعض أعلام هذا البيت، ومن عائلة هذا الراوي. وفي الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (٣/ ٦١): مصعب بن بشر يروي عن الثوري غرائب لا يتابع عليها، وليس بذلك المرضي عندهم، يروي أبو بشر أحمد بن محمد بن عمر بن مصعب حفدته عن أبيه عن جده أحاديث ينكرها الحفاظ.

الشيخ السعد، ثم أرى الآن أنه يمكن قبولها في المتابعات[1]، وأخشى أن تضعيفهم له كتضعيفهم لابن جدعان! أعني إنما سببه هذا الحديث! والله أعلم، وأيضاً هناك سبب يجعلني أقبل هذا الطريق في المتابعات وهذا السبب يغفل عنه كثير من أهل الحديث، وهو أن الحديث يقوى بخروجه من وسط يغاير معناه، فرواية الشيعي لفضائل أبي بكر وعمر مثلاً أقوى من رواية السني ذلك، وهنا نقول إن رواية السني المتعصب كأبي بشر هذا لمثل هذا الحديث في ذم معاوية دليل على قوة الحديث أو استبعاد وضعه في الأقل، لأن السني المتعصب لا يضع في مثالب معاوية وإنما قد يضع في فضائله، كما أن السني المتعصب، لا يغير الأسانيد لإثبات مثلبة في معاوية وإنما قد يغيرها لإثبات فضيلة أو دفع مثلبة، فمن هذه القرائن العامة يمكن الاستنتاج بأن أبا بشر هذا لن يجهد نفسه في وضع إسناد فيه مثلبة لمعاوية، وإنما في قضايا أخرى هي محل خلاف بين السنة والشيعة، أو بين أهل الحديث وأهل الرأي، كحديث اليمين مع الشاهد ونحوه. بل خروج هذا الحديث من رواية هذا السني المتعصب هو من دلائل صحة الحديث، دعك من دلائل ضعفه الأخرى، فإنها إن حصلت فلن تحصل في هذا الحديث، وبعد الإيضاح أرى أن هذا الطريق يصلح في متابعة طريق علي بن زيد عن أبي نضرة وأن الحديث ثابت عن أبي سعيد لا سيما مع الشواهد الآتية.

متابعة لأبي نضرة: أبو الوداك عن أبي سعيد

فقد روى الحديث جمع عن مجالد[2] عن أبي الوداك[3] عن أبي سعيد الخدري[4] مرفوعاً **(إذا رأيتم فلاناً يخطب على منبري فاقتلوه)**[5] وجاء التصريح بالاسم المبهم في

---

(١) انظر المزيد من ترجمته في الملحق.

(٢) مجالد بن سعيد الهمداني.. كوفي ناصبي مات بعد ١٤٠هـ.

(٣) اسمه جبر بن نوف.. ثقة... ستأتي ترجمته.

(٤) رواه ابن عساكر بأسانيد عن محمد بن بشر والوليد بن القاسم كلاهما عن مجالد به، انظر تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/ ١٥٥-١٥٦).

(٥) رواه أبو بكر بن أبي شيبة شيخ البخاري ومسلم، كما في المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني (١٢ / ٤٢٩): وقال ابن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر، حدثنا مجالد، عن أبي الوداك عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إذا رأيتم فلانا يخطب على منبري فاقتلوه)**. وفي تاريخ دمشق (٥٩/ ١٥٥): (...، محمد بن رافع نا محمد بن بشر نا مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **(إذا رأيتم فلانا يخطب على منبري فاقتلوه)**.

رواية أخرى عن أبي سعيد من هذا الطريق بلفظ (**إذا رأيتم معاوية..**)[1]. فدل على أن إخفاء اسم معاوية هو منهج لكثير من أهل الحديث للأسف، وهذا سنراه أيضاً في معظم الأحاديث التي فيها ذم أو تحذير من معاوية، وهذا يشهد لما قلناه من تأثر أهل الحديث بالواقع السياسي والمذهبي الذي صنعه بنو أمية، من التوجس من نقد مثل معاوية بأي شيء؛ ولو كان صحيحاً، مع التساهل في تضعيف غيره أو ذمه ولو كان صحابياً بدرياً كما سيجد القارئ من تضعيف أهل الحديث لبعض أهل بدر أو اتهامه بالنفاق، كما فعلوا في اتهام معتب بن قشير مثلاً وهو بدري، أو تضعيف مدلاج بن عمرو السلمي وهو بدري أو عبد الرحمن بن عديس البلوي وهو رضواني أو غيرهم. فهذا النَفَس المريض الذي أوجده بنو أمية عبر السيف والمنبر كان له أثره على المجتمع الحديثي خاصة، لا سيما مع قلة اهتمامهم بالنواحي العقلية وعلم البراهين التي لها أثرها في التمييز ومعرفة معايير الحق والباطل، فالكثرة مثلاً هي معيار عند أهل الحديث، بينما في القرآن والبرهان العقلي لا نجدها معياراً بل قد تكون من قرائن الباطل.

ثم هذا الإسناد لو كان في غير معاوية لكان موضوعاً أو ضعيفاً جداً، لعدم وجود الشواهد والواقع التاريخي الشاهد، وإنما أقول هذا لأسباب ظهرت لي، فمجالد بن سعيد هذا توقف فيه الذهبي، وقال عنه ابن حجر: (ليس بالقوي)، قلت: والصواب عندي أنه ضعيف جداً أو كذاب[2]، ولكن كذْبه في أمور دون أخرى كما سنبين، ثم هو من نواصب الكوفة[3].

أما أبو الوداك (جبر بن نوف) فهو ثقة صدوق من رجال مسلم وأصحاب السنن، قال عنه ابن حجر في التقريب (صدوق ربما وهم)، والصواب أنه ثقة أو صدوق مطلقاً[4].

أقول: وعلى هذا إن كان مجالد كما يقول ابن حجر (ليس بالقوي)، فهذا ضعف غير شديد يرتقي به هذا الإسناد إلى الحسن. وقد كنت لا أقبل حديث مجالد لا في

---

(١) عند ابن عساكر أيضاً في الموضع نفسه من رواية جندل بن والق عن محمد بن بشر فسمى معاوية/ وروى من طريق ابن عدي... الوليد بن القاسم عن مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: **إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه**).

(٢) انظر أسباب اتهامي له بالنصب، وأسباب سكوتهم عن نصبه في ترجمته المفردة في الملحق.

(٣) انظر الملحق (تراجم رجال حديث أبي سعيد).

(٤) هو جبر بن نوف البكالي الهمداني الكوفي (نحو ١٢٨هـ) ثقة انظر الملحق.

المتابعات ولا في الشواهد ثم رأيت أن التفصيل فيه أفضل كما سبق (وانظر الملحق).

الخلاصة: إن هذا الطريق، طريق أبي سعيد صحيح، بل بعض فروعه كطريق علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد إسناد حسن على أقل تقدير، فكيف مع شواهده؟ وما أصاب ابن جدعان من تضعيف إنما هو مذهبي فحسب، ولم أجد أحداً ضعَّف الحديث به إلا وقد صحح له في أحاديث أخرى بل هناك أحاديث بنوا عليها أحكاماً كبيرة كانت من الأحاديث التي انفرد بها علي بن زيد بن جدعان كما سيأتي من عرض نماذج تصحيحات ابن تيمية وابن حجر فكيف إذا لم ينفرد هنا، بل توبع هو والرواة عنه وشيخه وشيخ شيخه، ثم علي بن زيد بن جدعان كان خليفة الحسن البصري وجلس على عتبته بعد وفاته مع وجود كثير من علماء البصرة المشهورين الذين أحاديثهم في الصحاح، وكان الحسن يحتفي عنده لوثوقه بدينه وعدله وإنكاره على الظلمة، وكان من دعاة زيد بن علي، فتبين أن تضعيفه في بعض الأحاديث كهذا الحديث مع قبوله في ما سواه كان تضعيفاً مذهبياً ناصبياً متماشياً مع الأرضية العلمية الخصبة بالنصب، ثم صدقه في رواية بعض مثالب معاوية رغم بصريته ودعوته لزيد بن علي ورواياته أحاديث تحث على قول الحق...، هذه الأمور مجتمعة لن يغفرها له غلاة أهل الحديث الذين تسنموا الجرح والتعديل واستطالوا على عباد الله وتستروا على أخطائهم وأهوائهم.

إذن لا يسع محدث له علم بعلم الحديث ودقائقه مع الصفاء من التعصب والنصب أن ينقص حديث أبي سعيد الخدري عن رتبة الحسن، فقد رواه عنه اثنان من الثقات، أبو نضرة (وهو راوية أبي سعيد) وأبو الوداك، ورواه عن أبي نضرة ثقتان، ابنه وعلي بن زيد، ورواه عن أبي الوداك مجالد (وهو ناصبي ولعله رواه ليبطله فأخذ تلميذه روايته وترك رأيه كما فعلوا مع أبي بكر بن أبي داود كما سيأتي في حديث ابن مسعود)، وبقية الرجال في هذا الطريق بين الثقة والصدوق والضعيف المتابع المقبول في المتابعات عند أهل الحديث، وللحديث شواهد داخلية وخارجية، فالشواهد الداخلية تمت الإشارة إليها من حيث اجتماع السنة والشيعة على رواية الحديث، وتمازج رجالهم في رواية هذا الحديث، وسوء معاوية، وكون أبي سعيد من أنصار الإمام علي، ومن الحريصين على نقل ما سمعه من الأحاديث في ذم معاوية.

تصحيح ابن تيمية لهذا الطريق واحتجاجه به

ابن تيمية احتج بطريق واحد من طرق هذا الحديث، (وهو طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد)، عندما ظن أن فيه قدحاً في خلافة علي، بينما إن أتى هذا الطريق مع عشرات الطرق عن أبي سعيد وغيره في ذم معاوية لا يتوانى ابن تيمية أن يجازف قائلاً (هذا موضوع مكذوب)!

وعلى كل حال ليس ابن تيمية وحده مَن صحَّح طريق هذا الحديث، بل كثير من العلماء على هذا التصحيح وإنما نختار من العلماء من يعظمهم السلفيون المعاصرون، لأن هؤلاء الغلاة من السلفيين هم وحدهم الممانعون من إثبات أي ذم في حق معاوية، وعندهم جهل بالحديث ورجاله وجرحه وتعديله، وعلمهم يقوم على الانتقاء، لكنهم لكثرة ثرثرتهم بالجرح والتعديل ظن بعض البسطاء أن عندهم في ذلك علماً عظيماً! وكل علم حتى لو حصل إنْ لم يصاحبه تجرد للحقيقة فلا ينفع صاحبه. والخلاصة أن هذا الطريق مشهور عند أهل الحديث رووا من طريقه عشرات الأحاديث في الأحكام والعقائد، وصححوها (انظر الملحق).

وسأذكر هنا تصحيح ابن تيمية من هذا الطريق (طريق علي بن زيد) حديثاً في ذم خلافة علي، مع أن الذنب فيها لغير ابن جدعان كما سيأتي. ونموذج ذلك حديث الرؤيا عن الخلفاء الأربعة التي جاء منها لفظ بالاقتصار على الخلفاء الثلاثة فقط! ففرح ابن تيمية بهذا اللفظ كثيراً وذهب يحتج به على إخراج خلافة علي من خلافة النبوة! وعندها أصبح علي بن زيد بن جدعان ثقة عنده ومحل احتجاج!

فقال ابن تيمية: (ورواه أيضاً من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه فذكر مثله ولم يذكر الكراهية فاستاء لها النبي صلى الله عليه وسلم يعني ساءه، فقال خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء، فبيَّنَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن ولاية هؤلاء خلافة نبوة ثم بعد ذلك ملك، وليس فيه ذكر علي لأنه لم يجتمع الناس في زمانه بل كانوا مختلفين لم ينتظم فيه خلافة النبوة ولا الملك)[1]، هكذا احتج ابن تيمية بابن جدعان إذا وجد في أحاديثه ما يمكن أن يستنتج

---

(١) منهاج السنة النبوية، ١/ ٣٥٦.

منها إخراج خلافةِ عليٍّ من خلافة النبوة حتى يعتذر لمعاوية بأنه لم يخرج على خليفةٍ!

بينما هذا الحديث من ذنب شيخه عبد الرحمن بن أبي بكرة، فقد كان فيه نصب، وحدث به في زمن تحرم فيه السلطة أن يذكر عليٌّ بخير.

والخلاصة أن غلاة السلفية كابن تيمية يقبلون أحاديث زيد بن جدعان إذا وجدوا فيها ذماً للإمام علي ولو كان منفرداً بالخبر والذنب لغيره فيه، وحتى لو خالفت أصلاً قطعياً من كون الإمام علي من دعاة الجنة، بينما لا يقبلون أحاديثه التي في ذم معاوية حتى لو توبع عليها هو وشيخه وشيخ شيخه واندرجت تحت أصل صحيح من كون معاوية مذموماً داعية إلى النار؛ ومن هنا افترق الفريقان السنيان، أصحاب السنة النبوية وأصحاب السنة الأموية، والغلبة في الدنيا حتى الآن لأصحاب السنة الأموية، فهم الذين بأيديهم الثروة والسلطة وجرح من شاءوا وتعديل من شاءوا،)وإن يقولوا تسمع لقولهم(! كل هذا من باب التمحيص والابتلاء لأهل السنة النبوية)ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين(، ولا تمحيص مع الكثرة والثروة، إنما التمحيص مع القلة والبرهان وغربة الحق وأهله، والأمر لله من قبل ومن بعد، ونحن أهل السنة النبوية المثبتين لخلافة علي وأن خلافته خلافة شرعية قد وافقنا أحمد بن حنبل نفسه، الذي ساء ابن تيمية قوله (من لم يُرَبِّع بخلافة علي فهو من أضل أهله)! فقال ابن تيمية منهاج السنة النبوية: (وقال أحمد من لم يُرَبِّع بعلي في الخلافة فهو أضلُّ من حمار أهله. وتكلم بعض هؤلاء في أحمد بسبب هذا الكلام. وقال قد أنكر خلافته من الصحابة طلحة والزبير وغيرهما ممن لا يقال فيه هذا القول واحتجوا بأن أكثر الأحاديث (!!) التي فيها ذكر خلافة النبوة لا يذكر فيها إلا الخلفاء الثلاثة! مثل ما روى الإمام أحمد في مسنده عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أيكم رأى رؤيا فقلت أنا يا رسول الله رأيت كأن ميزاناً دلى من السماء فوزنت بأبي بكر فرجحت بأبي بكر ثم وزن أبو بكر بعمر فرجع أبو بكر بعمر ثم وزن عمر بعثمان فرجح عمر بعثمان ثم رفع الميزان فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلافة نبوة ثم يؤتى الله الملك

من يشاء)[1]. اهـ

فابن تيمية هنا ينسب الردَّ لبعضهم على أحمد (وليس هناك أحد إنما هو ابن تيمية نفسه، فليس حنبلياً إلا في النصب، والحنابلة أوضح المذاهب في النصب بعد النواصب الخلَّص، لكن نصب غلاة الحنابلة كالبربهاري وابن بشار وعبد المغيث الحربي وأبي توبة الحلبي. بل وأحمد بن حنبل نفسه لم يشبع ابن تيمية، فزاد من مخزون نصبه ما ردَّ به عليهم وعلى أحمد نفسه!) وعلى ذلك لم يرض بتخصيص أحمد الذم بمن لم يربع بخلافة علي فعممه ابن تيمية في الواسطية في كل الخلفاء الأربعة، واعتمده وهو يعلم أن سعد بن عبادة ورهطه لم يعترفوا بخلافة أبي بكر ولا عمر فهل هم عنده ممن يجوز أن يقال فيهم هذا القول؟ وهل رجع إلى اعتبار طلحة والزبير وعائشة يقال فيهم هذا القول؟ وكذلك الثوار على عثمان من الصحابة هل هم كذلك؟. فابن تيمية ما إن يعقد أمراً في مكان إلا نقضه في مكان آخر، وهمُّه الأكبر في هذا العقد والربط يدور على معاوية، لا يهمه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان، وإنما لخدمة معاوية فقط، أعني يذكرهم لحشد العواطف في الدفاع عن معاوية، حتى يصل القارئ إلى معاوية مندفعاً ومتحمساً بفضائل الثلاثة والدفاع عنهم! وهذا ما عملوه معي أيام كنت وهابياً خالصاً، لم أكن أطعن إلا في اجتهاد معاوية فقط! ففاجأوني بالدفاع عن المهاجرين والأنصار والخلفاء الثلاثة! كمقدمة ضرورية في الدفاع عن معاوية! إذن فهذا هو السر القديم في الربط، وهو في الحقيقة ليس ربطاً مبنياً على أن الآخرين يخلطون بينهم، وإنما يريدون بهذا الخلط أن يشعروا القارئ البسيط بأن معاوية في مرتبة هؤلاء، وأن من يطعن في معاوية فهو بالتالي عدو لكل صالح في هذه الأمة.

تحسين الحافظ ابن حجر

يقول ابن حجر العسقلاني في الأمالي المطلقة[2]

وبالسند الماضي إلى عبد بن حميد قال أخبرنا يزيد بن هارون قال **حدثنا حماد ابن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري** رضي الله تعالى عنه قال... وذكر حديث الخطبة

---

(١) منهاج السنة النبوية، ٤/ ٢٣٢.

(٢) الأمالي المطلقة، ١/ ١٦٩.

ثم قال: **وهذا حديث حسن**. ثم ذكر له طرقاً أخرى وقال: وعلي بن زيد وإن كان فيه ضعف لاختلاطه لكن سياقه لهذا الحديث بطوله يدل على أنه ضبطه، وقد رواه غيره مفرقاً وسأذكر شواهده إن شاء الله تعالى.

قلت: الإسناد الذي حسَّنه ابن حجر هنا، هو إسناد واحد من عشرة أسانيد أو أكثر أتت بحديث (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)، فمن باب أولى أن يصحح حديثه في ذم معاوية لولا العصبية والألفة بالسائد، ثم إنَّ مَن حَفِظَ هذا الحديث الطويل فمن باب أولى أن يحفظ حديثاً في نصف سطر. وهو حديث الباب (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)!

تصحيح الشيخ ابن عزوز[1] للحديث

قال الشيخ محمد بن عقيل في تقوية الإيمان[2] ص ١٤٠: (...، ثم أفادنا أخونا

---

(١) الشيخ ابن عزوز المكي، أقام في مكة فترة قصيرة فسماه ابن عقيل بذلك، وليس مشهوراً بالمكي، وإفادته للشيخ ابن عقيل ببعض طرق هذا الحديث من أنساب الأشراف للبلاذري يدل على سعة اطلاعه في زمن لم يكن أحد يسمع بأنساب الأشراف إلا في المصادر القديمة، وكلام ابن عزوز على الحديث يدل على دقة علم بعلم الحديث، وتجرد عن الهوى، وخروج عن التقليد، وهكذا العظماء لا يكاد يعرفهم أحد وخاصة من أتباع التيار السلفي الذين يتفاخرون بوعاظ لو سألت أحدهم عن تحقيق ترجمة لعجز، ولكن الأمر كما قال الإمام علي (صواب الرأي بالدول)!
وهذه ترجمة ابن عزوز في الأعلام للزركلي (٧/ ١٠٩): (محمد مكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز الحسني الإدريسي المالكي التونسي ابن عزوز (١٢٧٠ - ١٣٣٤ هـ = ١٨٥٤ - ١٩١٦ م): قاض فقيه باحث. ولد ببلدة (نفطة) وتعلم بتونس وولي الإفتاء بنفطة سنة ١٢٩٧ هـ ثم قضاءها. وعاد إلى تونس سنة ١٣٠٩ وفى سنة ١٣١٣ رحل إلى الأستانة فتولى بها تدريس الحديث في دار الفنون ومدرسة الواعظين. واستمر إلى أن توفى بها، من كتبه (رسالة في أصول الحديث - ط) و(السيف الرباني - ط) و(مغانم السعادة في فضل الإفادة على العبادة) و(طريق الجنة في تحلية المؤمنات بالفقه والسنة) و(نظم الجغرافية التي لا تتحول بمغالبة الدول) و(تعديل الحركة في عمران المملكة) و(عمدة الأثبات - خ) في رجال الحديث، و(إرشاد الحيران في خلاف قالون لعثمان) في القراءة، و(الجوهر المرتب في العمل بالربع المجيب) فلك، و(الحق الصريح) مناسك، و(الذخيرة المكية) في الهيئة، و(إسعاف الإخوان في جواب السؤال الوارد من داغستان) و(هيئة الناسك - ط) رسالة، و(أصول الطرق وفروعها وسلاسلها) و(إقناع العاتب في آفات المكاتب) و(انتهاز الفرصة في مذاكرة متفنن قفصة) و(الأجوبة المكية عن الأسئلة الحجازية - ط) نظم، و(الإيوان في مذاكرة الأحبة بالقيروان) و(بروق المباسم) في ترجمة محمد بن أبى القاسم، و(الجوهر المرتب - ط) في الهيئة، و(تأسيس الأسانيد) و(التنزيه عن التعطيل والتشبيه).

(٢) تقوية الإيمان، ١٤٠.

المحدث الشريف محمد المكي بن عزوز رحمه الله تعالى أن الحافظ البلاذري قال في تاريخه الكبير ما لفظه: حدثنا يوسف بن موسى، وأبو موسى إسحاق الفروي، قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد والأعمش عن الحسن، قال: قال رسول الله ص: (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه). فتركوا أمره فلم يفلحوا، ولم ينجحوا). انتهى. قال الشريف ابن عزوز رحمه الله تعالى: **سنده كلهم من رجال البخاري بلا استثناء، وكونه مرسلاً فالحديث الآتي متصل وهو:** قال البلاذري رحمه الله: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، أن رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية، فقلنا له: لا تسلَّ السيفَ في عهد عمر، حتى نكتب إليه، فكتبوا إليه، فلم يأتهم جواب حتى مات. انتهى.

قال ابن عزوز أحسن الله إليه: (حديث أبي سعيد الخدري أول سنده إسحاق من رجال السنن، وثَّقه ابن معين، والدارقطني، متفق على صدقه، وأخرج له البخاري في الأدب المفرد. حجاج بن محمد من رجال الصحيحين. حماد بن سلمة من رجال الصحيح من الأعلام الذين لا يُسأل عنهم. علي بن زيد من رجال مسلم).

تصحيح العلامة المناوي صاحب فيض القدير[1]

---

(١) في الأعلام للزركلي (٦ / ٢٠٤): (محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين المناوي (٩٥٢ - ١٠٣١ هـ = ١٥٤٥ - ١٦٢٢ م): من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تآليفه. له نحو ثمانين مصنفاً، منها الكبير والصغير والتام والناقص. عاش في القاهرة، وتوفي بها. من كتبه (كنوز الحقائق - ط) في الحديث، و(التيسير - ط) في شرح الجامع الصغير، مجلدان، اختصره من شرحه الكبير (فيض القدير - ط) و(شرح الشمائل للترمذي - ط) و(الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية - ط) في جزءين و(شرح قصيدة النفس، العينية لابن سينا - ط) و(الجواهر المضية في الآداب السلطانية - خ) و(سيرة عمر بن عبد العزيز - خ) و(تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف - خ) و(غاية الإرشاد إلى معرفة أحكام الحيوان والنبات والجماد - خ) و(اليواقيت والدرر - خ) في الحديث، و(الفتوحات السبحانية - خ) في شرح ألفية العراقي، في السيرة النبوية، و(الصفوة - خ) في مناقب آل البيت، و(الطبقات الصغرى - خ) ويسمى إرغام أولياء الشيطان، و(شرح القاموس المحيط - خ) الأول منه، و(آداب الاكل والشرب - خ) و(الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود - خ) و(التوقيف على مهمات التعاريف - خ) ذيل لتعريفات الجرجاني، و(بغية المحتاج في معرفة أصول

قال المناوي في كتابه كنوز الحقائق في شرح هذا الحديث وتصحيحه: (يُحتمل قوياً أن يكون المراد من المنبر في قول النبي صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم معاوية على منبري هو مطلق المنبر، بدعوى أن كل منبر يصعد عليه في الإسلام ويخطب عليه فهو منبر النبي صلى الله عليه وآله، ويحتمل أن يكون المراد منه هو خصوص منبر النبي صلى الله عليه وآله في المدينة كما يؤيده بل يدل عليه ما تقدم في حديث أبي سعيد: إذا رأيتم معاوية على هذه الأعواد.. وعلى كل حال فإن معاوية حسب الأحاديث المتقدمة ممن يجب قتله بحكم النبي صلى الله عليه وآله، وقد تسامح فيه المسلمون)[1].

قلتُ: وقد رأينا نتائج هذا التسامح أو الهيبة (بحسب تعبير أبي سعيد الخدري: لقد رأينا أشياء فهبناها)! يعني خشوا أن يقولوا كلمة الحق، وكان أبو سعيد يبكي إذا روى الأحاديث التي تحث على قول الحق وأن لا يخشوا في الله لومة لائم، كانت نتائج ذلك أن حكم الشيطان باسم الرحمن؛ وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وقال الشيخ سعيد أيوب في تحليل الحديث وتفسيره

وذلك في كتابه الفتن: (وليس معنى قتله لأنه دخل المسجد، وإنما لأنه يخطب. لأن الخطبة لا بد أن تحمل فكره وثقافته في معنى مال الله ودين الله وعباد الله، وخطورة هذه الثقافة تبلغ مداها إذا كان معاوية ورجاله هم حراس الأمة، لهذا وجدنا الحسن بن علي بعد وفاة أمير المؤمنين. يقيم الحجة على الناس في كل ميدان. فلقد تجهز لقتال معاوية ولكنه خُذِل، ثم حثَّ الناس على الصمود ولكنهم قالوا: البقية البقية!! وطلبوا الصلح. ثم اشترط الحسن شروطاً. ولكن معاوية لم يفِ بها لسبب بسيط هو أن الأمة كانت تغط في نوم عميق. والحجة لا يأتي إلى الناس وإنما الناس هم الذين يأتون إليه لأن قانون الاختيار يدور على قوله تعالى:)ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون).

التعليق والخلاصة الأخيرة في هذا الحديث

إن هذا الحديث - على كل حال- يبقى أصح من نصف ما رواه البخاري في

الطب والعلاج) و(تاريخ الخلفاء) و(عماد البلاغة) في الامثال، وكتاب في (التشريح والروح وما به صلاح الانسان وفساده) و(إحكام الاساس) اختصر به أساس البلاغة ورتبه كالقاموس).

(١) كنوز الحقائق، ٩.

صحيحه بمنهجنا أيضاً لا منهجهم وهو بلا شك أصح من كل فضائل معاوية التي يدعونها، بمنهجنا ومنهجهم، وهو أصح من أكثر ما يصححونه في فضائل أناس آخرين بمنهجنا ومنهجهم.

ومنهجنا في الحديث أننا نصحح الإسناد ونحتج به إذا اندرج المتن تحت أصل صحيح، ولكن لا نجزم إلا بالمتواتر الذي تتوافر القرائن على صدوره من النبي (ص)، ونتيقن أن رسول الله قاله، وهذا منهج خاص وصعب أيضاً، وليس عليه الروائيون من السنة والشيعة فيما أعلم.

ولذلك فالحديث صحيح الأسانيد من حيث الجملة، وهو جزء من بلاغ النبي (ص) لأمته، وليس على الرسول إلا البلاغ، فلا يجوز تحميل النبي (ص) المسؤولية.

الطريق الثاني: طريق الرجل الأنصاري ومجموعة من الصحابة لم يُسَمّوا

وقد سبق مزجه بحديث أبي سعيد الخدري (تمت دراسة إسناده هناك)، ولا أعرف هذا الرجل الأنصاري لكنه بالتأمل يمكن معرفته، فلعله سهل بن حنيف الأنصاري، فقد روى الحديث أيضاً كما سيأتي.

وحديث هذا الرجل الأنصاري سبق بإسناد الحديث نفسه من طريق حماد بن سلمة عم علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن ذلك الرجل الأنصاري، فرواه البلاذري[1] وابن عساكر كلاهما من طريقين عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن

---

(١) ولفظ البلاذري في أنساب الأشراف (٢ / ١٢١) يدل على أن مجموعة من الصحابة أقروا ذلك الأنصاري على الحديث، حيث قال: (حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل وأبو صالح الفراء الأنطاكي قالا: حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، أن رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية، فقلنا له: لا تسل السيف في عهد عمر حتى تكتب إليه، قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه. قال: ونحن قد سمعناه ولكن لا نفعل حتى نكتب إلى عمر، فكتبوا إليه فلم يأتهم جواب الكتاب حتى مات اهـ. وهذا الحديث قد صححه الشيخ محمد بن عزوز المكي على شرط الصحيح وهذا قريب مما قال، إلا أن رواية مسلم عن علي بن زيد مقروناً بعاصم الأحول، والمتن يدل على أن القائل مجموعة من الصحابة وليس القائل أبا سعيد وحده، لأن الحادثة حصلت في المسجد النبوي، وقد تكتم المؤرخون عن وجود معاوية في تلك الأيام في المدينة، ولكني استخرجت وجوده في المدينة من صحيح البخاري! في قصة الشورى وبيعة عثمان وفيه (صحيح البخاري، ٩ / ٩٨):

أبي نضرة عن أبي سعيد – واللفظ لا بن عساكر –: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: **إذا رأيتم معاوية على هذه الأعواد فاقتلوه**. قال فقام إليه رجل من الأنصار[1] وهو يخطب بالسيف، فقال أبو سعيد: ما تصنع؟ قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: **إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه**، فقال له أبو سعيد: إنا قد سمعنا ما سمعتَ، ولكنا نكره أن يسلّ السيف على عهد عمر حتى نستأمره؛ فكتبوا إلى عمر في ذلك فجاء موته قبل أن يجيء جوابه).

التعليق: ويبقى هنا وهْم من علي بن زيد فيما يظهر، وهو قوله (فكتبوا إلى عمر) والأقرب (فأرسلوا إلى عمر) فتوهم أحد الرواة أن معاوية كان في بلد وعمر في بلد آخر، ثم رواه بالمعنى فقال (فكتبوا إلى عمر) بدلاً من (فأرسلوا إلى عمر فجاء موته قبل أن يجيء جوابه)، ومما يرجِّح أنَّ معاويةَ قاتلُ عمر، أنه علم بموته فصعد على تلك الأعواد (أو المنبر) مباشرة، ولم يكن الخبر قد وصل إلى بقية الناس، ثم ما إن أرسلوا حتى بلغهم خبر موته.

وقد يقول بعضهم: هذا قد سبق في حديث أبي سعيد فلماذا تكرره هنا؟ قلنا هذه طريقة أهل الحديث، فحديث (لا نورث ما تركناه صدقة)، لم يرْوِهِ إلا مالك بن أوس بن الحدثان رواه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية العشرة، مع أنه لم يتلفظ به إلا أبو بكر، وإنما جعلوا الحديث من رواية البقية لأنهم أقرُّوا، فكيف وهؤلاء الصحابة قد صرحوا للرجل الأنصاري بأنهم قد سمعوا ذلك من رسول الله! بينما في حديث ابن الحدثان لم يصرِّحوا ولا كان يجب أن يرووا الحديث عمن سمع ولم ينقل عنه الإقرار.

الطريق الثالث: طريق سهل بن حنيف الأنصاري (بدري)

وهذا الحديث رواه ابن عدي: (قال: حدثنا علي بن سعيد حدثنا الحسين بن عيسى

(فَقَالَ (عبد الرحمن بن عوف لعثمان) أُبَايِعُكَ عَلَى سُنَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ فَبَايَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبَايَعَهُ النَّاسُ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ وَأُمَرَاءُ الأَجْنَادِ وَالْمُسْلِمُونَ)! وهذا صحيح فقد حجوا مع عمَر ولبثوا في المدينة حتى قتل واطمأنوا أنه قد مات وأن خليفته عثمان ثم ذهبوا! وكان ما كان في تلك الأيام من خطبة عمر ثم مقتله وقصة أبي لؤلؤة وقتله وخطبة معاوية على المنبر وتحقق الحديث وتذكُّر الصحابة وموت عمر قبل الجواب!

(١) هذا الأنصاري صحابي والصحابة عندهم كلهم عدول.

الرازي حدثنا سلمة بن الفضل ثنا حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إذا رأيتم فلاناً على المنبر فاقتلوه)[١].

أقول: الإسناد حسن؛ رجاله ثقات.

فابن إسحاق صدوق وهو عند شعبة أمير المؤمنين في الحديث، وهو من كبار علماء المغازي ومن رجال مسلم والسنن الأربعة.

أما شيخه محمد بن إبراهيم التيمي فهو ثقة من رجال الجماعة.

وشيخه أبو أمامة بن سهل بن حنيف فمعدود في الصحابة.

فالإسناد أقل أحواله الحسن، وقد يعكر عليه عنعنة ابن إسحاق.

لكن مسلم قَبِلَ عنعنات ابن إسحاق في صحيحه[٢]، والبخاري قَبِلَ عنعنات الزهري وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري والأعمش وهم أشدُّ تدليساً منه.

أما تلميذ ابن إسحاق فهو راويته سلمة بن الفضل الأبرش فهو (صدوق كثير الخطأ) لكن العلماء قبلوا روايته عن ابن إسحاق ومنها كتب السيرة التي رواها عن شيخه ابن إسحاق فهو من المختصين به، ولا يجوز قبول كل رواياته عن ابن إسحاق إلا هذه الرواية فهذا تحكم، لا سيما مع الشواهد، بل هو من أوثق الناس في ابن إسحاق؛ قال جرير بن عبد الحميد: (ليس من لدن بغداد إلى أن تبلغ خراسان أثبت في ابن إسحاق من سلمة بن الفضل)[٣]. فإن قدر أنه كان يخطئ فهو في غير أحاديثه عن ابن إسحاق.

أما تلميذ الأبرش فهو الحسين بن عيسى بن ميسرة الرازي الحارثي (صدوق)[٤]، وتلميذه علي بن سعيد شيخ ابن عدي صدوق، وابن عدي محدث وهو أعرف بما يأخذ عن شيخه حتى وإن كان في شيخه كلام فهو أحرى أن يختار منها ما يصح، لا سيما وأن ابن عدي لم يحمل شيخه ذنب هذا الحديث.

إذن فالحديث حسن الإسناد ويصبح الحديث صحيحاً لغيره من حيث الإسناد في

---

(١) الكامل، ٦/ ١١٢.

(٢) انظر مثلاً صحيح مسلم (٢/ ٨٥٩) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) تهذيب الكمال، ٣/ ٢٥٢.

(٤) الجرح والتعديل، ٣/ ٦٠.

الأقل بهذا الإسناد إن شاء الله، خاصة وأن له شواهد بعضها حسن الإسناد لذاته كما في حديث ابن مسعود الآتي.

الطريق الرابع: طريق عبد الله بن مسعود (بدري)

وحديثه تعرض لمحاربة من غلاة أهل الحديث من أجل حماية معاوية فأوردوه في كتب الضعفاء بأسانيد قوية! فقد رواه ابن حبان[1]: أخبرنا الطبري عن محمد بن صالح ثنا عباد يعقوب الرواجني عن شريك عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود[2]، ورواه أبو بكر بن أبي داود (الحنبلي الناصبي المشهور) عن عباد بن يعقوب به، وتأوله والتأويل فرع التصحيح وكذا رواه عن عباد بن يعقوب أبو العباس شيخ ابن عدي[3].

أقول: هذا الإسناد حسن فعباد بن يعقوب من رجال البخاري وهو ثقة شيعي (والتشيع مع الصدق ليس جرحاً) وشريك صدوق وكذلك عاصم بن أبي النجود (وهو عثماني فيه نصْب) أما زر بن حبيش فثقة جليل وابن مسعود صحابي كبير، فالإسناد أقل أحواله الحسن.

والإسناد له متابعة قوية الإسناد

قال البلاذري: (حدثني إبراهيم بن العلاف البصري[4]، قال، سمعت سلاماً أبا

---

(١) في المجروحين، ٢/ ١٧٢.

(٢) وأخرجه ابن عدي، ٢/ ١٠٩: أخبرنا علي بن العباس ثنا عباد بن يعقوب ثنا الحكم بن ظهير.. به.

(٣) وأخرجه ابن عدي (٢/ ٢٠٩) قال: (أخبرنا علي بن العباس ثنا عباد بن يعقوب ثنا الحكم بن ظهير...) به؛ وفي الموضوعات لابن الجوزي (٢ / ٢٤) (فأما حديث ابن مسعود فأنبأنا محمد بن ناصر قال أنبأنا عبد القادر بن محمد ابن يوسف أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، حدثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان، أنبأنا أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الاشعث، حدثنا عباد بن يعقوب الرواجني، حدثنا الحكم بن ظهير، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى هذا فاقتلوه). فإذا كان هذا الناصبي ابن أبي داود قد رواه، ووثق في عباد بن يعقوب، فمعنى هذا أن بعض النواصب المتقدمين كانوا أوسعَ أفقاً وأقبلَ للحق من نواصب عصرنا، فنواصب عصرنا قد صبغهم ابن تيمية صبغة زائدة عن الحد، فلم يعودوا يقبلون في معاوية إلا الفضائل ولو كانت موضوعةً، ويردون دلالات المثالب ولو كانت في الأحاديث المتواترة كما يفعلون مع حديث عمار.

(٤) إبراهيم بن العلاف البصري: شيخ البلاذري، هو إبراهيم بن الحسن العلاف، اختصر اسمه البلاذري، وفي تعجيل المنفعة (١ / ١٥): (إبراهيم بن الحسن الباهلي العلاف المقرئ، عن حماد بن زيد وأبي عوانة، وعنه عبد الله بن أحمد وغيره وليس هو بالمشهور قلت – ابن حجر-: كان عبد الله

المنذر[1]) يقول: قال عاصم بن بهدلة، حدثني زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على المنبر فاضربوا عنقه.

وروى الحكم بن ظهير عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود بمثله)[2].

إذن فقد توبع الحكم بن ظهير، وقد رواه الذهبي من هذا الطريق أعني: الحكم بن ظهير عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود فذكره[3].

أقول: كنت قد ضعفت هذا الإسناد في الطبعة الأولى لكتابي في الرد على السعد مع تصحيح الحديث من طرق أخرى ثم تبين لي أن هذا الحديث لا يقل إسناده عن مرتبة الحسن لغيره على أقل الأحوال، فالحكم بن ظهير الذي قالوا عنه: (متروك ورمي بالرفض)، كما في تقريب التهذيب، الصواب أنه صدوق شيعي وقد توبع كما سيأتي. فاجتماع صدقه مع المتابعة كافيان في تحسين الإسناد، أما عاصم بن أبي النجود القارئ المشهور فهو عثماني صدوق، وزر بن حبيش علوي ثقة من رجال الجماعة، وابن مسعود صحابي كبير.

كلام ختامي على المتابعات للحكم بن ظهير

بن أحمد لا يكتب إلا عن مَن أذن له أبوه في الكتابة عنه وكان لا يأذن له أن يكتب إلا عن أهل السنة حتى كان يمنعه أن يكتب عن مَن أجاب في المحنة ولذلك فاته علي بن الجعد ونظراؤه من المسندين ثم إن هذا الباهلي وثقه أبو زرعة وقال كان صاحب قرآن بصيراً به واسم جده نجيح وروى عنه أيضاً أبو حاتم والحسن بن سفيان ومات سنة خمس وثلاثين أرخه مطين وابن جرير وابن حبان في الثقات وذكره الصريفيني في رجال الكتب الستة وان النسائي روى عنه).

قلت: وذكره ابن حبان في الثقات، وابن حبان متشدد في المتأخرين.

(١) سلام أبو المنذر: هو سلام بن سلم ثقة وكان سنياً متعصباً وهو من أشد الناس إنكاراً على القدرية والجهمية، وفي الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (١/ ٤٧٤): (سلام بن سليمان أبو المنذر المزني مقرئ البصرة قرأ على عاصم وأبي عمرو وسمع من ثابت وأيوب وعليه قرأ يعقوب وعنه عفان وعبد الواحد بن غياث قال أبو حاتم صالح، الحديث صدوق، توفي ١٧١ ت س). وقال في العبر في خبر من غبر (١/ ٤٨): (فيها أبو المنذر سلام بن سلم المزني، مولاهم، البصري ثم الكوفي النحوي المقرىء. أخذ عن عاصم ابن أبي النجود، وأبي عمرو (بن العلاء) وحدث عن ثابت البناني وغيره. وهو شيخ يعقوب الحضرمي المقرىء).

(٢) أنساب الأشراف، ٢/ ١٢٢.

(٣) الذهبي في سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٤٩.

إذن فالحكم بن ظهير قد توبع من شريك وسلام أبي المنذر؛ روى ثلاثتهم الحديث بسنده ولفظه عن عاصم عن زر عن ابن مسعود، فأصبح الحديث حسناً بهذا الطريق، ولو لم يتابع لأمكن أن نضعف الإسناد لتشيع الحكم بن ظهير، وربما نحسنه لذاته إذا لم نقتنع بأثر التشيع في صدق الحكم بن ظهير، وبما أنه قد توبع فلا مكان إلا للتصحيح جملة، أي يكون الحديث صحيح الإسناد أو حسن الإسناد).

وسبب تحديث عبد الله بن مسعود بالحديث أنه رأى ما فعله الولاة في عهد عثمان، بل رأى أن معاوية أصبح الحاكم الفعلي في دولة عثمان، حتى أن عثمان إذا أتاه المشتكون من ظلم الولاة أرسلهم إلى معاوية! فهذه مناسبة جيدة لتذكر ابن مسعود الحديث وإبراء ذمته في ذلك.

الطريق الخامس: طريق جابر بن عبد الله الأنصاري

وجابر بن عبد الله الأنصاري من فضلاء الأنصار، وهو عقبي ولم يشهد بدراً لاستخلاف أبوه إياه على أهل بيته وشهد المشاهد بعدُ، وكان من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومن خاصة أصحابه، وقد تأخرت وفاته حتى أدرك الباقر، مات بعد الثمانين.

روى الخطيب البغدادي[1] وغيره: من طريق سفيان بن محمد الفزاري[2] عن منصور بن سلمة (ولا بأس بمنصور)[3]، عن سليمان بن بلال (ثقة)، عن جعفر بن محمد (ثقة)، عن أبيه (ثقة)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً (إذا رأيتم فلاناً على منبري فاقتلوه)[4].

---

(١) في تاريخ بغداد، ٩/ ١٨٥.

(٢) سفيان بن محمد الفزاري ضعيف، ضعفه أبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني وابن عدي والحاكم وصالح جزرة ولم يوثقه أحد، راجع ترجمته في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤/ ٢٣١)، وتاريخ بغداد (٩/ ١٨٥) ولسان الميزان (٣/ ٦٦- طبعة دار الفكر).

(٣) هذا من قول الخطيب.. وبقية التوثيقات مني على المشهور عند أهل الحديث.

(٤) وهو في الكامل في ضعفاء الرجال (٣ / ٤١٩): (أخبرنا أحمد بن الحسين الصوفي، حدثنا سفيان بن محمد، حدثنا منصور بن سلمة، حدثنا سليمان بن بلال، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله. وقبله إذا رأيتم على منبري فاقتلوه يعني فلان (هكذا لم يصرحوا باسم معاوية).

وعند الخطيب[1] لفظ (فاقبلوه)، وهو تحريف من بعض النواصب، وهي من دلائل شهرة الحديث حتى اضطر بعض النواصب لتحريفه.

والحديث يصلح في الشواهد والمتابعات سواء روي مرسلاً من قبل الباقر عن أهل بدر أو موصولاً عن جابر، أو روي عن جعفر الصادق عن أهل بدر.

وقد رأيت بعض المتكلفين من السلفية وهو يناقش هذا الحديث يقول: ليس في الحديث ذكر معاوية لأنه قال (فلاناً)! وهذا ليس بمستغرب عند من لا يعترف بأثر السياسة على الحديث، هل يعقل أن يقول النبي (ص) إذا رأيتم فلاناً! هل هذا من تمام البيان النبوي؟ أم أن البيان لابد أن يكون واضحاً صريحاً بالاسم واسم الأب، أو الإشارة إلى الشخص كما سيأتي في بقية الأحاديث أنه طعن خاصرة معاوية بقضيب ويأمرهم بقتله إذا خطب على المنبر، فهذا البيان هو اللائق بالنبي (ص)، ولن يعمي الأمر، إنما يعمِّيه من لا يحبّ حديثه، أو من خشي على نفسه، ولكن العاقل يعرف كيف يستخرج الأسماء المبهمة من الأنباء المحكمة[2]!.

قال الشيخ (يعني ابن عدي): فسواه سفيان الفزاري هذا فقال: عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ورواه عن منصور بن سلمة عن سليمان بن بلال وسليمان ثقة ومنصور لا بأس به.

وإنما يروي جعفر بن محمد عن جماعة من أهل بدر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

حدثناه ابن سعيد، حدثنا أبو شيبة بن أبي بكر بن أبي شيبة عن خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن جعفر).

(١) في ١/ ٢٥٩، بلفظ (فاقبلوه فإنه أمين مأمون) وهذا اللفظ التفاف ناصبي على الحديث النبوي، ونحن اعتدنا من أهل الحديث هذه الحمايات لمعاوية فهم يخشون أن يحيف الله عليهم ورسوله، (ولا يبغض علياً إلا منافق).

قال الخطيب: لم أكتب هذا الحديث إلا من هذا الوجه، ورجال إسناده ما بين محمد بن إسحاق وأبي الزبير كلهم مجهولون، مات أبو بكر المقرئ عام ٣٥٢هـ، وحديثه كثير المناكير.

(٢) هذا عنوان كتاب للخطيب البغدادي، ولو سار على منهجهم ما استخرج اسماً. وعذراً في الحوار مع هؤلاء لأن لهم أتباعاً يرون أنهم على علم عظيم! فماذا نفعل؟ هذا ما فعله معاوية بهذه الأمة.

الطريق السادس: طريق عبد الرحمن بن سهل الأنصاري[1] بدري في قول

في معرفة الصحابة لأبي نعيم: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدَانَ[2]، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ[3]، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى السُّدِّيُّ[4]، حَدَّثَنَا أَبُو تُمَيْلَةَ يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ[5]، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ[6]، عَنْ بُرْدَةَ بْنِ سُفْيَانَ[7]، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ[8]، قَالَ: غَزَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيُّ فِي زَمَانِ عُثْمَانَ، وَمُعَاوِيَةُ أَمِيرٌ عَلَى الشَّامِ، فَمَرَّتْ بِهِ رَوَايَا خَمْرٍ تُحْمَلُ لِمُعَاوِيَةَ، وَبُرٌّ فَقَامَ إِلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِرُمْحِهِ، فَنَقَرَ كُلَّ رَاوِيَةٍ مِنْهَا، فَنَاوَشَهُ غِلْمَانُهُ حَتَّى بَلَغَ مَثْأَنَةَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ شَيْخٌ قَدْ ذَهَبَ عَقْلُهُ، فَقَالَ: كَذَبَ وَاللهِ، مَا ذَهَبَ عَقْلِي، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا أَنْ نُدْخِلَ بُطُونَنَا، وَأَسْقِيَتَنَا، وَأَحْلِفُ بِاللهِ لَئِنْ أَنَا بَقِيتُ حَتَّى أَرَى فِي مُعَاوِيَةَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَأَبْقُرَنَّ بَطْنَهُ وَلَأَمُوتَنَّ دُونَهُ)[9].

---

(١) وعبد الرحمن بن سهل الأنصاري الحارثي صحابي شهد بدراً في قول، وكان قوياً في الحق فقيهاً، انظر ترجمته في الملحق.

(٢) شيخ أبي نعيم أبو عمر الحيري محدث نيسابور (٣٥٦هـ)، ثقة حافظ كبير.. وانظر الملحق.

(٣) الحسن بن سفيان (ت ٣٠٣هـ): له مسند معروف باسمه، وهو حافظ كبير ثقة، وصفوه بالصلابة في السنة، وكان محدث خراسان في عصره (حسب تعبير الحاكم)، وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ (٢ / ١٩٧): الحسن بن سفيان بن عامر الحافظ الإمام شيخ خراسان أبو العباس الشيباني النسوي صاحب المسند الكبير... إلخ ومات سنة ٣٠٣هـ.

(٤) هو السدي الصغير (٢٤٠هـ) ثقة وانظر الملحق.

(٥) يحيى بن واضح: وهو ثقة من رجال الجماعة، انظر الملحق.

(٦) محمد بن إسحاق (١٥٠هـ) أمير المؤمنين في الحديث عند شعبة، وإمام أهل المغازي، وهو صدوق عند أهل الحديث وطعنوا فيه بالتدليس وبغير ذلك، مع أن التدليس مذهب عام لأهل الحديث إلا قلائل كشعبة، بل شعبة نفسه وجدوا له بعض التدليس. فإذا تم حذف أحاديث المدلسين إذا عنعنوا فليحذفوا أكثر أحاديث البخاري ومسلم.

(٧) صوابه بريدة بن سفيان (انظر ترجمة القرظي في تهذيب الكمال)، وهو بريدة بن سفيان الأسلمي، قيل أن له صحبة، فإن صح وإلا فهو من كبار التابعين وصالحيهم على ما يظهر في روايته والأقوال فيه وقد أفردناه بترجمة، فلينظر الملحق.

(٨) محمد بن كعب القرظي تابعي ثقة توفي ١١٨هـ وهو من رجال الجماعة، وقد وصفوه بالعلم بالقرآن الكريم، وقد سمع من الإمام علي وابن مسعود وطبقتهم، فهو قديم السماع، بل قيل أنه ولد في عهد النبي (ص) وأن له صحبة.

(٩) معرفة الصحابة، ٤/ ١٨٢٨. ومن طريقه رواه كثير من أصحاب التراجم.

التعليق: وهذا الإسناد رجاله ثقات باستثناء بريدة بن سفيان، ومع ذلك فمن استقرأ أحاديثه كابن عدي لم يعثر له على حديث منكر، وهو تابعي ثقة، ولولا تشيعه وحبه لأهل البيت لجاز (وقد أفردناه بترجمة فلتنظر هناك).

وأما المتن فواضح، فماذا سمع هذا الصحابي من النبي (ص) غير الحديث الذي ذكرناه سابقاً. فهو ينتظر أن يراه خطيباً على المنبر النبوي ليقتله. ولعله هو الصحابي الذي أمسك به أبو سعيد الخدري حتى يستأمروا عمر في قتله تنفيذاً للأمر النبوي. فالحديث من شواهد حديث أبي سعيد بلا شك.

وأما بيع معاوية للخمر فقد ورد في حديث عبادة بن الصامت أيضاً، وظاهر أن تجارة معاوية ازدهرت أيام عثمان بن عفان، ولمعاوية قصص كثيرة في المتاجرة بالخمر وشربه، كما في هذا الحديث وحديث عبادة وحديث أبي بكرة وغيرهم (انظر بحثنا: معاوية والخمر = في كتابنا عن معاوية ولم يطبع بعد للأسف!)

تحريفهم لهذا الحديث

إلا أن النواصب لم يرتضوا أن يرووا الحديث مع ما فيه من ذم النبي (ص) وهذا الصحابي الكبير لمعاوية، فرواه بعضهم بلفظ عجيب غريب إذ فرغ الحديث من محتواه وأفسده، وتلقف هذا اللفظ المحرف ابن قانع الأموي النسب، وقد روي بالإسناد نفسه إلا ابن قانع وشيخه، ففي معجم الصحابة لابن قانع الأموي[1] قال: (حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن أيوب[2]، حدثنا سعيد بن محمد الجرمي[3]، حدثنا أبو تميلة، عن محمد بن

---

(١) معجم الصحابة لابن قانع، ٤/ ١١٧.

(٢) وقد كذبه الدارقطني، لأنه يروي عن الثقات أحاديث باطلة، فكيف بتحريفه؟ فهذا أخفى، ففي سؤالات حمزة بن يوسف السهمي (١ / ١٦٨) سألت الدارقطني عن إبراهيم بن عبد الله بن أيوب أبي إسحاق المخرمي فقال ليس بثقة حدث عن قوم ثقات بأحاديث باطلة من حديث روى عن خالد بن خداش والقواريري عن جعفر عن مالك بن دينار عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله يأمر الملائكة أن يكتبوا على الصائمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد العصر ذنبا قال وهذا باطل الإسناد ثقات كلهم). قلت: ما أحلى أهل الحديث عندما ينصفون، يخرج كلامهم كالدر المنضد.

(٣) هو كوفي ثقة ووصموه بالتشيع لأنه إذا ذكر علي كان يصلي عليه! ولابد أنه روى الحديث على الصواب إنما التحريف من تلميذه. وفي سير أعلام النبلاء (٢٠ / ١٤٨): (سُئِلَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ عَنْهُ، فَقَالَ: صَدُوْقٌ، كَانَ يَسْمَعُ مَعَنَا الحَدِيْثَ، وَيَطْلُبُ. وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: هُوَ ثِقَةٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ

إسحاق، عن يزيد بن سليمان الأسلمي[1]، عن محمد بن كعب القرظي قال: غزا عبد الرحمن بن سهل في خلافة عثمان ومعاوية أمير على الشام، فمر بروايا خمر تحمل، فقام برمحه إلى كل راوية فبقرها، وقال: (نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندخله بيوتَنا وأسقِيتَنا).

التعليق:

وهنا أترك للقارئ المنصف المقارنة بين النصين (لفظي الحديث)، وليراجعوا أنفسهم في منح هذه الثقة المطلقة لكل أهل الحديث.

ورجال الإسناد هم الرجال عند أبي نعيم من يحيى بن واضح فما فوق. والجرمي الراوي عن ابن واضح ثقة. بقي البلاء في شيخ ابن قانع أو ابن قانع، والراجح أن البلاء في شيخ ابن قانع.

والخلاصة الأخيرة في حديث عبد الرحمن بن سهل

إن هذا الحديث لا يقل إسناده عن رتبة الحسن إذا لاحظنا الأثر المذهبي الظاهر في التكلف لتضعيف رجال هذا الإسناد لأن فيه إزراء على معاوية فحسب! وكأن غلاة أهل الحديث يريدون تضعيف أي شيء يصل إلى معاوية بسوء! حتى لو قاله النبي (ص)، وهذه جرأة على الله ورسوله، بل للأسف أن في عقائد الخلال في نقله عن أحمد ما يشعر بهذا. فنعوذ بالله من الهوى. وقد فصلت هذا في مبحث بعنوان (غش أهل الحديث) وأقصد به ما وجدته أنا من غش لبعض أهل الحديث سواء في التحريف أو الإخفاء أو التنظير والتشريع لمنع أي كلام للنبي (ص) إذا صدر بحق بعض الصحابة بدعوى أن تلك الأحاديث لا فائدة فيها! أو أن المبتدعة يحتجون بها! وأمثال هذه الأعذار السخيفة التي يندى لها جبين كل غيور على النبي (ص) إذ أصبح بهذه التنظيرات في مكان يجب أن نقول له: تكلم بهذا واسكت عن هذا. أين الغيرة على سنة النبي (ص)؟ ومن نحن حتى نحدِّد للنبي (ص) ما ينبغي أن يقوله، وما ينبغي

يَتَشَيَّعُ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ بنُ عَبْدِ اللهِ بن أَيُّوْب المُخَرِّمِيُّ: كَانَ إِذَا قَدِمَ بَغْدَادَ، نَزَلَ عَلَى أَبِي، وَكَانَ إِذَا جَاءَ ذِكْرُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رُبَّمَا سَكَتَ، وَإِذَا جَاءَ ذِكْرُ عَلِيِ بنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: مَاتَ سَنَةَ ثَلاَثِيْنَ وَمائَتَيْنِ). انتهى كلام الذهبي.

(١) كذا. والصواب بريدة بن سفيان الأسلمي.

أن يسكت عنه؟

نعم من حق رجل الحديث أن يقول أنا اشك في كل هذه الأحاديث. أما أن يتعمد الإخفاء لما يعلم أنه من الحديث وأنه صحيح، أو يفتي بحرمة رواية أحاديث معينة فهذه جريمة وغش، وهذا ما قصدته في البحث، فأنا لا أعمم وأعرف أن في أهل الحديث كل الأطياف.

الطريق السابع: طريق الحسن البصري

روي عنه من أكثر من طريق. الأعمش وإسماعيل (بن مسلم) وعمرو بن عبيد، وقد شنع بعض أهل الحديث على عمرو بن عبيد المعتزلي وكذبوه في روايته هذا الحديث عن الحسن مع أنه توبع من ثقتين في الأقل، وهذا دليل على أنهم يهولون على العامة ولا يبحثون بحثاً استقصائياً.

روى البلاذري في أنساب الأشراف

حدثنا يوسف بن موسى وأبو موسى إسحاق الفروي[١]، قالا: حدثنا جرير بن عبد الحميد[٢]، حدثنا إسماعيل[٣] والأعمش[٤] عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه؛ فتركوا أمره فلم يفلحوا ولم ينجحوا)[٥].

---

(١) أحدهما ثقة والآخر صدوق.

(٢) ثقة من رجال الجماعة مات بعد ١٨٠هـ

(٣) روى عن الحسن ثلاثة اسم كل منهم إسماعيل، إسماعيل بن أبي خالد، وإسماعيل بن مسلم العبدي، وإسماعيل بن مسلم المكي، ولكن في بعض الطرق (إسماعيل بن مسلم)، فانحصر هذا الراوي بين اثنين، العبدي والمكي، فإن كان العبدي فهو ثقة من رجال مسلم والنسائي، ففي تقريب التهذيب - (١ / ٩٩): إسماعيل بن مسلم العبدي أبو محمد البصري القاضي ثقة من السادسة م ت س / وإن كان المكي فهو ضعيف ضعفاً غير شديد وقد وثق، وهو هنا متابع من الأعمش، فلا يضره ذلك الضعف إن سلمنا بأن التضعيف كان علمياً، مع أن واقع ترجمته تدل على أنه من العلماء وأن التضعيف مذهبي فقد قرنوه بعمرو بن عبيد.. وهو متابع على كل حال، والذي صرح باسم إسماعيل وقال (إسماعيل بن مسلم) هو محمد بن سليمان الكوفي في فضائل علي، ولولاه لظن أكثر الناس أنه إسماعيل بن أبي خالد.

(٤) الأعمش ثقة من رجال الجماعة مات سنة ١٤٨هـ

(٥) أنساب الأشراف، ٢/ ١٢١؛ والحديث مرسل، ورواه في الزاهر عن أبي سعيد الخدري، والمرسل

التعليق: وهذا الحديث صحيح الإسناد إلى الحسن البصري، فممن سمعه؟ أرجح أنه سمعه من أبي نضرة، أو أبي سعيد نفسه، وله اتصال بالرجلين، فلذلك تراه يقوله واثقاً ومعقباً ومحتجاً على من لم يقتل معاوية، والمتقدمون كانوا يرسلون كثيراً ولا يعتمدون على ذكر الإسناد، إنما أتى التشدد على ذكر الإسناد من أيام الزهري في الحجاز، ثم أيام عبد الغفار بن القاسم وشعبة في العراق. أما الشام فليسوا أهل حديث، وقد ذكر ابن عبد البر في مقدمة التمهيد أن الأصل في الرواية القديمة كانت الإرسال، ولذلك أجاب على الأحاديث المرسلة في موطأ مالك، ولو كان حديث الحسن في الموطأ لذكر ابن عبد البر الطرق الموصولة التي ذكرناها هنا.

بقية مصادر الحديث

رواه مع شواهده نصر بن مزاحم[1] في وقعة صفين

نصر، عن الحكم بن ظهير، عن إسماعيل، عن الحسن.

و([قال نصر: وحدثنا] الحكم [بن ظهير]، عن عاصم بن أبى النجود، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود قالا (أي ابن مسعود والحسن البصري): قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم معاوية بن أبى سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه.

قال الحسن: فما فعلوا ولا أفلحوا.

نصر: عمرو بن ثابت، عن إسماعيل، عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى فاقتلوه.

قال: فحدثني بعضهم[2]، قال: قال أبو سعيد الخدرى: فلم نفعل ولم نفلح[3].

قلت – نصر بن مزاحم-: ومر في عبد الرحمن بن سهل أنه قال في زمن عثمان في

هنا من شواهد وعواضد الحديث المرفوع، ويهمنا هنا أن رجلاً من خيار التابعين كان يرى وجوب قتل معاوية.

(١) وهو ثقة ضعفه بعضهم مذهبياً والتضعيف المذهبي ليبس علمياً انظر ترجمته في الملحق..

(٢) الراجح أنه أبو نضرة، وهو معاصر للحسن، وكلاهما بصري، وقد أوصى أن يصلي عليه الحسن ففعل، مات أبو نضرة عام ١٠٨هـ والحسن ١١٠هـ فهما قرينان.

(٣) هذا القائل إن كان الحسن البصري فهو طريق آخر عن أبي سعيد الخدري وفيه رجل لم يسمّ وهو شيخ الحسن.

إمارة معاوية من قبله على الشام: أحلف بالله! لو بقيت حتى أرى في معاوية ما سمعت من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه لأبقرنَّ بطنه أو لأموتن دونه.

وعن عبد العزيز بن الخطاب، عن صالح بن أبي الأسود، عن إسماعيل، عن الحسن، قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا رأيتم معاوية على منبري يخطب فاقتلوه)[١].

والحديث في مناقب علي لمحمد بن سليمان الكوفي من طرق صحيحة عن الحسن:

(قال [حدثنا] خضر بن أبان قال: حدثنا عبد الله بن عبد الكريم عن شريك عن إسماعيل بن مسلم: عن الحسن البصري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه. قال الحسن: فلم يفعلوا فأذلهم الله. [إسناد آخر عن شريك به] حدثنا خضر بن أبان قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني عن شريك عن إسماعيل بن مسلم: عن الحسن البصري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه. [إسناد آخر عن الحماني] محمد بن سليمان قال: حدثنا خضر بن أبان قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني عن شريك عن إسماعيل بن مسلم: عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)[٢].

و تعصب ابن الجوزي الحنبلي - كعادة الحنابلة- فأورده في الموضوعات: من طريق واحد وأهمل البقية!

فقد أورده من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن ليستطيع الطعن فيه لكون عمرو بن عبيد معتزلياً، وأهمل الطرق الأخرى، فقال: (أنبأنا به محمد بن أبى طاهر، أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، أنبأنا محمد بن عبد الله بن خلف الدقاق، حدثنا عمر بن محمد الجوهري، حدثنا أبو بكر الأثرم، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن يزيد، قال قيل لأيوب: إن عمرو بن عبيد يروى عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) وقعة صفين، ١/ ٢١٦.

(٢) مناقب علي، ٣٠٥.

قال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه. فقال: كذب عمرو)[1].

أقولُ: بل كذب أيوب وتعصب، ومن كذب الصادقين فهو الكاذب كما قال الإمام أحمد، فالحديث ثابت عن الحسن من غير طريق عمرو بن عبيد، وعمرو بن عبيد وإن كان معتزلياً إلا أن المعتزلة لا يكذبون وهم كسائر الوعيدية، يرون الكذب موجباً للفسق، وهم متدينون، نعم قد يهمون ويخلطون، ولكنهم ثقات متحفظون متيقظون وليسوا كأيوب السختياني ويونس بن عبيد وأمثالهم من المتمذهبين الذين يدفعهم التعصب المذهبي والنصب للبتر والإخفاء وتكذيب الصادقين وتوثيق الكاذبين.

وسلك الذهبي مسلك ابن الجوزي فقال: (وقال حماد بن زيد: قيل لأيوب: إن عمرو بن عبيد روى عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه. قال: كذب)[2].

التعليق:

الحديث روي من غير طريق عمرو بن عبيد، وتبين هنا أن من يكذب الصادقين فهو الكاذب، وكان حماد بن زيد ناصبياً، وزميله حماد بن سلمة أرفع منه وأوثق وأبعد عن الشبهة، وقد روى الحديث رغم سلفيته الشديدة، ورد على من حاول الطعن في ابن جدعان من نواصب البصرة.

والخلاصة في هذا الحديث:

إن الحديث صح سنده إلى الحسن البصري، لكنه مرسل، والمرسل هذا من شواهد الحديث، فإن المرسل القوي إذا صح واتفق مع المرفوع كان شاهداً له. بل لم يكن المتقدمون يفرقون كثيراً بين المرسل القوي والحديث المرفوع. لا سيما وأن الحسن البصري كان في زمن يصعب أن يحدث بحديث لا يكون معه فيه حجة إذا حوقق من نواصب أهل البصرة، وأظن أن من أخبره بقول أبي سعيد هو أبو نضرة شيخ علي بن زيد بن جدعان، وهو بصري ومن طبقة الحسن بل دونه في الطبقة بقليل.

---

(١) الموضوعات، ٢/ ٢٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٦/ ١٠٥.

الطريق الثامن: طريق أنس بن مالك (صحابي معروف)

وهذه الطريق يمكن أن تصنف شيعية أو سنية، فالمعتزلة عند التحقيق هم من أهل السنة، وهم من أعدل الفرق في نقل الأخبار، ولكنه لم يذكر الإسناد كاملاً وسقط من كتاب الغارات للثقفي، ففي شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد قال: (وروى صاحب كتاب الغارات عن الأعمش عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ص يقول سيظهر على الناس رجل من أمتي عظيم السرم واسع البلعوم يأكل ولا يشبع يحمل وزر الثقلين يطلب الإمارة يوما فإذا أدركتموه فابقروا بطنه قال، وكان في يد رسول الله ص قضيب قد وضع طرفه في بطن معاوية.

قلت ابن أبي الحديد هذا الخبر مرفوع مناسب لما قاله علي عليه السلام في نهج البلاغة ومؤكد لاختيارنا أن المراد به معاوية دون ما قاله كثير من الناس إنه زياد والمغيرة)[1].

التعليق:

الحديث في الشواهد العامة وليس أصلاً، ولو لم يصح الأصل من طرق أهل السنة والحديث لما أوردته، لم أجده في كتاب الغارات للثقفي، فلعله مما سقط منه. وهذا من الأحاديث التي ضاع نصف إسنادها. وأوردته هنا من باب المقارنة التي أشرت إليها في المقدمة.

الطريق التاسع: طريق محمود بن لبيد الأنصاري عن بدريين من بني عبد الأشهل:

وهذه من رواية الشيعة، رواها ابن طاووس في كتابه الفتن عن السليلي ويظهر أنه سني معتدل، لكنه أتى في وقت صعب، في وقت البربهاري والحنابلة، فأهمله أهل السنة كما أهملوا كتاب السقيفة للجوهري وكتب أبي مخنف وكتب المدائني وغيرهم[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ١/ ١٠٥١.

(٢) الجوهري صاحب السقيفة، والثقفي صاحب الغارات، وأبو مخنف صاحب مقتل الحسين، وابن عقدة والجعابي والمدائني والواقدي وغيرهم، كل هؤلاء من أهل الحديث عند التحقيق، وليسوا إمامية، إلا أنهم لم يصنفوا في الفقه ولم يكن لهم أتباع يقومون بهم، نعم قيل إن الثقفي كان زيدياً

قال ابن طاووس الشيعي الإمامي: (في الفتن لأبي صالح السليلي[1] (من علماء القرن الثالث وبداية الرابع، يروي عن الطبري وطبقته): قال ابن طاوس: وذكر يعني السليلي بإسناده عن محمود بن لبيد[2]، قال: حدثني نفر من قومي من بني عبد الأشهل شهدوا بدراً، قالوا: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله، ومعنا معاوية، فأشار بإصبعه إلى بطنه وقال: إن هذا سيطلب الامارة يوما، فإذا رأيتموه فعل ذلك فابقروا بطنه)[3].

التعليق:

ولم أجد إسناد هذا الحديث لا عند السنة ولا عند الشيعة، فهو من تلك الأسانيد

وروايته الكوفية إنما هي عن أهل الحديث، ثم لو كانوا زيدية فشيعة الكوفة زيدية فكان ماذا؟ أليس أهل الشام والبصرة وبغداد نواصب؟ ما الضير أن نروي عمن يبغض معاوية إذا كانت روايات من يلعن علياً موجودة في صحاحنا وسنننا ومسانيدنا؟ أما البقية فهم أهل الحديث ورواية، ولم يصنفوا في العقائد حتى يقال هذا شيعي وهذا سني، وأبو مخنف كان من علماء القرن الثاني، وعده اليعقوبي من فقهاء دولة المهدي العباسي، لكن أهل الحديث وخاصة بعد استحكام الهوى واستقرار العقيدة المحدثة أصبحوا يهملون التراث السني الروائي، وأهمله الشيعة لأن هؤلاء أصلاً ليسوا شيعة! فضاع تراث الإنصاف السني وغلب على الأمة غلو الفريقين، وتقوقع المذهبان، ودفع المعتدلون الثمن، فأصبحوا لا يجدون إلا غلواً هنا أو هناك، مع إنصاف قليل في الفريقين، وها نحن نبحث عن هذا الحديث وطرقه ونجد صعوبة في استخراج طرقه وأسانيده، ولو كان الإنصاف هو الأصل، لوجدنا هذا الحديث بسهولة في مسانيد أبي سعيد الخدري وابن مسعود وسهل بن حنيف وجابر بن عبد الله وعبد الرحمن بن سهل الأنصاري وغيرهم، فأهل الحديث يجمعون من أحاديث هؤلاء ما هو أضعف إسناداً وأبعد عن القرآن الكريم وهديه، ونعذرهم بأنهم يريدون الجمع، أما مع هذا البتر والإخفاء وانتقاء الأسانيد التي يمكن تضعيفها وإضاعة الأخرى وتتبع الرواة وتضعيفهم. فهذا عمل مؤسسات وليس عمل أفراد، والمذهب مؤسسة تطوعية أكثر إخلاصاً للهدف من المؤسسات الرسمية.

(١) قال في الذريعة: (الفتن: لأبي صالح السليلي بن أحمد بن عيسى بن شيخ الحسالي أو السائي (الحسائي). أورده السيد بن طاووس في كتابه، مرتباً على الأبواب، وقال في أوله: [إن المصنف من رواة الجمهور وأورد ما أجده بلفظه من نسخة أصلها بخط مصنفه في المدرسة.. بالجانب الغربي من البلاد الواسطية، تاريخ كتابتها في ٣٠٧ هـ]. أقول: أكثر مشايخ السليلي في كتابه هذا من علماء العامة مثل محمد بن جرير العامي صاحب (التاريخ) المتوفى في ٣١٠هـ وغيره ولكن بعض مشايخه من الخاصة مثل: ابن أبي الثلج محمد بن أحمد المتوفى ٣٢٥هـ، وله كتاب (السقيفة) الذي ينقل عنه الديلمي صاحب (الإرشاد) في كتابه (الغرر والدرر).

(٢) تقريب التهذيب، ٢/ ٥٢٢: (محمود ابن لبيد ابن عقبة ابن رافع الأوسي الأشهلي أبو نعيم المدني صحابي صغير وجل روايته عن الصحابة مات سنة ست وتسعين وقيل سنة سبع وله تسع وتسعون سنة بخ م ٤).

(٣) الملاحم والفتن لابن طاووس، ٢٣٠.

التي ضاعت، بل صاحب الكتاب أهمله أهل السنة، رغم أن شيوخه معظمهم من أهل السنة وصنَّفه الشيعة في علماء العامة، يعني أهل السنة.

الطريق العاشر: طريق الحسين بن علي (في مصدر قديم بلا إسناد):

قال ابن أعثم الكوفي في الفتوح بغير إسناد:

(وأصبح الحسين (عليه السلام) من الغد خرج من منزله ليستمع الأخبار، فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه، فقال: أبا عبد الله! إني لك ناصح، فأطعني ترشد تسدد. فقال الحسين (عليه السلام) وما ذلك؟ قل حتى أسمع.

فقال مروان: أقول إني آمرك ببيعة أمير المؤمنين يزيد، فإنه خير لك في دينك ودنياك!! فاسترجع الحسين (عليه السلام) وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد!

ثم أقبل الحسين (عليه السلام) على مروان، وقال: ويحك! أتأمرني ببيعة يزيد وهو رجل فاسق، لقد قلت شططاً من القول يا عظيم الزلل! لا ألومك على قولك لأنك اللعين الذي لعنك رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص، فإن من لعنه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يمكن له ولا منه إلا أن يدعو إلى بيعة يزيد.

ثم قال (عليه السلام): إليك عني، يا عدو الله! فإنا أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والحق فينا وبالحق تنطق ألسنتنا، وقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان، وعلى الطلقاء (و) أبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه، فوالله لقد رآه أهل المدينة على منبر جدي فلم يفعلوا ما أمروا به، فابتلاهم الله بابنه يزيد، زاده الله في النار عذاباً)[1].

التعليق:

ينظر مصادر ابن أعثم ومحاولة معرفة السند، وقد رويت أخبار الحسين في هذه المرحلة فيمكن معرفة إسناد القصة بالاحتمال.

---

(١) كتاب الفتوح لابن أعثم، ٥/ ١٧.

وأما المعنى فهو قوي، وهذا هو الفهم المستنبط من القرآن الكريم، وأهل البيت سباقون في النطق عن الوحي، وأجد في كلامهم مسحة من بقايا النبوة، ولا ريب فهم الثقل الثاني، ومن أضاع الثقل الأصغر أضاع مفتاح الثقل الأكبر عقوبة أيضاً، لأن الكِبْر يستحق أكبر من هذه العقوبة، والله ما يصدهم عن أهل بيت النبوة إلا ما صد شيوخ قريش عن يتيم بني هاشم صلوات الله عليه، والابتلاء مستمر)أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون(؟؟ فالفعل المضارع (يفتنون) دليل على أن الابتلاء مستمر، ليس في الجسد وفقد الأولاد وإنما ذلك الابتلاء للقلوب والعقول، ومن غايات الله الكبرى في عباده الابتلاء، لينظر من ينكسر للحق ويأخذه ممن أتى به، ومن يشترط على ربه ألا يأتيه الهدى إلا من غير بني هاشم! وبنو هاشم لا نقصد بهم من فسق منهم أو غلا أو اتَّبع النواصب وغلاة السلفية، فهؤلاء انحرفوا عنة منهج النبوة، فليس هؤلاء نقصد، وإنما أهل الفضل والعلم والعدل، الذين أجمع المسلمون على فضلهم كالحسين مثلاً، ولكن لا يحفظ له أهل السنة حديثاً ولا أثراً ولا فتوى ولا حكمة... إلخ فهذا الهجر الواسع ليس إلا اتِّباعاً لسياسة قديمة، فإن كنتم تزعمون أن بني أمية قد ماتوا فما الذي يمنعكم اليوم من الاهتمام بصالحي أهل البيت كما تهتمون بفُسَّاق بني أمية، فقط هذا ما يطالب به السُّني الحر الذي أصبح ضيق النفس بهذا التعصب المتوارث، وليس عذراً أن يكون الشيعة أو بعضهم يغلون في أهل البيت، فهناك بعض الصوفية يغلون في النبي (ص) فهل هذا يسوغ إهماله؟ كلا والله، هم يعرفون أن هذا ليس عذراً، وإنما توارثوا المكر كما توارثوا النصب الخفي.

والغريب أن الناصبي ماكر بطبعه ولو كان أحمق!

شيء عجيب!

الطريق الحادي عشر: طريق أبي ليلى الأنصاري (صحابي كبير)

والمصدر هنا شيعي أيضاً والحديث بلا إسناد، ففي شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي (قال: أبو ليلى عبد الله بن عبد الرحمان، يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه كان جالساً (في ملأ من أصحابه فيهم معاوية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: إنَّ هذا وأشار بيده إلى معاوية سيطلب الإمارة، فإذا فعل فابقروا

بطنه)[1].

التعليق:

الإسناد ضاع فيما ضاع من مثالب معاوية وأسانيدها، والنزيف ما زال مستمراً!

وأما المتن فهو شاهد من حيث الأصل، أي الأمر بقتل معاوية إن طلب الملك، ولعله طلب الملك في تلك الخطبة، لِمَ لا؟ قد يكون خطب ليعلم الناس بأنه أقدر على ضبط الأمور، وأنه أقوى على هذا الأمر من غيره. ولو فعلها لتأوَّل له هؤلاء، واحتجوا بموافقة الصحابة كما احتجوا عندما أخذها بالسيف بموافقة الحسن والحسين وبقايا الصحابة! فهؤلاء المعاوِيون مستعدون لتسويغ أي أمر يفعله الرجل، ولكن هذا لم ينقل، وليس كل ما لم ينقل لم يحدث. ولو نقل التراثُ كلَّ أقوال هؤلاء لكان تاريخ الطبري آلاف المجلدات، وعلى كل حال فقد يشكك البعض في المصدر بأنه افترى الحديث أعني القاضي النعمان، ورغم أنه علَّامة شيعي فاطمي إلا أنه ليس بهذا المحل، ويحسن بنا هنا أن نترجمه للفائدة، ولأنه المصدر الإسماعيلي الوحيد بين مصادرنا هنا:

ترجمة القاضي النعمان (ت ٣٦٣هـ):

هو النعمان بن محمد بن المنصور، المشهور بـــ (القاضي النعمان) التميمي المغربي ثم المصري، من كبار علماء الإسلام وعجائبهم، وقد اختلف أهل السنة بين منصف له ومتحامل عليه، نظراً للخلاف السياسي الكبير الذي نشأ بين العباسيين السنة والفاطميين الشيعة، لا سيما وأن الرجل تحول من المالكية إلى الإمامية، فسخط عليه من سخط.

ومن مواطن الإنصاف ترجمة ابن خلكان له إذ يقول: (القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن المنصور بن أحمد بن حيون، أحد الأئمة الفضلاء المشار إليهم، ذكره الأمير المختار المسبحي في تاريخه فقال: كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل على ما لا مزيد عليه، وله عدة تصانيف: منها كتاب اختلاف أصول المذاهب وغيره. انتهى كلام المسبحي في هذا الموضع، وكان مالكي المذهب

---

(١) شرح الأخبار، ٢/ ١٤٧.

ثم انتقل إلى مذهبه الإمامية، وصنف كتاب ابتداء لدعوة للعبيديين؛ وكتاب الأخبار، في الفقه، وكتاب الاقتصار، في الفقه أيضاً، وقال ابن زولاق في كتاب أخبار قضاة مصر في ترجمة أبي الحسن علي بن النعمان المذكور، ما مثاله: وكان أبوه النعمان بن محمد القاضي في غاية الفضل، من أهل القرآن والعلم بمعانيه، وعالماً بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر الفحل والمعرفة بأيام الناس، مع عقل وإنصاف، وألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف وأملح سجع، وعمل في المناقب والمثالب كتاباً حسناً، وله ردود على المخالفين: له رد على أبي حنيفة وعلى مالك والشافعي وعلى ابن سريج، وكتاب اختلاف الفقهاء، ينتصر فيه لأهل البيت رضي الله عنهم، وله القصيدة الفقهية لقَّبها بالمنتخبة، وكان أبو حنيفة المذكور ملازماً صحبة المعز أبي تميم معد بن منصور المقدم ذكره ولما وصل من إفريقية إلى الديار المصرية كان معه، ولم تطل مدته، ومات في مستهل رجب سنة ثلاث وستين وثلثمائة بمصر. وذكر أحمد بن محمد بن عبد الله الفرغاني في سيرة القائد جوهر، أنه توفي في ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة من السنة، وصلَّى عليه المعز، وذكر ابن زولاق في تاريخه بعد ذكر وفاة المعز وذكر أولاده وقضاة المعز فقال: قاضيهِ الواصل معه من المغرب أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعي، ولما وصل إلى مصر وجد جوهراً قد استخلف على القضاء أبا طاهر الذهلي البغدادي فأقره، انتهى كلام ابن زولاق. وكان والده أبو عبد الله محمد قد عمر، ويحكي أخباراً كثيرة نفيسة حفظها وعمره أربع سنين، وتوفي في رجب سنة إحدى وخمسين وثلثمائة، وصلى عليه ولده أبو حنيفة المذكور، ودفن في باب سلم، وهو أحد أبواب القيروان، وكان عمره مائة وأربع سنين)[1].

ومن تحامل بعض أهل السنة ترجمة الزركلي له في الأعلام فقال:

(النعمان بن محمد بن منصور، أبو حنيفة بن حيون التميمي، ويقال له القاضي النعمان: من أركان الدعوة للفاطميين ومذهبهم بمصر، كان واسع العلم بالفقه والقرآن والادب والتاريخ، من أهل القيروان، مولدا ومنشأ، تفقه بمذهب المالكية، وتحول إلى مذهب الباطنية! عاصر المهدي والقائم والمنصور والمعز (منشئ القاهرة) وخدمهم،

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان، ٥/ ٤١٥.

وقدم مع المعز إلى مصر، وهو كبير قضاته، وتوفي بها، وصفه الذهبي بالعلامة المارق!وقال ابن حجر: في كتبه ما يدل على انحلال عقيدته، له (من الكتب): اختلاف أصول المذاهب، يرد فيه على أدلة الاجتهاد وينصر الاسماعيلية؛ ودعائم الاسلام، وذكر الحلال والحرام - مخطوط، مجلدان، رأيت ثانيهما في الفاتيكان (١١٥٦ عربي). وكان الظاهر الفاطمي قد أمر الدعاة بحض الناس على حفظه، وجعل لمن يحفظه مكافأة؛ وله مختصر طبع؛ وتأويل دعائم الإسلام طبع الاول منه، ويسمى تربية المؤمنين؛ والمجالس والمسايرات مخطوط؛ وأخبار وأحاديث، وافتتاح الدعوة مخطوط لعله الذي سماه ابتداء الدعوة للعبيديين؛ والهمة في آداب اتباع الائمة طبع؛ والاقتصاد، طبع، في فقه الشيعة؛ ومختصر الآثار فيما روي عن الائمة الاطهار، مخطوط متداول الآن بين طائفة البهرة؛ وأساس التأويل الباطن، مخطوط؛ والمناقب والمثالب؛ وردود على بعض الأئمة كالشافعي ومالك وأبي حنيفة؛ وشرح الاخبار في فضائل النبي المختار وآله المصطفين الاخيار، مخطوط؛ والمنتخبة، قصيدة في الفقه. قال الذهبي: كتبه كبار مطولة، وكان وافر الحشمة عظيم الحرمة، في أولاده قضاة وكبراء)[١].

الحديث الثاني عشر: حديث أبي ذر. بلفظ مقارب

ذكره الجاحظ وعنه ابن أبي الحديد فقال: (روى شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب السفيانية عن جلام بن جندل الغفاري، قال: كنت غلاماً لمعاوية على قنسرين والعواصم، في خلافة عثمان، فجئت إليه يوماً اسأله عن حال عملي، إذ سمعت صارخاً على باب داره يقول: أتتكم القطار[٢] بحمل النار، اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له. فازبأرّ[٣] معاوية وتغيَّر لونه وقال: يا جلام أتعرف الصارخ؟ فقلت: اللهم لا. قال: مَن عذيري من جندب بن جنادة [أبي ذر]! يأتينا كلَّ يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت! ثم قال: أدخلوه عليَّ،

---

(١) الأعلام للزركلي، ٨/ ٤١.

(٢) القطار من الإبل: المجموعة منها تأتي متتابعةً يلي بعضها بعضاً.

(٣) ازبَأرَّ: تهيَّأ للغضب والشَّر، ويقال ازبأرَّ الكلبُ: تَنَفَّشَ، وهو ما يفعله الكلب حين يتهيَّأ للهجوم على أحد (انظر: الصحاح للجوهري ولسان العرب لابن منظور).

فجيءَ بأبي ذر بين قوم يقودونه، حتى وقف بين يديه، فقال له معاوية: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله! تأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع! أما إني لو كنت قاتلَ رجلٍ من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك، ولكني أستأذن فيك. قال جلام: وكنت أحب أن أرى أبا ذر، لأنه رجل من قومي، فالتفتُّ إليه فإذا رجل أسمر ضَرِب[1] من الرجال، خفيف العارضين، في ظهره جَنَأ[2].

فأقبل [أبو ذر] على معاوية وقال: ما أنا بعدوٍّ لله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوَّان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول الله صلى الله عليه، ودعا عليك مرات أن لا تشبع، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول: إذا ولي الأُمةَ الأعينُ الواسعُ البلعوم، الذى يأكل ولا يشبع، فلتأخذ الأُمةُ حذرها منه... إلخ)[3]. انتهى المراد.

التعليق:

الحديث ضاع إسناده، والشاهد فيه الكلام الأخير، وقد لا يكون متناقضاً مع ما سبق، من حيث إطلاق التحذير إن لم يقتلوه. وكأنه قال فإن لم تقتلوه فاحذروه، فاقتصر أبو ذر على الأمر الأخير، ثم هذا الحديث خرج من دار معاوية ولن يصل إلينا بتمامه. وقد يتم تشويه أبي ذر وتحريف أقواله، لكنه شاهد من حيث الجملة.

الحديث الثالث عشر: حديث حذيفة - ولم أجد إسناده

وهذا الحديث ذكرته بعض كتب الزيدية بلا إسناد. ثم وجدت الإسناد بعد، ففي مطمح الآمال في إيقاظ جهلة العمال من سيرة الضلال:

والأحاديث المروية فيه معارضة عند أئمتنا عليهم السلام بأحاديث صحيحة كحديث: (إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاضربوا عنقه) عند أئمتنا والحاكم وغيرهم، قال الحاكم: رواه الخدري وجابر وحذيفة، قال الحسن: فلم يفعلوا فأذلَّهم[4].

---

(١) الضرب: الخفيف اللحم.
(٢) جنئ، جنأً إذا أشرف كاهله على ظهره حدباً.
(٣) شرح نهج البلاغة، ٨/ ٢٥٧.
(٤) مطمح الآمال، ١/ ٩٢.

وهو في حقائق المعرفة[1]، مصدر زيدي

قال: روي عن أبي سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله الأنصاري وحذيفة بن اليمان؛ كلُّهم يروون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاضربوا عنقه)؛ قال: فلم يفعلوا فأذلّهم الله.

فتكرر ذكر حذيفة بلا إسناد، ثم وجدت إسناد حديث حذيفة في كتب الإمامية، ثم اكتشفت أن ذلك مصدر الإمامي سنيٌّ ولرجل من شيوخ البخاري:

ففي أصل عباد العصفري: (عباد أبو سعيد العصفري[2]: عن حماد بن عيسى العبسي[3] عن بلال بن يحيى[4]، عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله (ص): إذا

---

(١) حقائق المعرفة، ١/ ١٠٨.

(٢) هذا إمامي من أصحاب الأصول الستة عشر عند الشيعة الإمامية. وإذا نقل الشيعة عن أهل السنة بالأسانيد فغالباً يكونون ثقات في النقل، أما أسانيدهم ففيها كثير من الوضّاعين والمستفيدين، وقد تبين لي أنهم في النقل عنا أصدق منا في النقل عنهم، ووجدت في كتب التراجم الشيعية خبراً عجيباً يكادون يجمعون عليه، وهو أن عباد العصفري هذا ما هو إلا عباد بن يعقوب الرواجني شيخ البخاري، وهو من شيوخ الشيعة وأهل الحديث، ثم تتبعت هذا الخبر فوجدته مشهوراً عند الشيعة في رجال أبي داود ومستدركات رجال الحديث ورجال النجاشي وغيرهم. وتوسع فيه محقق الأصول الستة عشر ضياء الدين المحمودي. وعباد بن يعقوب عندهم عامي المذهب، وبعضهم يعتبره إمامياً يبالغ في التقية، ومن تقيته تأليفه هذا الأصل باسم فيه تدليس (أي إخفاء شخصيته خوفاً على نفسه من الفتك) وهذا مباح، والسلفية اليوم تجد لبعضهم ثلاثة أسماء أو أربعة! وكنت متردداً في تصحيح هذا الأثر لجهالة عباد العصفري، أما الآن وقد ترجح عندنا أنه عباد بن يعقوب شيخ البخاري، فإسناد الحديث لا يقل عن رتبة الحسن.

(٣) في الجرح والتعديل (٣/ ١٤٥): (حماد بن عيسى العبسى الكوفى روى عن بلال ابن يحيى العبسي روى عنه عثمان بن ابى شيبة سمعت أبي يقول ذلك). / وذكره المزي في الرواة عن بلال بن يحيى. وفي تهذيب التهذيب، محقق (٣/ ١٧): (تمييز حماد بن عيسى العبسي. روى عن بلال بن يحيى العبسي، وعنه عباد بن يعقوب الاسدي وعثمان بن أبي شيبة. قلت - ابن حجر-: ذكر عبد الغني بن سعيد الأزدي أن غريق الجحفة يقال له أيضاً العبسي ويقال له أيضاً النحاس ويقال له صاحب الرقيق فكأنهما واحد). قلتُ: كلّا غريق الجعفة جهني.

(٤) وهو ثقة، ففي تهذيب التهذيب، محقق (١/ ٤٤٣) بخ ٤ (البخاري في الأدب المفرد والأربعة): (بلال بن يحيى العبسى الكوفي، روى عن حذيفة بن اليمان وعلي بن أبي طالب وأبي بكر بن حفص وشتير بن شكل؛ وعنه سعد بن أوس الكاتب وحبيب بن سليم العبسي وليث بن أبي سليم وغيرهم. قال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين ليس به بأس. قلت - ابن حجر-: وقال الدوري عن ابن معين روايته عن حذيفة مرسلة وفي كتاب ابن أبي حاتم وجدته يقول بلغني عن حذيفة وقال ابن القطان القابسي، صحح الترمذي حديثه فمعتقده أنه سمع من حذيفة وذكره ابن حبان في الثقات).

رأيتم معاوية بن أبي سفيان على المنبر فاضربوه بالسيف)[1].

التعليق: وهذا السند حسن، رجاله بين الثقة والصدوق، إن صح أن عباد العصفري هو عباد بن يعقوب الرواجني شيخ البخاري، وهو قول جمهور الشيعة الإمامية، وهذا هو الراجح، ولو كان إمامياً لعرفوه ولم يترددوا في ذلك.

الخلاصة العامة في هذا الحديث

إن الحديث على مقاييس أهل الحديث وعند الإنصاف منهم سيكون صحيحاً بلا ريب. فقد روي من اثني عشر طريقاً نصفها حسن بذاته إذا تخلصنا من المذهبية في الجرح والتعديل، أما عند التحكم المذهبي فلو أتيت هؤلاء بأسانيد الدنيا كلها لم يقتنعوا، ولو اقتنعوا لتأولوا ذلك في فضائل معاوية، وأن النبي (ص) إنما أراد أن يموت شهيداً على منبره (ص) في ذلك المكان الطاهر ليكون شفيعه يوم القيامة... إلخ فنحن أصبحنا نعرف أساليبهم ولم نعُدْ نهتم لها.

ومع هذا فمنهجي في التصحيح هو أن يبقى الحديث صحيح الإسناد، دون أن أقطع بصحة المتن، إلا أنني أرجحه واحتج به تحت أصل أن النبي (ص) ترك الأمة على الجادة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما اليقين فهو للأحاديث الكبرى مثل حديث المنزلة والغدير وخيبر وأمثالها من الأحاديث المتواترة التي يصعب على القلب إنكارها إلا أن يُشك في النبوة، ونعوذ بالله من ذلك، ويجب على طلبة العلم أن يفرقوا بين متواتر وصحيح، بين متيقن وراجح، بين قطعي الثبوت وظني الثبوت.

وأخيراً: طرفة صعصعة بن صوحان

قال صعصعة بن صوحان التابعي الجليل في أيام يزيد بن معاوية ـ: (ليت الأرض

---

(١) ولفظ الحديث كاملاً من أصل عباد هو: عباد أبو سعيد، عن حماد بن عيسى العبسي، عن بلال بن يحيى، عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله (ص): إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان على المنبر فاضربوه بالسيف، وإذا رأيت الحكم بن أبي العاص ولو تحت أستار الكعبة فاقتلوه. قال ونفاه رسول الله (ص) إلى الدهلك أرض من أرض الحبشة. قال: فلما ولى أبو بكر كلّموه فيه قال فأبى أن يأذن له. قال فلما ولى عمر كلموه فيه فقال: نفاه رسول الله (ص) وأبو بكر أفآذن له أنا؟ فلم يأذن له، فلما ولى عثمان قال: عمرو شيخ من المسلمين، قال فإذن له وأجازه بمائة ألف درهم من بيت مال المسلمين). وبقية الحديث مشهور عند أهل السنة.

لفظت إلينا معاوية لننظر إليه كيف عذَّبه الله، وينظر إلينا كيف عَذَّبَنا ابنُه).

وأقول: ليت ذلك يكون لسبب آخر! وهو أن ننظر كيف عذَّبه الله، نعم، ولكن لينظر هو إلى الفرق بين عقله وعقول أتباعه!

أنا أظن أنه لو رآهم لظن أن ذريته مازالت حاكمة من يوم وفاته إلى اليوم[1]! أو أنها تحولت إلى علماء ووعاظ على كثير من القنوات الفضائية! ولو أخبرناه أن ذريته خرجت من الحكم عام ٦٤هـ لاتَّهمنا بالجنون وحُقَّ له!

---

(١) يحسن لأتباع معاوية أن يستَعْدُوا على المؤلف أو الكاتب إذا قال مثل هذا الكلام ليصرفوه إلى غير وجهته، ومن هنا وجب البيان، بأنني لا أقصد ما يراه في أهل الحكم، وإنما ما يراه في أهل العلم، سيظن أن ذريته حاكمة إلى اليوم لكثرة ما يرى من آثاره في غلاة السلفية.

ملاحق الكتاب

١. تراجم بعض الرواة

وهذه الملاحق ليست في ترجمة كل الرواة، إنما بعض الرواة الذين تحتاج تراجمهم لتفصيل قد تضيق به الحواشي، فيتضرر القارئ، فهي تراجم بعضها موسع حسب القيمة المركزية للراوي، فلذلك أطلنا في ترجمة علي بن زيد بن جدعان، وتوسطنا في آخرين واختصرنا صنفاً ثالثاً.

والحديث وطرقه وأسانيده والاحتجاج على منكريه يحتاج إلى المزيد من البحث والتوسع، ولكني أخشى إن توسعت فيه أن أهمل غيره من البحوث، لا سيما وأن كثيراً من الناس ممن يعز عليّ عتابهم قد أكثروا في العتب لتأخر صدور الكتب الجديدة.

فلذلك إن حصل تقصير في هذا البحث أو غيره فليعذروني، لأنني متشتت في الأبحاث، ولا أكاد أن أنجز بحثاً إلا جرَّني بعضه إلى بحث آخر، والرجال المترجمون هم:

الراوي الأول: علي بن زيد بن جدعان التيمي من آل أبي مليكة (نحو ٤٠هـ ١٣١ هـ)

نسبه وأسرته وعائلته: هو علي بن زيد بن عبد الله بن زهير[1] (المشهور بأبي مليكة)

(١) قال ابن الكلبي في جمهرة النسب (١ / ١٦): (ومن ولده أي ولد عبد الله بن جدعان سيد قريش ــ، علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة بن عبد الله بن جدعان الفقيه البصري الذي كان يروى عن سعيد بن المسيب، وعبد الله عبيد الله بن عبد الله بنِ أبي مليكة، كان يروى عن ابن عباس عليه السلام، والمهاجر بن قنفذ بن عمير بن جدعان، ولي شُرَط عثمان بن عفان). وقال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب (١ / ١٣٦): (ومن ولد عبد الله بن جدعان: عبد الله ابن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة واسمه زهير بن عبد الله بن جدعان، محدث ثقة، وابن أخيه عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبيد

ابن عبد الله بن جدعان (وعبد الله بن جدعان سيد بني تيم في الجاهلية).

فجده هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، وكان عقيماً فتبنى زهير أبا مليكة، فاستولى على المال والذرية فأصبح يقال (آل أبي مليكة)[1]، ومات قبل البعثة بنحو ١٥ عاماً، وكان في داره حلف الفضول الذي قال فيه النبي (ص): لو دعيت لمثله لأجبت. وكان في نصرة المظلوم، وقد نسب علي بن زيد إلى جده الرابع (جدعان) لشهرته وسيادته وغرابة الاسم، وعائلة آل جدعان هم رهطه الأدنون.

وأما رهطه الأبعدون فهم تيم كلها، ومن أشهر بني تيم أبو بكر بن أبي قحافة الخليفة

الله، محدث ضعيف؛ وابنه أبو غرازة محمد بن عبد الرحمن، محدث أيضاً. أمه جبرة الخزاعية؛ وابن عمه علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة، بصري، ضعيف). وهذا الأخير هو ابن جدعان. وأبو مليكة من الطلقاء، ففي الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢ / ٦٧): (أبو مليكة القرشي التيمي. اسمه زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة جد ابن أبي مليكة المحدث له صحبة. يعدُّ في أهل الحجاز. من حديثه ما ذكره عمرو بن علي، عن أبي عاصم، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن أبيه، عن جده، عن أبي بكر الصديق، أن رجلاً عضَّ يد رجل فسقطت سنه فأبطلها أبو بكر الصديق). وهذه الأسرة تيمية مختصة بآل ابي بكر ثم آل الزبير (وآل الزبير أنفسهم مختصون بآل أبي بكر من جهة عائشة أم المؤمنين فهي التي تربى عندها عبد الله بن الزبير وتأثر بها ثم عروة أيضاً وهو راوية عائشة) فهذه الأسرة تيمية زبيرية، بعد أن كان الزبير بن العوام نفسه هاشمي الهوى لجهة أمه صفية بنت عبد المطلب، وكان مع علي يوم السقيفة ثم حرفه ابنه عبد الله إلى بني تيم وقاده وقاد خالته عائشة إلى حرب الجمل، ومن هذه الأسرة قنفذ بن عمير بن جدعان التيمي، كان من فجار قريش الكبار (ذكره أبو طالب في قصيدته) وهو من الطلقاء، وكان ضارب فاطمة عند الشيعة، ولاّه أبو بكر على جدة. ذكر ابن عبد البر أن عمر ولاّه مكة ثم عزله بنافع بن عبد الحارث الخزاعي مولى ابن أبزى. وابنه المهاجر له صحبة وهو راوي حديث في ذم معاوية، وذكر البلاذري أن عمر حده مع امرأته في شراب. ومن مواليهم صهيب بن سنان الصحابي المشهور، اشتراه عبد الله بن جدعان، وكان رضي الله عنه ورحمه موالياً لهذا البيت، والذي أدركه في الطريق إلى الهجرة كان شيطان قريش قنفذ بن عمير المذكور في قصيدة أبي طالب (ذكر ذلك ابن عساكر في ترجمة صهيب).

(١) أنساب الأشراف (٣ / ٣٤٣): قالوا: وكان ابن جدعان عقيماً فادعى بنوة رجل فسماه زهيراً، وكناه أبا مليكة فولده كلهم ينسبون إلى أبي مليكة، ويقال أبو مليكة بن عبد الله بن جدعان، فمن ولد أبي مليكة عبيد الله (وعبد الله) ابني أبي مليكة (كذا والصواب: ابنا أبي مليكة). وقد ذكر البلاذري وغيره أخباراً أخرى في عقم عبد الله بن جدعان، ومنها أنه خلف على امرأة هوذة بن علي الحنفي فلم تلد له، وتزوجها هشام بن المغيرة والد أبي جهل فولدت له سلمة بن هشام المستضعف الذي كان النبي (ص) يدعو له مع جماعة في القنوت.

وطلحة بن عبيد الله (كان أبو قحافة والد أبي بكر موظفاً عند عبد الله بن جدعان ينادي على طعامه ويطرد الذبَّان عن مائدته بأجياد بمكة، وكان عبد الله بن جدعان سيداً جواداً منحه كسرى طباخين مهرة يجيدون طبخ الفالوذج! في قصة ذكرها البلاذري).

وابن عبد الله بن جدعان (بالتبني): هو زهير المكنى بأبي مليكة، وهو جد آل أبي مليكة بفرعيه، وإليه انتهى نسب آل جدعان، لأنه الابن الوحيد بالتبني لعبد الله بن جدعان[١].

ولزهير المكنى بأبي مليكة ابنان: عبد الله وعبيد الله[٢].

وأشهر ولد عبيد الله: هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة صاحب ابن الزبير.

وأشهر ولد عبد الله: هو علي بن زيد بن جدعان.

ووالد علي بن زيد: هو زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان، وله ذكر أيضاً، فقد كان مع أولاد زياد بن أبيه بخراسان[٣].

---

(١) وهذا سبب كون ذرية عبد الله بن جدعان لم تكن في الصدارة ولم يطالب أحد منهم بالخلافة، وإنما اكتفوا بالوقوف خلف كل من يطلب الخلافة من بني تيم فوقفوا مع أبي بكر (قنفذ بن عمير بن جدعان) ومع ابن الزبير (عبد الله بن أبي ملكية الجدعاني)، والسبب أنه لا ذرية أصلاً لعبد الله بن جدعان، وإنما تبنى رجلاً اسمه زهير لا يعرف من أي العرب هو؟ ولو أراد أحد الجدعانيين طلب الخلافة لعُيّر بنسبه، فانتقلت سيادة بني تيم بعد وفاة عبد الله بن جدعان إلى بيت أبي بكر الصديق، ثم استطاع ابن الزبير لقربه من بيت أبي بكر (أمه أسماء وخالته عائشة) أن يجلب بني تيم إلى نصرته في الخلافة، فتولاها تسع سنين بمكة، وكان آل جدعان من أنصاره وأشهرهم عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة توفي ١١٧ هـ.

(٢) وعبيد الله هذا من أصحاب عمر، وفي أنساب الأشراف (٣ / ٣٤٣): (أما عبيد الله بن أبي مليكة فأقامه عمر بن الخطاب مقيماً للحدود بمكة). قلتُ: وهو الذي أمره عمر بجلد الأسود بن عوف أخي عبد الرحمن بن عوف في الخمر ففي أنساب الأشراف(٣ / ٣٠٣): (وقال غير الواقدي: أمر (عمر) عبيد الله بن أبي مليكة بن عبد الله بن جدعان فجلده الحد، وكان الأسود مع عائشة يوم الجمل، فقتله جندب بن زهير الأزدي). وولد عبيد الله هذا أعني صاحب عمر عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة هو صاحب ابن الزبير، وقد ينسب إلى جده فيقال (عبد الله بن أبي مليكة) ولهذا يحدث أحياناً بعض الخلط.

(٣) أنساب الأشراف (٣ / ٣٤٣): (وأما عبد الله فمن ولده زيد بن عبد الله بن أبي مليكة، وكان زيد مع بعض ولد زياد بن أبي سفيان بسجستان، فقتله الترك، وكان ابنه علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة الذي يقال له: علي بن زيد بن جدعان محدثاً، روى عن سعيد بن المسيب وغيره، ومات في أرض بني ضبة بالطاعون ولا عقب له).

هل يغلب على هذه العائلة الخير أم الشر؟:

يظهر أن هذه العائلة (من بيت جدعان خاصة) بعد وفاة سيدها عبد الله بن جدعان كانت عائلة شريرة أو يغلب عليها الشر، فقد ذم منها أبو طالب بعض أعلامها في قصيدته اللامية المشهورة، ومن ذلك البيت شيطان قريش قنفذ بن عمير بن جدعان (ذكره أبو طالب في قصيدته وكان له أثر سيء في محاربة النبي (ص) وهو الذي أدرك صهيب بن سنان عام الهجرة، ثم كان له موقف سلبي من بني هاشم وقيل أنه الذي ضرب فاطمة) وقتل عليٌّ أحدَهم يوم بدر.

خروج علي بن زيد عن طبائع العائلة: علي بن زيد بن جدعان خالف العائلة، فقد اعتدل وصاحب أفاضل الناس وأخذ العلم عنهم وروى بعض الأخبار الصحيحة المشهورة يومئذ[1] في ذم بعض بني أمية كمعاوية فلم يحتمل له أهل الحديث ولا النواصب هذا التحول!

إذن ليس والده بالمشهور لأنه كان شبه الأمير مع أولاد زياد، وأما جده عبد الله بن أبي مليكة فلم أجد له ذكراً، وهو شبه المجهول.

وكذلك علي بن زيد بن جدعان نفسه لا عقب له.

وله أخ اسمه محمد بن زيد له عقب بالبصرة.

كنيته وبلده: كنية علي بن زيد بن جدعان أبو الحسن، وهو بصري البلد، وأصله من مكة، فلعله أول من سكن البصرة، ولعل بعض آل أبي مليكة قدموا مع مصعب بن الزبير إلى العراق (البصرة) وبقي بعضهم في نصرة أخيه عبد الله بمكة، فكان من آل أبي مليكة البصريين علي بن زيد هذا.

وهذه العائلة التيمية بالتبني، سكنت مكة وبقيت فيها وكان منها الطلقاء وأبناؤهم، ويظهر أن تأخر إسلامهم كان خشية من مخالفة قومهم قريش، فقد يعيرونهم بنسبهم لو أسلموا مبكراً، ولذلك وجدنا هذه العقدة عقدة النقص تدفعهم للمبالغة في نصرة قريش، ولو أنهم أبناء عبد الله بن جدعان صليبةً لبقوا من أسياد قريش وكان لهم رأي،

---

(١) وكم من خبر صحيح تم تضعيفه فيما بعد للعصبية والهوى، وكم من خبر كان معروفاً بالكذب تم تصحيحه لاحقاً للسبب نفسه.

ولكنهم أبناؤه بالتبني فلم ينهضوا في قريش، وبقوا في الظل التيمي وما قاربه، وانتقل بعضهم للمدينة وبعضهم للبصرة، وعائلة علي بن زيد لعلها سكنت البصرة مبكراً فقد غزا والده مع أولاد زياد بن أبيه وقتل بخراسان.

فضل علي بن زيد وعلمه وعبادته

لم أعثر على تاريخ ولادته، لكن يظهر أنه (بين ٤٠هـ و٥٠هـ) على ما يظهر من أخباره، وكان علي بن زيد حافظاً للقرآن، عابداً، مكرماً من كبار علماء عصره كالحسن البصري وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين والزهري وقتادة وأمثالهم، فهو كما قال عنه حماد بن سلمة (إنما يجالسه الأشراف)، وربما هذا لقرشيته ولاعتداله رغم تيمية النسب وزبيرية الهوى وبصرية الموطن، فآل جدعان التيميون كانوا أنصاراً لدولة ابن الزبير، والبصرة عثمانية، ومع ذلك خرج علي بن زيد معتدلاً رغم أوهامه في الحديث، فلم يحتملوا له الخروج عن النصب الآتي من ثلاثة أطراف التيمية والبصرية والزبيرية.

بالإضافة إلى أنه واجه الاضطهاد الأموي كشيخه الحسن البصري، فسجنه الحكم بن أيوب الثقفي والي البصرة للحجاج[1]، فلذلك صعب على أهل الحديث أن يقبلوه كله! فاتهموه بالتشيع! مثلما اتهموا من لم يسبَّ علياً بالتشيع، ولعله ثم الضعف في الحديث على هذا الأساس الفاسد، مع أنه ليس كل أهل الحديث ولا كل النواصب يضعفونه، ففي النواصب من يقويه ويأخذ بأحاديثه وخاصة الناصبية منها، فعلي بن زيد بن جدعان بقيت فيه بقايا نصب نلحظها في بعض الأحاديث التي نصرها ابن تيمية وفرح بها لإخراج خلافة علي من خلافة النبوة.

كان فقيه البصرة الثاني بعد الحسن البصري، إذ أمروه أن يجلس مكانه بعد وفاته

---

(١) وقام الحسن البصري بشفاعة في إطلاق سراحه فنجح في ذلك، ففي أنساب الأشراف للبلاذري (٣ / ٣): (المدائني عن سعيد بن عبد الرحمن عن مالك بن دينار قال: حبس الحكم بن أيوب الثقفي علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة بن عبد الله بن جدعان التيمي، والحسن يومئذ مستخف ونحن معه مستخفون فأتاه الحسن ليلاً وأتيناه فأجلسه معه على السرير، فما كنا عنده ليلتنا إلا مثل الفراريج... فذكر وساطة الحسن البصري في إطلاقه ووعظه الحكم بن أيوب وفيه... قال الحكم: وأنا أقول: لا تثريب عليكم، لو لم أجد إلا ثوبي هذا لسترتكم به، وأطلق علياً). والحكم بن أيوب هذا هو نائب الحجاج على البصرة، ومعنى هذا أن علي بن زيد سجن نحو عام ٧٥هـ، والجبابرة قد يتَّعظون أحياناً.

(كاشف الذهبي)، وكان الحسن البصري قد اختفى عنده في بعض فترات هروبه من الحجاج (علل أحمد)، وله مكانة كبيرة عند أهل العلم في زمنه، لكن مكانته بدأت تقل بعد تشكل الفريق المذهبي أيام سفيان بن عيينة، وكان لسفيان الدور الأكبر في التزهيد فيه، وهو حافظ ولذلك ترجمه الذهبي في تذكرة الحفاظ.

وقد وثقه الحسن البصري وحماد بن سلمة وكان يحدث عنه شعبة وأمثاله من الكبار (وشعبة لا يحدث إلا عن ثقة عنده) إلا أنه يرى أن علي بن زيد يرفع بعض الأحاديث الموقوفة، وقد ذكر حماد بن سلمة أنه لم يكن يجالسه إلا الأشراف ووجوه الناس، ووثقه من المتأخرين الترمذي والعجلي ويعقوب بن شيبة، وعباراتهم في توثيقه خفيفة (صدوق، لا بأس به)، ونحو ذلك.

وضعفه جماعة منهم: وهيب بن خالد (ورد عليه حماد بن سلمة) والقطان (وكان فيه نصب) وسفيان بن عيينة رغم أنه يروي عنه لكنه زهد فيه (وكان في سفيان بن عيينة ما فيه من نصب وغلو)، وابن سعد في الطبقات (وهو عثماني كأهل البصرة) وابن معين وأحمد وأبو حاتم وتضعيفهم له غير شديد. وكلهم عثمانية من إنتاج فترة الرشيد، مما يدل على شيء من الحرج أو الاعتراف بالتضعيف المذهبي، وأنكر ما أنكروا عليه هو هذا الحديث لاصطباغ أهل الحديث بصبغة الجرح المذهبي من أيام القطان، وأما المتقدمون فلم يكن يضعفه إلا وهيب وقد رد عليه حماد بن سلمة.

أما مَن ضعفه بعبارات شديدة فهم النواصب كيزيد بن زريع والجوزجاني[1].

ومن رؤية تضعيف سفيان بن عيينة وتلميذه أحمد بن حنبل لعلي بن زيد ومجموعة

---

(١) وهذه أقوال أهل الحديث: هو علي بن زيد بن جدعان بن عبد الله بن أبي مليكة التيميَ القرشي البصري، قال ابن سعد: (فيه ضعف ولا يحتج به)، وقال أحمد: (ليس بالقوي وقد روى عنه الناس)، وضعَّفه أيضاً يحيى بن معين وأبو زرعة والنسائي وابن خزيمة وأبو حاتم والجوزجاني والعجلي وابن عدي وحماد بن زيد وشعبة ويحيى بن سعيد القطان وسفيان بن عيينة ووهيب بن خالد وابن حبان، أما الموثقون له فلا يقلون أهمية وعلماً وفقهاً فقد وثقه الحسن البصري ويعقوب بن شيبة والترمذي والعجلي في رواية وتوقف فيه الدارقطني وشعبة في رواية وكأنه يرى أن ضعف علي بن زيد جاء من اختلاطه وقد روى عنه هذا الحديث حفاظ يدركون تجنب اختلاطه، وقد وثقه أيضاً حماد بن سلمة وكان بعض أجلة التابعين يكرمه كسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين، وروى عنه كثير من العلماء الكبار من أهل البصرة وغيرهم وكان من فقهاء البصرة الكبار وأمروه بالجلوس مجلس الحسن البصري بعد وفاته، وروى له مسلم مقروناً وأصحاب السنن

كابن عقيل وجعفر الصادق وعاصم بن عبيد الله.. إلخ[1] معه يدل على الفرز المذهبي في الجرح والتعديل، فقد انتقى المتشيعين من أهل البصرة وأبقى على توثيق النواصب منهم. وهذا الفرز بدأ من عهد معاوية بالعزل القسري للرأي الآخر، وتكرس في عهد المنصور والرشيد في أوائل الجرح والتعديل باستثناء قلة من الكبار كشعبة، ثم استقر تماماً في عهد المتوكل، وهؤلاء الحكام نواصب والثقافة الناتجة عنهم ستكون ناصبية سواء في الجرح أو التعديل أو انتقاء الحديث أو هجر الثقلين... إلخ.

والخلاصة: من واقع ترجمة علي بن زيد بن جدعان نرى أن الرجل فقيه عابد صدوق، وأسوأ أحواله عند التنزُّل أن يكون ضعيفاً ضعفاً غير شديد وليس متهماً بالكذب، بمعنى أنه على من يرى هذا الرأي قد اختلط ويرفع أشياء موقوفة ويتصرف في الألفاظ كثيراً ويتشيع ونحو هذا مما يدل على أن ضعفه غير شديد، بل حتى عبارات المضعفين له تدل على هذا، مثل (ليس بالقوي، يكتب حديثه وليس بالقوي، قد روى عنه الناس، ليس بذاك القوي، لا أحتج به لسوء حفظه، مع ضعفه يكتب حديثه...)؛ فعباراتهم تدل على ضعف غير شديد لا سيما مع وجود أقوال الموثقين ومثل هذا تقبل روايته في المتابعات والشواهد لا في الأصول، وقد مال لتحسين حديثه بعد بحث الدكتور الشريف حاتم العوني في رسالته عن المرسل الخفي (١/ ٣٢٢)، وأرى أن تهمة الاختلاط ونحوه هي حيلة لتضعيف هذا الحديث فقط! فإنه أنكر ما روى! استعظاماً منهم لهذا الحديث وهو استعظام سياسي ومذهبي لا علمي، ثم لولا أن حديثه هذا جاء من طرق أخرى قوية ولولا الواقع التاريخي الشاهد على سوء الرجل (معاوية)، لما قبلت إسناد علي بن زيد لهذا الاختلاف، مع أن علي بن زيد مظلوم على ما يترجح عندي لأنه كان من دعاة الإمام زيد بن علي، إضافة إلى أن النواصب يقبلونه منفرداً خاصة إذا روى شيئاً فيه انتقاص من خلافة علي بن أبي طالب! لكنهم لا يقبلونه في متابعات المتابعات إذا روى في ذم معاوية! كما هو الحال هنا؛ مع أن الحديث يمكن

---

(١) موسوعة أقوال الإمام أحمد (٦ / ٩٠) وقال أبو داود: (سمعت أحمد، قال: علي بن زيد، وجعفر بن محمد، وعاصم بن عُبيد الله، وعبد الله بن محمد بن عقيل، ما أقربهم من السواء نتقادُ بهم). (سؤالاته)! وهذا الوضوح في الجرح المذهبي ظاهر في وجود جعفر الصادق نفسه، وهذا من دلائل استقرار الافتراق بين أهل الحديث والشيعة، ولا ريب في أن الانحراف إنما يكون من القوي المقرب من السلطة وفكرها ضد الضعيف، والظلم يصدر من، القوي أيضاً، وهذا ملاحظ إلى اليوم.

تحسينه من غير طريقه أصلاً!. ومادة علي بن زيد بن جدعان التيمي البصري كبيرة جداً تحتاج إلى كتاب مفرد، لسبر أحاديثه ومروياته وسيرته وعصره... إلخ. ولو تمت هذه الدراسة لكانت إضافة مميزة لفترة مهمة ومفصلية من تاريخ المسلمين الثقافي (وهي الفترة المروانية التي امتدت من عام ٦٥ هـ إلى ١٣٢هـ).

الراوي الثاني: أبو الوداك جبر بن نوف الهمداني

في تقريب التهذيب: (جبر بن نوف الهمداني بسكون الميم البكالي بكسر الموحدة كوفي صدوق يهم من الرابعة م د ت س ق)[١].

وفي تهذيب التهذيب: (م د ت في ق مسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة: جبر بن نوف الهمداني البكالي أبو الوداك الكوفي روى عن أبي سعيد الخدري وشريح القاضي وعنه مجالد وقيس بن وهب وأبو إسحاق ويونس بن أبي إسحاق وعلي بن أبي طلحة وإسماعيل بن أبي خالد وأبو التياح.

قال بن معين ثقة وقال النسائي صالح قلت أخرج النسائي حديثه في السنن الكبرى في الحدود وغيرها ولم يرقم له المزي وقال البخاري في تاريخه قال يحيى القطان هو أحب إلي من عطية وقال ابن سعد كان قليل الحديث وقال بن أبي خيثمة قيل لابن معين عطية مثل أبي الوداك قال لا قيل فمثل أبي هارون قال أبو الوداك ثقة ما له ولأبي هارون وقال أبو حاتم وأبو الوداك أحب إلي من شهر بن حوشب وبشر بن حرب وأبي هارون وقال النسائي في الجرح والتعديل ليس بالقوي وذكره بن حبان في الثقات)[٢].

ذكره ابن حبان وقال: (أبو الوداك جبر بن نوف البكالي من أهل الصدق والاتقان)[٣].

الراوي الثالث: مجالد بن سعيد الهمداني (ت ١٤٤هـ):

هو مجالد بن سعيد بن عمير ذي مران الهمداني الكوفي، روى عن الشعبي فأكثر وهما من نواصب الكوفة وسلاطينها وروى أيضاً عن قيس بن أبي حازم وهو ناصبي وأبي الوداك وزياد بن علاقة وهو ناصبي وإسماعيل بن أبي خالد (وهو من أقرانه على

---

(١) تقريب التهذيب، ١/ ١٣٧.

(٢) تهذيب التهذيب، ٢/ ٥٢.

(٣) مشاهير علماء الأمصار، ١/ ١٥٠.

نصب فيه أيضاً) وغيرهم. وعنه شعبة والسفيانان وابن المبارك وهشيم بن بشير وحفص بن غياث وغيرهم من الكبار! وقد روى له الإمام مسلم وأصحاب السنن الأربع.

وقد ضعفه يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي والنسائي في رواية وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبو حاتم وقال ابن عدي: (عامة ما يرويه غير محفوظ)، وضعفه أيضاً ابن سعد والترمذي والعقيلي وابن حبان والدارقطني والذهبي وابن حجر وقوى أمره النسائي في رواية أخرى والبخاري والعجلي ويعقوب بن سفيان فمثل هذا سيكون ضعفه غير شديد لو نظرنا للأقوال فيه، لكن عند التحقيق في أمره وبعد سبر مروياته وما انفرد به تبين لي أنه ضعيف جداً وأتحرج من أن أقول أكبر من هذا مع أنه قد اتُّهم بالكذب أيضاً.

واتهامي لمجالد بالكذب ليس من هذا الباب، أعني ليس من روايته الأحاديث المشهورة التي يتابعه عليها غيره، ولها شواهدها وحواضنها وقرائنها، وإنما اتهمه بالكذب لأحاديث وروايات منكرة انفرد بها، ثم إن هواه الناصبي لا مكان له في إنصافه القليل لأهل البيت الذي يتابعه عليه غيره، وإنما نجده في الثناء على بني أمية الذي لا يوافقه عليه غيره، كحديث علي (لا تكرهوا إمارة معاوية فإنكم لو فقدتموه لرأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها)! فهذا افتراه مجالد بإسناد إلى علي، وهو حديث منكر، وكأن الرؤوس لم تندر في عهد معاوية وبسبب بغيه وخروجه؟ وكأنها لم تندر في خلافته في قصة حجر بن عدي وإبادة زياد لشيعة الإمام علي في العراق؟ وكأن أحد ولاته (سمرة بن جندب) لم يقتل الآلاف في البصرة؟! إنَّ قطْع الرؤوس في عهد معاوية أكثر وأبلغ وأفظع مما حصل في عهد ابنه يزيد بل وفي عهد مروان وعبد الملك وسائر بني أمية. فهذا الأثر الذي رواه مجالد وأمثاله عن علي في الثناء على معاوية بما يعلم الجميع أنه ليس فيه! هو نموذج من أكاذيب مجالد. فنحن نكذبه فيما ينفرد به في الثناء على بني أمية بما ليس فيهم، وليس روايته لما صح في ذم بني أمية واشتهر عن غيره، إذن فالحكم عليه بأنه ضعيف جداً أو كذاب فهذا قلته قديماً في (نقد تقريب التهذيب) لكن الكاذب لا يستطيع أن يكذب في كل شيء، وإلا لو فعل ذلك لما روى عنه أحد، فقد يصدق الكاذب وخاصة إذا روى في ما يخالف هواه فإنه لا يرويه إلا لسبب، إما أنه لا يجد بداً من روايته لشهرته، أو لأنهم سألوه عنه فأقره، أو لأنه رواه

لأجل الطعن في أبي الوداك فأخذوا روايته وتركوا رأيه في أبي الوداك أو نحو هذا. إذن فهناك أسباب كثيرة تجعل الناصبي يروي في ذم من يحب أو فضل من يكره، وقد لا يقصد هذا ولا هذا، ولكن الرواية تسير، ويبقى هنالك رأيه ومقصده وسبب تحديثه.

وقد يرد البعض بأن أهل الحديث لم يتهموه بالنصب، ونحن لا نعول على أهل الحديث في الاتهام بالنصب أو التشيع، وإنما على دراسة الشخص ومروياته، فأهل الحديث لا يصفون بعض من لعنوا علياً بالنصب، ولو كان لعنهم ثابتاً كمروان بن الحكم ومعاوية؛ كما أنهم يتوسعون في وصم كثير من أهل السنة بالتشيع ظلماً، بل اتهموا بعض الصحابة بذلك كأبي الطفيل وغيره. وأهلُ الحديث لهم جهود مشكورة، لكن الواقع السياسي المنحرف عن أهل البيت في الدولتين الأموية والعباسية جعلهم يستجيبون لهذا الواقع، وليس أدل على ذلك من تجنبهم الرواية عن أهل البيت إلا في القليل النادر الذي نِصْفه لا يثبت عنهم ويكون هذا النصف ضد منهجهم، فأهل البيت والدولتان كانا على تضاد حاد، كما أن أهل البيت وأهل الحديث كانوا على تضاد ما، يعرف ذلك في أمور كثيرة جداً، منها ما سبق ومنها حضور الاهتمام بتضعيف كل شيعي إن أمكن، وحضور الاهتمام المضاد بالاحتفاء بكل ناصبي إلا ما ندر، وعلى هذا لا يصلح أهل الحديث حكماً إذا كان فيهم بعض خصومة وانحراف في الجملة، كما أن في أهل الحديث متشيعة ولكنهم قلة وغير مؤثرين في الجرح والتعديل ومسيرة الحديث، فالغلبة هي للإنتاج السياسي.

ورغم قناعتي بضعفه واتصاله بالسلطان ونَصبه إلا أن هناك من وثقه وقواه، كالنسائي في قولٍ ويحيى بن معين في قولٍ والبخاري في قولٍ. والعجلي، وابن عدي في الجملة... إلخ، وفي كتاب ذكر من اختلف العلماء ونقاد الحديث فيه[1]: (قال أبو حفص مؤلف الكتاب ـــ: وهذا الخلاف في أمر مجالد يوجب التوقف فيه وهو إلى التعديل أقرب لأن الذي ضعفه اختاره والذي ذمه مدحه لأن يحيى ابن سعيد ضعفه في رفع الحديث ثم اختاره على حجاج وليث ووثقه يحيى ابن معين بعدما ضعفه والله أعلم.

---

(١) ذكر من اختلف العلماء ونقاد الحديث فيه، ١/ ٩٣.

إذن فالخلاصة:

إن مجالد بن سعيد غير مؤتمن على أهل البيت، لكن أحاديثه في ذم بني أمية تكون أقوى لنصبه ولوقوعها تحت أصل صحيح. وحديثه هنا متابعة لحديث رُوي بأسانيد قوية، فيُقبل في المتابعات والشواهد دون الأصول.

الراوي الرابع: أبو بشر المروزي شيخ ابن حبان، في متابعة لحديث أبي سعيد:

وأبو بشر المروزي هذا هو أحمد بن محمد بن مصعب بن بشر بن فضالة بن عبد الله بن راشد بن موان (مروان) أبو بشر الفقيه من أهل مر هكذا نسبه ابن حبان وهو شافعي المذهب[1].

وللاستزادة فقد توسع في ترجمته ابن حبان في المجروحين[2] (وهو مصدرُ معظمِ مَن جاء بعده) والخطيب[3] والأصبهاني في أخبار أصبهان[4]، وغيرهم.

وذكر ابن حبان في ترجمته أحاديث كثيرة لكنها مشهورة غير منكرة، وكأن ابن حبان ينكر عليه في أسانيدها لا متونها، من حيث دعاوى السماع وتركيب الأسانيد، والرجل كان صلباً في السنة والرد على مخالفيها، فهو عندهم قدوة في السنة في الأقل، وأما في الحديث فهو من حيث الحفظ إمام، ولكنهم أخذوا جرح ابن حبان في حديثه، وهو أول وأبلغ من طعن فيه.

ثم الدارقطني الذي قال: (أحمد بن محمد بن مصعب بن بشر، أبو بشر المروزي الفقيه، كان مجودًا في السنة، وفي الرد على أهل البدع، وكان حافظًا عذب اللسان، ولكنه كان يضع الأحاديث، عن أبيه، عن جده، وعن غيرهم، متروك يكذب)[5]. وهذا رأي ابن حبان نفسه، كأن الدراقطني نقله منه، إضافة إلى أني لا أستبعد أن يكون هذا الفقيه السني الحافظ من ضحايا رواية مثالب معاوية، يدل على ذلك قول الدارقطني

---

(١) كما في روضة العقلاء لابن حبان، ١٠٦.

(٢) كتاب المجروحين لابن حبان، ١/ ١٥٦ ١٦٣.

(٣) في تاريخ بغداد، ٥/ ٧٣.

(٤) أخبار أصبهان، ١/ ١٣٠ ١٣١.

(٥) موسوعة أقوال الدارقطني، ٥/ ٣٥٩.

(عن أبيه عن جده)، فرواية هذا الحديث رواه من هذا الطريق).

وقد ترجم له أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) في تاريخ أصبهان ولم يصفه إلا برواية غرائب، ولم يأخذ أقوال ابن حبان والدارقطني فكأنه يعرف أن في الأمر مبالغة.

ثم ترجم له الخطيب ووصفه بالفهم والمعرفة وأخذ عليه ما أخذه ابن حبان فقال: (وكان أبو بشر من أهل المعرفة والفهم غير أنه لم يكن ثقة وله من النسخ الموضوعة شيء كثير)[(١)].

وأورده الذهبي في طبقات الحفاظ وقال فيه: (الحافظ الأوحد أبو بشر أحمد بن محمد بن مصعب بن بشر بن فضالة المروزي الفقيه، حدث عن محمود بن آدم وسعيد بن مسعود والطبقة ثم زعم أنه سمع من علي بن خشرم فأنكروا عليه، قال الدارقطني: كان حافظاً مجرداً في السنة والرد على المبتدعة لكنه يضع الحديث، وقال ابن حبان: يضع المتون ويقلب الأسانيد لعله قلب على الثقات أكثر من عشرة آلاف حديث ثم ادَّعى شيوخاً لم يرَهم مات في ذي القعدة سنة ثلاث عشرين وثلاثمائة)[(٢)].

قلت حديثه في معاوية ليس من تلك الأحاديث التي وضعها فالحديث صحت أسانيده من غير طريقه، بل لا أرى أنه يضع الحديث وإنما علته في دعاوى السماع وتركيب الأسانيد، هذا إن صح كلام ابن حبان فيه فإنه هو المصدر الوحيد في هذه الأقوال، وعنه أخذ مَن بعده، والوفاة المبكرة لأبي بشر تجعل الناس عالة على جرح ابن حبان، وإذا رأيت ابن حبان يشن هجوماً حاداً على أحد الرواة فشكّ! فقد يكون لهذا الهجوم أسباب غير علمية، وعائلة أبي بشر عائلة علمية مشهورة في الفقه والحديث بمرو.

الراوي الخامس: نصر بن مزاحم (من رواة حديث ابن مسعود والحسن وغيرهم)

هو أبو الحسين، ويقال أبو الفضل، نصر بن مزاحم بن سيار العطار الكوفي المنقري من بني تميم، سكن بغداد، وله كتاب (صفين - مطبوع) قدم له هارون مقدمة مفيدة،

---

(١) تاريخ بغداد، ٥/ ٧٣.

(٢) طبقات الحفاظ، ١/ ٦٦.

وفيها توثيق نصر، وقد أكثر عنه يحيى بن سليمان الجعفي شيخ البخاري في كتابه (كتاب صفين) وهو مفقود، ونقل ابن عساكر كثيراً من أحاديث الجعفي عنه، وعن نصر أيضاً، كما أكثرَ عنه الأصفهانيُّ في مقاتل الطالبيين ثم الأغاني، والطبريُّ في تاريخه، وله رواية متوسطة في كتب تراجم الصحابة، وابنُ أبي الحديد في شرح النهج، وصاحبُ تاريخ حلب وغيرُهم؛ ونقل عنه الذهبي في تاريخ الإسلام رواية وسكت عنها[1]، وكذا ابن كثير روى له رواية أخرى وسكت عنها. وابنه الحسين محدث ومؤرخ أيضاً. وابنه الآخر: مزاحم بن نصر بن مزاحم (يروي عن هلقام بن جميع).

وفي عائلته إخباريون. منهم عبد الله بن يسار بن مزاحم.

ومن كلام عبد السلام هارون في مقدمته لكتاب وقعة صفين: (نصر بن مزاحم: هو أبو الفضل نصر بن مزاحم بن سيار المنقرى. ونسبته إلى بني منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. وهو مؤرخ عربي، شيعي يغلو في مذهبه، كما يذكر المؤرخون، وهو كوفى النشأة ولكنه سكن بغداد وحدث بها عن سفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، وحبيب ابن حسان، وعبد العزيز بن سياه، ويزيد بن إبراهيم التستري، وأبى الجارود زياد بن المنذر، وروى عنه ابنه (الحسين بن نصر)، ونوح بن حبيب القومسي، وأبو الصلت الهروي، وأبو سعيد الأشج، وعلى بن المنذر الطريقي، وجماعة من الكوفيين.

ولسكناه بغداد أورد له الخطيب البغدادي ترجمة في تاريخه.

ولم تذكر لنا التواريخ مولده، ولكن عده في طبقة أبى مخنف يحملنا على القول بأنه كان من المعمرين، إذ أن أبا مخنف لوط بن يحيى توفى قبل سنة ١٧٠ كما ذكر ابن حجر في لسان الميزان، وذلك يرجح أن ولادة نصر كانت قريبة من سنة ١٢٠ هـ، ويذكر المترجمون له أنه كان عطاراً يبيع العطور، ولعل ذلك مما أسبغ على تأليفه ذلك الذوق الحسن الذى يلمع في أثناء كتابه، ولعل ذلك أيضاً مما أكسبه هذه الروح البارعة في التأليف، إذ أنه يسوق مقدمات حرب صفين في حذق، ثم هو يصور لنا الحرب

---

(١) وترجمَ له في تاريخ الإسلام (ج ٤ / ص ١٦٧) فقال: (نصر بن مزاحم المنقري الكوفي. سكن بغداد، وروى عن: شعبة، والثوري، ويزيد بن إبراهيم، وغيرهم، وعنه: نوح بن حبيب، وأبو سعيد الأشج، وعلي بن المنذر، وغيرهم).

وهي دائرة الرحى في دقة تصوير وحسن استيعاب، ويروى لنا أحاديث القوم وخطبهم وأشعارهم، على ما في ذلك الشعر من صناعة الرواة أو تلفيق أصحاب الأخبار، ولكنه في ذلك كله يكاد لا يخطئه التوفيق في مراعاة الانسجام، واستواء التصوير، واتساق العرض.

والمؤرخون يختلفون في توثيق نصر، شأنهم في كل راو من الشيعة، فبينا يذكره ابن حبان في الثقات، ويقول ابن أبى الحديد الشيعي في شأنه: (ونحن نذكر ما أورده نصر بن مزاحم في كتاب صفين في هذا المعنى، فهو ثقة ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى ولا إدغال، وهو من رجال أصحاب الحديث، إذ يقول فيه العقيلي: شيعي في حديثه اضطراب؛ ويقول أبو حاتم: زائغ الحديث متروك.

ومهما يكن فإن الناظر في كتابه هذا يلمس هدوء المؤرخ الذي لا تستفزه العصبية إلى هواه، إلا في القليل لا يستطيع منه إفلاتاً، فهو حين يذكر مثالب معاوية لا يخفى مطاعن الأعداء في علي، فأنت ترى أن جهد هذا الرجل كان موجهاً إلى التأليف الشيعي، ولم تحفظ لنا الأيام من آثاره إلا هذا الكتاب، كتاب صفين).

وقد ذكر كتبه فحذفتها وستأتي.

(إضافة)

وقد أثنى على روايته معاصرون وفضَّلوه في بعض الأخبار على ابن أبي شيبة فقال سليمان الرحيلي[1]: (وعلى الرغم من أن نصر بن مزاحم معاصره ذكر الرايات الإسلامية الأولى بعدة ألوان ومنها راية بيضاء وأخرى حمراء فإننا لا نعرف تعليلاً لاقتصار ابن أبي شيبة على مرويات الرايات السوداء إلا أن يكون ذلك بتأثير روح العصر العباسي الذي عاش فيه حيث كان السواد شعاره).

وقال أحد الباحثين المعاصرين وهو الدكتور فوزي ساعاتي[2]: (مولده:.. لم تذكر لنا المصادر التي ترجمت له عن سنة ولادته ولكن عبد السلام محمد هارون – محقق

---

(١) في بحثه عن (التاريخ عند ابن أبي شيبة): مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ج ٣٨ / ص ١٠٧).

(٢) في بحثه عن (التاريخ عند ابن أبي شيبة): مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ج ٣٨ / ص ١٠٧).

كتاب وقعة صفين - رجح ولادته بأنها كانت قريبة من سنة ١٢٠هـ. ومن مؤلفاته:.. - فذكر أشهرها - ثم قال: منهجه في كتابه (وقعة صفين): كتاب جمع فيه تفاصيل ما في وقعة صفين من أحداث في أسلوب حسن الاستيعاب مع ذكره للخطب والأشعار التي رواها أصحاب الأخبار في معركة صفين.

وبدأ نصر بن مزاحم كتابه بذكر خبر قدوم على بن أبي طالب رضي الله عنه من البصرة إلى الكوفة وذلك في رجب سنة ٣٦هـ ومنها أخذ في توجيه كتبه ورسله إلى معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه. ثم مسيره (على) إلى صفين حيث أخذ (المؤلف) يروى لنا في استطراد للحرب وهى دائرة بين الفريقين إلى أن انتهت بالتحكيم واختيار الحكمين ثم اجتماعهما ونتائجه ويختم كتابه بذكر أسماء قتلى وجرحى معركة صفين وكذا في المصابين في معركة النهروان، والتزم بنقل الأخبار التاريخية بالروايات المسندة. ولم يتعرض في كتابه لترجيح الروايات وإنما أوردها على علاتها، وفاته: توفي في سنة ٢١٢هـ

الخلاصة في نصر بن مزاحم:

والرجل مؤرخ ومحدث وثقة في الرواية على تشيع ظاهر، لكنه ليس إمامياً بل زيدي في الظاهر، ورواياته تدل على ذلك، وكذا سيرته فقد ثار مع ابن طباطبا وجعله على السوق، ولذلك جعل ابن أبي حاتم من باب ضعفه أنه (كان شبه عريف)، فمن كان عريفاً لآل محمد يكون ضعيفاً، ومن كان عريفاً لهشام بن عبد الملك كالزهري يتنافسون على رواية حديثه! وأهل الأخبار يعرفون قيمة مروياته، فهذا الأصفهاني في مقاتل الطالبيين يقول وهو يعرض منهجه في ترجيح الروايات في ثورة ابن طبابا: (... لأن علي بن محمد (يقصد النوفلي)كان يقول: بالإمامة فيحمله التعصب لمذهبه على الحيف فيما يرويه، ونسبة من روى خبره من أهل هذا المذهب إلى قبيح الأفعال، وأكثر حكاياته في ذلك بل سائرها عن أبيه موقوفاً عليه لا يتجاوزه، وأبوه حينئذٍ مقيم بالبصرة لا يعلم بشيء من أخبار القوم، إلا ما يسمعه عن ألسنة العامة على سبيل الأراجيف، فيسطره في كتابه عن غير علم، طلباً منه لما شان القوم، وقدح فيهم، فاعتمدت على رواية من كان بعيداً عن فعله في هذا، وهي رواية نصر بن مزاحم، إذ كان ثبتاً في الحديث والنقل، ويظهر أنه ممن سمع خبر أبي السرايا عنه، قالوا: كان سبب خروج

محمد بن إبراهيم وهو محمد بن إبراهيم بن إسماعيل، وهو ابن طباطبا،.. ثم ذكر القصة)[1]. فهنا الأصفهاني يوثق نصر بن مزاحم لأنه شاهد عيان، ولأنه ليس متعصباً. والأصفهاني روى ولاية نصر بن مزاحم على السوق كانت في عهد محمد بن محمد بن زيد بن علي، وليست أيام محمد بن إبراهيم، فسرد بيعة محمد بن محمد بن زيد بن علي ثم قال: (وولى نصر بن مزاحم السوق، وعقد لإبراهيم بن موسى بن جعفر على اليمن... إلخ)[2].

ونصر بن مزاحم معتدل وهو راوي تلك الرواية التي يفرح بها النواصب ويروونها وهي كما في بغية الطلب: (...، حدثنا يحيى بن سليمان حدثني نصر بن مزاحم قال: حدثنا محمد بن سعد، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وذكر أهل صفين فقال: كانوا عرباً يعرف بعضهم بعضاً في الجاهلية، فالتقوا في الإسلام معهم تلك الحمية ونية الإسلام، فتصابروا واستحيوا من الفرار، وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، وهؤلاء في عسكر هؤلاء فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم... إلخ)[3].

وقد ترجم له الخطيب في تاريخه[4]، والصفدي في الوافي[5] بالوفيات، وترجم له ابن حبان وأنصفه[6]، والبخاري[7]، ولم يذكره بجرح ولا تعديل، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، وفيه قول ابن أبي حاتم: (سألت أبي عنه فقال: واهي الحديث متروك الحديث لا يكتب حديثه كان شبه عريف، مات قبل دخولنا الكوفة)[8]. يقصد أنه عريف لإبراهيم بن طباطبا أخي القاسم الرسي من فضلاء أهل البيت. وإنما ولَّاه على السوق، بينما لا يضعفون من ولاه معاوية على قتل الأطفال أو يزيد على شرطته أو الحجاج على التعذيب... إلخ. وترجم له ابن النديم وياقوت[9]، وغيرهما. وقد

---

(١) مقاتل الطالبيين، ١/ ١٣٤.

(٢) مقاتل الطالبيين، ١/ ١٣٨.

(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب، ١/ ٧١.

(٤) تاريخ بغداد، ١٣/ ٢٨٢.

(٥) الوافي بالوفيات، ٧/ ٣٣١.

(٦) الثقات لابن حبان، ٩/ ٢١٥.

(٧) في التاريخ الكبير، ٨/ ١٠٥.

(٨) الجرح والتعديل، ٨/ ٤٦٨.

(٩) الفهرست، ١/ ١٠٦؛ معجم الأدباء لياقوت الحموي، ٢/ ٤٧٩.

ترجمت له ترجمة حافلة لعلي أخرجها في كتاب.

الراوي السادس: الصحابي عبد الرحمن بن سهل الأنصاري (حديثه نفسه):

وهو صحابي شهد بدراً في قول، وكان قوياً في الحق فقيهاً، وترجم له ابن عبد البر في الاستيعاب فقال: (عبد الرحمن بن سهل الأنصاري يقال: إنه شهد بدراً وكان له فهم وعلم ذكر ابن عيينة؛ قال: حدثني يحيى بن سعيد قال: سمعت القاسم بن محمد يقول: جاءت إلى أبي بكر جدتان فأعطى السدس أم الأم دون أم الأب فقال: له عبد الرحمن بن سهل رجل من الأنصار من بني حارثة قد شهد بدراً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيته التي لو ماتت لم يرثها وتركت التي لو ماتت ورثها، فجعله أبو بكر بينهما. وروى عنه محمد بن كعب القرظي أنه غزا فمرت به روايا تحمل خمراً فشقَّها برمحه وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندخل الخمر بيوتنا وأسقيتنا)[1]. انتهى مختصراً. وفي غوامض الأسماء المبهمة: (أبو بكر البرقاني قال أنا أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني الحافظ قال سماه سفيان بن عيينة منفردا في حديثه وقال هو عبد الرحمن بن سهل الأنصاري شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2]. انتهى مختصراً، ويحتاج إلى ترجمة مفردة.

الراوي السابع: بريدة بن سفيان الأسلمي (في حديث عبد الرحمن بن سهل):

جده صحابي[3]، وقيل هو له صحبة ولكن لا يصح.

وهو الذي روى عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري تهديده بأنه سيبقر بطن معاوية إذا تحقق ما أخبر النبي (ص) به. أي من رُقِيِّه على منبره. وهو شاهد لحديث أبي سعيد (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه).

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١/ ٢٥٢.

(٢) غوامض الأسماء المبهمة، ٢/ ٥٩٥.

(٣) المعجم الكبير للطبراني، ٢/ ٥٨: (تَمِيمُ بن حُجْرٍ أَبُو أَوْسٍ السُّلَمِيُّ جَدُّ بُرَيْدَةَ بن سُفْيَانَ، لَهُ صُحْبَةٌ، لَمْ يُخَرِّجْ حَدِيثُه).

وبريدة هذا اختلفوا فيه كثيراً، من وصفه بالصحبة إلى نقله إلى التابعين إلى تضعيفه! إلى ذكر أسباب الطعن فيه، من كونه يذم عثمان أو نحو ذلك.

الظاهر أنه ليس صحبة أيضاً، وإنما هو تابعي. وهو ثقة، وأما التضعيف بذم عثمان فهذا تضعيف مذهبي، وهو في هذا متبع لمثل عمار وابن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبي ذر وطلحة والزبير وعائشة (وغيرهم كثير جداً، ولإثبات هذا بحث منفصل).

وهو صحيح العقيدة، وهو من رواة حديث الطير (رواه عن سفينة) وحديث خيبر (عن سلمة بن الأكوع) وحديث الهجرة. فيما يخص أهل البيت، ولم يتلبس بنَصْب ذلك الزمان، يدل على ذلك ذمُّ الجوزجاني له بقوله: (وَقَال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: رديء المذهب جداً، غير مقنع، مغموص عليه في دينه)[1].

والناصبيُّ لا يذم إلَّا محباً لأهل البيت، وهذه درجة من التوثيق، ويدل على حسن عقيدته روايته لهذا الحديث، وقال ابن عدي (لم أر له شيئاً منكراً)، وهذا توثيق أيضاً، وقال النسائي (ليس بالقوي في الحديث)، وهذا عند النسائي كالصدوق عند غيره، وأما البخاري فإنه لتشيعه لمعاوية قال (فيه نظر)، وهو عند البخاري جرح شديد، وقد قالها البخاري في صحابة وتابعين كبار عندما يجد فيهم شدةً ضد معاوية (والبخاري عالَم بفتح اللام لم يُكتشف بعد)! وقال الجوزجاني: (بريدة بن سفيان بن فروة رديء المذهب)[2]. وبشَّره الله بالخير! وقد سبق الكلام على الجوزجاني وأن جرْحه توثيق.

وقد استقرأ أحاديثه ابن عدي ولم يرَ فيها حديثاً منكراً ظاهر النكارة.

واستقرأتها أنا كذلك وسأسردها بعد قليل وليس فيها حديث منكر.

والاستقراء هو أبلغ أدوات الحكم على الراوي.

والخلاصة في ترجمته:

إن الرجل من خلال استقراء أحاديثه نجد له اهتماماً خاصاً بآل محمد صلوات الله عليهم والملتصقين بهم، وفي رواياته قصة استشهاد حمزة وقصة فتح خيبر وحديث الطير وغير ذلك، وهو ثقة وإنما أنكروا عليه إكثاره من أخبار أهل البيت، هذا هو

(١) انظر: تهذيب الكمال، ٤/ ٥٦، الترجمة ٧٤٢. مغموص عليه: مطعون عليه.
(٢) الجوزجاني، أحوال الرجال، ١/ ١٢٥.

الظاهر، وقد توبع على تلك الأحاديث، ولكن لعل هذا الاهتمام هو الذي جرّ عليه بعض الهجر والريبة، والعاقل من اتعظ بنفسه!

الراوي الثامن: إسماعيل بن موسى الفزاري ابن بنت السدي (ت نحو ١٤٥هـ) في حديث عبد الرحمن بن سهل الأنصاري

وهو السدي الصغير (٢٤٠هـ) ثقة. فهو من طبقة أحمد، إلا أنه أقدم سماعاً منه، يروي عن مالك وشريك وأمثالهم، ولم يرو أحمد إلا عن من بعدهم كهاشم البريد وهشيم بن بشير، واسمه إسماعيل بن موسى بن بنت السدي، وقد وصفوه بالتشيع، ومع ذلك وثقوه، وهذا يعني أنه ثقة بإطلاق، وإلا لما احتملوا له هذا، ففي تهذيب التهذيب: (وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال صدوق، وقال مطين كان صدوقاً، وقال النسائي ليس به بأس، وقال ابن حبان في الثقات: يخطئ، وقال عبدان: أنكر علينا أبو بكر بن أبي شيبة أو هناد بن السري (!) ذهبنا إليه وقال ذاك الفاسق يشتم السلف، وقال ابن عدي: وصل عن مالك حديثين وتفرد عن شريك بأحاديث وإنما أنكروا عليه الغلو في التشيع)[1]. ولم أجد في ثقات ابن حبان قوله يخطئ، وقال الآجري عن أبي داود صدوق في الحديث وكان يتشيع.

هذه كل الأقوال فيه، فهو ثقة بلا شك. وفي الجرح والتعديل: (وسألت أبي عنه فقال: صدوق، روى عنه أبي وأبو زرعة)[2]. قلت: ولا يرويان إلا عن ثقة عندهما فكيف إذا علمنا تشددهم في الشيعة؟ فهذا إذن فوق الثقة! ووثقه ابن حبان في الثقات (وهو متشدد في المتأخرين، وإنما تساهله في المتقدمين)، وكان يروي في فضائل علي أيضاً، وقد روى عنه أصحاب السنن إلا النسائي والبخاري في خلق أفعال العباد وغيرهم، وقال الذهبي: (الشَّيْخُ، الإِمَامُ، مُحَدِّثُ الكُوْفَةِ، أَبُو مُحَمَّدٍ - وَقِيْلَ: أَبُو إِسْحَاقَ - إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُوْسَى الفَزَارِيُّ، الكُوْفِيُّ، سِبْطُ إِسْمَاعِيْلَ السُّدِّيِّ... إلخ، وذكر له الذهبي قصة طريفة مع مالك، وهي (وَقَالَ عَلِيُّ بنُ جَعْفَرٍ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيْلُ ابْنُ بِنْتِ السُّدِّيِّ، قَالَ:كُنْتُ فِي مَجْلِس مَالِكٍ، فَسُئِلَ عَنْ فَرِيْضَةٍ، فَأَجَابَ بِقَولِ زَيْدٍ، فَقُلْتُ مَا قَالَ

(١) تهذيب التهذيب محقق، ١/ ٢٩٢.
(٢) الجرح والتعديل، ٢/ ١٩٦.

فِيْهَا عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُوْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فَأَوْمَأَ إِلَى الحَجَبَةِ، فَلَمَّا هَمُّوا بِي، عَدوتُ، وَأَعجَزْتُهُم، فَقَالُوا: مَا نَصنَعُ بِكُتُبِهِ وَمِحْبَرَتِهِ؟ فَقَالَ: اطْلُبُوهُ بِرِفقٍ. فَجَاؤُوا إِلَيَّ، فَجِئتُ مَعَهُم، فَقَالَ مَالِكٌ: مِنْ أَينَ أَنْتَ؟قُلْتُ: مِنَ الكُوْفَةِ. قَالَ: فَأَيْنَ خَلَّفْتَ الأَدَبَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّمَا ذَاكَرتُكَ لأَستَفِيدَ. فَقَالَ: إِنَّ عَلِيّاً وَعَبْدَ اللهِ لاَ يُنْكَرُ فَضْلُهُمَا، وَأَهْلُ بَلَدِنَا عَلَى قَوْلِ زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ، وَإِذَا كُنْتَ بَيْنَ قَوْمٍ، فَلاَ تَبدَأْهُم بِمَا لاَ يَعْرِفُوْنَ، فَيَبدَأَكَ مِنْهُم مَا تَكْرَهُ، تُوُفِّيَ إِسْمَاعِيْلُ الفَزَارِيُّ: فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَمائَتَيْنِ، وَكَانَ مِنْ أَبْنَاء التِّسْعِيْنَ، سَامَحَهُ اللهُ)[1].

هكذا وكأنه ارتكب جريمة سواء بحب علي أو مذاكرة مالك. وقد ترجم له ابن العديم في تاريخ حلب ترجمة جيدة، وذكر له قصة مع الوليد بن مسلم، وأنه كان أحلم من مالك.

الراوي التاسع: يحيى بن واضح

وهو ثقة من رجال الجماعة، ومع ذلك فقد نقل عن البخاري تضعيفه، وكأن البخاري يتتبع كل من روى في ذم بني أمية فيضعفهم! وقد دافع الذهبي عن البخاري ونفى أن يكون ضعف يحيى بن واضح، فقال: (قَالَ يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ: ثِقَةٌ، وَقَالَ أَحْمَدُ: كَتبنَا عَنْهُ عَلَى بَابِ هُشَيْمٍ، لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ - إِنْ شَاءَ اللهُ - وَوَهِمَ أَبُو حَاتِمٍ حَيْثُ حَكَى أَنَّ البُخَارِيَّ تَكَلَّمَ فِي أَبِي تُمَيْلَةَ وَمَشَى عَلَى ذَلِكَ أَبُو الفَرَجِ ابْنُ الجَوْزِيِّ. وَلَمْ أَرَ ذِكْراً لأَبِي تُمَيْلَةَ فِي كِتَابِ (الضُّعَفَاءِ) لِلْبُخَارِيِّ، لاَ فِي الكَبِيْرِ وَلاَ الصَّغِيْرِ، ثُمَّ إِنَّ البُخَارِيَّ قَدِ احْتَجَّ بِأَبِي تُمَيْلَةَ، وَقَدْ كَانَ مُحَدِّثَ مَرْوَ مَعَ الفَضْلِ بنِ مُوْسَى السِّيْنَانِيِّ، مَاتَ: سَنَةَ نَيِّفٍ وَتِسْعِيْنَ وَمائَةٍ)[2].

وقال ابن حجر: (يحيى ابن واضح الأنصاري مولاهم أبو تميلة بمثناة مصغَّر المروزي مشهور بكنيته ثقة من كبار التاسعة ع)[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٢١/ ٢١٠ ٢١١.

(٢) سير أعلام النبلاء، ١٧/ ٢١٨.

(٣) تقريب التهذيب، ٢/ ٥٩٨.

الراوي العاشر: محمد بن أحمد بن حمدان شيخ أبي نعيم

أبو عمر الحيري محدث نيسابور (٣٥٦هـ)، ثقة حافظ كبير.

قال الذهبي: (مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَمْدَانَ الحِيْرِيُّ ابْنِ عَلِيِّ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ سِنَانٍ، الإِمَامُ، الحَافِظُ، أَبُو العَبَّاسِ). وأطال في الثناء عليه، ثم قال: (وَكَانَ مُؤتمناً عِنْدَ الأُمَرَاءِ وَالكُبَرَاءِ، يقومُ بِالأُمُورِ الخطيرَةِ، وَكَانَتِ الأَمتعَةُ النَّفِيسَةُ تَأْتِيهِ مِنْ كُلِّ جَانبٍ، وَكَانَ وَرِعاً فِي معَاملاَتِه، كَبِيْرَ القدرِ، جُعِلَ نَاظراً للجَامعِ، فَعَمَرَهُ، وَكَانَ حَافِظاً للقُرَآنِ، عَارِفاً بِالحَدِيْثِ، وَالتَّارِيْخِ، وَالرِّجَالِ، وَالفِقْهِ، كَافّاً عَنِ الفَتْوَى.. وَكَانَ إِذَا صَحَّ عِنْدَهُ حَدِيْثٌ عملَ بِهِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى مَذْهَبٍ، وَكَانَ يحفظُ حَدِيْثَهُ وَيَدْرِيهِ، وَكَانَ محبَّباً إِلَى النَّاسِ مُتبَرِّكاً بِهِ، نَافِذَ الكَلِمَةِ، قَدَّمُوهُ للاسْتِسْقَاءِ بِهِمْ. وَكَانَ لَهُ مَجْلِسٌ للإِملاَءِ فِي كُلِّ اثنين وَخميسٍ، فَكَانَ يحضُرُهُ الأَئِمَّةُ وَالكُبَرَاءُ، وَكَانَ يَرَى الجَهْرَ بِالبَسْمَلَةِ.. وَتُوُفِّيَ لَيْلَةَ السَّبتِ حَادِيَ عشرَ صفرٍ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ، فَعَظُمتِ المُصيبَةُ، وَاجتمعَ الكلُّ لجنَازَتِهِ، وَأَقَامُوا رَسْمَ التَّعزِيَةِ سِتَّةَ أَيَّام تعزيَةً عَامرَةً بِالفُقَهَاءِ، وَالأَكَابِرِ وَوُجُوهِ الدَّهَاقِين، وَحضرَ خُوَارِزْمَ شَاهَ أَبُو سَعِيْدٍ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عرَاقٍ تعزيتَهُ مَعَ أُمرَائِهِ، وَكَثُرتْ فِيْهِ المرَاثي)[1].

قلتُ فانظروا إلى هذا الحافظ العابد كيف روى الحديث بتمامه مع ما فيه من ذم معاوية بالمرفوع والموقوف، ثم انظروا إلى نظيره الآتي الراوي للحديث عن الشيخ نفسه (الحسن بن سفيان) وكيف أفسد الحديث وحذف كل ما يتعلق بمعاوية.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٣١/ ٢٢٨.

٢. الردود والتعقيبات

كلام البخاري

قال في التاريخ الأوسط: (وروى حماد بن سَلَمة، عَن علي بن زيد، عن أبي نضرة: أن معاوية لما خطب على المنبر قام رجل فقال: قال ورفعه إذا رأيتموه على المنبر فاقتلوه وقال آخر اكتبوا إلى عُمَر فكتبوا فإذا عُمَر قد قتل؛ وهذا مرسل لم يشهد أبو نضرة تلك الأيام)[1].

التعليق: لم يروه أبو نضرة مرسلاً البتة، إنما روى أبو نضرة الحديث ومناسبته عن أبي سعيد كما في أنساب الأشراف: (حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل وأبو صالح الفراء الأنطاكي قالا: حدثنا حجاج بن محمد حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية، فقلنا له: لا تسلَّ السيفَ في عهد عمر حتى تكتب إليه، قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه. قال: ونحن قد سمعناه ولكن لا نفعل حتى نكتب إلى عمر، فكتبوا إليه فلم يأتهم جواب الكتاب حتى مات)[2].

فمن أخبر البخاري بأنه مرسل؟ أو أن أبا نضرة رواه مرسلاً؟ ولم أجد غير البخاري من قال هذا، فقد رواه قبله شيخه أبو بكر بن أبي شيبة مرفوعاً. إذن فالبخاري نفسه أول من قلب الحديث إلى حديث مرسل، من أجل حماية معاوية، وعلى هذا فإطباقهم على الثناء على البخاري وصدقه محل نظر. هو من أنقى الناس رجالاً لكنه ليس أنقاهم قلباً

---

(١) التاريخ الأوسط، ٢٥٦ (٢ / ٧٩٧).

(٢) أنساب الأشراف، ٢/ ١٢١.

بدلالة هذا التحريف الشنيع الذي فعله في الإسناد، وله نماذج كثيرة في كل حديث لا يعجبه، فالبخاري رحمه الله وسامحه أموي الهوى شديد الأموية.

ثم قال البخاري: (وقال عَبد الرزاق، عنِ ابن عيينة عن علي بن زيد، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد رفعه. وهذا مدخول لم يثبت).

التعليق: لم يذكر البخاري الدليل على ذلك؟ كيف مدخول؟ وكيف لم يثبت؟ هذه متابعة لحديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد. وللحديث شواهد. وقد توبع عبد الرزاق عن ابن عيينة وتوبع ابن عيينة عن ابن جدعان وتوبع ابن جدعان عن أبي نضرة وتوبع أبو نضرة وأبو سعيد أيضاً فماذا يريد البخاري؟

ثم قال البخاري: (ورواه مجالد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيدٍ، رفعه. وهذا واهٍ. قال أحمد: أحاديث مجالد كلها حلم. وقال يحيى بن سعيد: لو شئت لجعلها كلها عن الشَّعبِيّ، عَن مسروق، عَن عَبد الله).

التعليق: قوله (هذا واهٍ)، صحيح لو كان السند وحده، ومجالد من رجال السنن وفيهم من وثَّقه، فضعْفه عندهم غير شديد. وأحمد لعله طعن فيه لهذا الحديث وليس لأخبار له في ذم أهل البيت، فمجالد ناصبي، وقد ذكرنا السبب المحتمل لروايته هذا الحديث، لأجل تحريف ونحوه، كما يفعل البخاري هنا، ولكن أهل الحديث أخذوا روايته وتركوا رأيه. وهذا تفسير كثير من روية الحديث التي يرويها من ليس عليها وعلى يلتزم بمضمونها.

وأما يحيى بنِ سعيد وهو القطان ففيه نصب، وكلامه في مجالد صحيح لولا أن مجالد توبع على الإسناد والمتن، والضعيف لا يكذب في كل ما يرويه. ولو كذب مجالد في كل ما يرويه لما روى له أهل السنن ولا غيرهم.

ثم إن البخاري لم يذكر بقية الأحاديث فاقتصر على إسناد أبي سعيد، وترك أكثر من عشرة أسانيد أخرى، كأنه يخشى من استعراضها أن يثبت هذا في الذهن.

ثم انتقل البخاري إلى مثالب أخرى قيلت في معاوية فقال:

(ويروى عن معمر، عنِ ابن طاووس، عَن أبيه، عَن رجل، عَن عَبد الله بن عَمْرو رفعه في قصته. وهذا منقطع لا يعتمد عليه).

التعليق: لم يذكر القصة ولا نص الحديث وهو (يموت معاوية على غير ملتي)، وهذا له أسانيد صحيحة وأراه من دلائل النبوة وقد أفردنا هذا الحديث ببحث وله طرق بعضها على شرط الشيخين، وهذا الرجل المدخل لا أساس له إلا عند غلاة السلفية كالخلال والبخاري، وليس موجوداً في أصل الحديث في المصادر الأخرى، فقد زادوه حماية لمعاوية مثلما حذفوا (أبا سعيد) للغرض نفسه، فمرة يزيدون ومرة يحذفون، وهؤلاء الغلاة من أهل الحديث لا شك أن فيهم نصباً، ولا يكتشفهم أغلب طلبة العلم، لأنهم يوردون شبهاتهم وحججهم بهذه الطرق المجتزأة المنتقاة المبتورة من كل جانب، فيأتي صبيان أهل الحديث ليحللوا، وليحتملوا أن الحديث فيه كذا وكذا. وقال البخاري كذا وكذا. ولو اختصر الطريق ووصف البخاري بالنصب وذهب إلى الحق رأساً لكان هذا أرضى لله ورسوله.

ثم أوردَ مثالبَ أخرى لكنه لا يذكر إلا الإسناد! ويضعفه بعبارات مختصرة دون بحث عن الشواهد ولا المتابعات ولا استقصاء الأسانيد في ذلك.

ثم عاد البخاري إلى حديث أبي سعيد لينقضه متناً بقوله: (وقد أدرك أصحاب النبي صَلَّى الله عَليهِ وسَلَّمَ معاوية أميراً في زمن عُمَر بأمر عُمَر وبعد ذلك عشر سنين فلم يقم إليه أحد فيقتله. وهذا مما يدل على هذه الأحاديث أن ليس لها أصول ولا يثبت عَن النَّبيّ صَلَّى الله عَليهِ وسَلَّمَ خبره على هذا النحو في أحد من أصحاب النبي صَلَّى الله عَليهِ وسَلَّمَ، إنما يقوله أهل الضعف بعضهم في بعض إلا ما يذكر أنهم ذكروا في الجاهلية ثم أسلموا فمحا الإسلام ما كان قبله)[1].

التعليق: ليس كل شيء أمرَ به النبي (ص) فَعَله الصحابة، فقد نهاهم أن لا يهابوا من قول الحق واعترف أبو سعيد الخدري بقوله (وقد رأينا أشياء فهبنا)، وأمرهم بأن لا يتقاتلوا بعده وتقاتلوا بغض النظر عن المصيب والمخطيء، فقاتل أبو بكر بني يربوع من بني تميم ورأسهم (مالك بن نويرة) صحابي، وتقاتلت فئة عثمان مع فئة الثوار وصار بينهم قتلى، وكذلك فئة علي مع فئة عائشة ثم فئة معاوية. ونهاهم عن التنافس في

---

(١) في التاريخ الصغير (١/ ١٦٣)، للمقارنة وقد تمت الإجابة على أهم مافيه. والتاريخ الصغير هو المطبوع باسم التاريخ الأوسط أيضاً.

الدنيا فوقعوا فيها. إلى أمور كثيرة من الأوامر والنواهي. فليست هذه العلة بمستقيمة.

كلام أحمد بن حنبل ومنهجه والتعقيب عليه

الفقرة الأولى: في كتاب العلل من رواية ابنه عبد الله قال:

(سمعت أبي يقول في حديث بن نمير عن سفيان قال حدثنا يونس عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم معاوية على منبري هذا يخطب قال أبي ليس هو من حديث يونس)[١].

التعليق: هذا فيه أقرار من أحمد بأن الحديث قد روي عن الحسن من غير هذا الطريق، وهذا جيد. لكنه لم يروِ هذا الحديث وسكت عليه مع أنه على شرطه.

ثم أحمد يروي أحاديث علي بن زيد ولو كان فيها رجل مجهول، من نفس الطريق إلى ابن جدعان (حماد بن سلمة عنه) ولكنه لم يروِ حديثه هذا، ففي مسند أحمد: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَيَرْعَفَنَّ عَلَى مِنْبَرِي جَبَّارٌ مِنْ جَبَابِرَةِ بَنِي أُمَيَّةَ، فَيَسِيلُ رُعَافُهُ. قَالَ: فَحَدَّثَنِي مَنْ رَأَى عَمْرَو بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ رَعَفَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَالَ رُعَافُهُ)[٢].

إذن فلا إشكال في علي بن زيد عند أحمد ولو روى عن مجهول، فكيف إذا روى عن ثقة كأبي نضرة عن أبي سعيد؟ أين هذا الحديث؟

زيادة وتفصيل مهم في منهج أحمد مع الأحاديث التي تتناول معاوية

أحمد بن حنبل رحمه الله وسامحه، كان له منهج وهو أنه لا يروي أي حديث يطعن في أحد من الصحابة حتى ولو كان صحيحاً، وهذا أمر خطير جداً، ولا أدري ما حكم هذا العمل عند الوهابية والسلفية، وحتى لا نتكلم عن الرجل من فراغ، يحسن بنا أن ننقل منهجه هنا من كاتب عقيدته وجامعها والمعول عليه عند القوم، ألا وهو أبو بكر الخلَّال (ت ٣١١هـ)، فقد أمضى عمره في جمع أقوال أحمد في العلل والفقه والعقائد، وألف كتابه المشهور (السنة) أي سنة أحمد بن حنبل لا سنة رسول الله،

---

(١) كتاب العلل، ٢/ ٤١٤.

(٢) مسند أحمد (ط الرسالة)، ١٦/ ٤٤٤.

وهذا ظاهر من المقدمة أنه يرى فعل أحمد وقوله كله سنة، وهذا غلو. وعلى أية حال هذا منهجه كما كتبه الخلال بأسانيده، وسنعقب بكلام مختصر وإلا فهذا المنهج يحتاج إلى نقض في دراسات وبحوث كاملة، لأن هذا يتعلق بغش أهل الحديث أكبر مما يتعلق بمسألة اختلاف في التصحيح والتضعيف، وسأقسم كلامه وأعقب على كل رواية أو كل روايتين، وأحذف ما لا يدل على المنهج للاختصار:

ففي كتاب السنَّة للخلَّال تحت عنوان: التغليظ على من كتب الأحاديث التي فيها طعن على أصحاب رسول الله، قال: (أخبرنا أبو بكر المروذي قال: سمعت أبا عبد الله يقول إن قوماً يكتبون هذه الأحاديث الرديئة في أصحاب رسول الله وقد حكوا عنك أنك قلت: أنا لا أنكر أن يكون صاحب حديث يكتب هذه الأحاديث يعرفها!

فغضب وأنكره إنكاراً شديداً وقال: باطل! معاذ الله! أنا لا أنكر هذا؟ لو كان هذا في أفناء الناس لأنكرته فكيف في أصحاب محمد؟! وقال: أنا لم أكتب هذه الأحاديث!

قلت لأبي عبد الله: فمن عرفته يكتب هذه الأحاديث الرديئة ويجمعها أيهجر؟

قال: نعم، يستاهل صاحب هذه الأحاديث الرديئة الرجم (!!)

وقال أبو عبد الله (يعني أحمد بن حنبل):

جاءني عبد الرحمن بن صالح فقلت له: تحدث بهذه الأحاديث؟ فجعل يقول: قد حدَّث بها فلان وحدَّث بها فلان وأنا أرفق به وهو يحتج، فرأيته بعد فأعرضتُ عنه ولم أكلِّمْه)[1].

قال المحقق السلفي: إسناده صحيح.

وأقول في الرد والتعقيب: إن لم يكن المروذي (وهو تلميذ أحمد رقم ١) قد كذب في هذه القصة ففيها خطورة في منهج أحمد بن حنبل ورؤيته لكتابة الحديث، وورعه عن جليل الأمور ووقوعه في جليلها الآخر. وذلك لأسباب من أهمها:

أولاً: أحمد يتأثر بأصحابه الخاصين ويؤثرون عليه ويزايدون.. كحال كثير من العلماء اليوم. ولي بالإمام أحمد ومدرسته اهتمام خاص. وهو رجل عابد تقي ورع. إلا أن الورع في جانب دون آخر. كورع الثوري عن تذوق فاكهة البستان

---

(١) كتاب السنة للخلَّال، ٣/ ٥٠١ ٥١٥.

واتهامه عبادَ الله كالحسن بن صالح بالنفاق! ولأحمد قصص مشابهة. وفي قصة ورع أهل الحديث وتقواهم خلط كبير. فورعهم ليس في حرمة دم المسلم ولا عرضه. وإنما في الامتناع عن الأمور اليسيرة الدقيقة، كتذوق فاكهة البستان. والطهي في تنور من يعمل عند السلطان. فينسينا هذا الورعُ الدقيقُ عن نقدهم في ذلك التهورَ العظيمَ في دماء الناس وأعراضهم. وهكذا سارت الدنيا.

ثانياً: كلامه يعني ترك كتابة التاريخ مطلقاً. لأن مفهومهم للطعن في الصحابة مفهوم واسع جداً. لا يبقي معه كتابة غزوة ولا حدثاً من الأحداث. والتاريخ أحداث فيها المحسن والمسيء والمتوسط. وإذا كتبنا أخبار المحسنين وتركنا أخبار المسيئين فهذه خيانة. وإن كتبنا الأخبار الحسنة وتركنا السيئة فهذا أيضاً تزوير للتاريخ. وإن كتبنا التعديل وتركنا الجرح اختلَّت الرواية. فما بقي إلا أن نذكر جرح المخالفين بلا تعديل، ونذكر تعديل الموافقين بلا جرح. وهذه عصبية ظاهرة.

ثالثاً: أحمد لا يطَّرد في هذه الأقوال، وهو يحرص على معاوية أكثر من حرصه على أهل بدر أو المهاجرين والأنصار، وهذه علة السلفية إلى اليوم، ولإثبات هذا مبحث آخر.

وقد روى أحمد مثالب في صحابة كبار في مسنده وفضائل الصحابة وغيرها. فمثلاً روى طعن عبد الرحمن بن عوف في عثمان بن عفان بما يفيد أنه نكث شرط البيعة (سيرة الخليفتين = التي اشترطها عليه عبد الرحمن بن عوف) وأن عثمان اعترف بذلك! وقال: وأما سنة عمر فلا أطيقها!.

وهذا الطعن في أحد العشرة عند أهل الحديث، وليس في أفناء الناس ولا الطلقاء، إلَّا أن يكون أحمد لم يفهم منها طعناً ولا نقداً لعثمان، وهذه مشكلة أخرى!

ثم جرح أحمد لكثير من الرواة أليس كلاماً في أفناء الناس؟! فكيف يقول إنه لا يرضى الطعن في أفناء الناس؟ هذه مبالغة شديدة ليس عليها أحمد، وراجعوا كتاب بحر الدم!

وأهل الحديث هكذا، وعلى منهجهم السلفيون إلى اليوم، يأتون بالقاعدة ولا يلتزمون بها، فيأتي المقلِّدون ليحجروا واسعاً.

القرآن حوى أخطاء الأنبياء فكيف لا تكتب أخطاء الصحابة؟.

رابعاً: قوله (لم يكتب تلك الأحاديث)، فيه نظر. والصواب أنه كتب تلك الأحاديث لكنه بتر وحذف كثيراً من مناسبات تلك الأحاديث الصحيحة لأن فيها طعناً على بعض الصحابة.

وكذلك فعل البخاري وكثير من العقائديين، وهذه خيانة في النقل.

فيجب تأدية الحديث كما هو بمناسبته.

لأن المناسبة مفسِّرة للحديث، أو مسهِمة في ذلك.

ومن ذلك ذكرُه لحديث عبادة بن الصامت، وحذف مناسبته التي تصرح بأن معاوية كان يتاجر في الخمر. فهذا الحذف كوَّن صورة عند أتباع أحمد عن معاوية تغاير ما يعرفه مَن يُثْبِت تلك المناسبة.

وحديث عبادة بن الصامت رواه الحاكم (٣/ ٤٠١، ٤٠٢)، والشاشي (٣/ ١٧٢)، والبزار (٧/ ١٦٤) ثم أحمد في المسند (٨/ ٤١٥) مع بتره رووه كلهم من طريق إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن عبادة بن الصامت، فذكروا قصة بقْر عبادة لروايا الخمر التي كانت تُباع لمعاوية!! ثم تسيير عبادة إلى عثمان في المدينة ودخوله على عثمان ثم تحديثه بحديث (سيكون عليكم أمراء يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا تضلوا وفي لفظ فلا تعتلوا بربكم، فلا طاعة لمن عصى اللهَ، واللهِ إنَّ معاوية وفي لفظ فلاناً لمن أولئك). فما راجعه عثمان بحرف.

أقول: وقد تبرع بعض المحدثين كأحمد فحذف أول الحديث قصة بقْر روايا الخمر وحذف آخره (قول عبادة: واللهِ إن معاوية لمنهم)!! وهذه من أخطاء أحمد. وعلى منهجه شيخه سفيان بن عيينة وتلميذه البخاري لكن أهل الجرح والتعديل لا يتكلمون! وهؤلاء المحدثون يحذفون من الحديث ما يخالف عقيدتهم! فكل ما يخشون أنه قدح في فلان أو فلان! أو أن يحتج به عليهم المخالفون. حذفوه أو بتروه وهم يعترفون بهذا ولا يرون في ذلك ضرراً، فمن يجرؤ على تضعيفهم؟

وقد صرح أحمد في هذا الحديث بالحذف حذف قصة الخمر عندما قال فذكر الحديث)-!! فهو يلمح إلى أن الحديث معروف عند أهل الحديث لكنه تحرج من إيراد هذا، وبهذا البتر وأمثاله نسي الناس مثالب معاوية وإنَّ معرفتها مهمة لأهل التاريخ

ولأهل الدين أيضاً. والحديث قد رواه الحاكم بسند صحيح من طريق أبي الزبير عن جابر عن عبادة بن الصامت مختصراً بلا ذكر للمناسبة ولا للزيادة آخره لكن هذا من اختصار حد الشيوخ المتقدمين، لا دخل للحاكم به فقد رواه مطوّلاً، وإنما حديث جابر شاهد. وأما مراد عبادة فواضح، إنه يريد معاوية لا عثمان كما يزعم بعض الشيعة والزيادات تؤكد أن المراد معاوية فقد جاء ذكره صريحاً في رواية الحاكم الأخرى.

وهذه ليست المرة الوحيدة ولا العاشرة ولا المائة التي يحذف فيها أحمد ما لا يعجبه من الحديث، فمن النماذج الأخرى الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده: (حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ جَارِهِمْ قَالَ سَمِعْتُ حُمَيْدَ بْنَ هِلَالٍ يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ قَالَ: كَانَ أَبْغَضَ النَّاسِ أَوْ أَبْغَضَ الْأَحْيَاءِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَقِيفُ وَبَنُو حَنِيفَةَ)[1].

وحَذَفَ بني أمية من الحديث، وهو بالإسناد نفسه إلى شيخه حجاج بذكر بني أمية أول هذه الأحياء، ففي مسند أبي يعلى: (حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: حدثني حجاج بن محمد، حدثنا شعبة، عن أبي حمزة، جارهم، عن حميد بن هلال، عن عبد الله بن مطرف، عن أبي برزة، قال: « كان أبغض الأحياء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو أمية وثقيف وبنو حنيفة)[2]. ورواه غير أبي يعلى باللفظ نفسه، ولم أجد من حَذَفَ بني أمية إلا أحمد، لكن من يجرؤ على الشك فيه؟!

وكذلك حَذَفَ حديث: (لا أشبع الله بطنه)، بعد أن أورد أول الحديث، والأمثلة عن أحمد كثيرة جداً، وهذه الأمثلة هي ترجمة لمنهجه الذي يعلنه صريحاً كما في كلامه السابق.

ثم إذا ذكر أحد معاوية ببيع الخمر، قام عليه الحنابلة بأنه يطعن في الصحابة وأن الزيادة (المناسبة لا تصح) ولو صحت لرواها أحمد! مع أن أحمد أولى بالنقد لأنه بتر الحديث!

لأن الإسناد الذي عند الحاكم والشاشي وغيرهم هو إسناد أحمد نفسه إلا أنهم كانوا أكثر دقة وأمانة منه في نقل الحديث بحذافيره، وبتره أحمد، فأصبح أتباع الأكثر

(١) مسند أحمد، ٤٠/ ٢٥٨.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي، ١٥/ ٢٢٥.

أمانة مذمومين، وأتباع الأجرأ بتراً وحذفاً وتحريفاً ممدوحين.

وهذا للأسف قلب لموازين الجرح والتعديل إن كان ولابد من جرح وتعديل. فكيف إن روى مثل أحمد أو البخاري في نقد بعض الكبار كالعشرة وحذفوا نقد بعض الصغار بل البغاة الظلمة كمعاوية وسمرة.

هذا يفتح باباً كبيراً بعنوان (خيانة أهل الحديث في الميزان) فيتم تحديد معايير الأمانة والخيانة. ثم ينظر في هذه الأمة هل تميل لأهل الأمانة أم لأهل الخيانة؟ وما أثر هذا على فكر الأمة وتشكيلاتها المعرفية؟ وهل هذا من أسباب تخلف الأمة أم رفعتها؟.

خامساً: قوله بأن من يروي هذه الأحاديث التي قد تكون صحيحة يستاهل الرجم(!) جرأة كبيرة على حدود الله. فمن هو أحمد حتى يزيد على حدود الله ما ليس منها؟ ولماذا هذا التورع عن الصغائر والإفتاء بالعظائم؟

هذه هي السلفية المحدثة التي نحرص على نقدها.

وكل سلف يزيد على الشرع ما ليس منه فهو أهل للذم والرد والبيان. وإظهار الشهادة لله.

أقول هذا مع محبتي لورع أحمد وفضله في غير هذه الخيانات العلمية.

الفقرة الثانية: ثم قال الخلال: (وكتب إليَّ أحمد بن الحسين قال: حدثنا بكر بن محمد عن أبيه عن أبي عبد الله: وسأله عن الرجل يروي الحديث فيه على أصحاب رسول الله شيء يقول أرويه كما سمعته؟

قال ما يعجبني أن يروي الرجل حديثاً فيه على أصحاب رسول الله شيء!

وقال يعني أحمد بن حنبل ـ: وإني لأضرب على غير حديث مما فيه على أصحاب رسول الله شيء)!!

قلت: هذا اعتراف صريح بالخيانة العلمية، ودعوة صريحة للانتقاء والحذف بما يتوافق مع العقائد المستحدثة. ولا أستطيع أن أعلق أكثر من هذا الكلام!!

الفقرة الثالثة: ثم قال الخلال: (أخبرني العباس بن محمد الدوري، قال حدثنا إبراهيم أخو أبان بن صالح قال كنت رفيق أحمد بن حنبل عند عبد الرزاق، قال فجعلنا

نسمع، فلما جاءت تلك الأحاديث التي فيها بعض ما فيها! قام أحمد بن حنبل فاعتزل ناحية وقال ما أصنع بهذه؟ فلما انقطعت تلك الأحاديث فجاء فجعل يسمع// قال المحقق: في إسناده إبراهيم لم أجد ترجمته).

(وأخبرنا مقاتل بن صالح الأنماطي قال سمعت عباس الدوري يقول كنا إذا اجتمعنا مع أحمد بن حنبل نسمع الحديث فجاءت هذه الأحاديث في المثالب اعتزل أحمد بن حنبل حتى تفرغ فإذا فرغ المحدث رجع فسمع!

قال مقاتل: وسمعت غير شيخ يحكي عن أحمد بن حنبل هذا. في إسناده مقاتل بن صالح مجهول الحال).

قلتُ: من مجموع ما سبق، يدل على أن السلف القديم من أهل الحديث كانوا أكثر أمانة.

وعلى أن الانتقاء والحذف والبتر قد بدأ بمرحلة أحمد ومدرسته وما زال إلى اليوم. وبلغ أوجه في بغداد على أيدي الحنابلة كالمعمري.

ثم على يد ابن تيمية تحريف كثير وخيانات كبرى.

ثم على يد الشيخ حامد الفقي القاهري.

وكذلك المدرسة السلفية المحدثة لا يرون الخيانة والبتر والتحريف خيانة. وتحريفهم في التراث واسع. بما يتوافق مع معتقداتهم.

الفقرة الرابعة: ثم قال الخلال: (وأخبرني العباس بن محمد بن إبراهيم قال سمعت جعفر الطيالسي يقول سمعت يحيى بن معين يقول كانوا عند عبد الرزاق؛ أحمد وخلف ورجل آخر، فلما مرت أحاديث المثالب وضع أحمد بن حنبل إصبعيه في أذنيه طويلاً حتى مر بعض الأحاديث ثم أخرجهما ثم ردهما حتى مضت الأحاديث كلها أو كما قال // في إسناده العباس بن محمد).

قلتُ: شيوخ أحمد معظمهم في أمانة عبد الرزاق.

ثم قال الخلال: (سمعت محمد بن عبيد الله بن يزيد المنادي يحكي عن أحمد بن حنبل فلم أحفظه ولم أكتبه، فأخبرني محمد بن أبي هارون قال: سمعت ابن المنادي، قال: كنت عند أحمد بن حنبل فجاء أحمد بن إبراهيم الموصلي الذي كان يحدث

ومعه ابن له، فأخرج الموصلي من كُمِّ ابنه دفتراً فدفعه إلى أبي عبد الله فنظر أحمد في الكتاب وجعل يتغير لونه كأنه ينتقص. فلما فرغ أحمد من النظر في الدفتر قال: قال عز وجل)لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول... (الآية. أما يخاف الذي حدَّث بهذه أن يحبط عمله وهو لا يشعر؟ ثم قال أحمد بعد أن مضى الموصلي تدري من يحدث بهذه؟ قلت: لا. قال: هذا جارك يعني خلف. إسناده حسن).

قلتُ: خلف هذا هو خلف بن سالم المخرمي (ت ٢٣١هـ) من طبقة أحمد وابن معين، محدث كبير. نقموا عليه جمعه فقط لأحاديث فيها طعن حسب مفهومهم على بعض الصحابة. وهذا يعني أن التنقية بدأت من ذلك العصر.

ثم قال الخلال: (وأخبرنا أبو بكر المروذي: قال سألت أبا عبد الله عن خلف المخرمي؟ فقال خرج معي إلى طرسوس وكتبه على عنقه خرجنا مشاة فما بلغنا رحبة طوق حتى أزحف بي، قال وخرجنا في اللقاط يعني بطرسوس وما كنت أعرفه إلا عفيف البطن والفرج. قال أبو عبد الله فلما كان بعد ذهبت إلى منزل عمي بالمخرم فرأيته فأعرضت عنه.

ثم قال وأيشٍ أنكر الناس على خلف إلا هذه الأحاديث الرديئة؟ لقد كان عند غندر ورقة أو قال رقعة فخلا به خلف ويحيى فسمعوها فبلغ يحيى القطان فتكلم بكلام شديد. إسناده صحيح).

أقول: الانتقاء كان على مراحل. والقطان من هؤلاء؛ ثم إن روي حديث عن شعبة فيه هذا الكلام قيل وأين كان منه غندر؟ مع أن الذنب ليس ذنب شعبة ولا غندر وإنما القطان وأحمد ومن وافقهم.

ثم قال الخلال: (أخبرنا محمد بن علي قال حدثنا مهنى، قال: سألت أحمد عن خلف بن سالم فلم يحمد ولم يرَ أن يكتب عنه. إسناده صحيح).

قلتُ: هو ثقة. وليس أول ثقة ينهى عنه أحمد لسبب مذهبي.

ثم قال الخلال: (وأخبرني محمد بن علي قال حدثنا مهنى، قال: سألت أحمد عن عبيد الله بن موسى العبسي! فقال كوفي! فقلت فكيف هو؟ قال كما شاء الله، قلت كيف هو يا أبا عبد الله؟ قال لا يعجبني أن أحدث عنه! قلت لِمَ؟ قال يحدث بأحاديث فيها تنقُّص لأصحاب رسول الله. إسناده صحيح).

قلتُ: إذن فالسبب مذهبي. وقد اجتب الرواية عنه فعلاً في المسند واستدرك ابنه عبد الله ثلاثة أحاديث.

ثم قال الخلال: (سمعت محمد بن عبيد الله بن يزيد المنادي يقول كنا بمكة في سنة تسع وكان معنا عبيد الله بن موسى فحدث في الطريق فمر حديث لمعاوية فلعن معاوية ولعن من لا يلعنه.

قال ابن المنادي: فأخبرت أحمد بن حنبل فقال: متعدي يا أبا جعفر

فأخبرني محمد بن أبي هارون أن حبيش بن سندي حدثهم أن أبا عبد الله ذُكر له حديث عبيد الله بن موسى فقال: ما أحسب هو بأهلٍ أن يُحدَّث عنه وضع الطعن على أصحاب رسول الله؛

ولقد حدثني منذ أيام رجل من أصحابنا أرجو أن يكون صدوقاً أنه كان معه في طريق مكة فحدث بحديث لعن فيه معاوية فقال نعم لعنه الله ولعن من لا يلعنه فهذا أهل يحدث عنه؟ علي الإنكار من أبي عبد الله أي إنه ليس بأهل يُحدَّث عنه. إسناده حسن).

قلتُ: أحمد يروي عمن يلعن علياً كمروان ومعاوية وحريز. ويترك الحديث عمن يلعن معاوية.

والخلاصة: هذه انتقاءات سريعة من منهج أحمد وتطبيقاته وإلا فالأمثلة كثيرة جداً، تبين أن الإمام أحمد له منهج خطير في الرواية والحديث على علمه وورعه وتألمنا من نقده، لكن ماذا نفعل؟ بلغ السيل أطراف الهضاب.

كلام ابن كثير والرد عليه

قال في البداية والنهاية: (وقد روي ابن عدي من طريق علي بن زيد، وهو ضعيف، عن أبي نضرة عن أبي سعيد، ومن حديث مجالد، وهو ضعيف أيضاً، عن أبي الوداك عن أبي سعيد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)[1].

---

(١) البداية والنهاية، ٨/ ١٤١ ١٤٢.

التعليق: سبق أنْ ذكرنا أنَّ علي بن زيد بن جدعان صدوق، ومَن ضعَّفه فإنما بسبب هذا الحديث فهو عندهم أنكر ما روى! وقد توبع كما سبق.

ثم قال ابن كثير: (وأسنده أيضاً من طريق الحكم بن ظهير وهو متروك عن عاصم عن زر عن ابن مسعود مرفوعاً. وهذا الحديث كذب بلا شك، ولو كان صحيحاً لبادر الصحابةُ إلى فِعْل ذلك، لأنهم كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم).

التعليق: هذا الحماس من ابن كثير في تكذيب الحديث قرينةُ نصبٍ خفيّ، يظهر في مثل هذه المواطن، وحجته في ذلك قد أجبنا عليها.

ثم قال ابن كثير: (وأرسله عمرو بن عبيد عن الحسن البصري، قال أيوب: وهو كذب).

التعليق: ولم يذكر ابن كثير الرواة الآخرون عن الحسن كالأعمش وإسماعيل بن مسلم عند البلاذري ونصر بن مزاحم، ثم أيوب السختياني بصري ناصبي لا يؤخذ قوله في ذم عمرو بن عبيد، فعمرو بن عبيد أفضل منه وأتقى لله رغم أنه معتزلي، إنما نتكلم هنا عن التقوى، وليس في مجال تصحيح العقائد، فلكل مسلم ما يدين الله به، والله بصير بالعباد، أما التقوى فلا شك في أنهم كلهم طالب صيد غير عمرو بن عبيد!

ثم قال ابن كثير: (ورواه الخطيب البغدادي بإسناد مجهول عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه فإنه أمين مأمون).

التعليق: ليس في السند مجهول، وإنما نعم فيه رجل ضعيف، وقد ترجمناه في الملحق.

كلام الذهبي معتدل

قال في سير أعلام النبلاء: (محمد بن بشر العبدي: حدثنا مجالد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد مرفوعا: إذا رأيتم فلاناً يخطب على منبري، فاقتلوه، رواه جندل بن والق، عن محمد بن بشر، فقال بدل (فلاناً): معاوية، وتابعه الوليد بن القاسم، عن مجالد. وقال حماد وجماعة: عن علي بن زيد، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد مرفوعاً: إذا رأيتم معاوية على منبري، فاقتلوه. الحكم بن ظهير واهٍ عن عاصم، عن زر عن عبد الله مرفوعاً نحوه. وجاء عن الحسن مرسلاً. وروي بإسناد مظلم، عن جابر مرفوعاً:

إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري، فاقبلوه، فإنه أمين مأمون. هذا كذب. ويقال: هو معاوية بن تابوه المنافق)[1].

التعليق: الذهبي أخطأ في قوله عن الحكم بن ظهير (واه) وهذا من بقايا نصبه وإن كان أخف من نصب ابن كثير، وابن كثير أخف نصباً من ابن تيمية، وابن تيمية أخف نصباً من معاوية، وهكذا.

لكن الذهبي أنصف في تكذيب رواية (فاقبلوه) فهو جزم بكذبها لعلمه بأنها التفاف على الحديث، أما أنا فاعتبرتها من شواهد الحديث، باللفظ الصواب، بمعنى أن الناصبي الذي حرف اللفظة وزاد في الحديث إنما دليل على ضيق ذرعه بهذا الحديث وأنه قد روي.

وسكت عن الروايات في وجوب قتل معاوية ولم يقل عنها كذب.

وأما قوله (قيل هو معاوية بن التابوت)! فذها اقتراح اقترحه أحد نواصب الحنابلة وهو أبو بكر بن أبي داود، فقد رواه عن عباد بن يعقوب (من حديث أبي سعيد) ثم اقترح ذلك. ولم يقل به غيره، ولا يعرف أحد اسمه معاوية بن التابوت. وأبو بكر بن أبي داود كان ناصبياً وكاد أن يقتل لطعنه في علي وأمهات المؤمنين بذكره رواية من تلك الروايات الأموية التي كانت تريد إلصاق الفاحشة بأمهات المؤمنين وعلي بن أبي طالب (راجع ترجمته في تاريخ بغداد)، ومثله لن نقبل منه حماية معاوية باسم خرافي مخترع. حتى الحنابلة كابن الجوزي لم يقبله منه. وكان الأولى بالذهبي أن يرده، ولا يكفي أنه رواه بصيغة التمريض.

كلام ابن الجوزي والرد عليه

قال في الموضوعات: (وأما الاحاديث التى وضعت لذمه يعني في ذم معاوية فالحديث الأول: في أَمْرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بقتله إذا صعد على منبره، وهو يروى من حديث ابن مسعود وأبى سعيد والحسن مرسلاً)[2].

التعليق: ثم استعرضها وقد سبقت دراستها، وابن الجوزي له أوهام كثيرة، وهو

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٤٩.

(٢) الموضوعات لابن الجوزي، ٢/ ٢٤.

ينقل الجرح ولا ينقل التوثيق ولا يبالي إلا بجمع ما يطرح كل إسناد بمفرده! ثم لم يذكر بقية الطرق. فأهمل نحو خمس طرق مشهورة.

إلَّا أنه أحسن بزيادة لطيفة وهو قوله: (قال المصنف: وقد تحذلق قوم لينفوا عن معاوية ما قُذف به في هذا الحديث! ثم انقسموا قسمين: فمنهم من غير لفظ الحديث وزاد فيه! ومنهم من صرفه إلى غيره).

ثم قال: (ذكْرُ ما صَنَعَ القسمُ الأول: أنبأنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، أنبأنا أحمد بن علي الخطيب، حدثني الحسن بن محمد الخلال، حدثنا يوسف بن أبي حفص الزاهد، حدثنا محمد بن إسحاق الفقيه إملاء، قال حدثني أبو نصر الغاري، حدثنا الحسن بن كثير، حدثنا بكر بن أيمن القيسي، حدثنا عامر بن يحيى الصريمي، حدثنا أبو الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه فإنه أمين (مأمون).

قال الخطيب: لم أكتب هذا الحديث إلا من هذا الوجه، ورجال إسناده ما بين محمد بن إسحاق وأبى الزبير كلهم مجهولون، ومحمد بن إسحاق كثير المناكير).

قلت أنا حسن المالكي لو لم يجد النواصب للحديث أصلاً عن جابر بن عبد الله ما حرَّفوه، فهذا يضاف لشواهد حديث جابر بن عبد الله.

ثم قال: (ذكْرُ صانعِ القسم الثاني: (أنبأنا محمد بن ناصر الحافظ، أنبأنا عبد القادر بن محمد، أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، أنبأنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان، قال: قال لي أبو بكر بن أبى داود لما روى حديث معاوية (إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه)، قال هذا معاوية بن التابوت نَذَرَ أن يقذِّر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس هو معاوية بن أبي سفيان.

قال المصنفُ]ابنُ الجوزي[قلتُ: وهذا يحتاج إلى نقل، ومَن نَقَلَ هذا؟ ومَن معاوية ابن التابوت؟).

التعليق: إذن فرواية مثل أبي بكر بن أبي داود للحديث لم يكن لوجه الله وإنما لصرفه من معاوية إلى أسطورة لا وجود لها. والسلفية والحنابلة منهم خاصة، والنواصب بشكل أخص، من أقدر الناس على تعطيل مفاعيل النصوص الشرعية إذا اقتربت من عِجْلهم الكبير.

كلام ابن طاهر المقدسي والرد عليه وهو من النواصب الكبار

قال في ذخيرة الحفاظ: (حديث: إذا رأيتم معاوية على منبري؛ فاقتلوه.

رواه الحكم بن ظهير الفزاري الكوفي، عن عاصم، عن زربن حبيش، عن عبد الله. والحكم كذاب يضع الحديث[1]، وسرقه منه عباد بن يعقوب الراوجني[2]، فرواه عن شريك، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله. وعباد هذا من غلاة الروافض[3]، ويروي المناكير عن المشاهير، يستحق الترك، وإن كان محمد بن إسماعيل البخاري روى عنه حديثاً واحداً في الجامع، فلا يدل ذلك على صدقه، لأن البخاري روى عنه حديثاً، وثقه عليه غيره من الثقات، وأنكر الأئمة في عصره عليه روايته عنه[4].

وترَكَ الروايةَ عن عباد جماعةٌ من الحفاظ (!!)

قال ابن عدي: وعباد روى أحاديث أنكرت عليه في فضائل أهل البيت، وفي مثالب غيرهم (!!)

وقد اختلف عليه، فرواه محمد بن صالح عنه، عن شريك، ورواه علي بن عباس عنه، عن الحكم بن ظهير، فدل أن تلك الرواية عن شريك لا أصل لها، والحديث راجع إلى الحكم، وهو كذاب. ورواه عمرو بن عبيد، عن الحسن، أن رسول الله قال ذلك. قال حماد بن زيد: قيل لأيوب: إن عمرو بن عبيد يروي عن الحسن هذا؟ قال: كذب.

قال المقدسي: والحسن عن النبي، مرسل.

ورواه علي بن زيد بن جدعان: عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري. ورواه عن علي بن زيد: ابن عيينة، وجعفر بن سليمان، وغيرهما. ورواه عن كل واحد جماعة.

والحديث بجميع طرقه راجع إلى علي، وهو لا شيء في الحديث[5].

ورواه مجالد بن سعيد: عن أبي الوداك، عن أبي سعيد الخدري، ورواه عنه جماعة. ومجالد ضعيف.

---

(١) هكذا!!

(٢) هكذا!!، ترى من أخبره بذلك؟

(٣) هكذا!!

(٤) الله أكبر!! أنكر الأئمة في عصره؟)!

(٥) كذا!

ورواه سفيان بن محمد الفزاري: عن منصور بن سلمة، عن سليمان بن بلال، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر. قال ابن عدي: سوّى سفيان الفزاري هذا، فقال: عن جعفر، عن أبيه جابر. ورواه عن منصور: عن سليمان، وسليمان ثقة، ومتقن، لا بأس به، وإنما روى هذا سليمان: عن جعفر بن محمد، عن جماعة من أهل بدر.

قال المقدسي: وجعفر، وأبوه لم يدرك أحداً من الصحابة المتأخرين، فكيف في جابر؟[1]

وسفيان الفزاري من أهل المصيصة، يسرق حديث الناس، ويروي عن الثقات المناكير.

ورواه محمد بن إسحاق: عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه. وهذا بهذا الإسناد لم أكتبه إلاّ عن علي بن سعيد، عن الحسن بن عيسى الرازي، عن سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق. وسلمة رازي يعرف بالأبرش ضعفه إسحاق بن راهويه. وقال البخاري: في حديثه مناكير.

وهذا اللفظ مع بطلانه قد قُرِئ بالمعجمة الواحدة من تحتها[2]، ولايصح أيضاً، وهو أقرب إلى العقل[3].

ولأن الأمة رأوه يخطب على منبر النبي ولم ينكروا ذلك عليه، ولا يجوز أن يقال: إن الصحابة ارتدَّت بعد نبيها وخالفت أمره، نعوذ بالله من الخذلان، والكذب على رسول الله)[4].

التعليق: لا أدري من أين أرد على المقدسي، إلا أن معظم الردود قد سبقت.

إلا أنه أعجبني منه قوله (وهو أقرب إلى العقل)! متى كان أهل الحديث يحتجون بالعقل؟ وإنما الصواب أنه أقرب إلى الهوى.

وأعجبني منه كذلك احتماله أحد أمرين: إما بطلان الحديث وإما ردة الصحابة!

هكذا يخوِّف أولياءه! وقد أجبنا بأن المعصية أو العجز لا يعد كفراً ولا ردة.

---

(١) عجيب!

(٢) يعني ذلك اللفظ المحرف: فاقبلوه.

(٣) يا سلام!

(٤) ذخيرة الحفاظ لابن طاهر المقدسي، ١/ ٣٢٠.

وفي الأخير يُتعوَّذُ بالله من الخذلان. والكذب على رسول الله، وهم من أكذب خلق الله في أمرين: في النصب والتجسيم، وابن طاهر معروف بالأمرين وهو الطاعن في الحاكم بأنه منحرف عن (معاوية وآله)! وأنه رافضي... إلخ.

هذا الرجل مجنونُ نَصْبٍ، لكنَّ نَصبه فجٌّ واضحٌ. وليس خفياً متذاكياً كابن تيمية. فلذلك يسهل حتى على العامة ملاحظة تعصبه وتهوُّكه في الدفاع والهجوم.

الجورقاني وهو من كبار النواصب: يكفِّر من صحَّح الحديث!!

قال الجورقاني في كتاب الأباطيل: (هذا حديث موضوع باطل لا أصل له في الأحاديث، وليس هذا إلا من فعل المبتدعة الوضَّاعين؛ خذلهم الله في الدارَين، ومن اعتقد هذا وأمثالَه؛ أو خطر بباله أنَّ هذا جرَى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهو زنديقٌ خارجٌ من الدين)[1].

التعليق:

هذا الجورقاني مجنون نصب، وليس عليه العمدة، إلا أنه يمكن أن نقول إنه بناء على هذا الأساس فمن صحح أن عبد الله بن أبي بن سلول منافق فهو زنديق خارج من الدين من باب أولى، لأنه صحابي شهد بيعة الرضوان، وتاب في آخر حياته وطلب من النبي (ص) أن يكفنه في قميصه... إلخ، فهو أولى بالدفاع من معاوية إلا أنه لم يحكم ليدلي بحجته ليتلقفها الحمقى والمغفلون.

كلام ابن تيمية وهو مجدِّدُ النَّصْب بحقّ وأولُ من ألبسَ النصبَ لباسَ السُّنة

قال ابن تيمية في المنهاج عن حديث (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه): (وهو عند أهل المعرفة بالحديث كذب موضوعٌ مُختلَقٌ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم)[2].

التعليق: لا تعليق.. ! نحن لا نتحدث مع مَن لا يريد الحقيقة. وهل لو خرج النبي (ص) بنفسه وقاله وسمعه ابن تيمية هل سيقبل؟ هو لم يقبل ما تيقن أن النبي (ص) قاله

---

(١) كتاب الأباطيل للجورقاني، ١/ ٢٠٠.

(٢) منهاج السنة النبوية، ٤/ ٣٨٠.

سواء في فضل علي كحديث المنزلة، أو في ذم معاوية كحديث عمار فهل ننتظر منه أن يقبل ما لم يُبحث ولم يُتيقَّن من صدوره عن النبي (ص)؟ نحن لا نعاتب ابن تيمية في مثل هذا الحديث، فهو أقل بكثير مما ردَّه ابن يتمية عناداً، دلالة أو إسناداً، فابن تيمية حسم أمره في الوقوف مع بني أمية ولو ضدّ النبي (ص)، وقد أجَّلت معظم ما أريد أن أقوله عنه مفصلاً في كتابي (النقض الكبير) في الرد على منهاج السنة، وما ورد فيه من أخطاء عظيمة في حق أهل البيت، من النبي (ص) إلى اصغر رجل فيهم.

وأخيراً كلام الألباني والرد عليه مختصراً:

والألباني رحمه الله له فضل عليّ خاصة، فقد كنت في بداية الطلب ممن قرأ كتبه كلها وتعصَّبت له مدة، مع أني كنت أرى تعصبه في تضعيف فضائل علي وتقوية فضائل معاوية وعمرو بن العاص، وهذا جزء من ضعف الوعي التاريخي عند السلفية عامة، فهم لا يأخذون إلا عن سلفِهم، وسلفُهم لا يروون التاريخ ويرون تعطيل دراسته وتداوله، إلا ما يخص تاريخ الرواة، فلذلك ضمر الوعي التاريخي عندهم فضمر نقدهم العلمي. وأهل الحديث هم عالة على أهل التاريخ والسير كما ذكر ابن عبد البر، ورحم الله الألباني فرغم فضله على كثير من طلبة العلم إلا أنه في الأصل منحرف عن أهل البيت تبعاً للمنهج السلفي، وكل سلفي يحبُّ ابنَ تيمية لابد أن ينحرف عن آل محمد شاء أم أبى. وخاصة علي والحسين وفاطمة. لا يمكن أبداً لسلفي يحب ابن تيمية أن يحب النبي (ص) أو علياً أو فاطمة أو الحسين. إلا أن يكون يجهل هؤلاء أو يجهل ابن تيمية.

وإني لأعجب كيف كنا نرى كلام الألباني منزهاً عن الأخطاء. وهذه عادة سلفية في تضخيم العلماء حتى يتعطل عقل الطالب عن الأسئلة والاستشكالات.

يقول الألباني في السلسلة الضعيفة[1]: (حديث: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه. قال الألباني: موضوع. وقد روي من حديث أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وسهل بن حنيف، والحسن البصري مرسلاً). (ولم يذكر بقية الطرق).

ثم قال: (أما حديث أبي سعيد؛ فله عنه طريقان: الأولى: عن علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعاً به، أخرجه ابن عدي (ق١/ ٣٠٩)، وعنه ابن عساكر

---

(١) السلسلة الضعيفة، ١٠/ ٦٠٥.

في التاريخ (١٦/ ٣٦٢/ ١)، وأشار ابن عدي إلى أنه حديث منكر، وقد أورده في مناكير علي بن زيد بن جدعان (٢٨٦/ ١-٢) بزيادة في آخره؛ نصها: فقام إليه رجل من الأنصار، وهو يخطب، بالسيف. فقال أبو سعيد: ما تصنع؟! فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول... فذكر الحديث. فقال له أبو سعيد: إنا قد سمعنا ما سمعت، ولكنا نكره أن نسل السيف على عهد عمر حتى نستأمره، فكتبوا إلى عمر في ذلك، فجاء موته قبل أن تخرجوا به.

قلتُ: وعلي بن زيد، وهو ابن جدعان، متفق على تضعيفه لسوء حفظه)[1].

ثم قال: (بل قال ابن حبان فيه: يهمّ ويخطىء، فكثر ذلك منه، فاستحق الترك[2]،

وهذا الحديث يدل على أنه كما قال فيه يزيد بن زريع: لم أحمل عنه؛ فإنه كان رافضيًا)[3].

ثم قال: (وقال الحافظ في آخر ترجمته من التهذيب: وهذا الحديث أنكر ما حدث به ابن جدعان)[4].

ثم قال الالباني: (قلت: والزيادة التي ذكرناها تؤكد بطلانه؛ إذ لا يعقل أن يكون أبو سعيد سمع الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه ذلك الأنصاري، ثم يبادر إلى الإنكار عليه حينما أراد تنفيذ الأمر بقتل معاوية رضي الله عنه حين رآه على المنبر، محتجًا على ذلك بقوله: ولكنا نكره أن نسل على عهد عمر)[5].

ثم قال الألباني: (وإنما تنفق مثل هذه الحجة فيما إذا لم يكن هناك نص خاص منه

---

(١) قلتُ: كلا، ليس متفقاً على تضعيفه = راجع ترجمته.

(٢) قلتُ: الألباني نفسه يرد على ابن حبان كثيراً في تهوره في النقد.

(٣) قلتُ: يزيد بن زريع ناصبي، ولا يُقبل قول ناصبي في شيعي، وكيف برافضي في البصرة؟ لا يمكن.

(٤) قلت: ابن حجر ينقل هذا عن جمهرة من طعن في ابن جدعان وفيهم نصب، فلا يكون الناصبي حجة على الشيعي، لأن الناصبي غيُّه نفاق بالنص، والشيعي فيه إيمان بالنص، هذا أقل ما يمكن في تفعيل النص، أن ننزل لفظه من: لا يحب علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق، إلى: من أحب علياً ففيه أصل إيمان، ومن أبغضه ففيه أصل نفاق، والمنافق يكذب والمؤمن لا يكذب، والنزول بالحديث إلى دون هذا بحيث يكون التشيع لعلي علامة على الضعف وبغضه علامة على الثقة لا يجوز، لأنه تعدٍّ على النص.

(٥) قلتُ: كلا ليس منكراً. لأن أبا سعيد فهم من الحديث أن يُقتل بأمر من السلطة القائمة، ولا يتم التقدم عليها بالعقوبة كسائر الحدود.

صلى الله عليه وسلم بقتل شخص معين، أما والمفروض أنه صلى الله عليه وسلم قال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه؛ فلا وجه لتلك الكراهة! لكن الزيادة المذكورة تؤكد، كما ذكرنا، بطلان الحديث؛ إذ إنه قد ثبت أن معاوية رضي الله عنه خطب على المنبر، فلِمَ لَمْ يقتلوه إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاله؟)[1].

ثم قال: (وسيأتي قول ابن عدي الذي نقله عنه السيوطي بهذا المعنى قريبًا إن شاء الله تعالى.

والطريق الأخرى: عن مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد به.

أخرجه ابن عدي (٢/ ٣٩٧) من طريق بشر بن عبدالوهاب الدمشقي، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا مجالد... وقال: قال ابن بشر: فما فعلوا! وقال ابن عدي عقبه: لا أعلم يرويه عن أبي الوداك غير مجالد، وعنه ابن بشر. وقد رواه غير ابن بشر عن مجالد. ومجالد له عن الشعبي عن جابر أحاديث صالحة، وقد روى عنه غير الشعبي، ولكن أكثر روايته عنه؛ وعامة ما يرويه غير محفوظ.

قلتُ: وحال مجالد في الضعف؛ نحو علي بن زيد بن جدعان)[2].

ثم قال: (وقد ساق حديثهما هذا ابن الجوزي في الموضوعات، وقال: مجالد وعلي؛ ليسا بشيء. وأقره السيوطي في اللآلىء (١/ ٢٢١)، وكذا ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٨)، ولكنه استظهر أن الآفة ممن دون مجالد، وهذا محتمل بالنسبة لهذه الطريق؛ فإن بشر بن عبدالوهاب الدمشقي؛ الظاهر أنه بشر بن عبدالوهاب الأموي الذي اتهمه الذهبي بوضع حديث مسلسل العيد.

وأما الطريق التي عناها ابن عراق، وهي التي ساقها ابن الجوزي،؛ فهي عنده من رواية ابن عدي أيضاً: أنبأنا علي بن العباس: حدثنا علي بن المثنى: حدثنا الوليد بن القاسم عن مجالد به.

قلت: فهذا الإسناد ليس فيه من هو أولى بتعصيب الآفة من مجالد؛ فإن الوليد بن القاسم، وهو الهمداني الكوفي،؛ وثقه أحمد، وابن عدي، وابن حبان. وقال ابن معين:

---

(١) قلتُ: هذه الشبهة يتناقلها النواصب حتى صدَّقها الألباني، وقد سبق الجواب عليها.

(٢) قلتُ: كلا، ابن جدعان أرفع بكثير.

ضعيف الحديث.

وأورده ابن حبان في الضعفاء أيضاً! فقال: انفرد عن الثقات بما لا يشبه حديث الأثبات؛ فخرج عن حد الاحتجاج بأفراده! وقال الحافظ: صدوق يخطىء، وعلي بن المثنى، وهو الطهوي،؛ روى عنه جماعة من الثقات، وذكره ابن حبان في الثقات، لكن أشار ابن عدي إلى ضعفه؛ كما في التهذيب. وقال في التقريب: مقبول. وعلي بن العباس: هو المقانعي؛ كما في ترجمة ابن المثنى من التهذيب، وقد أورده السمعاني في هذه النسبة. وقال: يروي عن محمد بن مروان الكوفي وغيره، روى عنه أبو بكر بن المقري، ومات بعد شوال سنة ست وثلاث مئة.

فهو من الشيوخ المستورين. والله أعلم)[1].

ثم قال: (وأما حديث ابن مسعود؛ فيرويه عباد بن يعقوب: حدثنا الحكم بن ظهير عن عاصم عن زر عنه مرفوعاً. أخرجه ابن عدي (ق١/ ٦٧)، وعنه ابن عساكر: أخبرنا علي بن العباس: حدثنا عباد بن يعقوب به. ساقه ابن عدي في جملة أحاديث مستنكرة للحكم بن ظهير. وقال: وللحكم غير ما ذكرنا من الحديث، وعامة أحاديثه غير محفوظة. وروى عن ابن معين أنه قال فيه: ليس بثقة. وفي رواية عنه: كذاب. وقال ابن الجوزي: موضوع. عباد رافضي. والحكم متروك كذاب. وأقره السيوطي وابن عراق. وعباد بن يعقوب، وإن كان رافضيًا، فقد وثق. وقال الحافظ: صدوق، رافضي، حديثه في البخاري مقرون، بالغ ابن حبان فقال: يستحق الترك. قلتُ: وقد خولف في متن الحديث؛ فرواه محمد بن علي بن غراب عن الحكم بن ظهير.. بلفظ: يكون هلاك أمتي على يدي أغيلمة سفهاء من قريش أخرجه ابن عدي. لكن محمد بن علي بن غراب مجهول الحال؛ أورده ابن أبي حاتم (٤/ ١/ ٢٨) من رواية محمد بن الحجاج

---

(١) قلتُ: وكأن الألباني قد جزم بأن الحديث موضوع ولذلك لا بد من البحث عمن وضعه! وهذا بحث عن سبق إصرار على تضعيف الحديث، وهنا يخرج البحث عن كونه بحثاً.

الحضرمي عنه، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

وهو بهذا اللفظ صحيح؛ له شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعاً: رواه البخاري وغيره، وهو مخرج في الروض النضير.

وأما حديث سهل؛ فيرويه سلمة بن الفضل: حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه مرفوعاً به، إلا أنه قال: فلاناً مكان: معاوية. أخرجه ابن عدي (ق ١/ ٣٤٣): حدثنا علي بن سعيد: حدثنا الحسين بن عيسى الرازي: حدثنا سلمة بن الفضل.. وقال عقبه: لم نكتبه إلا عن علي بن سعيد. قلت: وهو متكلم فيه/ لكن العلة ممن فوقه، وهو سلمة بن الفضل، وهو الأبرش؛ قال الحافظ: صدوق كثير الخطأ[1]. وشيخه محمد بن إسحاق مدلس؛ وقد عنعنه[2]. فلعل الآفة منها)[3].

ثم قال: (وأما حديث الحسن البصري؛ فيرويه عمرو بن عبيد المعتزلي. (ولم يذكر الرواة الآخرين عن الحسن)!!

فقال حماد بن زيد: قيل لأيوب: إن عمرو بن عبيد روى عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال.. فذكره؟! فقال: كذب عمرو.

أخرجه العقيلي في الضعفاء (ص ٣٠٧)، والخطيب في التاريخ (١٢/ ١٨١)، وابن عساكر. وقال: وهذه الأسانيد كلها فيها مقال. ثم قال: وقد رُوي: فاقبلوه، بالباء، وهو منكر.

ثم روى هو، والخطيب (١/ ٢٥٩) من طريق محمد بن إسحاق الفقيه: (حدثني أبو النضر الغازي قال: أخبرنا الحسن بن كثير، قال: أخبرنا بكر بن أيمن القيسي، قال: أخبرنا عامر بن يحيى الصريمي، قال: أخبرنا أبو الزبير، عن جابر مرفوعاً بلفظ: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه؛ فإنه أمين مأمون)[4]. وقال الخطيب: لم أكتب هذا الحديث إلا من هذا الوجه، ورجال إسناده، ما بين محمد بن إسحاق وأبي الزبير،

(١) عجيب!

(٢) أعجب!

(٣) وهذا أعجب وأعجب!! ما بقي إلا أن يحتمل أن الضعف من قبل تدليس ابن إسحاق!!

(٤) وهذا أعجب وأعجب!! ما بقي إلا أن يحتمل أن الضعف من قبل تدليس ابن إسحاق!!

كلهم مجهولون.

قلت: وابن إسحاق هذا: هو المعروف بشاموخ؛ قال فيه الخطيب: وحديثه كثير المناكير.

وفي ترجمته ساق هذا الحديث. وساق له قبله حديثًا آخر في فضل علي وفاطمة والحسن والحسين؛ واستنكره. وقال الذهبي: هذا موضوع.

وقال السيوطي في اللآلىء، بعد قول الخطيب المتقدم،: قلتُ: قال ابن عدي: هذا اللفظ، مع بطلانه، قد قُرىء أيضاً بالباء الموحدة، ولا يصح أيضاً، وهو أقرب إلى العقل؛ فإن الأمة رأوه يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينكروا ذلك عليه. ولا يجوز أن يقال: إن الصحابة ارتدَّت بعد نبيها صلى الله عليه وسلم وخالفت أمره، نعوذ بالله من الخذلان والكذب على نبيه[1].

وقال الألباني: (وهذا الحديث مما اعتمده الشيعي في المراجعات في حاشية (ص ٨٩) في الطعن على معاوية، مشيراً بالطعن على من أشار إلى استنكاره من أهل السنة، متجاهلاً ما يستلزمه الاعتماد عليه من الطعن بكل الصحابة الذين رأوا معاوية يخطب على منبره صلى الله عليه وسلم، فنعوذ بالله تعالى من الهوى والخذلان).

التعليق الأخير: وأقول: نعم. نعوذ بالله من الخذلان! فلا استيعاب للطرق ولا حسن تعليل لضعف الحديث إلا بإحسان الظن بأن الصحابة لا يمكن أن يعجزوا عن أمر ولا يمكن أن يتركوا وصية ولا أن يخالفوا أمراً ولا لا. وهذا كله تم إبطاله، وليس أدل على ذلك من وصيته أن لا يتقاتلوا فتقاتلوا. وأنا هنا لا أذم الجميع ففي القوم محق ومبطل، لكن الوصية عامة لم يتم تنفيذها. كذلك الوصية بأن لا يتنافسوا في الدنيا. وأن لا يتحاسدوا ولا يتباغضوا... إلخ.

ولأن السلفية وآخرهم العلامة الألباني رحمه الله بعيدون عن رؤية مسؤولية الناس، لذلك نذكِّرهم ببعض الآيات الكريمة، ومن لم يَشْفِهِ كتابُ الله فلا شافي له.)

القرآن الكريم يضع المسؤولية على الناس والسلفية يلقونها على النبي (ص)

والله تعالى يقول: (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (آل عمران:

---

(١) قلتُ: هذا وهمٌ من الألباني؛ فهذا قول ابن طاهر لا قول السيوطي ولا الخطيب.

٢٠).

وقال: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ) (المائدة: ٩٢).

وقال تعالى: (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ. قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّه يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة: ٩٩، ١٠٠).

وقال (وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) (الرعد: ٤٠).

وقال:(وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ. وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّه وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ. إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (النحل: ٣٥ - ٣٨)

وقال: (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (النور: ٥٤، ٥٥)

وقال: (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ. فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) الآية (الشورى: ٤٧، ٤٨)

وقال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (التغابن: ١٢)

بعد هذه الآيات وأمثالها نأمل أن لا يحمل السلفيون المسئولية رسول الله، ولا يستبعدون ضعف الصحابة أيضاً عن تنفيذ الأوامر فقد ضعفوا والنبي (ص) بين أظهرهم، فكيف لا يضعفون وقد غادرهم؟

والقرآن الكريم يثبت معصية أكثر الصحابة والنبي (ص) حيّ فكيف بعد موته؟

قال تعالى: (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ. وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (آل عمران: ١٥١ – ١٥٣).

التعليق: فإذا كانوا لا يستجيبون والنبي يدعوهم مباشرة فلا يستغرب أن ينكصوا في آخر عهد عمر مع تأولهم بالطاعة وأن هذا زمن غير زمن، وأن الأمر للإرشاد وليس للوجوب، وغير ذلك من الأعذار التي يعتذر بها سائر الناس عند الضعف عن أمر أو الخوف من نتائجه السريعة.

وكذلك قوله تعالى: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) (التوبة: ٢٥).

فهاهم الآن يدبرون مرة أخرى يوم حنين بعد نزول آية الفرار من الزحف وهم يسمعون النبي (ص) مباشرة، ولكنهم هابوا المشركين فهربوا فكيف بعد ذلك بزمن ألا يعقل أن يهابوا أيضاً؟

إذن فالصحابة على فضلهم ومكانتهم لم يكونوا على استعداد لتنفيذ كل الأوامر الإلهية أو النبوية، وخلق الإنسان ضعيفاً، وهم من جنس الإنسان.

والآيات كثيرة جداً فذ هذا الموضوع، فالصحابة رضي الله عنهم قد يضعفون ويخافون ويفرون ويذنبون. فلماذا نستغرب خوفهم في مكان ونرفضه في مكان آخر؟ نعقل تقصيرهم والنبي (ص) بين أظهرهم ولا نستغرب تقصيرهم وقد فارقهم؟ هذا تحكم.

إلا إذا كان هؤلاء الحمقى يقولون إن الصحابة كانوا أشجع في عدم وجوده (ص) وأن وجوده صلوات الله عليه بينهم هو سبب إدبارهم في أحد وحنين. إما بعد موته (ص) فقد تحلى كلهم بالشجاعة؟ ما هذا التفكير السخيف؟.

٣. نَصْبُ البصرة

قد يأتي بعض طلبة العلم ويستغربون مثل هذا الحشد المعلوماتي، أن هذا فيه نصب، وهذا فيه تشيع، والبصرة ناصبية و... إلخ، وأنا إنما أتحدث هنا مع أهل العلم، ومن الصعب توثيق كل شيء، فلا يستعجلوا، وليبحثوا، ونصب البصرة مثلاً قد يستغربه أكثر أهل الحديث اليوم، بل المتميزون منهم، ويشككون فيه، مع أن هذا معروف في التاريخ وعند أهل الحديث أيضاً. ولا بأس أن تذكر هنا موجزاً عن نصب البصرة: فالنصب من خصائص شخصية البصرة. وانحراف أهل البصرة عن الإمام علي معروف عند كبار أهل الحديث. وهو وإن كان أغمض من نصب أهل الشام، إلا أنه أبرز ظهوراً من بقية الأمصار، وهو أيضاً أعمق أثراً من نصب الشام لكثرة أحاديثهم وسريان عقائدهم، ولكنه معروف عند أهل التدقيق والتحقيق كابن عبد البر وغيره. ولغموضه لابد من شيء من كشفه هنا، أهل البصرة كانوا من شيعة بني أمية من قديم. وبقي فيهم هذا الرأي، وكان قد صنع فيهم عبد الله ابن عامر صنائع أموية من أيام عثمان، ثم ناصروا أهل الجمل على الإمام علي وهو خليفة الوقت، ولم يطمع معاوية في ضم أي بلدة عراقية إلا البصرة (في قصة ابن الحضرمي وجارية بن قدامة) وتجنبها بنو العباس أيام تخطيطهم للثورة لميلها المعروف لبني أمية، وذم علي لأهل البصرة في وقته معلوم مشهور، وغفلة أهل البصرة أشهر، قال أبو نُعيم (إن دخلتَها لا تجد فيها إلَّا مغفلاً إلا أبا الوليد [الطيالسي])[1]. وبهذا سرى فيهم النصب الشامي والعثمانية السياسية وانضم إليهم بعض النواصب الخلَّص بعد زوال بني أمية. ولهذا كان بعض أهل الحديث إذا

(١) سير أعلام النبلاء، ١٠/ ٣٤٣.

ذهبوا إلى البصرة أظهروا التشيع (لغلبة النصب على البصرة راجع ترجمة ابن المديني في نبلاء الذهبي)، وعلق الذهبي على هذا بقوله (كان إظهاره لمناقب الإمام علي بالبصرة لمكان أنهم عثمانية فيهم انحراف على علي)، وكان أهل البصرة يغالون في تضعيف كل من فيه تشيع يسير ولو كان ثقة، ومن ذلك بغضهم لجعفر الصادق ورفضهم أحاديثه (راجع ترجمته)، وقد اتهمهم بالنصب أحمد بن حنبل مع أخذه أغلب عقائده من المدرسة البصرية، ففي ترجمة جعفر بن سليمان الضبعي من تهذيب الكمال: (قال أبو طالب عن أحمد بن حنبل: لا بأس به (يعني جعفر بن سليمان)، قيل له: إن سليمان بن حرب وهو بصري يقول: لا يُكتب حديثه! فقال (أحمد): حماد بن زيد لم يكن ينهى عنه كان ينهى عن عبد الوارث ولا ينهى عن جعفر إنما كان (جعفر) يتشيع وكان يحدث بأحاديث في فضل علي، وأهل البصرة يغلون في علي)[1]. يقصد يغلون في الانحراف عن علي بتضعيف الثقات إذا رووا في فضل علي. وقال ابن عبد البر: (وأهل البصرة يفرطون فيمن يتشيع بين أظهرهم لأنهم عثمانيون)، انتهى. نقله عنه الحافظ في التهذيب ترجمة أبي هارون العبدي، وقال ابن حجر في ترجمة الفضل بن الحباب في اللسان (والنصب معروف في كثير من أهل البصرة). وهذا الموروث من النصب البصري كالتوجس من علي وأهل البيت وشيعتهم الثقات، أو بغضهم أو تجنب ذكرهم بخيرٍ ما أمكن. هذا الموروث باقٍ إلى اليوم في السلفية، تمت وراثته عبر غلاة السلفية الأولى ثم الحنابلة الوسطى ثم التيمية المتأخرة ثم السلفية المعاصرة، كيف ومن أبرز عثمانية أهل البصرة المنحرفين عن علي، ابن سيرين وأبو رجاء العطاردي وأبو قلابة وأيوب السختياني وعبد الله بن شقيق وعاصم الأحول وابن عون ويونس بن عبيد وداود بن أبي هند وإسحاق بن سويد وبلال بن أبي بردة وعبد الوهاب الثقفي ومعاذ بن معاذ ويزيد بن زريع وحماد بن زيد ويحيى القطان وعبد الرحمن ابن مهدي وسليمان بن حرب وغيرهم، وأحاديثهم تملأ الدنيا وقد سرت في العقائد والأحكام والفضائل، ولأحاديثهم وآثارهم ومواقفهم العقيدة أثرها الكبير على أهل السنة ومن زاوية أخص على السلفية. وفي أهل البصرة فضلاء ومنصفون، لعلي بن زيد بن جدعان ولكن أهل البصرة كيزيد بن زريع وأمثاله من النواصب لم يتركوه.

---

(١) تهذيب الكمال، ٥/ ٤٦.

الخاتمة

هذا حديث من سلسلة أحاديث (مثالب معاوية)، والأحاديث في مثالب معاوية هي جزء من كتابي الموعود من زمن (معاوية بن أبي سفيان قراءة في المناقب والمثالب).

وسيأتي تباعاً بقية الأحاديث في ذم معاوية، وسيستغرب طلبة العلم كيف أن معظم الأحاديث التي كنا نظن أنها باطلة من أول نظرة، وأنا كنت عندما بحثت هذه الأحاديث ومنها هذا الحديث، كنت أريد أن اثبت مصداقيتي بتضعيفها وأنني لا أقبل إلا الصحيح، ثم فوجئت بجودة طرقها وقوتها، فأصبح تضعيفها هكذا بالتحكم شهادة للمذهب لا شهادة لله. ولا للحقيقة.

نعم أنا إلى الآن أشعر بوحشة منها، لأن الإنسان بحسب التربية، يستغرب أشياء حتى لو صحت. مادام أن الوسط الذي تعلم فيه يستنكرها، والتخلص من الضغط الاجتماعي من أصعب الأمور، لكني أرحت نفسي بالقول: إنه على منهج أهل الحديث يكون الحديث صحيح الإسناد في الأقل، وهو ظني الصدور كأكثر أحاديث الآحاد التي نصححها بالمنهج نفسه. والبقية على الله.

ثم أمر آخر أقنعني بأن النبي (ص) الذي صححنا عنه التحذير من الدجالين والظالمين والكذابين، لابد أن يحذر ممن يجمع هذه الخصال كلها ويبني دولة تحرف دينه وتكذب عليه وتقتل أهل بيته وتسبهم على المنابر... إلخ لا يمكن أن يترك النبي (ص) أمته بلا بيان واضح صريح، فكانت مثل هذه الأحاديث التي لا تبقي عذراً لمتوهم أو مغفل أو عيي أو بطيء الفهم. فالتعريض في هذه المواطن لا يجدي، لأن النبي (ص) كان يعلم بتعليم الله له، أن الأمة ستكابر حتى في قتال الفئة الباغية، واستنكار

قتل عترة النبي (ص) وهدم الكعبة واستباحة المدينة... إلخ فلذلك لا بد من التصريح والبيان والتأكيد حتى يهلك من يهلك عن بينة، وينجو الذين كتب الله لهم الحسنى.

وهنا أذكِّر القارئ أنه لا يجب عليه الإيمان بصحة أي حديث لا يؤمن به، لكن يجب عليه أن يبرأ من معاوية وأمثاله لتواتر ظلمهم وبغيهم وأثرهم على الدين والفكر والسلوك. فذم الظلم وأهله أصل قرآني كبير. والبراءة من معاوية أول مفتاح للدخول إلى فهم النبوة وحب الله ورسوله (ص).

كتبه

حسن بن فرحان المالكي

الرياض ضحى يوم الجمعة ٢٧ من ذي الحجة سنة ١٤٣١هـ

سلسلة مثالب معاوية في الأحاديث المرفوعة (٢)

حديث الدُّبَـيْلَة

وهل سعى معاوية بن أبي سفيان إلى اغتيال النبي (ص) في غزوة تبوك؟

دراسة موسعة لحديث الدُّبَيْلَة الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه وبيان طرقه وألفاظه وفوائده وشواهده، وكشف دلالة مناسبته وتفسير غوامضه وإخراج قرائنه وبيان مواقف الناس من هذا الحديث وتفسيره، ومناقشة آراء السنة والشيعة والنواصب في هذا الحديث

تأليف

حسن بن فرحان المالكي

مقدمة وتمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبين، ورضي الله عن صحابته من أهل بدر والرضوان، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مات النبي (ص) فانتهى النفاق!

كنت وما زلت أتعجب غاية العجب من كثرة ذكر النفاق والمنافقين في القرآن الكريم وفي السيرة النبوية وفجأة وبلا مقدمات وبلا تفسير منطقي ينتهي النفاق بموت النبي (ص)! وكأن النفاق كانت حالة خاصة بزمن النبي (ص)! وكأن النبي (ص) هو المسبب الوحيد للنفاق، فلما مات صلحت نيات الناس! وأصبحوا على قلب رجل واحد في حب الإسلام والحرص على مبادئه ونشر تعاليمه.... إلخ! واختفى مصطلح النفاق تماماً من الثقافة الإسلامية، وعلى هذا فلا داعي لنصْف القرآن الكريم الذي يحذر من النفاق والمنافقين ويذكر سماتهم وصفاتهم وخطورتهم ومكرهم وخداعهم وتحالفاتهم.... إلخ!..

فجأة انتبهنا على اليوم الثاني من وفاة النبي (ص) والدنيا خالية من النفاق! فلا داعي لتلك الآيات والسور لأنها كانت خاصة بمنافقين في عهد النبي (ص) فلما مات افترق الناس بين مؤمن صالح وكافر مرتد، فكان الناس ثلاثة أصناف في عهد النبوة ثم أصبحوا صنفين في اليوم الثاني! أليست هذه سوءة فكرية تسالم عليها المسلمون؟ وهل هي فكرة أصيلة صحيحة أم كانت بفعل فاعل، سواء بأثر سياسي أو نتيجة نقص الوعي الديني؟ وهل إهمال ذكر النفاق والمنافقين من مصلحة العلم نفسه؟ العلم

بالدين والدنيا والناس والتغير والتبدل والمصالح والسياسة والحكم والمعارضة... إلخ.

هل كان هذا الانتقال من حالة وصف المجتمع المسلم بالتنوع وألوان الطيف كلها إلى حالة أخرى تقصر المجتمع المسلم على لونين فقط (مسلم وكافر) هل هذا في مصلحة العلم أولاً والحركة الاجتماعية والسياسية ثانياً؟ أم لا، هل هو متفق مع العقل أم لا؟ هل يدل عليه الشرع والدين والقرآن أم لا؟ هل هو طبيعي في حياة الشعوب أم لا؟ هل من المعقول والطبيعي أن ينقسم الشعب إلى قسمين فقط لا ثالث لهما؟ ولا ألوان بينهما؟ ولا تغير في النفس البشرية؟ ولا خداع ولا مكر ولا مصلحة ولا استغلال للدين... إلخ؟ هل من مصلحة عقولنا وعلمنا أن نصدق بهذا الفصل الثنائي الصارم؟ فعند المجتمع قسمان لا ثالث لهما، مسلم وكافر، ثم هذا المسلم فيه كل الأخيار وكل الأشرار إلا المنافقين!

ثم يصبح هذا المجتمع بعد النبوة فيه الكافر والمسلم والمرتد والظالم والفاجر والفاسق والعابد والمجاهد والعالم والجاهل... وكل شيء إلا النفاق، ليس فيه منافق! هل هذا معقول في حياة كل الشعوب دينية كانت أو دنيوية، أيام النبوات أو بعدها؟ هل هذا نتيجة لتحريف معنى النفاق نفسه؟ بحيث تم وصف النفاق وصفاً مشوهاً؟ أم أن الناس انشغلوا بما هو أهم؟ وهل شغلتنا الفتوح والعداوة مع الشرق والغرب إلى نسيان نصف القرآن الكريم؟

أم كان هذا الإهمال الغريب والعجيب جاء لحماية المنافقين أنفسهم؟ أولئك المنافقون الذين كان فساد الأمة على أيديهم؟ هل انتهى التحذير القرآني من المنافقين؟ هل انتهى بالتقادم أو انتهاء الصلاحية؟ ماذا نفعل بسورة المنافقين وسورة براءة؟ لماذا أنزل الله هذه السور؟ هل هي لمعالجة حالات آنية في عهد النبوة ثم لم يعد لنا بهذه السور والآيات حاجة بعد النبوة؟

إهمال النفاق الحي... وضرب النفاق الميت

هل من المعقول أن يبقى المسلمون منشغلين بالمنافقين الذين ماتوا مبكراً ولم يكن لهم ضرر أصلاً إلا في حياتهم،وليس لهم أثر بعد موتهم، فلم تكن السلطة بأيديهم

ولا أيدي أبنائهم؟ ولا يعرف لهم حديث رووه ولا فقه قرروه ولا عقائد وضعوها ولا سياسة انتهجوها؟.. هل نملأ صدورنا ببغض وذم الهواء؟ وذم الموتى الذين لا أثر لهم، ونترك دراسة المنافقين الذين كان لهم أبلغ الأثر على السياسة والفكر والدين والحرية والعدالة والمال العام وحقوق الإنسان؟ ما الذي يفيد المسلمين؟ أو الاهتمام بهذا الصنف أم ذاك؟ أي الفريقين أحق بدراسة أحواله واكتشافه ودراسة أثره على العقل المسلم والضمير المسلم والتدين نفسه والنظرة لحقائق الدين والحياة والتطور والكرامة؟ أين أثر عبد الله بن أبي بن سلول على الإسلام والمسلمين اليوم؟ لا تجد له أثراً.

لكن في الجانب الآخر أين أثر معاوية ودولته؟ تلفَّت، وستجد في كل واد أثر من ثعلبة، في الحديث والفقه والعقائد والتفسير والسياسة والمال العام والاقتصاد والثقافة والسلوك والنفس والعقل... إلخ، ما من علم إلا ولمعاوية ودولته فيه أسوأ الأثر، وهو مفتاح دراسة النفاق وأثره في الدين الإسلامي.

المنافقون في القرآن غير المنافقين في الحديث

هل وضع لنا الشرع علامات للمنافقين؟ أم تركها لنا لنحدد نحن صفات النفاق؟ وهل ما استقر في ذاكرتنا من أن صفات المنافق ثلاث أو أربع هو حق؟ هل هذه فقط هي الصفات التي تحدث عنها القرآن الكريم عند حديثه عن النفاق والمنافقين؟ هل يجوز أن يذكر القرآن نحواً من خمسين صفة ثم يأتي الحديث ليقصرها على ثلاث أو أربع؟ هل هناك تدخل سياسي في هذا التحديد؟ ومِن مَنْ؟ مَن له مصلحة في تقسيم النفاق إلى نفاق عملي وعقدي؟ هل هذا التقسيم في كتاب الله؟ أم هو استنباط بعد دراسة وافية للنفاق المذكور في الكتاب والسنة الصحيحة المتفقة مع الكتاب؟ أم هو اتباع للرواية والحديث التي لا نأمن بتدخل السياسي فيها وصرف النفاق عن معالمه الكبرى إلى معالم يشترك فيها أكثر الناس.. إذا حدَّث كذب، وإذا خاصم فجر، وإذا أؤتمن خان.. الخ؟

هذا التشويش على المعنى القرآني هو من آثار سلطة المنافقين، فالمسلمين اليوم لا يعرفون عن النفاق إلا ما رواه أهل الحديث ثم هم يتركون ما دلت القرائن على صحة

متنه، ويظهرون ما اشترك فيه المنافقون مع غيرهم، ولا يعرفون النفاق بالمعنى القرآني، ولا أقول إن كل الأحاديث في النفاق ضعيفة أو مبتورة، كلا، إلا أن القرآن الكريم يعطي معنى أبلغ وأشمل وأدق، وأما الأحاديث ففيها تفاصيل.

والأحاديث المشهورة في النفاق كحديث: (أَربع مَنْ كُنّ فيه كان منافقاً خالصاً. وَمَنْ كانت فيه خَصْلَة منهن كانت فيه خَصْلَة مِنَ النِّفَاق، حتى يَدَعَهَا: إذا ائْتُمِن خَانَ، وإذا حَدّث كَذَبَ. وإِذا عَاهَدَ غَدَرَ. وإِذا خَاصَم فجر)، وفي رواية عِوَضَ: (إِذا اؤتُمِنَ خان)، (إِذا وَعَدَ أخلف).

أخرجه الجماعة، إِلا الموطأ. فهذه ليست علامات المنافقين فقط مع أنها كلها في معاوية، إلا أن هذا يحدث من سائر الناس أيضاً، ولذلك قال الترمذي بعد إيراده الحديث (معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل. وإنما كان نفاق التكذيب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم).

قلت: وكلا الصنفين من النفاق موجود بكثافة في معاوية، فالنفاق العملي واضح، فلا فجور في الخصومة أبلغ من لعن علي على المنابر، ولا كذب أبلغ من الكذب على رسول الله (وقد حققت مسند معاوية، لم يصدق في حديث انفرد به)، ولا خيانة أبلغ من خيانته الأمة في بيت مالها وحقوقها، ولا خلف أظهر من تغيير الخلافة إلى ملك والبيعة ليزيد وكان قد وعد الناس بجعلها شورى، ولا غدر أبلغ من غدره بالحسن بن علي وشيعته في تتبع أصحاب علي وقتلهم بعد أن عاهدهم وشرط لهم الأمان، في غير ذلك من عشرات الأمثلة لكل خصلة، ومع ذلك فهذه الخصال عامة يقع فيها كثير من الناس من باب المعصية وليس من باب النفاق، أما معاوية فزاد خصالاً خاصة بالمنافقين فقط كبغض علي وبغض الأنصار فلا يحبهما إلا مؤمن ولا يبغضهما إلا منافق وخاصة في القرن الأول إذ ينتفي الجهل بمكانة الإمام علي ومكانة الأنصار.

إذن فعند قراءتنا تعميم النفاق في الأمة بناء على معاصٍ يقع فيها المنافق وغير المنافق، وإهمال المسائل الخاصة بالمنافقين كبغض عليٍ والأنصار، هل أتى هذا التعميم والإهمال هكذا مصادفة أو جهلاً، أم كان للمنافقين كمعاوية الدور الأكبر في تعميم النفاق والتشويش على معالمه الكبرى؟ لا سيما وأن رواة هذه الخصال والرواة عنهم مقربون جداً من معاوية وسلطته ورجاله؟ هل استلم المنافقون ولو بعد ثلاثين

سنة دفة الحكم ووجهوا الثقافة الدينية بما يخفي النفاق والمنافقين بالتشويش على المعالم الخاصة التي تحدد للمسلمين العلم بهؤلاء المنافقين وتستشرف خطرهم على الثقافة نفسها؟ وإذا تغيرت الثقافة أو تشوهت، هل يبقى هذا التشوه محصوراً في القرن الأول أم يسري عبر أحاديث هؤلاء ليدخل في العلوم الدينية والثقافة العامة؟ وبهذا يدخل المسلمون في صحراء قاحلة من التدين الدائري الذي يبدأ بالنفس وينتهي بها، يشغل النفس بالنفس، في تدين سلبي غريب عجيب كئيب، لا يخرج إلى أفعال خارجية تنعكس على الفرد والجماعة والشعب والسلطة، ترفع من شأن الإنسان وتعرف حقوقه وكرامته وتعلي شأنه وتنير له الحياة والتفاعل معها بما يفعّل العقل وينشر العدل ويخرج النفس المسلمة من الضنك والعنت والشك والخوف والجهل والظلم.

العلم بالنفاق والمنافقين... ثقافة قرآنية معطلة!

العلم بالنفاق والمنافقين وأثر المنافقين وعقول المنافقين وتحالفات المنافقين ليست ثقافة يراد بها الوقيعة في شخص أو جماعة، إنها ثقافة عميقة، تؤصّل علم النفس والاجتماع والسياسة دينياً، وعن علم وقوة فراسة واستشراف وتحليل.

هذه الثقافة القرآنية بالنفاق والمنافقين لوتم تفعيلها وتحليلها وتفسيرها لأعطتنا مزيداً من العلم بالله وسننه في الخلق وعجيب قدرته في خلق هذا الإنسان، ومعرفة مسؤوليته عن هداية نفسه وعن اشتراكه في مسؤولية التخلف والظلم في مجتمعه.

إن العلم بالنفاق والمنافقين ليس عبثاً ولم تتكثف المادة القرآنية عن النفاق لأجل أن نبقى طوال القرون نبغض ونذم أربعة أو خمسة من المنافقين قد علقت أسماؤهم بذاكرتنا! ما هذا التفكير الساذج والظن العجيب.

ثم هل في موضوع النفاق نفسه هل يجوز أن نقتصر على هذه الصفات الأربع ونهمل الصفات الأخرى في القرآن الكريم؟ هل القرآن هو الذي يهدي للتي هي أقوم؟ أم الحديث الذي كفل الله لنا حفظه؟ ولا نأمن تدخل السياسي والمذهبي فيه؟ نعم الحديث يجب الأخذ به ولكن بعد أن نعرف أنه صح عن النبي (ص) بمعايير قرآنية وعقلية لا بمعايير مذهبية أو سياسية لا تعتمد العلم في الجرح والتعديل وإنما العصبية والمخزون الثقافي المغاير لثقافة القرآن، وإيماننا أن ثقافة السنة لا تعارض ثقافة القرآن،

فإذا وجدنا الثقافة الحديثية تخالف ثقافة القرآن فيجب أن نعتقد جازمين أن هذه الثقافة ألصقت بالدين زوراً وبفعل فاعل.

على أن نذكِّر أنه ليس كل الثقافة الحديثية ولا معاييرها باطلة ولا كلها صحيحة، وإنما فيها الحق والباطل، ونحن لا نضعف الحديث مطلقاً ولا نقبله لأنه رواه فلان وفلان وصححه فلان وفلان، لأن فلانًا وفلاناً هؤلاء نحتاج أن نقيم ثقافتهم وهل هي أصيلة أم مذهبية، هل تقييم هذا سهل إذا لجأنا للقرآن الكريم والعقل الصريح والوعي التاريخي والضمير الحي؟ وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان، أعني سنعرف من هو مع القرآن عندما نعرض بعض الآيات التي لم يكد هؤلاء يسمعونها، وبعض الأحاديث التي رغم وجودها في صحيح الأحاديث واتفاقها مع القرآن الكريم إلا أنهم لا يفهمونها ولا يرون فيها فائدة! وهكذا، فنحن لا نتكلم من فراغ، والثقافة العامة معادية للقرآن الكريم من حيث لا تشعر، معادية للحقيقة من حيث تظن أنها تنصر الحقيقة، وهكذا طبيعة كل الثقافات مهما كانت تافهة، ليس هناك ثقافة على وجه الأرض إلا وهي ترى أنها تنصر الحقيقة، ولكن مع الحوار وإعادة النظر وزيادة العلم ووحدة المعيار ودقته يمكن اكتشاف أن كيساً من القطن أخف من كيلو من الحديد الصلب! أما قبل الوزن فالطفل يظن أن الكيس أثقل، والعقل الطفولي كالطفل يغتر بالمظاهر من ألفاظ وكثرة التزكية للذات والذم للمختلف.

هذا الكتاب إسهام في إحياء ثقافة قرآنية

فهذا البحث وأشباهه هو لتنبيه المسلمين بعد أن عرفوا خطورة النفاق إلى أثر هذا الخطر في فكرهم وسلوكهم وعقائدهم وحديثهم وفقههم وقلوبهم وعقولهم... إلخ، ومحاولة تحديد المنافقين المؤثرين في ثقافتنا وعقولنا، الذين فرغوا ديننا من محتواه وأبقوا الشكل الظاهري والألفاظ الرنانة، فهذا هو الذي يعيد تشكيل الفكر العام ليتخذ سبيل القرآن والعقل والسنة الحق، أما أن نحارب النفاق في الهواء ونظن هذا الحشد القرآني من التحذير من النفاق والمنافقين كان لوقتٍ دون وقت، أو أن صلاحيته انتهت، فهذا أثر واحد من آثار المنافقين في ثقافتنا وعقولنا وتصوراتنا يجب أن نخرج منه إلى الثقافة الحق، وهذا موضوع صعب للغاية ولكنه موطن ابتلاء الباحثين والعلماء، ليعلم

الله من يخشاه بالغيب، ومن يتخذ الأحبار والرهبان والفقهاء أرباباً من دون الله.

المنافقون المؤثرون فينا يريدون أن نبقى محاربين المجهول معرضين عن المعلوم، لأن هذه أبلغ طريقة في تعطيل القرآن الكريم وتعطيل العقل وأبلغ طريقة في إيقاع المسلم في الحيرة والاضطراب، بحيث لا يستطيع البحث عن أسباب تدهوره وانحطاط أمته عقلاً وضميراً وإبداعاً وحقوقاً، وأبلغ هذا كله تعطيل القرآن الكريم لأنه الشاحن الأول للعقل والضمير والإحساس والمحرض الأول على البحث والنظر والتفكر والتدبر.

وإذا تعطل القرآن فقد تعطل كل شيء واستحكمت الروايات وتنازع المسلمون ودبَّت إليهم الأدواء التي من أجلها بعث الله الرسل وأنزل الكتب، ومن أهم هذه الأدواء داء الظلم، وحصوله اليوم في الدول الإسلامية كلها محل إجماع من الشعوب، فلا تكاد ترى من الفقهاء والحكام إلا ظالماً أو جاهلاً، وهذا لم يأت هكذا، كلا، لم يحصل إلا بعد كثير من المسامحة والتصالح مع المظالم الأولى والجهالات الأولى والمنافقين الأولين الذين تسنموا السلطة مبكراً وتتبعوا الصالحين وقربوا المغفلين والفاسدين وألبسوا علينا ديننا، ومن طبيعة التصالح أن يكون المتصالحان حلفاً واحداً! فإذا تكلم أصحاب هذه المظالم سواء كانوا ساسة أو علماء فهم ينطقون باسم الجميع، فتجد السلطان الظالم يدافع عن الغفلة والمغفلين ويجعل حبهم من الدين وسلامة العقيدة، وتجد العلماء المغفلين يدافعون عن السلاطين الظلمة ويجعلون حبهم والدعاء لهم من سلامة العقيدة والدين، وكل فريق يتكلم على لسانه ولسان الآخر! فالوكيل في غياب الأصيل أصيل، ثم مع مرور الزمن تخلى السلاطين الظلمة عن المغفلين لكن المغفلين لم يتخلوا عن المنافقين والظالمين الأُوَل، فتخرج المؤلفات في الدفاع (إسلامياً)! عن الظالم الفلاني والمنافق الفلاني، وهنا تبلغ المأساة الذروة إذ يصبح الله ورسوله من المدافعين عن الظالمين الناشرين لفضائلهم، كيف هذا وقد حرم الله الظلم على نفسه؟ لو كان لهم دين حق أو عقل صحيح أو ضمير حي ما وقع علماء الغفلة في هذه الشناعات.

وهذه الشكوى مني الآن قد قالها الصحابي الكبير أبي بن كعب الأنصاري، ففي سنن النسائي: (أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُقَدَّمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ

قَالَ: أَخْبَرَنِي التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، عَنْ قَيْسِ بنِ عَبَّادٍ قَالَ (عن أبيّ بن كعب): قال: هَلَكَ أَهْلُ الْعُقَدِ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ثَلاَثًا ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا عَلَيْهِمْ آسَى، وَلَكِنْ آسَى عَلَى مَنْ أَضَلُّوا، قُلْتُ: يَا أَبَا يَعْقُوبَ مَا يَعْنِي بِأَهْلِ الْعَقْدِ؟ قَالَ: الأُمَرَاءُ)[١]. (قال الألباني: صحيح). والحديث في مسند الإمام أحمد بلفظ: (هَلَكَ أَهْلُ الْعُقْدَةِ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، أَلاَ لاَ عَلَيْهِمْ آسَى، وَلَكِنْ آسَى عَلَى مَنْ يَهْلِكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[٢]. وفي صحيح ابن خزيمة: (هَلَكَ أَهْلُ الْعُقْدَةِ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ثَلاَثًا ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا عَلَيْهِمْ آسَى، وَلَكِنْ آسَى عَلَى مَنْ أَضَلُّوا قَالَ: قُلْتُ: مَنْ تَعْنِي بِهَذَا؟ قَالَ: الأُمَرَاءُ)[٣]، والحديث في صحيح ابن حبان ومسند ابن الجعد وغيرهم، وكلام أبي بن كعب صحيح، فالأمراء على أيديهم تمَّ فساد الثقافة في الماضي، مع قوله تعالى)ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار(، فجعل القرب منهم موجباً للنار فكيف بمشاركتهم في وضع الأحاديث وإظهار التنسك وخداع الناس عن دينهم وتسويغ مظالمهم؟ والعلم والعقل يدعم هذا التفسير، أي بأن نقل الدين من فاعل في الحياة إلى فاعل في الشخص فقط هو عمل السلطة، كما أن تحويل العقل من المدح القرآني إلى الذم المذهبي هو عمل سلطة، والتضييق على حقوق الإنسان بالأحاديث والآثار والعقائد هو عمل سلطة... إلخ، ونحن لا نخشى إلا على من يضلونهم من هؤلاء المساكين الطيبين الذين يتعبدون إلى الله بمعصيته، ويحبون النبي (ص) بالكذب عليه، ويتبعون القرآن بتحريفه عن مواضعه، ويعادون الظالمين بحبهم وتلاوة فضائلهم! ويحبون الصالحين بهجر علوهم والتشويش على سيرهم... إلخ، هذا المزيج العجيب في الشخصية المسلمة ليست من عمل الدين إنما من عمل السلطة المتلبسة بالدين، من عمل المنافقين الدهاة والظالمين الأذكياء، والحديث (أخشى ما أخشاه على أمتي كل منافق عليم اللسان)! يصدقه الواقع عبر التاريخ أيما تصديق.

---

(١) سنن النسائي، ٢/ ٨٨.

(٢) مسند الإمام أحمد، ٥/ ١٤٠.

(٣) صحيح ابن خزيمة، ٣/ ٣٣.

العلم بالنفاق فرض عين على أهل العلم

هنا يجب على المخلصين من الباحثين أن يتلمسوا الأسباب الأولى لهذه الشناعات في حق الله ورسوله وكتابه والصالحين من أمته، ليكشفوها للناس ويحذرون من هذا الاغتباط العجيب بالغفلة والجهل والظلم والظالمين، فإنها فتنة وأي فتنة، وقع فيها أغلب المسلمين، وليذكّروا الناس، لعل الله يهدي من كتب الله له الهداية، لا بد من البحث والبحث لنستعيد ولو شيئاً من نور القرآن الكريم الذي أطفأه هؤلاء وزاحموه بالروايات والعقائد، أو شيئاً من أهداف الرسالة المحمدية التي تشوشت على المسلمين، أو شيئاً من أخلاق النبي الأكرم صلوات الله عليه الذي لقيت سيرته وحديثه الكثير من الوضع والكذب والتزييف والتحريف، ولنستدرك القليل من الشاكرين من عباد الله الذين ضاعوا بين فكي الحليفين المتصالحين، وأصبحوا فيما بعد هدفاً لهذا الحلف التصالحي الخطير بين الخير المغفَّل والشر الذكي!

إضاءات نبوية، فهل من سائر؟ هل من مهتدٍ؟

وهنا نشير إلى أن القرآن الكريم ونبيه الكريم لم يتركا الأمة هكذا لا تميز بين المنافقين والصالحين، وسأترك الآيات الكريمة التي سبق بعضها وأركز على إضاءات من نبي الهدى والرحمة صلوات الله عليه، من سار عليها نجا ومن تكبر عنها ومال إلى الظالمين هلك، فقد كشف النبي (ص) للأمة هؤلاء الذين سيكونون سبب فساد الأمة وهلاكها، سواء كانوا منافقين أو ظالمين أو علماء سوء... إلخ، فلو تتبعنا ذلك لوجدنا أول الطريق التي لن توصلنا إلا إلى هدى.

نعم سنقتصر هنا على شيء من الحديث الصحيح بشروطهم، ونتجنب القرآن الكريم ما أمكننا إلى ذلك سبيلاً ليس زهداً فيه، معاذ الله، ولكن لأن هؤلاء القوم من الغلاة قد تدبروا على رده بالحديث الذي يصححونه وهو ضعيف، والأثر الذي رفعوه ولا حجة فيه، وفهم السلف زعموا، فما أن تأتيهم بآية حتى يبطلوها قبل تدبرها، جاعلين أقوال سلفهم في وجهك وردوا عليك بهم، ولذلك لا بد لنا في مناسبات أخرى من نقد هؤلاء السلف المزيف المحدث لنرى الله ورسوله خلف آكامهم.

وبما أن الجميع هاجر لكتاب الله تقريباً إلا إن وُجد من لا نعرفه، فسأقودهم من

الأحاديث التي هم إليها أصوغ وبها آنس وأهدى، أما الكتاب العزيز فقد حذرونا من الاقتراب منه مرة بدعوى النسخ ومرة بدعوى أنه طلاسم لا يعرف تفسيره مع أن الله قد يسره (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدَّكر) لكننا صدقنا العلماء بأنه صعب مستصعب وتركنا إخبار الله لنا بيسره وسهولته إن حصلت النية الصادقة في تدبره (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)، لكن قومنا يجاهدون في فهم مثل ابن تيمية وفي فهم المذهب ليجدوا له الأعذار ولا يجاهدون في فهم كتاب الله ليأخذوا منه الهدى، فهم من اضطرونا لترك القرآن الكريم جانباً حتى نفرغ لهم من الحديث والجرح والتعديل، وسنريهم من هذا ما يتمنون بعده أن يرجعوا إلى القرآن إما رغبة في زيادة بينة أو هروباً من حديث عتيق.

إضاءة أولى.. ما مصيرها؟

سأنتقي مما يؤمن هؤلاء بصحته وأنا أؤمن بصحته ولكن من زاوية فلسفية أخرى، لأنني أرى أن الأنبياء لم يذهبوا من هذه الدنيا حتى بينوا لقومهم ما يتقون في المستقبل، ولم يتركوهم هملاً، وإنما تركوهم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، ثم الناس مسئولون، يفوزون في الامتحان أو يسقطون في الفتنة.

ففي صحيح البخاري: (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الأُمَوِيُّ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كُنْتُ مَعَ مَرْوَانَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ فَسَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ يَقُولُ: هَلاَكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ مَرْوَانُ: غِلْمَةٌ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ أُسَمِّيَهُمْ بَنِي فُلاَنٍ وَبَنِي فُلاَنٍ)[1].

والسؤال: يا ترى من هم هؤلاء الذين يكون هلاك الأمة على أيديهم، سواء الهلاك المادي أو المعنوي؟ فهل نقبت عنهم السلفية المحدثة لتعرف سبب بلاء هذه الأمة وهلاكها؟ هل اهتموا بهذا الحديث كما اهتموا بأسطورة عبد الله بن سبأ والفرق الضالة وذم العقل والرأي وغيرها من الأمور التي لم يحذر منها لا كتاب ولا سنة؟ كلا؛ إذن فهذا نبي الله (ص) يخبرنا بأصل الضلال والهلاك والبدعة والفتنة الذي أصاب هذه الأمة، وقال لنا بصراحة ووضوح ونصيحة تامة إن سبب ذلك سفهاء من قريش

---

(١) صحيح البخاري، ٤/ ٢٤٢.

يكون فساد وهلاك الأمة برمتها على أيديهم، ومع ذلك تجد السلفية المحدثة تذهب إلى أن الخطر الذي أدى إلى فساد الأمة هو عبد الله بن سبأ والعقل والمنطق والفلسفة والفرق الضالة وأهل الرأي والصوفية والشيعة والمعتزلة والجهمية... إلخ! ولا يأتون على ذكر سفهاء قريش بحرف واحد! لقد روت هذه الأحاديث ثم سكتت وتكتمت، لماذا؟ لأن هذا الذيل لذلك الفيل، ولكن الذيل يظنه الرأس المدبر لما بين يديه.

وعلى كل حال: ما زالت الفرصة قائمة، فادرسوا هذا الحديث، مع حديث أبي بن كعب السابق (أهل العقدة الذين يضلون المسلمين = الأمراء) وانظروا متى بدأ الملك العضوض؟ وهل كان له أثره على الفكر والدين والعقل والتدبر والعقل المسلم والنفسية المسلمة أم لا؟

أو قولوا إن رسول الله لا يدري ما يخرج ما يقول، وأن سلفكم الصالح هو أعلم بمواطن الخطر وأنصح للأمة من رسول الله، وإن قلتم حاشا وكلا أن نقول ذلك، فأريحونا من كتمنا وإفسادنا وإهلاكنا بمنهج هؤلاء الأمراء السفهاء الذين أخبر الصادق المصدوق بأن فساد الأمة على أيديهم، ليس هناك طريق ثالث، إما أن تقولوا بأنكم أعلم من رسول الله بهذا الفساد والهلاك من أين أتى؟، وإما أن تقروا بأن سلفكم خدعكم بتصوير الخطر في مكان آخر، وصرفكم عن وصية رسول الله، حتى أن أحدكم لو سُئل عن مكمن البلاء الأول لخرجتم بخمسين جواباً خاطئاً وعشرين جواباً فرعياً، وتركتم السبب الأصلي الذي تفرعت عنه كل الأمراض، كل هذا بسبب هذا الإعراض عن كتاب الله وسنة رسول الله التي تخرجوننا منها في اليوم عشر مرات، ثم إن اختبرناكم بمثل هذا الحديث لم نجد أحداً من سلفكم صنف كتاباً في سفهاء قريش، ولا حاول معرفتهم، بينما هناك المئات وربما الآلاف من المؤلفات التي تعيد أسباب فساد الأمة وهلاكها إلى أمور معظمها باطل، وقد يكون بعضها ثانوياً، وإن أصابوا في القليل الثانوي فما هو إلا نتيجة طبيعية للبلاء الأصلي الذي أهملتموه تماماً حماية لهؤلاء السفهاء، أو لأنكم أنتم جزء من هذا الفساد القديم، ونتيجة طبيعية له، فأنتم من حمل الفساد على ظهوركم وتجشمتم إصعاده إلى قمة الدين فسال دينكم فساداً وجهلاً وظلماً، وبقي دين الله محفوظاً في القمة في مكان لم تهتدوا إليه.

وتهديد أبي هريرة لمروان يستنبط منه أن هؤلاء هم بنو حرب وبنو مروان! أو

الأفجران بنو أمية وبنو مخزوم، والذي سن هذا الإهلاك والإفساد هو معاوية ذلك الرجل الداهية الذي أضل نصف الأمة بنصف دهائه، وأوقع بقيتهم في حيرة بنصفه الآخر، حتى أن أكثر الناس ذماً له لا يهتدون لأثره في تبديل الدين، فقد دخل أثره في كل مذهب حتى في المذهب الشيعي الإمامي، وهذا له مبحث آخر.

نصيحة نبوية لتجنب هذا الهلاك.. ما مصيرها؟

لم يكتفِ النبي الأكرم بإخبار أمته بأن هلاك بني أمية على أيدي سفهاء قريش، وإنما أعطى الأمة طريقة التعامل مع هؤلاء السفهاء، وأهدى أمته نصيحتين:

الأولى: بوجوب قتالهم عند القدرة.

والثانية: بوجوب اعتزالهم، أي عند عدم القدرة.

وهاتان النصيحتان النبويتان قابلتهما السلفية المحدثة من أيام أحمد بن حنبل رحمه الله وسامحه بثلاث خطوات:

بدّعوا الثوار على هؤلاء السفهاء.

وضربوا على الأحاديث الصحيحة في اعتزالهم على الأقل.

وأقبلوا على أحاديث مَن ركن إليهم.

ثم استكتمني الحديث ما عاش معاوية!

أما النصيحة النبوية بوجوب مجاهدتهم باليد أو اللسان عند القدرة فمنها ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، صحيح مسلم: (عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)[1].

وتكملته في صحيح مسلم: (قال أبو رافع فحدثت عبد الله بن عمر فأنكره عليَّ! فقدم ابن مسعود فنزل بقناة فاستتبعني إليه عبد الله بن عمر يعوده فانطلقت معه فلما

(١) صحيح مسلم، ١/ ٦٩.

جلسنا سألت ابن مسعود عن هذا الحديث فحدثنيه كما حدثته ابن عمر)!

وروراه ابن حبان في صحيحه بسند صحيح وبزيادة مهمة تدل على أن مثل معاوية من الأمراء هو المقصود بالحديث فقال: (أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع، حدثنا عبيد الله بن معاذ بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا عاصم بن محمد، عن عامر بن السمط، عن معاوية بن إسحاق بن طلحة، قال: حدثني ثم استكتمني أن أحدث به ماعاش معاوية فذكر عامر قال: سمعته وهو يقول: حدثني عطاء بن يسار وهو قاضي المدينة قال: سمعت ابن مسعود وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سيكون أمراء من بعدي يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن لا إيمان بعده)[1].

فانظر إلى كتمانهم الحديث خوفاً من معاوية حتى أصبح غريباً على أهل الحديث، ولعل من يقرأ هذا الحديث الآن يشك في هذا النقل!

ورواه أيضاً ابن حبان في صحيحه بمتابعة أخرى[2].

وهذه الأدلة كانت تصلح في زمن معاوية ويزيد خاصة لأن استدراك تحريف الدين ممكن، فجملة من صالحي الصحابة ما زالوا موجودين، وباستطاعتهم تصحيح هذا الانحراف الثقافي والسياسي والاقتصادي، أما اليوم فالسلفية المحدثة لو ثارت وحكمت لطبقت فينا مظالم سلفهم معاوية ويزيد ومسرف وبسر وسمرة بن جندب وأمثالهم نعوذ بالله من ذلك.

وعلى كل حال كأن النبي (ص) علم أن فيهم ضعفاً فدلهم على نصيحة ثانية فما هي؟

---

(١) صحيح ابن حبان، ١/ ٤٠٣. وسنده صحيح وقد صححه الشيخ الأرناؤوط، وتكلمة هذا الحديث: (قال عطاء: فحين سمعت الحديث منه انطلقت به إلى عبد الله بن عمر فأخبرته! فقال: أنت سمعت ابن مسعود يقول هذا؟ كالمدخل عليه في حديث قال عطاء: فقلت: هو مريض فما يمنعك أن تعوده؟ قال: فانطلق بنا إليه، فانطلق وانطلقت معه فسأله عن شكواه ثم سأله عن الحديث! قال: فخرج ابن عمر وهو يقلب كفه وهو يقول:ما كان ابن أم عبد يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم).

(٢) صحيح ابن حبان، ١٤/ ٧٢.

النصيحة النبوية الثانية: اعتزال هؤلاء السفهاء

ففي صحيح البخاري: (حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: يُهْلِكُ النَّاسَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَزَلُوهُمْ)[1].

قلت: لكن أكثر الأمة لم يعتزلوهم بل أعانوهم وسوَّغوا لهم ووضعوا في فضائلهم الأحاديث ودخل هذا الذم الصحيح مع ذلك الوضع القبيح في كتب الصحيح! وهنا يتم إفساد حديث بحديث! واضطربت معالم الدين وأوامر الشريعة، وهذا نتيجة طبيعية للحلف بين الغفلة والظلم، فلو أن سلفكم اعتزل الظالمين من سفهاء قريش (الأمراء) كما أوصى هذا الحديث لأمكن الإبقاء على الدين صافياً عند العلماء والفقهاء والصالحين، بلا خشية من تأثير السلطة ولا انتقاء ولا بتر ولا تحريف فضلاً عن الوضع الذي يشهد الدين والعقل والواقع ببطلانه. أنتم يجب أن تعترفوا بأن عقولكم صغار، ولذلك رحمكم الشرع وأمركم بأمر كالاعتزال لأن الشرع يعرف أن الإنسان خُلق ضعيفاً، لكنكم قلتم: لا، لن نخشى في الله لومة لائم، ولن يستطيعوا إضلالنا، فوكلكم الله إلى أنفسكم فضللتم بضلالهم وظلمتهم بظلمهم وأفسدتم بإفسادهم وأهلكتم بهلاكم، ومن ترك التوكل على الله وتنفيذ أوامره حرفياً وَكَلَه اللهُ إلى نفسه، فكان الهوى إليه أقرب والضعف به ألصق.

والحديث في الصحيحين بلفظ: (يُهْلِكُ أُمَّتِى هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ). قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ (لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَزَلُوهُمْ). اللهم لا تجعلنا من الذين عاقبتهم بقولك: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) (الأعراف: ١٤٦). ولولا اتخاذهم سبيل الغي وتنكبهم طريق الرشد لما تصور الناس أن الله ورسوله مع الظالمين.

ثم كيف يزعم هؤلاء أنهم لن يتأثروا بالسلطة وتلك العامة التي شكلت ثقافتها

---

(١) صحيح البخاري، ٤/ ٢٤٢. كما ورد الحديث في جامع الأصول من أحاديث الرسول، ١/ ٧٥٥٧ (خ م) عن أبي هريرة أيضاً.

السلطة، والله عز وجل يقول عن نبيه ألأكرم صلوات الله عليه ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا. وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٣ ٧٤). أيظن هؤلاء ومقلدوهم أنهم أثبت قلوباً وعقولاً من رسول الله (ص)؟ الذي لولا تثبيت الله له لمال إلى الرأي العام ولو قليلاً، وفي أمر خطير جداً. فكيف بهؤلاء؟

قلت: وقد ضربت السلفية المحدثة على هذا الحديث (أي محته من الكتب كما سيأتي)، وهذا الحل النبوي لاعتزال سفهاء قريش وظلمتهم لم يكن المقصود به منافقي الأنصار قطعاً، لأن نص الحديث ينص على قريش، ولا لا يراد به كفار قريش المقتولين ببدر قطعاً لأن التحذير مستقبلي، وعن سفهاء قريش لا كفارها، فإذا قلنا بعدالة الخلفاء الأربعة في الجملة مع أن الحاكم الفعلي أيام عثمان كان معاوية فلم يبق إلا سفهاء بني أمية ومعاوية أولهم، فالبلاء من هنا يبدأ، من سفهاء قريش الذين يهلكون الأمة ديناً ودنيا، من تبديل السنن وتعطيل معالم الدين وأحكام الشريعة وسَنّ الملك العضوض، فهل جاء التحذير الخاص منهم على لسان أحرص الأمة وأدلها على أبواب السلامة؟ الجواب نعم، ولكن أهل الرواية بعد أن هجروا كتاب الله حملوا الأحاديث على ظهورهم كبني إسرائيل، وهذا مصداق قوله صلوات الله عليه كما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمَن؟)[1].

ومن أبرز ما فعلوه أنهم يحملون كتبهم كالحمار يحمل أسفاراً، فلا يمعنون في معنى الحديث الصحيح، ولا يهتدون لعلل الحديث الضعيف، وهذا مرجعه إلى هجر الكتاب وضعف العقل وأُلفة السائد من المعايير والأفكار.

السنة النبوية، لا تحذر من البعيد وتترك القريب؟ هذا ضد العقل

لو عقل هؤلاء المتأثرون بالواقع الأموي لعلموا أن الله لن يترك أمته هملاً، وأن النبي (ص) لن يحذرهم من الخطر البعيد كالدجال الذي لم يظهر بعد ويترك دجاجلة

(١) صحيح البخاري، ٦/ ٢٦٦٩.

القرن الأول وسلاطينه الذين على أيديهم جرى تغيير معالم الدين، الذين عاد الإسلام بهم غريباً بعد نصف قرن فقط من وفاة النبي (ص) حتى تم محو الإسلام إلا في بعض المظاهر كالصلاة جميعاً والتلفظ بالشهادتين، وشهادات الصحابة والتابعين تملأ الكتب وبأسانيدها التي تصححها السلفية المحدثة والقديمة، ومن ذلك شهادة الصحابي أنس بن مالك الواردة في صحيح البخاري من طريق الزهري قال: (دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت ما يبكيك؟ فقال لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت)[1]. فهذا أنموذج من الشهادة لله، أفصح عنها أنس بن مالك. وإذا كانت الدولة الأموية قد تدخلت في أعظم أركان الإسلام وأفسدته فكيف بأمور الحكم العامة.. ؟!.

وهذه شهادة مالك بن أبي عامر الأصبحي، جد الإمام مالك (ت ٧٤هـ)، فقد روى الإمام مالك في الموطأ، رواية الشيباني: (أخبرني عمي أبو سهيل قال: سمعت أبي يقول: ما أعرف شيئا مما كان الناس عليه إلا النداء بالصلاة...)[2]. قلت: فقط!.

وهذه شهادة الصحابي أبي الدرداء الأنصاري (ت ٣٢هـ) على أن بداية التغير كان من أيام ولاية معاوية على الشام من أيام عثمان (لأن أبا الدرداء مات زمن عثمان وكان بدمشق) فماذا قال؟ وما هي شهادته على ذلك العصر؟ روى البخاري في صحيحه عن أم الدرداء قالت: (دخل عليَّ أبو الدرداء وهو مغضب! فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمة محمد صلى الله عليه وسلم شيئا إلا أنهم يصلون جميعاً)[3].

أرأيتم؟ ثم بعد ذلك تقولون إنما فساد هذه الأمة في الفلسفة والمنطق! وهؤلاء الصحابة يخبرونكم في صحاحكم أنه لم يبقَ شيء من الدين إلا مظاهر شكلية، وان هذا التغير كان قديماً جداً بواسطة سفهاء قريش، كمعاوية بالشام وعبد الله بن عامر بالبصرة والوليد بن عقبة بالكوفة ومروان بالمدينة، ولو أستعرض شهادات الصحابة السابقين والتابعين الأخيار لخرج كتاب آخر، وإنما نعطي أمثلة للتدليل على صدق قراءتنا لأن هؤلاء يشككون في كل فكرة يقولها الباحث، لأنهم يجهلون كل فكرة، ولا

---

(١) صحيح البخاري، ١/ ١٩٨.
(٢) الموطأ، ٣/ ٤٧٧.
(٣) صحيح البخاري، ١/ ١٩٨.

أعرف لهم فكرة صحيحة أطمئن أنهم أحاطوا بها علماً حتى التوحيد والشرك والنبوة والمعاد، هم أغلبية فقط بدعم من السلطات عبر التاريخ، وهم يعدون الأكثرية دليلاً على الحق حتى نقول لهم أكثر المسلمين منزهة، وأكثر الناس غير مسلمين، فيعودون لما قلناه لهم أولاً من أن الأكثرية ليست معياراً للحق.

قد تواترت الأحاديث في تحذير النبي (ص) من هؤلاء، وهم المقصودون في الحديث المروي عن أبي سعيد الخدري وكعب بن عجرة وخباب بن الأرت وابن عمر وعبد الله بن مسعود وعبادة بن الصامت وغيرهم، والحديث في كثير من المصادر، في الصحيحين والسنن وصحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم ومسند أحمد وغيرها من المصادر، وورد بألفاظ متقاربة ومتشابهة، والأقرب أنها تدل على أمرين اثنين، إما أمراء عثمان أو ملوك بني أمية، وكان معاوية من الفئتين معاً، فلا تدل على الخلفاء الراشدين الثلاثة كما يقول بعض الشيعة ولا يكون الحديث لا واقع له كما يظن السنة، ولا أن النبي يقول ما لا حقيقة له كما يظن النواصب، وخير الأمور الوسط، فأولى الناس بهذه الأحاديث معاوية ومَن سار على نهجه.

أحاديث صحيحة تحذر من سلاطين بني أمية، فما مصيرها؟

وهي أحاديث رابطة لما سبق من عموم ولما هو آتٍ في معاوية من خصوص، فمن تلك الأحاديث ما ورد في صحيح ابن حبان: (يا كعب بن عجرة أعيذك بالله من إمارة السفهاء! إنها ستكون أمراء من دخل عليهم فأعانهم على ظلمهم وصدَّقهم بكذبهم فليس مني ولست منه ولن يرد علي الحوض؛ ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وسيرد علي الحوض...)[1]. وألفاظ أحمد في مسنده (انه سيكون عليكم أمراء فلا تعينوهم على ظلمهم ولا تصدقوهم بكذبهم فان من أعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم فلن يرد على الحوض). وكذا لفظ الترمذي، وفي لفظ عند أحمد: (سيكون أمراء يغشاهم غواشٍ أو حواشٍ من الناس يظلمون ويكذبون فمن أعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم فليس مني ولا أنا منه ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأنا منه وهو مني). ولفظ آخر عند

(١) صحيح ابن حبان، ٥/ ٩.

ابن حبان في صحيحه (يكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس يرد علي الحوض ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وهو وارد علي الحوض)[1]. وقد أخرج معاوية نفسه من هذا الحديث بحديث وضعه يظهر أنه في معناه لكن عند التدبر يتبين أن معاوية أخذ الحديث لموطن آخر، ونصه عن معاوية مرفوعاً: (سيكون بعدي أمراء يقولون فلا يرد عليهم يتقاحمون في النار كما تتقاحم القردة، وإني تكلمت أول جمعة فلم يرد عليَّ أحد(!) فخشيت أن أكون منهم، ثم تكلمت الجمعة الثانية، فلم يرد عليَّ أحد (!)، فقلت في نفسي إني من القوم. ثم تكلمت في الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فردَّ علي فأحياني أحياه الله فرجوت أن يخرجني الله منهم فأعطاه وأجازه). وهذا دهاء معاوية دس في اليوم الثالث من يردُّ عليه وأعطاه وأجازه وخدع الناس وأبطل الحديث وخرج من تبعته وأثبت نفاقه عند الله بسخريته من الحديث عندما حرفه وأظهر أنه لا يتناوله... إلخ، ولم يفعل هذا إلا عندما سمع الناس يهمسون بالحديث فأخذ أوله وحرفه ورد على الحديث وعلى الناس وعلى الواقع، وقَلَبَه من ذمٍّ له إلى ثناء، وهاهم أتباعه اليوم من الحمقى يرددون الحديث ولا يجمعون طرقه ليعرفوا اللفظ الصحيح له، ولا يقرأون التاريخ ليعرفون مصاديق هذا الحديث على الأرض.

إذن هم الذين سيكون على أيديهم هلاك الأمة وفسادها، وإذا فسدت الرؤوس أفسدت ما تحتها، وإن لم يكن معاوية من أولئك فلا أعرف من هم؟ بل سيكون الحديث لغواً وباطلاً، ومعاذ الله أن يتحدث النبي (ص) بلغو أو باطل.

النبي (ص) كانت أفصح الناس وأنصح الناس، ولم يكن عيياً ولا جباناً ولا مشبهاً على الناس

كان النبي (ص) أنصح وأحرص من أن يوقع أمته في العمومات التي يختلف الناس في تفسيرها، فلم يوقعهم في مشتبهات الألفاظ بل صرح برؤوس أهل الفتن والضلالة من الأمراء وذكر أن أول من يغير سنته رجل من بني أمية، وأخبر باسمه واسم أبيه وقبيلته (حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه وتناساه من تناساه... إلخ)، لكن السياسة

(١) صحيح ابن حبان، ١/ ٥١٣.

قضمت اسمه واسم أبيه؛ وأخبر بأن عماراً تقتله الفئة الباغية الداعية إلى النار؛ وأخبر بالملك العضوض أنه يأتي بعد ثلاثين سنة... الخ، لكن أتباع هذا الملك العضوض والمتأثرين به لم يرفعوا رأساً لهذه التحذيرات لأن سلفهم يحبون الظالمين ويهجرون القرآن وأقوال الأنبياء، فوضعوا لأنفسهم ما يرضون به الشيطان ويقنعون به أتباعهم من مدح الظالمين والتشكيك في عدالة الصالحين.

أحمد بن حنبل يحذف الأمر النبوي:

وقد أدركت أوائل السلفية المحدثة كأحمد بن حنبل سامحه الله خطورة مثل هذه الأحاديث التي رواها البخاري ومسلم في السفهاء ووجوب اعتزالهم كحد أدنى، فعرفت السلفية المحدثة أن هذه الأحاديث النبوية لابد أن تتناول معاوية بالأولوية، فأمروا بالضرب على هذه الأحاديث ومحوها لصالح أحاديث أخرى قد وضعها الأمويون وأشياعهم في الثناء على سفهاء قريش. ففي مسند أحمد بن حنبل: (حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن أبي التياح، قال سمعت أبا زرعة يحدث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: يهلك أمتي هذا الحي من قريش قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال لو أنَّ الناس اعتزلوهم. وقال أبي في مرضه الذي مات فيه اضرِبْ على هذا الحديث فإنه خلاف الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يعنى قوله اسمعوا وأطيعوا واصبروا)[1].

فما سنّه الأمويون ولم يستكملوه أكملته السلفية المحدثة بسبب فتنتها بمعاوية وتوثيقها للراكنين إلى الذين ظلموا، وقد تعجب أحمد شاكر وغيره من خطوة أحمد هذه. والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله رغم ورعه وفضله إلا أن مرارة الحق تلزمنا أن نقول أنه من أبرز الذين شرعوا التصرف في الحديث النبوي ضرباً وبتراً وإخفاء وانتقاء. وهو صريح جداً في هذا الأمر وجريء لدرجة عجيبة (كما في كتاب السنَّة للخلاَّل)، فهو مع كتم الأحاديث التي في ذم معاوية حتى لو كانت صحيحة، وهذه فتنة عظيمة وقع فيها بسبب ركونه إلى الذين ظلموا علمياً وإن لم يركن إليهم بجسده. وهذه فتنة إلى اليوم، فما ركن أحد إلى الظالمين إلا عاقبه الله بفتنة في نفسه وعلمه، وها هو أحمد

(١) مسند أحمد بن حنبل، ٢/ ٣٠١.

في ورعه وزهده وعبادته عندما ركن نفسياً إلى معاوية وتسالم مع بغيه ودعوته إلى النار وجرائمه، يأمر بالضرب على الأحاديث النبوية الصحيحة (أي محوها) وإظهار الأحاديث السياسية التي وضعت لدعم هؤلاء السفهاء من قريش وأمثالهم.

وأحمد بن حنبل رجل الدنيا في العبادة والورع، لكنه وقع فريسة سهلة لعقيدة العامة التي هي أبرز ثمار العهد الأموي، فقد كان أصله من البصرة (والبصرة يومئذ ناصبية باعتراف أهل الحديث) وكان شيوخه منهم، وكان محباً لأهل الشام حتى مَن كان يلعن علياً منهم كحريز بن عثمان ومعاوية ومروان وأمثالهم، فسقط في الافتتنان بهم وجرَّه هذا السقوط لمحو الأحاديث في ذمهم وبترها. ولي في أحمد بحث خاص، رحمه الله وسامحه، فو اللهِ إنه ليسوؤني ذكر هذه الأمور ولولا الشهادة لله ومرارة الحق لما قلته، فدين الله أولى بالحماية.

وإذا كان تكتم السلفية على الأحاديث العامة التي قد تلحق معاوية إما بالإخفاء أو البتر أو التأويل، فكيف بالأحاديث الخاصة والخطيرة إذا مست معاوية مساً مباشراً؟ كحديث (يموت معاوية على غير ملتي)، و(إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)، وحديث (لعن الله الراكب والقائد والسائق)، وغيرها من الأحاديث التي تعرضت لكثير من البتر والإخفاء والمكابرات في تضيف الثقات... إلخ.

دعونا من هذه الأحاديث الخاصة فهي غريبة جداً على الوسط السلفي (وقد خصصتُ كل حديث بكتاب) فدعوها لوقتها.

ودعونا في هذه الأحاديث التي في الصحيحين! ماذا يعرفون عنها؟ لقد أماتوها وهجروها رغم معناها الكبير الذي كان سيفتح للأمة معبر نجاة من هذا التغير الثقافي.

لقد أماتوا ذكرها وانشغلوا بحديث موضوع في فضل معاوية وابنه يزيد في غزوة القسطنطينية (ولي فيه بحث = انظر ردي على الشيخ السعد وهو مطبوع)، أما الأحاديث التي تتناوله بالذم والتي هي أصح وأكثر أسانيد وأقوى دلالة وألصق بالواقع التاريخي، فهي عندهم من جملة الطلاسم التي لا فائدة من تدبرها ولا من استخراج أسرارها وفوائدها واستثمارها في إيقاظ العقل والفطرة وتصحيح التاريخ... إلخ، وكأن قائلها ليس نبياً.

سلفية غريبة!

نعم سلفية غريبة عجيبة، ليس لهم ولو قليل من شجاعة النبي (ص) ولا وضوحه ولا نصيحته، إذ نراهم قد يستخرجون ستين فائدة من حديث (يا أبا عمير، ما فعل النغير)[1]. ولكن لا يستنبطون ولا فائدة من كل الأحاديث المتواترة والصحيحة والحسنة في الإخبار عن ظلمة بني أمية وأهمية تجنب كذبهم وظلمهم وأثرهم في الأمة... إلخ، وأين هو ذلك الكذب الذي أخبر عنه النبي (ص) وما آثار ذلك الظلم الذي حذر من المشاركة فيه؟ كل هذه الأسئلة بلا إجابات، لأن معاوية لم يأذن لنا بذلك بما وضعه من منهج فكري أخذه الغوغاء والعامة فغلبوا به عقلاء المعارضين وصالحيهم ربما لتفرقهم وربما لأن الله يريد تمحيصهم.

أيضاً حادثة العقبة... مفتاح لمن له قلب... أين محبو النبي (ص)؟

بعد كل ما تقدم يمكن أن يفهم طالب العلم المخلص النية ما سنقوله في هذا الكتاب، فإن من أبرز الأمور التي تكتمت عليها السلفية المحدثة، تلك المحاولة الدنيئة الشريرة لاغتيال من بعثه الله رحمة للعالمين، لاغتيال النبي الأكرم صلوات الله عليه أثناء عودته من غزوة تبوك، في عقبة عرفت بتلك الحادثة، فأصبح يقال (ليلة العقبة) وهي غير تلك العقبة الفاضلة التي بايع فيها الأنصار رسول الله (ص) بمكة (أي عقبة منى) قبل الهجرة، والقصة في صحيح مسلم ومسند أحمد وغيرهم كما سيأتي.

وأشير إلى أن الروايات القرشية تلصق كل تهمة بالأنصار باستثناء بني هاشم فلا يتهمون الأنصار فقد حاولت الروايات القرشية هنا إبعاد شبح الاتهام عن قريش وإلصاق هذه الكارثة بالأنصار! فزعم بعضهم أنهم من الأنصار ليس فيهم قرشي! (كما قال رووا عن جبير بن مطعم)، فسرد بعضهم كالزبير بن بكار اثني عشر رجلاً من

---

(١) سردها ابن حجر في شرح الحديث في فتح الباري (١٧/ ٤٠٧)، وزاد عليها، فقال: (وَذَكَرَ ابْنِ الْقَاصّ فِي أَوَّلِ كِتَابه أَنَّ بَعْضِ النَّاس عَابَ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيث أَنَّهُمْ يَرْوُونَ أَشْيَاء لَا فَائِدَة فِيهَا، وَمَثَّلَ ذَلِكَ بِحَدِيث أَبِي عُمَيْر هَذَا قَالَ: وَمَا دَرَى أَنَّ فِي هَذَا الْحَدِيث مِنْ وُجُوه الْفِقْه وَفُنُون الْأَدَب وَالْفَائِدَة سِتِّينَ وَجْهًا. ثُمَّ سَاقَهَا مَبْسُوطَة، فَلَخَّصْتهَا مُسْتَوْفِيًا مَقَاصِده، ثُمَّ أَتْبَعْته بِمَا تَيَسَّرَ مِنْ الزَّوَائِد عَلَيْهِ... إلخ)؛ ثم سردها، وليت شعري ماذا في حديث عمار تقتله الفئة الباغية من الفوائد، وحديث سفهاء قريش الذين أخبر أن فساد الأمة على أيديهم؟ كم سيكون فيها من فوائد لو لم يكن أهل الحديث متأثرين بالواقع الفكري الأموي الذي يهجر هذه الأحاديث ويضيقون صدراً بها وكأنهم يخشون أن يحيف الله عليهم ورسوله.

الأنصار، وسرد آخرون كابن إسحاق اثني عشر رجلاً مختلطاً ولم يتفقا في رجل! وهذا دليل اضطراب كبير! ثم عندما سردوا أسماءهم رأينا أن كثيراً من تلك الأسماء كانوا من المتخلفين عن غزوة تبوك ولم يكونوا في الجيش ولا تلك الغزوة أصلاً، والصواب أن المحاولين للاغتيال من قريش، وبقيادةِ وإشارةِ وتخطيطِ كبار الطلقاء، فالمصلحة من اغتيال النبي (ص) ظاهرة منهم لا من الأنصار، ولو للثأر لأقربائهم، ثم هذا هو التاريخ يقص لنا أن كل محاولات الاغتيال التي عُرِّض لها النبي (ص) كانت من قريش أولاً ثم اليهود، وليس للأنصار محاولة واحدة، لا من صالحيهم ولا منافقيهم. فقريش حاولت اغتيال النبي (ص) في العهد المكي عدة مرات آخرها ليلة الهجرة، وفي العهد المدني بعث أبو سفيان عمرو بن أمية الضمري، وحاولوا يوم أحد اغتياله بحفائر أبي عامر حليف أبي سفيان وتكليف وحشي أيضاً، وحاولوا يوم فتح مكة، ويوم حنين ثم يأتي يوم تبوك في هذا السياق كله، فالزعماء كأبي سفيان وأمثاله هم المستفيدون من مثل هذا الاغتيال لو حصل، ذلك أن أبا سفيان يحاول إعادة بناء بيته القديم الذي هدمه الإسلام، ثم الأدلة العامة والخاصة قائمة على أن أبا سفيان منهم، كما أن الأدلة العامة والخاصة قائمة على أن معاوية لا يخالف أباه قط، حتى في وقوفه مع أبيه فوق الكثيب يوم حنين متمنياً هزيمة النبي (ص)، وقد ثبت أن معاوية كان مع أبيه في كل حياته يتبعه حذو النعل بالنعل! وقد توسَّعتُ في هذا في تفسير سورة التوبة (قد أذكر تلخيصاً لذلك). وعلى احتمال أنه وجد من منافقي الأنصار من حاول المشاركة فهو لأجل أبي عامر الفاسق الأوسي حليف أبي سفيان، فأبو سفيان يمسك بشرور الفريقين (قريش والأنصار) مع فريق ثالث هم اليهود، وكل خطة اغتيال ستكون بإشراف أبي سفيان، ثم قد يشارك إن حضر، وابنه معاوية لا يفارقه بالاستقراء، لا في كفر ولا إسلام.

والغريب أن السلفية المحدثة لم يتكتموا على محاولات اغتيال النبي (ص) يوم حنين ولا في قصة عمير بن وهب ولا محاولة ملاعب الأسنة ولا اليهود، مع أن أسانيد هذه المحاولات دون أسانيد محاولة العقبة، (ولا أرى هذا إلاَّ حماية لمعاوية).

وعلى كل حال فهذه المحاولة ليلة العقبة شارك فيها أبو سفيان وابنه معاوية في بضعة عشر رجلاً (قيل كانوا أربعة عشر وقيل خمسة عشر،)، وربما كان عددهم من حيث التجسس والتخطيط والتنفيذ فوق الثلاثين، وأما الخمسة عشر أو الأربعة عشر

فقد كانوا الدائرة الضيقة (أرباب التنفيذ)، وقد تاب منهم ثلاثة أو اثنان، وبقي منهم اثنا عشر على النفاق، وهي الدائرة الخاصة الضيقة التي ورد عليها الحكم بالنفاق إلى يوم القيامة (هؤلاء منافقون إلى يوم القيامة)، وورد في حقها الحكم بالنار (لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط).

وكان من رجال الدائرة الضيقة الاثني عشر، أبو سفيان ومعاوية على ما ثبت عندي بالدلائل والقرائن الآتية، لعل من آخر هذه القرائن من حيث الزمن هو هذا التكتم الكبير عند السلفية المحدثة على هذه المحاولة رغم تعلقها بالنبي الأكرم صلوات الله عليه، ولعل بعض القراء من السلفيين الطيبين يعرف الآن لأول مرة هذا الموضوع، أو يسمع عنه! فليبحث عن سبب جهله به! فسيوصله لشيء من الحقيقة الأولى إنْ أحسنَ التدبر والنظر، وقد عرفنا بالاستقراء أن السلفية المحدثة تجابه مثالب معاوية مرة بالتضعيف ومرة بالتأويل وقلب المثلبة فضيلة، ومرة بالإهمال والنسيان كما هو الحال في هذه المثلبة، وسكوتهم المريب عن هذه الحادثة مع أنها موجهة ضد النبي (ص) نفسه رأس الحديث ورأس السنة أمر عجيب، فالقضية خطيرة جداً ضد النبي (ص) نفسه إنها محاولة لتصفيته جسدياً ألا يدفعهم هذا للبحث عن ذلك الفاعل والحذر منه؟

إلا أن السلفية المحدثة تكتموا على الحادثة رغم أنها مروية في صحيح مسلم ومسند أحمد حتى ضاعت من الذاكرة السلفية جملة مع اهتمامهم بكل ناقد لمعاوية نفسه! وتتبعهم لكل من روى في ذمه حديثاً أو رواية حتى ضعفوا جملة من الثقات والصالحين.

وأنا هنا لا أعني بالسلفية المحدثة سلفية المهاجرين والأنصار، ولا من تبعهم بإحسان كعلقمة بن قيس وزيد بن صوحان وعلي بن الحسين وسعيد بن المسيب والحسن البصري.. ولا حتى من جاء بعد أولئك كشعبة بن الحجاج وجرير بن عبد الحميد والأعمش وأبي حنيفة والشافعي وجعفر الصادق وزيد بن علي والحسن بن صالح ومعمر بن راشد، وإنما السلفية المحدثة بدأت في عهد الرشيد مع عبد الرحمن بن مهدي ويحيى القطان وأمثالهما ورسخها بقوة أحمد بن حنبل ثم التيار الحنبلي من بعده، فهذه السلفية المحدثة قامت عقيدتها على الإخفاء والبتر والتحريف رغم ورعهم وعبادتهم وهنا تكتمل الفتنة، عندما يرى المتدين الورع أن بعض حديث النبي

(ص) مرذول، فهذه فتنة ما بعدها فتنة؛ لأنها خلطة عجيبة من التقوى والخيانة، ولولا أننا نراها بأم أعيننا إلى اليوم لما صدقنا وجود مثل هذه العجينة (والتفصيل في كتابي: السلفية المحدثة، رموزها وعقائدها الذي ما يزال مخطوطاً).

وهذا الانحراف السلفي في الواقع عن النبي (ص) ليس مقصوداً عند السلفية كسلفية علمية، لكن هذه السلفية لا تعرف أن جانباً كبيراً من فكرها هو إفراز سياسي أموي بامتياز، نعم هم يحبون النبي (ص) لكنهم نسوا أن سيرهم على منهج معاوية سيبعدهم تلقائياً عن الاهتمام بهذه الحادثة وعن تلك الأحاديث التي تمس معاوية بسوء، بل أعظم من ذلك، هذا العهد المكي كله من السيرة النبوية شبه مجهول! للسبب نفسه! ثلاثة عشر عاماً لا نعرف عنها إلا أن النبي (ص) لبث هذه السنين يدعو للشهادة العظمى والإقرار بالتوحيد! وكأنهم لا يعرفون أن ثلثي القرآن مكي! وكأنهم لا يعرفون ما تضمنه ذلك القرآن المكي من أوامر ومنهيات وأخلاق وإيمانيات... أرجو من أي عاقل أن يراجع نفسه ويقرأ القسم المكي من القرآن الكريم، وسيتفاجأ بعد كلامي هذا أنه سيجد كل شعب الإيمان وكل الكبائر وكل الأخلاق ومعظم العبادات في القرآن المكي، باستثناء أشياء قليلة كالزكاة والصوم والحج والمواريث، فإذا تم التكتم على القرآن المكي الذي يعلمنا إضافة إلى كما سبق ذكره أموراً من الأهمية العلم بها، كمكر قريش وكفرهم وعنادهم وأنه سواء عليه أنذرهم النبي (ص) أم لم ينذرهم لن يؤمنوا! وأنهم لن يعبدون ما يعبد! والنادر لا حكم له وأنهم أهل مكر وكيد وأنهم يقلبون الأمور ويتآمرون... إلخ، فستذهل أيها الأخ العاقل عن هذا الكم الكبير الذي صورت لنا السلفية المحدثة الأمر وكأنه دعوة فقط إلى شهادة أن لا إله إلا الله!

هل نجح معاوية وأبو سفيان في اغتيال النبي (ص)؟

محل بحث، وليس عندي جواب حالياً. وإنما يكفينا الآن أن نعرف ما إذا كان معاوية وأبوه قد حاولا اغتيال النبي (ص) بعد تظاهرهما بالإسلام أم لا. فهذا موضوع هذا الكتاب.

ما حقيقة إسلام معاوية؟!

حتى نعقل إمكانية أن يقوم معاوية بالمشاركة في محاولة اغتيال النبي (ص) لابد أن نتساءل عن حقيقة إسلامه؟ فهل أسلم بحق أم استسلم؟

الواقع أنه بقدر ما كان إسلام معاوية غامضاً ومحل خلاف وبحث كما سيأتي وهل أسلم مقتنعاً أم استسلم منافقاً؛ هل أسلم كرهاً أم اسلم طوعاً، ككثير من الطلقاء، هل أسلموا كما هو شائع عند السلفية المحدثة ورأوا براهين النبوة فجأة! أم أنهم استسلموا كما يرى بعض الصحابة والتابعين وبعض أهل الحديث؟ فإذا كان هذا الخلاف في حقيقة إسلامه؛ فإن موت معاوية على الإسلام أو النفاق أو الكفر محل خلاف أيضاً، خاصة مع صحة إسناد (يموت معاوية على غير ملتي = وقد أفردته بكتاب)، فإن موته على الإسلام من عدمه يحتاج على الأقل إلى تدقيق وبحث ونظر وتأمل مع تحرر من الرأي السائد، فلا يجب أن يؤثر في الباحث لا سلباً ولا إيجاباً، فالرأي السائد عند كل مذهب ليس بالضرورة أن يكون صحيحاً، وربما أنه بشيء من التدبر والتأمل والإنصاف قد نرى الأمر على خلاف ما كنا نظن، ولكن هل من متدبر ومدقق؟.

و عل كل حال: ليس كل معلومة عامة يجب أن تبقى مقدسة، فقد نشأنا نحن معشر السلفية على الثناء على معاوية ثم اكتشفنا فيما بعد بغيه وظلمه في النصوص الشرعية المتواترة التي لا يجوز أن نتركها تعصباً لما تعلمناه في الصف الخامس الابتدائي والثاني متوسط! فكاتب هذه المقررات في نهاية الأمر ما هو إلا جاهل منفِّذ لما يطلب منه، فطلبوا منه أن يضخِّم هذا الرجل فضخمه، ولو طلبوا منه أن يصغره لصغَّره.

ثم لنرتقي درجة ونقول: لا يجوز شرعاً أن نهجر النصوص الشرعية لأجل منفذين

آخرين ولو متقدمين من مؤرخين ومحدثين وعقائديين إذا خالفوا كتاب الله في ذم الظالمين، وسنة رسوله في وصف الباغين والسفهاء، فكل الأقوال والعقائد يجب فحصها وفق النصوص الشرعية اليقينية ثم الراجحة، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لكن لا نزعم أنه لا يسعنا أن نعلم إلا ما قد علمنا، كلا فإنه في وسعنا أن نعلم أكثر من هذا الغثاء العقائدي والتاريخي، نعم في وسعنا أن نعرف أن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق جريمة، وأن ردَّ الأحكام الشرعية جريمة، وأن تغيير سنة النبي (ص) جريمة، ولعن الصالحين على المنابر جريمة... إلخ، وهذه الجرائم إذا راكمناها ثم وجدناها متحققة في شخص فكيف نتحمس في الدفاع عنه وقد ارتكب نصف ثلثي الكبائر السبعين؟ هل الدين كلمة فقط؟ وإذا كان كلمة فلماذا لا نتسامح مع من لم يرتكب واحدة من هذه السبعين كبيرة إذا خالفنا في رأي وعقيدة أو مذهب؟

ألا يكفينا إن وجدنا في رجل أكثر من خمسين خصلة من الكبائر مصراً عليها، ألا يكفي هذا في الشك في عدالته؟ وترك الحماسة في نصرته؟ ألا يكفي أن نتوقف عن حشرِه مع صحابة رسول الله من أهل بدر والرضوان ومن تبعهم بإحسان؟ فكيف إن اكتشفنا يوماً بعد يوم ما هو أعظم من هذه الكبائر الخمسين؟ أعني إن اكتشفنا نفاقاً وزندقة واستهزاءً بالنبي (ص) وبما يتصل به من قرابة وشهداء ومنبر ومسجد وأنصار؟ كيف إن وجدنا كل هذا بأسانيد صحيحة أو تاريخ متضافر له تشهد له النصوص الشرعية التي صححناها بجرحنا وتعديلنا الذي كان على صلة بهذا الرجل ومدافعاً عنه في الجملة؟ لا سيما وأن كشف حقيقة هذا الرجل ستكشف كل شيء تقريباً، فالبحث العلمي إذا بدأ علمياً فإن كل بحث يأخذ بعنق أخيه حتى يتدافعون إلى باب الحقيقة.

معاوية بين سلفيتين!

إن من أبلغ الأمور التي يجب أن يعيد التيار السلفي الأصيل وإن قل النظر فيه هو ما يشاع عند السلفية المحدثة من الثناء على معاوية بن أبي سفيان فلابد أن يبينوا ويردوا هذه الفرية على السلفية العتيقة، لأن هذا الثناء يصادم النصوص مصادمة قطعية، ويصادم مقطعيات التاريخ، والنصوص خاصة هي رأس مال السلفية، إلا إذا كابر مكابر في جواز أن يرفع الشرعُ من شأن الظالمين ويحث على حبهم، فالمكابرة تحدث في ما

هو أكبر من هذا، في إنكار الإله والنبوات واليوم الآخر، وليس كلامنا مع المكابرين، إنما كلامنا مع العقلاء، إذ قد ثبت عندهم في معاوية من النصوص الشرعية المتفق على صحتها ما يجعلهم مطمئنين إلى هذا الموقف، مع ما تواتر من سوء سيرته وآثاره على السياسة والثقافة وحدة الأمة الإسلامية.

صحيح أن أكثر هذه الأخبار لا تتعارض مع الإسلام بالمعنى العام (إسلام الأعراب والمنافقين) إلا أنها تتعارض مع الإسلام بالمعنى الخاص، فلا يقال (فلان أسلم وحسن إسلامه)، إلا إذا تخلى عن الكبائر وخمل منكسراً من ماضيه في محاربة النبوة وخشي من أن يقع في هذه المحاربة مرة أخرى، فهناك دلائل تدل على حسن إسلام الرجل وأخرى تدل على سوء إسلام الرجل، ولا نعرف هذا من قول فلان (اسلم فحسن إسلامه) وإنما يجب أن ننظر لسيرته وأعماله، هل حسن إسلامه حقاً أم كانت الكبائر مصاحبة لهذا الإسلام؟ ومعايير حسن الإسلام من عدمه معروفة في القرآن الكريم لا يحتاج أن نعرف من الناس من الذي أحسن في إسلامه ومن الذي أساء، فالقرآن الكريم هو الذي يهدي للتي هي أقوم، وليس أقوال الناس مهما علا شأنهم أو كثر عددهم، آية واحدة لا يلغيها ألف قول، وكم من إجماع في القرن الأول أصبح مهجوراً في القرن الثالث، والعكس صحيح، فكم من قول مهجور في القرن الأول أصبح شبه إجماع بين سلفية القرن الثالث، فالسياسة والقوة تستطيع تحويل القول المهجور إلى إجماع، وتفتيت الإجماع إلى آراء شاذة، ومن يقرأ التاريخ القديم والحديث يعرف هذا تماماً كيف تحولت كثير من الآراء السياسية إلى دين، وليت تلك الآراء في نصرة العدل وحقوق الإنسان والحرية ومحاربة الفقر؛ كلا بل تلك الآراء هي أراء القتل وانتهاك الحقوق وكنز الذهب والفضة وحرمان اليتيم والمسكين، هذه هي الآراء السياسية التي انتصرت داخل الوجدان السلفي، فلذلك نجد حقوق الإنسان عند السلفية هي أسوأ حقوق إنسان في العالم، فكيف يلصق هذا بالدين؟

وهناك مثال واضح يعرفه كل السلفيين في الخليج، فقبل حرب تحرير الكويت لم يكن يجرؤ سلفي أن يقول (يجوز الاستعانة بالمشركين والكفار)، وبعد تلك الحرب لا يجرؤ سلفي أن يقول (لا يجوز الاستعانة بالمشركين والكفار)، بغض النظر عما إذا كان الرأي الأول هو الصواب أم الثاني، وكنت في تلك الأيام في جملة الشباب الذين

حضروا محاضرات الشيخ ابن باز رحمه الله، ونشرت محاضرته (موقف المسلم من الفتن في بعض الصحف المحلية وقد طبعت ضمن المجلد السادس من فتاواه)، أذكر أننا حاصرناه بموقفه في كتابه (نقد القومية العربية) الذي يحرم الاستعانة بالمشركين على أي حال، وموقفه الأخير الذي يرى شرعية ذلك، والشيخ ابن باز لا يشك أحد في تقواه وفضله واعتداله وعلمه، إلا أن السياسة والقوة أكبر من ابن باز والأوزاعي والثوري وابن عيينة وأحمد والبخاري ومسلم... إلخ. فيجب على الشباب السلفي أن يمتلك الوعي السياسي، ولن يستطيع حتى يعرف الأثر السياسي على مالك وأحمد والبخاري وأمثالهم، بل على أبي هريرة وابن عمر وزيد بن ثابت. إنَّ تلمّس الأثر السياسي الذي تحول فيما إلى أثر مذهبي من أهم واجبات العقل السلفي المعاصر حتى يُخرج السلفية المحدثة من هذا التعصب والضيق بالآخر من باب التقليد وألفة السائد.

أثر معاوية في السلفية المحدثة

إن تفكيك ونقد هذه المنظومة المذهبية واجب على كل سلفي قبل غيره؛ مادام أن السلفية في صورتها المذهبية ترى القتل على المذهب، والإكراه على المذهب، والبغض في المذهب، والحب في المذهب، والتبرع للمذهب، والحرمان للمذهب، والظلم للمذهب، والكذب للمذهب... إلخ، فكل ما تراه أمامها هو المذهب والمذهب والمذهب، لا تلتفت إلى السماء، ولا ترى أمر الله ولا نهيه، لا ترى إلا ما أمر به المذهب ونهى عنه. فهذه العبادة للمذهب لم تأت من فراغ، إنما أتت من تاريخ طويل في تمجيد الظلمة ومنتجي المذاهب ذات الغلاف الديني والمحتوى الشخصي والمصلحي. وكل مذهب يعرض عن القرآن الذي أمر الله بتدبره، وعن النبي (ص) الذي أمر الله بطاعته، وعن التعقل والتفكر الذي أمر الله به، وعن العدل الذي بعثت لأجله الرسل وأنزلت الكتب، كل مذهب يبتعد عن هذه القطعيات فهو أهل أن يُذَم ويُبيَّن وتكشف رموزه للناس، حتى يكون الشباب المسلم على بينة بدلاً من أن يبيعوا أرواحهم للمصالح والأهواء والتعصب التاريخي لدعاة النار، فإذا انحرفت أيها الشاب عن هذه القطعيات إلى أقوال الرجال حرمك الله من هذا النور القرآني والهدي النبوي

عقوبة على زهدك في كتاب الله ورغبتك عن اتِّباع رسول الله إلى غيره، فلا تنخدع لهم، ولا تصدق أن الله يحب الظالمين والقتلة، ولا تصدق أن الله يحب البلادة والحمق، ولا تصدق أن الله مع الإكراه على الدين فكيف بالإكراه على المذهب؟ ولا تصدق بأن الله أمرنا باتِّباع سلفٍ صالحٍ أو طالحٍ، إنما أُمرنا باتِّباع ما قاله الله ورسوله، ولا تصدق أن شيوخك مع النص الشرعي ومع قال الله وقال رسوله، فقد جرَّبتهم قبلك، هم مع الله ورسوله إذا كانا مع المذهب، أما إذا وجدا اللهَ ورسولَه ضد بعض أفكار المذهب فإنهم ينتقلون بسرعة مذهلة إلى ما قال ابن تيمية وما قال أحمد وما قال ابن عبد الوهاب.

هم يخدعونك، هم يعرفون أن سلفهم ينصر الظالمين ويجفو الصالحين، ويكفر أبا حنيفة ويأمر بقتل الناس بالباطل، هم يعرفون لكنهم ضحية لسلفهم كما أنتم ضحية لهم، وسلفهم صنيعة سياسية وليست صناعة دينية ولن تدركوا هذا بسهولة، لا بد من البحث والبحث والبحث.

هذه بضاعة للقرآن.. وهذه بضاعة الظالمين والراكنين إليهم

بالطبع يمكن أن تختصروا الطريق بالعودة إلى القرآن الكريم، لكنكم لا ترضون العودة إليه لأن سلفكم قال لكم إنه كتاب طلاسم لا يمكن فهمه، ولأن سلفكم قال إن نصفه منسوخ، والنصف الآخر لا يجوز فهمه إلا بفهم سلفكم، لقد سجنوا القرآن داخل تلك العقول الضيقة، والقرآن أوسع وأعلى وأرفع من أن نسجنه في عقل سلفي متمذهب ضيق متقوقع كاره للعادلين محب للظالمين. هذا ظلم في حق كتاب الله، وسيتبعه وصف النبي (ص) بهذه الصفات، فالمحب للظالمين يحبّ أن يكون النبي (ص) محباً لهم، والسفاك للدماء يحب أن يكون النبي (ص) سفاكاً، والمتعصب يحب أن يكون متعصباً... إلخ، وهكذا فهذه أمور نفسية وعقلية يجب فهمها كما هي حتى نعالجها، والتيار السلفي منحرف عن العقل الذي هو مناط التكليف، بل أصبحت كلمة (عقلاني) سُبَّة وشتيمة! تؤلف فيها الكتب ويقوم عليها الجرح والتعديل! عجبي؟ أيكون العقل في القرآن مأموراً به؟ وفي المذهب منهياً عنه؟ وكل سلفي لا ينتبه لهذا الانحراف فقد عطل عقله، وبالتالي عطّل نعمة الله عليه، ليس لشيء إلا لأنَّ بعض

سلفه الذي يراه صالحاً أمره بالتعطيل وكفى.

نأمل أن لا يأتي أحد منسوبي السلفية المحدثة ليقول إنما مرادهم ذم التجاوز العقلي الذي به ترد النصوص... إلخ، فهذا كلام فارغ، قد سئمنا منه، فليس هناك مسلم يرد النصوص بالعقل، وإنما يقوده العقل إلى الشك في ثبوت هذا النص، أو معنى ذاك النص، وهذا موضوع مختلف، ثم لا ينقلب الممدوح القرآني إلى مذموم أبداً حتى وإن أساء استعمالَه بعضُ الناس، مثل لفظة (الإسلاميين) أو (المسلمون) لا يجوز ذم الإسلام لأن بعض المسلمين أو الإسلاميين بالغوا أو أساؤوا (توظيف) الإسلام، ولا يجوز ذم العدل ليصبح تهمة لأن بعض غلاة المعتزلة مثلاً أساء استخدامه. هذه أمور بديهية لكنهم لسكرة المذهب لا يشعرون بها إذا تعلقت بأمر مذهبي، هذا التراث السلفي كله ليس فيه كتاب واحد في فضل العقل! رغم الكثافة القرآنية في مدح العقل، أيضاً هذا التراث السلفي كله ليس فيه كتاب عن العدل مع الكثافة القرآنية عن العدل؟ مع مركزيته العظمى كما في قوله تعالى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ.. الآية) (الحديد: ٢٥)، هذا التراث السلفي كله ليس فيه كتاب عن حرية التمذهب مع أن القرآن مع حرية التدين أصلاً، حديث واحد حسنه الألباني أو مقبل الوادعي هو كفيل بنسف مئة آية عند التيار السلفي، هذا جنون، إذن فليس هناك مسلم يرد النصوص بالعقل، إنما أنتم أيها الغلاة من تردون النصوص بالهوى والتقليد والتعصب والمذهب، (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم)؟

نعم الانحراف كان قديماً، كان في بعض هؤلاء السلف الذين يعمم صلاحهم في كل شيء، مع أن من البدهي أن الرجل قد يكون صالحاً في أمر دون أمور، قد يكون عابداً لكنه جاهل، قد يكون متديناً لكنه مغفل، قد يكون ذكياً لكنه مقلد متعصب... إلخ. فالصلاح الشامل لجميع الصفات ليس إلا لرسول الله ثم بدرجة أقل لقليل من أولياء الله، أما من يقلدهم السلفيون وهم قلة من السلف فالغالب عليهم التعصب والظلم وهجر القرآن، فلا يجوز أن نحصر القرآن بفهمهم والسنة بتصحيحهم.

وعلى هذا فإذا كانت المثالب مثالب معاوية هي أصح عند أهل الحديث فلماذا لا يتبعون الأصح ويتركون ما هو دونه؟ لا سيما وأن التناقض بين المثالب والمناقب لا يمكن تلافيه لا بجمع ولا بنسخ، إذ لا نسخ في الأخبار ولا جمع بين الجنة والنار!

فكيف يظن أحد بأنه لا تناقض؟ بين كون معاوية هادياً مهدياً وكونه داعية إلى النار؟!

محاولة لإيقاظ العقل والضمير السلفي

هذا القبول السهل للتناقض الصريح جحدٌ لنعمة الله (نعمة العقل) وتعطيل لها وكفر بها، فهي جريمة أيضاً، ولن يجد الفقيه جواباً مقنعاً في الآخرة وإن وجده في الدنيا)هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلا(؟! (النساء: ١٠٩)، بمعنى لا تستطيع في الآخرة أن تقول: أنا أحب معاوية وأدافع عنه لأن الله أمرني بذلك؟ أو أن النبي (ص) كان يحب معاوية حباً جماً؟! أو أن الله يحب الظالمين ويرضى عن الفاسقين؟... إلخ، سيقال لك: أين وجدت هذا؟ ولماذا لم تتعلم وأنت فقيه؟ لماذا لم تعقل وقد وهبك الله العقل؟ لماذا هذا البيع المجاني أو الثمن البخس لحواسك وعقلك وضميرك؟ ذلك الثمن إن وجد هو ثناء الشيخ فلان عليك وعلى عقيدتك وعلى دينك؟ أيها المغرور.. استيقظ!

ألم تقرأ في كتاب الله (فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) (التوبة: ٩٦)

ألم تقرأ في كتاب الله (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل: ٩٠).

ألم تر البغي هنا مقروناً مع الفحشاء والمنكر؟ فمن أين وجدت في كتاب الله أن الباغي مأجور أجراً واحداً؟ وأنه يجب محبة دعاة النار؟

ألم تقرأ في كتاب الله (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (النساء: ٩٣)؟

ألم تقرأ في كتاب الله (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (البقرة: ١٢٤)؟

ألم تقرأ (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران: ٥٧)؟

ألم تقرأ (وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الأنعام: ١٢٩)؟

ألم تثِرْ فيك هذه الآية التمرد على سلفك الذين يثنون على هؤلاء الظالمين ويبغضون عباد الله الصالحين ويأمرون باستتابتهم وقتلهم؟ والحكم على جميع فرق

المسلمين بالنار بسبب حديث موضوع صححه بعض سلفكم ليستشهد به في الحكم على أهل القبلة بالنار؟

ألم تقرأ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ. وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) (هود: ١٥ ١٩)؟

ألم تقرأ فقوله تعالى (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ) (هود: ١١٣)؟.

إلى كثير من الآيات التي تدعو لمفاصلة الظالمين والبعد عنهم والترهيب من الركون إليهم... إلخ. وليس معنى هذا أننا ندعو اليوم ولا قديماً لترك مناصحتهم ومؤاكلتهم وقول كلمة الحق عندهم. كلا، إنما نقصد أن ينتبه المسلم فلا يسكت عن ظلم أو يشرعن قتلَ مسلم أو يسوِّغ المظالم، ومن وجد في نفسه ضعفاً فلا يدخل عليهم، كما أنه ليس كل الحكام والسلاطين في مرتبة واحدة، فعمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد الناقص من الأمويين والمأمون من العباسيين كان العدل يغلب عليهم، وعمر بن عبد العزيز أشهرهم عدلاً، والمأمون أوسعهم علماً، والناقص مغمور رغم فضله.

إذا لم توقظك هذه الآيات فمتى تستيقظ؟

أعيذك وأعيذ نفسي بالله أخي السلفي أن نكون من الذين قال الله فيهم:

(تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (الجاثية: ٦ ٨).

أعيذك وأعيذ نفسي بالله أن تمر علينا هذه الآيات كأن لم نسمعها لأن سلفنا كان مع

الظالمين؟ لأن سلفنا صرَفنا إلى عقائد ومفاهيم ما أنزل الله بها من سلطان.

أعيذك وأعيذ نفسي بالله أن نكون من الذين قال الله فيهم: (تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ. أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ. قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ. رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ. قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ. إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ. فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ) (المؤمنون: ١٠٤ ١١٠).

أعيذك بالله وأعيذ نفسي به أن نغتر بكثرتنا وقوتنا أو فقر خصومنا وضعفهم؛ فنعرض عن هذه الآيات ونتشابه مع من قال الله فيهم: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا؟) (مريم: ٧٣)

أعيذك بالله أن تعرض عن كتاب الله وتسخر ممن يذكرك بآيات الله لأُنسك بشيخ أو مذهب أو مجموعة من أترابك، فلا تغتر بالنعمة والمال والسعة في الرزق، فالمال والترف لن يغنيا عنك من الله شيئاً ولا تقوى على عذابه فجسدك ضعيف، وتدبر وفقك الله قوله تعالى (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ. لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ. قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ. مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ. أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ. أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ. أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ. وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ) (المؤمنون: ٦٤ ٧١).

ثم أنت بالخيار، إما أن تختار الكثرة أو البرهان، هذه سنة الله في خلقه، وهو عين الابتلاء، لن يسلم مذهب من أخطاء فكرية أو سلوكية فجدد، أنت في المنتصف، والبرهان مع القلة في جانب، والباطل مع الكثرة في جانب آخر، وأنت بالخيار، إما أن تذهب مع الحق والقلة فتكون قد فزت عند الله فوزاً عظيماً وعصيت الخلق في الله، وإما أن تختار الكثرة والسلطة وهنا لا ابتلاء. فالسائر مع الرأي العام والمال والقوة كيف يرجو النجاح في الابتلاء وقد قدّم الكثرة والراحة النفسية والمادية على التمحيص؟

هذه الأمة لن يقيمها إلا فهم سنن الله في عباده (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا

آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (العنكبوت: ٢ ٣)، هذه سنة من سنن الله في خلقه، ولن تكون مبتلىً إذا كنت يا طالب العلم تسير مع الرأي العام، بل تكون قد رسبت في الابتلاء، وأحببت أن لا يلحقك ما لحق الأنبياء من ابتلاء عظيم، هل تظن أنك أغلى عند الله من رسله؟ أتتمرغ سمعتهم وجاههم في التراب وأنت كبير الجاه والمنصب في قومك؟ ثم تطمع أن تصاحب نبيك في الجنة وأنت لم تصب بإبرة ولا شوكة ولا تشويه سمعة ولا فقد صديق ولا غضب شيخ... إلخ؟

الدين لا يقيمه على الأرض إلا الصادقون الصابرون العارفون بسنن الله وهم قليل، فلذلك استمر التمحيص، وأصبحنا أذل الأمم وأجهلها وأظلمها، لأن مثلي ومثلك رضوا أن يكونوا مع الخوالف، ولم يتقدموا أمام الصفوف بقول كلمة حق وشهادة لله ونقد للباطل ونصرة للحق... إلخ، نريد أن نأخذها دنيا وآخرة ولا يمسنا سوء فنزهد عن مشاركة الأنبياء في حزن أو نزول مرتبة عند الناس، وهذا ما أفسد كثيراً من السلف.

فساد كثير من السلف قلباً وعقلاً

إذ آثروا السلامة فانقمعوا، أو طمعوا فوضعوا، أو غفلوا فجهلوا، والقليل من ائتم بالكتاب وعرف الجادة القديمة، لذلك فأغلب العلماء والفقهاء في هذا الجانب قد يكونوا من المضلين، ولا بد أن يعرف الشاب المقبل على العلم أن للعلماء وادياً غير وادي القرآن، ولهم هدي غير هدي الرسول، وأغلبهم مقربون من السلاطين الظلمة إما بالجسد وإما بالهوى، وقد يجاملونهم في بتر أو إخفاء أو سكوت عن ظلم، هذا هو الغالب، ألا ترى فيها أن كثيراً من سلفك الذين تصفهم بالصلاح قد ركنوا إلى الذين ظلموا وأكلوا، ولابد لهذا الأكل من حساب لصاحب المطعم!؟

جرح قرآني محوري... لم يأخذ به أهل الحديث!

ألا وهو الركون إلى الذين ظلموا، فهذا جرح قرآني، كما في قوله تعالى:)ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار(، والدليل أنه جرح قرآني أنه متوعد عليه من الله بالنار، نعم قد يتوب البعض، إلا أن أحاديثه زمن ركونه إلى الظالمين ما زالت تسير في الأمة، وبالتتبع تجد أن الحديث في مجمله علم سلطاني، رغم كثرة فوائده

ورغم امتناننا لجهود أهل الحديث، فكبار أهل الحديث مقربون من السلاطين، ثم من البيئة الفكرية التي شكلَّها السلاطين، انظروا المكثرين من الحديث؟ أليسوا مقربين من السلطات الظالمة؟ حتى لو لحقتهم توبة أو ندم؟اقرأوا سيرة أبي هريرة وعروة بن الزبير وقربهما من معاوية ومروان. وأفضلهم أبو هريرة لصحبته وفق المعايير السلفية وقد اعترف بأنه لو نشر الوعاء الثاني (الخاص بمعاوية وأمثاله) لقطعوا منه البلعوم! وهذا يعني أن جملة وافرة من الأحاديث التي كان النبي (ص) يرى مصلحة في قولها، قد كتمها خوفاً على نفسه ورأى مصلحة في كتمانها، ولم يكن ليكتمها إلا خشية أن يقتله معاوية، والحديث في صحيح البخاري: (حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَخِي، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وِعَاءَيْنِ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ)[1]. فمن سيقطع بلعوم أبي هريرة غير معاوية؟ فأبو هريرة توفي في عهده فليس الخوف من يزيد بن معاوية ولا عبد الملك بن مروان ولا ابن الزبير ولا المختار بن أبي عبيد ولا الحجاج. كما لا يريد أبو هريرة بهذا القول أحد الخلفاء الأربعة؛ لأنهم أتقى من أن يَقتلوا على رواية حديث، وأبو هريرة في هذا القول لا يخلو من أن يكون صادقاً أو كاذباً، فإن كان صادقاً ونحن ما نقول به فمعاوية من الظالمين الذين يمكن أن يقتلوا من يحدث عن النبي (ص) بما لا يشتهي هو، وإن كان أبو هريرة كاذباً مفترياً على معاوية وعهده فأولى أن تجتنبوا أحاديثه كلها، وأنتم لا تفعلون لا هذا ولا هذا، وأولى أحاديث أبي هريرة بالتصديق هي ما اقترب منها من مخالفة سيرة الظالمين وأهوائهم، وفي أحاديث أبي هريرة كثير من هذا والحمد لله، لكن مجرد قربه من الظالمين جعله يسكت عن نصف العلم، هذا إن سلم النصف الآخر من تصرف.

وكذلك اقرأوا سيرة نافع والزهري وقبيصة بن ذؤيب ورجاء بن حيوة وقربهم من بني مروان؟ ومالك وطبقته وقربهم من المنصور؟ وأحمد وطبقته وقربهم من المتوكل؟ وهل معظم عقائد قومنا وفقهنا وحديثنا إلا من هؤلاء؟ إذا تحقق ظلم معاوية أليس الركون إليه جرح قرآني؟ حتى لو لم يأخذ به القطان ولا الثوري؟ إذن هل نحن مع القرآن في إدانة هذا القرب لما قد ينتج عنه من فتنة؟

---

(١) صحيح البخاري، ١/ ٤١.

من يضمن لنا أنهم لم يخفوا الكثير مما فيه نصرة للمبادئ المزعجة للحاكم؟ واختاروا شيوخاً مقربين من الحاكم أيضاً؟ من الذي اقترح على الزهري أن يأتي عروة بن الزبير مثلاً؟ أليس عبد الملك؟ ومن منا يعرف أول عهد عروة وآخره؟ أول عهد الزهري وآخره؟ نحن لا نطرح أحداً هكذا ولا نأخذ حديثه دون أخذ في الحسبان تأثره بالسلطة. ولا يجوز إهمال الجرح القرآني؟ أليس من العقل والإنصاف أن نزيد في الحذر قليلاً إذا روى هؤلاء أحاديث نرى فيها تأثراً بالسلطة؟. وهكذا..

اعتبروا بزمانكم وعلمائه وأهله

ثم اعتبروا بزمنكم هذا ألا ترون أن كل طرف معارض للسلطة (السياسية أو المذهبية) ولو معارضة خفيفة يتم اتهامه بكل شيء، ويقل تلامذته ويهجره الأدنون، وإن كان ضعيف العلم شكَّ في نفسه، وقد يعود ذليلاً يطلب من الغلاة أن يتقبلوا توبته! بينما القريب من السلطان يتم تصديقه ولو كان من أكذب الناس وأخبثهم وأجهلهم! هذا هو التاريخ، وهذا سلوك السلطة، وهذا سلوك رجال العلم قديماً وحديثاً، فاختر لنفسك، ولا تغتر.

البعض يغتر بصلاح هؤلاء في العبادة الظاهرة، وهذه فتنة، لا ينجو منها إلا صاحب بصيرة بسنن الله في خلقه، ولا نتهم أحداً من أهل الحديث بنفاق ولا نحكم عليه بجنة أو نار، إنما ننظر إلى الضرر في الرواية فقط، بل نجد كثيراً منهم يندم على الرواية ويتوب ويصيح إلا أن أحاديثه أصبحت في أيدي الناس، وهم يغلب عليهم الصلاح في نفوسهم، لكنهم وفق ظروفهم التي شرحناها كانوا قد كتموا وحرفوا وبتروا وسكتوا باعترافهم، فسار المبتور بعد موت الباتر، ودفن المكتوم مع الكاتم، وطبيعة الصراع تعجل ذوي الأحلام عن إجالة الفكرة واستيفاء القضية وتحرير المسألة وتقرير الصواب، وهذا ملاحظ في كثير من العقائد المرتجلة، والأحكام الآنية، والإنسان بطبعه ضعيف ظلوم جهول عجول.

ضرورة الاعتراف بضعف السلف

ومن أكبر ظلم الإنسان عدم اعترافه بضعفه، أمام كل شيء قوي، هوى النفس، السلطة، المذهب، المال، الرأي العام، بل إن شيوخ السلفية المحدثة اليوم يصورون

لشبابهم وكأن من ينتقونهم من السلف لا يخضعون لأي شيء إلا للحق والصدق والعدل. ما هذا الجنون؟ فالنبي (ص) وهو أفضل الأنبياء والمرسلين كاد أن يميل لمطالب الرأي العام الجاهل لو لا أن الله ثبته، قال تعالى: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا. وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا) (الإسراء: ٧٣ ٧٤)، فإذا كان النبي (ص) وهو نبي من أولي العزم، كاد أن يستجيب بعض الشيء، فكيف تجزمون أن أحمد أو ابن تيمية أو محمد بن عبد الوهاب لم يخضعوا للرأي العام أو السلطة أو الهوى أو العصبية؟ كيف تجعلونهم في منزلة بحيث عندما نقرأ تراجمهم نظنهم أفضل من الأنبياء؟ ما هذه البدعة والضلالة؟!
ثم إن ذَكَّركم بعضُ أبنائكم جعلتموه شيطاناً رجيماً، ما هذه الحماقة؟.

العقل السلفي يتعبد بقبول التناقض

من آثار معاوية ودولته على العقل السلفي في الجملة أننا نجد عند هذا العقل قابلية كبيرة للتناقض، بل تعبداً بهذا التناقض، فتجد النافرين من الغلو يقعون في أبشع منه ولا يرونه غلواً، والنافرون من الشرك يقعون في نظيره، والمدافعون عن ظلمة الطلقاء يقبلون الطعن في البدريين... الخ، وهكذا تسير الدنيا دون توقف ولا نقد ولا مراجعة، لأنهم لا يقبلون متسائلاً ولا مستشكلاً، لكثرة الشك الذي أساسه سلطاني لا ديني، ولا يحسنون الظن إلا بالحاكم الظالم فقط، وهذا مذهب سلطاني لا ديني، وهكذا يقبلون التناقض ويتعبدون بقبوله والمسيرة تسير، وقبول التناقض فيه من آثار معاوية على العقل المسلم، لقد تعبدهم بالمتناقض، وهذا تفريط من العبد في نعمة السمع والبصر والعقل والفؤاد.

الأحاديث السياسية والعقائد السلطانية هي مادة العقائد السلفية

إذن فليعلم الجاهل أن معظم هذه العقائد والأحاديث تحدرت من بلاط الظالمين؟وطلبتها عساكرهم وولاتهم؟ كل حديث في الإرجاء أو الجبر أو التشبيه أو الترغيب والترهيب والطاعة والوعيد على الفكرة والوعد على الجماعة. كل هذه وأمثالها أحاديث سلطانية، فإننا لا نعني بالحديث السلطاني أن يخدم الظالم بطريقة مباشرة، بل كل حديث ينتج مسلماً سلبياً فهو حديث سلطاني، بل كثير من الأحاديث

ذات الأصل الصحيح إذا كتمتَ منه جملة أو زدتَ فيه أخرى تحول من كونه حديثاً نبوياً إلى حديث سلطاني، والنماذج أكثر من أن تحصر، واعتبر بنفسك إذا حضرت مجلس سلطان فإنك تتجنب حتى قراءة ما يزعجه من القرآن الكريم فكيف بالأحاديث؟ لا تخدع نفسك، يكفيك ما تعلمته من سلفك من خداع.

اعرف الظلم من القرآن تعرف أهله في الدنيا

إقرأ التاريخ إن شئت، واعرف الظلم وأهله من كتاب الله وليس من المذهب، ثم انظر ما تواتر من الحديث والتاريخ مما لا تشك فيه، ثم اعرف أعلام الظالمين وحاشيتهم من حرس وفقهاء، واترك أحاديث تلك الحاشية وما دبجوه ولفقوه وحرفوه وولدوه. فإذا فعلت هذا تبدّى لك شيء من بياض الحق المهجور بين أثباج الباطل، وتكون قد فررت من الضلال وأهله درجة، واقترب من الحق وأهله درجة، وهنا الجماعة وهنا السنة، فالسنة سنة محمد، والجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك كما يقول ابن مسعود.

مبحث هل أسلم معاوية؟!

وهذا لي فيه مبحث كبير (بل كتاب صغير تحت الطبع)، سأختصره هنا مركزاً على لفظ ورد على لسان علي وعمار بن ياسر ومحمد بن الحنفية وأمثالهم من السلف الصالح. وسأترك تلك الروايات السلفية (البدرية والرضوانية في ذم معاوية) وأقتصر على بعض ما ينقل عنهم من أن معاوية لم يسلم أصلاً، وإنما استسلم حتى وجد على الحق أعواناً، وهذا رأي السلفية العتيقة، وهو غريب عند السلفية المحدثة. وسأهمل الحواضن القرآنية، والأحاديث النبوية لأنني سأتوسع فيها في المبحث الأصلي، وأقتصر هنا على رأي السلفية العتيقة مجملاً، ثم أفصل في رأي عمار بن ياسر بل يقينه بأن معاوية لم يسلم أصلاً.

وهذا هو لب البحث من وجهة نظر سلفية فقط دون ذكر للآيات والأحاديث.

فإسلام معاوية أمر مختلَف فيه قديماً وإن كان محل إجماع عند أهل السنة في عصور تالية، لكن أوائل أهل السنة من المهاجرين والأنصار والتابعين أولى بأن نهتم بآرائهم وأقوالهم في مدى صحة هذا الإسلام الذي أسلمه معاوية وبعض أهل بيته.

ومن القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة أنه لا عبرة برأي جمهور العلماء إذا خالف رأي جمهور الصحابة، فالصحابة هم أوائل السلف الصالح. وهم أولى بالحق من مذهب من المذاهب. هذا ما يقرره أهل السنة والجماعة في أدبياتهم حتى أصبح تكراره مملاً.

إذن فليعلم من أراد أن إسلام معاوية مسألة قد أثيرت حولها الشبهات من أيام الصحابة فقد كان يشكِّك في إسلامه وإسلام الطلقاء في الجملة بعضُ الصحابة والتابعين وأهل الحديث وهذا أنموذج واحد فقط من تلك الآثار عن أحد كبار الصحابة وهو عمار بن ياسر أحد السابقين من المهاجرين ومن أهل بدر ومن صفوة أصحاب النبي (ص).

حديث عمار بن ياسر أنموذجاً

ثبت عن عمار بن ياسر وهو من رموز السلفية العتيقة (ومهجور من السلفية المحدثة) أن رموز جيش أهل الشام (من الطلقاء وأشباههم) لم يسلموا، وإنما استسلموا وأسروا الكفر، حتى وجدوا على الحق أعواناً، وكان الأولى بالسلفي إن كان سلفياً حقاً أن يرتب الرموز السلفية فلا ينتقل إلى رضواني قبل البدري، ولا تابعي قبل الصحابي، حسب المفهوم النظري السلفي نفسه، وهذا الفرق بين السلفية العتيقة والسلفية المحدثة التي كثرت من بعد عهد الإمام أحمد سامحه الله. والآن سنستعرض أقوال السلفية القديمة التي هي أقرب الرموز السلفية إلى النص، مع إيماننا بأن الحجة في النص، لكن نحتج على القوم بمنهجهم، ليتبين لشبابهم أن الشيوخ خادعون أو مخدوعون بدعوى سيرهم على عقائد السلف الصالح.

فروي من طرق مجموعها يفيد الصحة عند أكثر المتشددين من أهل الحديث جزم عمار وقسمه بأن معاوية لم يسلم وأنه منافق، بعضها بالتصريح وبعضها بالمعنى، وقد رواه عن عمار بن ياسر جمع من التابعين، بلغوا أكثر من خمسة عشر وهم:

سعد بن حذيفة بن اليمان، وفيه الدليل الخاص والأقوى؛ وأبو البختري؛ والقاسم مولى يزيد بن معاوية؛ وربيعة بن ناجد؛ وأبو عبد الرحمن السلمي؛ وعبد الله بن سلمة؛ وأسماء بن الحكم الفزاري؛ والصقعب بن زهير؛ وزيد بن وهب؛ وحبة بن جوين

العرني؛ وعبد الملك بن أبي حرة الحنفي؛ وعبد الرحمن بن أبزى. وأرسله من غير شهود العيان: سلمة بن كهيل؛ وحبيب بن أبي ثابت؛ ومنذر الثوري.

وروايات هؤلاء مفصلة في المبحث الأصلي، وإنما سأختار ما يدل على أن معاوية لم يسلم أصلاً، كسائر زعماء قريش، وهذا يدل عليه القرآن الكريم كما كررنا وكلنا يحفظ سورة الكافرون، واللهُ لا يتوقع بل يخبر، فمن شاء فليصدِّق الله ويكذِّب ما قيل في إيمان قريش وخاصة المتأثرين بالثأرات والحسد والزعامة، ومن شاء فليصدق التاريخ وليكذب القرآن الكريم. ولكن لا يخادع نفسه، ليقرأ سورة الكافرون وأول يس وأول البقرة وأوسط الأحزاب وآل عمران. ثم ليخترْ. هل يصدق الله أم العقيدة المحدثة، هل يتَّبع اللهَ أم الرموز التاريخية. إن النصوص القرآنية واضحة جداً لا تحتمل الزحلقة، وهو ابتلاء كبير للمؤمن.

وسنذكر بعض آراء السلفية العتيقة التي تتفق مع القرآن الكريم، لإيماننا أن القرآن الكريم لا يكفي عند هؤلاء حتى يعضده بعضُ السلف، فهاهم السلف الصالح!

قول عمار بن ياسر (من رواية سعد بن حذيفة بن اليمان عنه)

روى ابن أبي خيثمة قال: (حَدَّثَنَا أبي (زهير بن حرب ثقة)، قال: حَدَّثَنا جَرِير (هو ابن عبد الحميد ثقة)، عَنِ الأَعْمَش (ثقة)، عن مُنْذِرٍ الثَّوْرِيّ (ثقة)، عن سَعْد بن حُذَيْفَة (ثقة)، قال: قال عَمَّار (بن ياسر) أي يوم صفين ـ: **(والله ما أَسْلَموا ولَكِنَّهُم اسْتَسْلَمُوا وأسرُّوا الْكُفْر حَتَّى وجدوا عليه أَعْوَانًا فأَظْهَروه)**[1].

التعليق: السند صحيح على شرط الشيخين إلا سعد بن حذيفة بن اليمان وهو تابعي كبير ثقة، بل يحتمل أن له صحبة كما سيأتي، فالسند صحيح ورجاله كلهم ثقات سمع

---

(١) تاريخ ابن أبي خيثمة، ٢/ ٩٩١. روى الطبراني عن سعد بن حذيفة بن اليمان قال: (قال عمار بن ياسر يوم صفين وذكر أمرهم وأمر الصلح فقال: **والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر فلما رأوا عليه أعواناً أظهروه**)! قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٨) رواه الطبراني في الكبير وسعد بن حذيفة لم أرَ من ترجَمَه!).

قلتُ: كيف لم يجد له ترجمة؟ وهو مترجم في طبقات ابن سعد وتاريخ البخاري وتاريخ ابن أبي خيثمة وكتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم وفي ثقات ابن حبان وغيرها؟ هذه تقية من الهيثمي! إذ لم يجد في السند طعناً فلجأ إلى التظاهر بالجهل! انظر ترجمة سعد بن حذيفة في الملحق..

بعضهم من بعض. وعنعنة الأعمش في الصحيحين (راجع الملحق)، وهذا القول قاله عمار بن ياسر يوم صفين، ومعناه واضح؛ فعمار بن ياسر ميزان تلك الحروب يقسم بالله أن معاوية وأمثاله من رموز أهل الشام لم يسلموا يوم فتح مكة وإنما استسلموا وخضعوا حتى يجدوا على الحق أعواناً، وله شاهد من حديث ابن عمر في قصة التحكيم (أولى بهذا الأمر من ضربك وأباك على الإسلام حتى دخلتم فيه كرهاً). واصله في صحيح البخاري كما سيأتي، ويدل على هذا القرآن الكريم)إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون(، وأمثالها من الآيات التي ستتناول رؤوس الكفر أكثر من تناولها عوامهم، عدل الله يقول هكذا، ولكن لنستمر مع الآثار المروية عن عمار بن ياسر، أعني الشواهد ولها حكم الرفع ولذلك أورد بعضها أحمد في المسند ضمن مسند عمار بن ياسر كما سيأتي مما يشير إلى أن لها قوة الحديث المرفوع على الراجح من فعل أحمد، لأنه أورد بعض هذه الآثار وسط أحاديث عمار المرفوعة، وكأن أحمد فهم من قَسَم عمار وتأكيده على ذلك أنه يعلم علم اليقين أن هؤلاء لم يسلموا وأن معه فيهم خبراً من النبي (ص).

المتابعات عن عمار

والأحاديث عن عمار بن ياسر في هذا الباب كثيرة جداً، سأترك دراسة أسانيدها للبحث الأصلي الذي عنوانه (بحث في حقيقة إسلام معاوية جاهز للطباعة)، وسأقتصر على ذكر المتون بلا أسانيد تشويقاً للبحث الأصلي، ولئلا أثقل هذه المقدمة بالأسانيد ودراستها، فمن شاء التوسع فليرجع للأصل وهو (مبحث في حقيقة إسلام معاوية)، ومن تلك الآثار عن عمار:

لفظ منذر الثوري عن عمار بن ياسر: (والله ما أسلم القوم ولكن استسلموا وأسروا الكفر حتى وجدوا عليه أعواناً).

ولفظ حبيب بن أبي ثابت عن عمار بن ياسر مرسلاً، (لما كان يوم صفين قال رجل لعمار بن ياسر: يا أبا اليقظان ألم يقل رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قاتلوا الناس حتى يسلموا فإذا أسلموا عصموا مني دماءهم وأموالهم؟! قال: بلى ولكنْ واللهِ ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر حتى وجدوا عليه أعواناً).

ولفظ القاسم مولى يزيد بن معاوية عن عمار بن ياسر في رواية طويلة وفيها: (يا

أهل الإسلام أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما فلما أراد الله أن ينصر دينه وينصر رسوله أتى النبي (ص) فأسلم وهو واللهِ فيما يُرى راهب غير راغب، وقُبض رسول الله (ص) وإنَّا واللهِ لنعرفه بعداوة المسلم ومودَّة المجرم! ألا وإنه معاوية فالعنوه لعنه الله وقاتلوه فإنه ممن يطفئ نور الله ويظاهر أعداء الله).

ولفظ عبد الله بن سلمة (رأيت عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طوالاً أخذ الحربة بيده ويده ترعد فقال: والذي نفسي بيده لقد قاتلت صاحبَ هذه الراية مع رسول الله (ص) ثلاث مرات وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هَجَر لعرفتُ أن مصلحينا على الحق وأنهم على الضلالة). وهذا الحديث الأخير صحيح الإسناد وله حكم الرفع، ومصادره كثيرة جداً، فقد رواه أبو داود الطيالسي وأبو بكر بن أبي شيبة والإمام أحمد في المسند، والبلاذري في الأنساب، وأبو يعلى في مسنده، وابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك، كلهم من طريق محمد بن جعفر (غندر) حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة سمعت عبد الله بن سلمة، فالإسناد صحيح غايةً، وله حكم الرفع أيضاً.

ولفظ زيد بن وهب (أن عمار بن ياسر رحمه الله قال يومئذ: أين من يبتغى رضوان الله عليه ولا يؤوب إلى مال ولا ولد؟. فذكر الروايةَ وفيها: حتى دنا من عمرو فقال يا عمرو بعت دينك بمصر تباً لك تباً، طالما بغيتَ في الإسلام عوجاً. وقال لعبيد الله بن عمر بن الخطاب صرَعك الله، بعتَ دينَك من عدوِّ الإسلام وابنِ عدوه.. الرواية) باختصار.

لفظ عبد الملك بن أبي حرة الحنفي (أن عمار بن ياسر خرج إلى الناس، فقال: اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته، اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سيفي في صدري ثم أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلت، وإني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين؛ ولو أعلم أن عملاً من الأعمال هو أرضى لك منه لفعلته).

قلتُ: انظروا هذا اليقين!.

ولفظ أسماء بن الحكم الفزاري عن عمار بن ياسر في رواية مطولة في حوار بين عمار ورجل اشتبه عليه الأمر في قتال مسلمين، وفيها (فقال له عمار: هل تعرف

صاحب الراية السوداء المقابلتي فإنها راية عمرو بن العاص، قاتلتُها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، وهذه الرابعة ما هي بخيرهن ولا أبرّهن، بل هي شرّهن وأفجرهن[1]، أشهدتَ بدراً وأحداً وحنينا أو شهدها لك أبٌ فيخبرك عنها؟ قال: لا، قال عمار: فإن مراكزنا على مراكز رايات رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، ويوم أحد، ويوم حنين، وإن هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب. أما إنهم سيضربوننا بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولون: لو لم يكونوا على حق ما ظهروا علينا، واللهِ ما هم من الحق على ما يقذي عينَ ذباب، والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أنا على حق وهم على باطل، وأيمُ اللهِ لا يكون سلماً سالماً أبدا حتى يبوء أحد الفريقين على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين، وحتى يشهدوا على الفريق الآخر بأنهم على الحق وأن قتلاهم في الجنة وموتاهم، ولا ينصرم أيام الدنيا حتى يشهدوا بأن موتاهم وقتلاهم في الجنة، وأن موتى أعدائهم وقتلاهم في النار، وكان أحياؤهم على الباطل).

والخلاصة في شهادة عمار هنا:

هذا بعض الآثار التي تفيد بأن السلفية العتيقة كعمار بن ياسر وهو أحد السابقين من المهاجرين وأحد البدرين يرون أن قتالهم لمعاوية صاحب تلك الراية يوم صفين كقتالهم له ولأبيه في عهد النبي (ص) وهذا يعني هذا أنهم لا يرونه مسلماً صادقاً وإنما مسلم بحكم الظاهر كالمنافقين، يتم التعامل معه معاملة المسلمين، أما حقيقة إسلامه فعمار وأمثاله يعرفون ويقسمون بالله أنه ما أسلم قط وإنما استسلم ولن يقسم هؤلاء الكبار إلا بتوقيف، نعم استسلم كأبيه، وإلا فهل يعقل أن صحابياً بدرياً طاعناً في السن يقسم بالله واثقاً أن هذا الموقف الذي يقفه معاوية يوم صفين ليس بأبر ولا أصدق من وقوفه أيام يوم أحد والخندق ونحوها في مواجهة الرسول والرسالة وهذا المعنى يشهد

(١) لأن معاوية يحارب الإسلام هنا باسم الإسلام، فيكون ضرره أبلغ على الإسلام وأهله، بينما كفار قريش كانوا مختلفين، وأكثرهم يقاتلون على العصبية وتعدد الآلهة، صحيح أن أبا جهل كان يدعو يوم بدر (اللهم من كان أقطعنا للرحم فكبه اليوم لوجهه)، إلا أن باطله لم يجز في الأمة كما جاز باطل معاوية، لأنه لم يتولَّ السلطة فقط! ولو نجا وتولاها ولو أسلم منافقاً لكنا نقول اليوم (الأمير الكبير سيد بني مخزوم أبو الحكم عمرو بن هشام رضي الله عنه)! ولذلك لن نفلح إنْ لم نفهم فهم السلف الحق، ونترك السلف المزيف.

لقول عمار السابق (والله ما أسلموا ولكن استسلموا...)، فاللفظان معناهما واحد. وللحديث لفظ آخر بلفظ (والله لقد قاتلت بهذه الراية -وفي لفظ لقد قاتلت مع رسول الله ثلاث مرات وهذه الرابعة...)، وفي أقوال عمار دلالات نؤكد عليها:

١ أن عماراً شهد كل المشاهد مع النبي (ص) في بدر وأحد والخندق وخيبر وبني قريظة وفتح مكة وحنين.... إلخ، وهذه أكثر من ثلاث! ولا يفهم من هذا إلا أنه خصص المعارك التي اشترك فيها معاوية، كأحد والخندق والأحزاب (وفي شهوده بدراً مع المشركين خلاف).

٢ ثم عندما يقول: (ما هذه بأبر ولا أصدق)، أي راية معاوية، ففي هذا إخبار عن حقيقتهم وليس عن التعامل الظاهر معهم، فهم يعاملون في الظاهر معاملة المسلمين، لإعلانهم الإسلام ولو نفاقاً، ثم أهل الشام جم غفير، ولا يتهم عمار إلا ظلمتهم ورؤوسهم ورأس هؤلاء الرؤوس معاوية.

ثم عمار بن ياسر كان من أبعد الناس عن التكفير، فكان إذا سمع من بعض أصحابه تكفير أهل الشام بالعموم كان ينهاهم، ويختار وصفهم بالظلم والفسق فقط، وقد صحَّ ذلك من طرق هذه بعضها ففي مصنف ابن أبي شيبة: (حدثنا وكيع عن حسن بن الحارث عن شيخ له يقال له رباح، قال: قال عمار: لا تقولوا: كفر أهل الشام، ولكن قولوا: فسقوا ظلموا. وكيع عن مسعر عن عبد الله عن رباح عن عمار قال: لا تقولوا: كفر أهل الشام ولكن قولوا: فسقوا ظلموا)[1].

ولا تعارض هنا بين اتهام معاوية وأمثاله من الرموز ممن يقصدهم عمار وتفسيق عامة أهل الشام وظلمهم، ومن توهم التعارض قدَّمنا الأصح عن عمار وهو الحكم على هؤلاء بأنهم استسلموا ولم يسلموا قط. لكن بالتفصيل يصح الأمر لأن في جيش أهل الشام المغرر به والأحمق ودليل ذلك أن بعضهم لَحِقَ بعليّ عندما تبين له الحق، وقد تركت طرقاً أخرى كثيرة عن عمار بن ياسر، سبق ذكر الرواة عنه.

رأي عمار هو رأي أهل بدر

أولاً عمار لا يعبر عن رأيه وإنما عن علمه، وعلمه اليقيني، الذي يجهله أكثر الناس

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ٨/ ٧٢٢.

يومئذ، فكان يصر على هذا العلم وبثه ليعلم به الناس، ولم يكن علمه هذا خاصاً به، فقد انتشر بين الصحابة من أهل بدر في عهده، ولم ينكر عليه أحد منهم، وهو قدوة لأصحاب النبي (ص) يوم صفين باستثناء الإمام علي، فهو فوقه علماً وفضلاً، وعمار هو قائد الصحابة في عصره من أهل بدر والرضوان الذين كانوا يتبعونه يوم صفين كأنه لهم علم، وعلى هذا فرأيهم هو رأيه، ففي الاستيعاب: (وروى الأعمش عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: شهدنا مع علي رضي الله عنه صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتبعونه كأنه عَلَم لهم... إلخ)[1]. والسند صحيح على شرط الشيخين، وعلى هذا فقد كان ثمانون من أهل بدر وثمانمائة من أصحاب بيعة الرضوان، على هذا القول الذي قاله عمار بن ياسر.

وهذه السلفية العتيقة، لا تقاومها سلفيات هؤلاء. لا سيما وأن العبرة بآخر مواقف الصحابة من معاوية، لا سيما مواقف أكثر أهل بدر، فقد يخفى حال معاوية على بدريين ماتوا قبل أن يستفحل أمره وتتبين سيرته، وقد يسكت بعضهم لعدم توفر الدواعي لنقل هذا العلم، وقد يرجو له بعضهم توبة، فكانت شهادة عمار هي الشهادة الخاتمة الجامعة بين أكبر عدد من أهل بدر (ثمانين بدرياً) لم يجتمعوا بعدها على موقف ولا شهادة كهذا الموقف وهذه الشهادة، لأن معظمهم قتل بصفين كعمار، فآخر مواقف أهل بدر وشهاداتهم بهذا العدد الكبير هو أقوال عمار هذه فتدبروها، واعرفوا السلفية العتيقة.

وقد تركتُ الآثار عن صحابة آخرين كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابنه الحسن وابن عمر وغيرهم، وعن تابعين أيضاً كمحمد بن الحنفية وسالم بن أبي الجعد، وتركتُ التفصيل في البحث الأصلي (بحث في حقيقة إسلام معاوية) وليس لهذا الحكم على معاوية ما يصلح لمقاومته، لا من حديث مرفوع ولا أثر موقوف، ولا إحسان ظنّ من صحابي أو تابعي، فعمار وعلي وحذيفة وأمثالهم هم يخبرون عن علم ولا يخبرون عن رأي، ولهم اختصاص ليس لغيرهم، وخاصة حذيفة فالإجماع منعقد على أنه صاحب السر، وكان عمر بن الخطاب يسأله هل هو من المنافقين أم لا؟ ولو

---

(١) الاستيعاب، ١/ ٣٢٥.

أن حذيفة أخبر عمر في نفسه لصدقه عمر، وإلا كان سؤاله له عبثاً، فكيف لا نصدق حذيفة في أبي سفيان ومعاوية؟ وقد أفضى بسرّه إلى عمار (كما في حديث الدُّبَيْلَة هذا وسيأتي).

الخلاصة العامة في إسلام معاوية

إن أقوال الصحابة والتابعين في كون معاوية وأمثاله من الطلقاء لم يؤمنوا وإنما تظاهروا بالإسلام كثيرة جداً، لم أذكر منها إلا القليل، وسأترك البقية في بحث (أصل إسلام معاوية) والأصل فيه إسلام الطلقاء، وخاصة الزعماء وأصحاب الثارات، وهو أنه إسلام التظاهر لا إسلام الصدق والإيمان، والقرآن الكريم هو الأصل في إخبارنا أنهم لن يؤمنوا لو كنا نسمع أو نعقل)إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون(، وإنما قد يتظاهرون بالإسلام. والنبي (ص) مأمور بالأخذ بالظاهر وليبقوا فتنة كما بقي إبليس فتنة. فلا يجوز تحميل الله المسؤولية عن بقاء معاوية إلى عام ٦٠هـ ولا بقاء إبليس إلى يوم يبعثون، ولكن على افتراض أنه قد صدق بنبوة النبي (ص) فهل كفر بعد إسلامه؟ وما معنى تلك الأحاديث التي تشير إلى أنه ممن حاول اغتيال النبي (ص) ليلة العقبة؟، وأنه من أولئك المنافقين الذين لعنهم رسول الله، ودعا عليهم بأن يصيبهم الله بالدُّبَيْلَة؟ وهل صح أن معاوية مات بالدُّبَيْلَة؟ وهل غير اسمها إلى النقابة والراقية ونحوها وتبعه من تبعه على هذا مع أن الوصف واحد؟ وما هي الأحاديث الأخرى التي تقرر بأنه مات على غير الملة وأنه سيبدل السنة؟ وهل الملة والسنة هنا من المترادفات؟. كل هذا سنعرفه في البحث التالي عن حديث الدُّبَيْلَة وقصة العقبة وتلك الأحاديث.

الفصل الأول
حديث الدُّبَيْلَة، طرقه وألفاظه وشواهده

وهو حديث حذيفة المروي في صحيح مسلم مع شواهده الخاصة والعامة، وقرائنه التاريخية، فالشواهد الخاصة ما اتفق معه في سرد أحداث قصة العقبة التبوكية، وأما الشواهد العامة فقسمان، شواهد كبيرة تستحق الإفراد (وسنذكرها هنا مختصرة لأننا أفردناها بكتب منفردة)، ومن الشواهد العامة: حديث عبد الله بن عمرو: (يموت معاوية على غير ملتي)، وفي لفظ (على غير سنتي) وهو من الشواهد الكبيرة (وقد اكتمل)، كما أن حديث الدُّبَيْلَة من شواهده. ولن نتوسع فيه لأننا سنفرده بكتاب. ومن الشواهد العامة أيضاً: (أول من يغيِّر سنَّتي رجل من بني أمية). في عدة مصادر ولن نتوسع فيه لأنه من شواهد الحديث الثاني؛ وشواهد صغيرة سنذكرها بعد حديث الدُّبَيْلَة ونتوسع فيها، وهي أحاديث الجمل الأحمر، وحديث سفينة (لعن الله الراكب والقائد والسائق)، وبعض الشواهد الأخرى.

المبحث الأول

الإجمال في الحديث وشواهده

الحديث الأول هو عنوان هذا الكتاب يثبت محاولة معاوية لاغتيال النبي (ص) هو وأبوه أبو سفيان بعد إظهارهم للإسلام، ضمن عصابة مكونة من أربعة عشر رجلاً، وذلك في عقبة تبوك، وهذا لا يفعله مسلم إنما يفعله منافق، لا سيما وأن النبي (ص) قد أخبر بأنهم منافقون وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، وأعطانا علامة واضحة وهو دعاؤه على ثمانية منهم أن يميتهم الله بالدُّبَيْلَة، هذا كله في صحيح مسلم ومسند أحمد وغيرهما، والدُّبَيْلَة هي قُرحة تظهر في الظهر (بين الكتفين) ورأسها إلى الداخل فتنفجر في الداخل أو تظهر من الصدر، وهذه الدُّبَيْلَة أصيب بها معاوية وطال مكثها حتى علمها أهل الأمصار وأوفدوا الوفود للتثبت من ذلك! ويتصل بهذه القصة قوله تعالى في سورة التوبة)وهمُّوا بما لم ينالوا(، أي هموا بالفتك برسول الله في عقبة (طريق في جبل) جنوب تبوك، كما يتصل بهذه الحادثة ذلك الحديث المتعدد الطرق صحيحها بأن النبي (ص) لعن الراكب والقائد والسائق (وهم أبو سفيان وابناه معاوية وعتبة) فهذا الحديث حصل في تلك الليلة وكان مع أبي سفيان جمل ضمن تلك العصابة يقوده معاوية ويسوقه عتبة، واشتهر ذلك الجمل حتى سميت تلك الليلة (ليلة الجمل الأحمر)، والخلاصة أن هذا الحديث يثبت أنهم منافقون وأنهم لن يسلموا، وأنهم سيكونون أعداء لله ورسوله إلى أن يقوم الأشهاد، ومن تمام الإيمان بالنبي (ص) تصديقه فيما أخبر، فهي من معاني (شهادة أن محمد رسول الله)، حتى ولو كان الزبد من الروايات والفضائل للتغطية على هذا الحدث كبيراً ويدع الحليم حيران، فهذا لبُّ الفتنة، ومن تمسك بالنصوص نجا من الفتنة التي يقع فيها أكثر الناس، ومن اعرض عن النصوص الشرعية الصحيحة التي يعلم أنها صحيحة فسيعاقبه الله بحرمانه من الهداية لأن الإعراض عن نص بعد تيقن صحته كالإعراض عن كل النصوص، لأنه لا يجوز للعبد أن يختار الطاعة والتصديق وفق مزاجه الخاص، ولو سمح الله للبشر بذلك لسمح به لإبليس الذي اعترض على نص واحد فقط، فكان التكبر عن نص

كالتكبر عن كل الإيمان، ومن لا يصدق هذه النصوص فهذا من حقه لكن بعد البحث وليس قبله، وخاصة طلبة العلم، فلهم مقدرة على البحث إلا أنه لا مقدرة لهم على القلوب إلا بتعظيم الله، وأنه عظيم ولا يجب عليه أن يتبع مذهباً من المذاهب، إنما الواجب على كل منسوبي المذاهب أنه يتبعوه في المنشط والمكره لا يخشون في الله لومة لائم لا شيخاً ولا مذهباً ولا دولةً ولا رأياً عاماً. وسيثبت بما لا يدع مجالاً للشك عند كل منصف أن هذا الحديث يشمل أبا سفيان ومعاوية وأنهم كانوا من أولئك النفر الذين حاولوا اغتيال النبي (ص) فلعنهم رسول الله تلك الليلة واخبر بنفاقهم وأنهم سيستمرون على هذا النفاق، وهذا سر الحديث الثاني (يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت على غير ملتي، وفي لفظ على غير سنتي، فطلع معاوية) فهذا الحديث إسناده على شرط الشيخين، وروي من طرق عدة، وهو يتفق مع حديث الدُّبَيْلَة، وهذا الحديث يتفق مع الحديث الآخر (أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية) وهذا الحديث صحيح الأسانيد، وقد صحَّحتْه السلفية المحدثة نفسها بل ورجحت أن المراد به تغيير الخلافة إلى ملك! يعني معاوية والسلام! وسنتوسع فيه في كتابنا عن الحديث الثاني.

ولا ريب في أن الحديثين متطابقان في المعنى، فمن بدل السنة مات على غير السنة بداهة! إلا أن إطلاق السنة قد يراد بها التفاصيل وقد يراد بها الملة نفسها والدين نفسه، والأقوى ظاهراً وباطناً أن المراد بالسنة هنا الملة كما في الحديث السابق، وكما هو واقع سيرة معاوية من إبطاله مضمون الإسلام وإبقائه على الشكل. وإذا رجحت السلفية المحدثة بأن المراد به معاوية فليت شعري كيف تجعل أول من بدل السنة ومات عليها رمزاً من رموز السنة التي يجب المنافحة عنها وانتهاك حقوق المسلمين بسببها؟

لا أرى هذا إلاَّ من الخذلان الذي يصاحب كل من عاند القطعيات القرآنية في البراءة من الظلم والظالمين.

هذه الأحاديث سنتوسع في دراستها في كتابين، الأول هذا عن حديث الدُّبَيْلَة، والثاني سيكون عن حديث (يموت معاوية على غير ملتي، أو سنتي)، وسيكون من شواهده حديث (أول من يبدِّل سنتي رجل من بني أمية)، ورغم أن هذه الأحاديث مترابطة ويفسر بعضها بعضاً وكنت قد جعلتها كلها في كتاب واحد إلا أن التفصيل

وكثرة الملاحق جعلني أخشى على القاريء من التشتت، فلذلك أحببت أن يضبط القاريء كل حديث منفرداً بطرقه وألفاظه وملاحقه وفوائده وشواهده ومحاولات النواصب في صرف مدلوله إن صححوه، أو التنطُّع في تضعيفه إن استطاعوا. فكان فصل كل حديث أفضل، إلا تلك الأحاديث التي تتشابه كثيراً في الألفاظ بحيث أن أحد الحديثين يدل على الآخر بلفظه، فيمكن دمجهما في حديث كما في الحديثين (يموت على غير سنتي) و(أول من يغير سنتي). فمن الصعب فصل مثل هذين الحديثين رغم أن مخرجهما مختلف، لكن معناهما متحد وكل منهما تفسير للآخر.

وسنترك دراسة الأحاديث الصحيحة المتواترة كحديث عمار تقتله الفئة الباغية وحديث لا يبغض علياً إلا منافق لمراحل قادمة، لأن صحتها الإسنادية محل إجماع إنما سيكون فيها دراسات من جهة المعنى وتثبيته، لأن السلفية المحدثة (وفيهم نواصب أهل مكر) قد أماتوا هذه النصوص في قلوب أتباعهم وأصبحت مع كثرة تأويلاتهم الفاسدة لها، وجهودهم الجبارة في إبطال مفاعيلها، لا تؤثر في قلب سلفي واحد، وكأن قائلها رجل من الأعراب وليس رسول الله (ص)، فهذه الأحاديث المشهورة سأترك لها أبحاثاً تتناول معانيها وليس أسانيدها..

كان هذا الإجمال والآن إلى التفصيل، على أن الحديث الأول لن أفصل فيه كثيراً للسبب المذكور سابقاً ولكن سأذكر خلاصته بحيث يفهمه كل قاريء، وكل أحاديث النبي (ص) هدىً ونور، ليس هناك حديث لا فائدة فيه كما تشيع السلفية المحدثة تطبيقاً لا تنظيراً ودعوتهم الناس للإمساك عن بعض الأحاديث التي يعتقدون صحتها، لأنها في ظنهم أو هواهم منتهية الصلاحية!

إيقظات قبل التفصيل في حديث الدُّبَيْلَة

تعريف إجمالي بالحديث ومناسبته

هذا الحديث من الأحاديث الثمينة والعجيبة في الوقت نفسه، والتي يمكنها أن توقظ العقول والقلوب لو أن المسلمين قرأوه حق قراءته، ولم يهجروه كما هجروا القرآن الكريم! فيظهر أن الهجر عام لكل خير، للقرآن كله وما صح من السنة! فكل خير مهجور وكل تلبيس متلو على المنابر. ولو لا هذا ما كنا أجهل الأمم وأذلها وأكثرها

تخلفاً، إننا أمة ميتة لأننا هجرنا ما يحيينا، فعاقبنا الله بهذا الموت في العقول والضمائر بعد أن أمتنا القرآن بالهجر وزاحمناه بالرواية، ثم ما صح من هذه الرواية استكملنا إخفاءها وتأويلها فاستحكمت الفتنة، وصلب عودها على الكسر، تأملوا قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الأنفال: ٢٤ ٢٥). تابعوا أنموذجاً لإحدى معاصي المتقدمين لله ورسوله ثم انظروا اعتذار المتأخرين عن هذه المعاصي بأساليب شتى، لدرجة أن يصل بعضهم إلى تصويب المخطئين وتخطئة النبي (ص)! أليس في هذا ما يكفي لعقوبتنا بهذا الذل والجهل والتظالم؟ وهذا موضوع آخر.

وسأذكر حديث الدُّبَيْلَة وقد يكون المهم قراءة المواقف منه فهي مواقف كاشفة لتاريخنا وعلومنا سأذكره هنا مع شيء قليل من شواهده وقرائنه لأن هذه القرائن والشواهد كثيرة جداً، ولم أجد حديثاً في معاوية وإلا وله صلة ما بهذا الحديث، فمن الصعب إيرادها هنا، لذا سنختار نماذج وفق معايير ضيقة حتى لا يجرنا بحث هذا الحديث إلى بحث كل ما روي في مثالب معاوية من أحاديث وآثار وأحداث.

كما لن نتوسع في استطراد المواقف المشابهة التي صدرت من الطلقاء أو المنافقين ضد النبي (ص) فهذا يحتاج إلى كتاب مفرد، وقد حاولت جمع تلك الأحداث في مبحث عنوانه حالياً: (محاولات قريش لاغتيال النبي (ص) بعد فتح مكة، أهدافها ورجالها)، فلن نستعرض تلك المحاولات ولن ندرسها مع أنها تشكل حاضنة لحديث الدُّبَيْلَة.

النفاق في آخر النبوة أكثر منه في أولها

لن نستعرض ابتلاء النبي (ص) في آخر عهد النبوة وكيف أن المنافقين في آخر النبوة كانوا أكثر منهم في أولها، وكيف أن سورة براءة كادت أن لا تبقي أحداً! وكيف تكتمت السلفية المحدثة عن معاناة النبي (ص) في آخر أيامه وخاصة بعد انضمام طلقاء قريش للصف الإسلامي ابتلاء من الله للمؤمنين بهؤلاء وتمحيصاً لهم، وكيف سيكون التعامل مع أكثرية منافقة بعد أن تم التعامل مع أقلية منافقة، لأن هذا النفاق سيصاحب

الأمة إلى يوم القيامة، وفساد هذه الأمة سيكون على أيدي هؤلاء ابتلاءً أيضاً، وأن بقاءهم كان لحكمة كبقاء إبليس، وأنه لو شاء الله لهدى الناس كلهم أجمعين، وأن معرفة المنافقين من طرق معرفة سنن الله في خلقه، وأن إهمال ذكرهم جريمة تؤدي إلى تعطيل السور والآيات التي نزلت فيهم وفي وصف أحوالهم ومكرهم وإفسادهم، وأن في المؤمنين (سمَّاعون لهم) هكذا بصيغة المبالغة! وأن سبب هذا السماع لهؤلاء قد فرَّغ الإسلام على أيديهم من مضمونه الداخلي وتعاليمه السامية وبقي الشكل والاسم والمظهر والتفاخر والعنت والشقاء وموت الضمائر واندراس معالم الدين وضمور النيات والعقول عند المسلمين، والعصبية الشيطانية للقبائل والمذاهب والبلدان... إلخ.

سر حذيفة هو علمه بتلك العصابة

وعلى كل حال فتلك العصبة التي حاولت اغتيال النبي (ص) اختُلف في عددهم وأكثر الروايات على أنهم كانوا أربعة عشر أو خمسة عشر، وهؤلاء هم سبب شهرة حذيفة بن اليمان بسبب علمه بالمنافقين، والناس لا يدرون لماذا؟ فهم يظنون أن حذيفة يعلم جميع المنافقين، وأن النبي (ص) قد أخبره بجميع المنافقين، وهذا من تشويش الأمويين وأتباعهم على أصل القصة! فالقصة خاصة بتلك الحادثة، وأما ظنهم أن حذيفة يعلم جميع المنافقين فهذا غير صحيح، ولا حتى النبي (ص) بنص القرآن الكريم، وإذ كان النبي (ص) لا يعلم جميع المنافقين فمن باب أولى ألا يعلم حذيفة ذلك، قال تعالى (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ. وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التوبة: ١٠١ ١٠٢). ففي الآيات أن النبي (ص) لا يعلم هؤلاء المنافقين الذين مردوا على النفاق في المدينة، فكيف يعلمهم حذيفة؟

نعم كان عند حذيفة علم بالمنافقين وأخبار الفتن، إلا أنه لا يعلم ما لا يعلمه النبي (ص)، فهذا غلو، وللتزود بترجمة حذيفة بن اليمان وعلمه بالمنافقين، وتلميحاته (انظر الملحق).

إذن فاشتهار حذيفة بن اليمان بالعلم بالمنافقين إنما اشتهر بسبب هذه الحادثة، فلم يجد المتَّهَمون كمعاوية وشيعته بُدّاً من تعميم علم حذيفة على جميع المنافقين حتى تضيع هذه القصة الخاصة وأبطالها في موضوع كبير غامض شائك قليل الفائدة، ليبقى السلفي الطيب محارباً للهواء بدلاً من أن ينظر إلى أفراد محددين معدودين يمكن معرفتهم بالقرائن والسياقات والمصالح والثأرات والتاريخ القديم وقبل هذا وذاك الآيات الناطقة (وسيأتي التفصيل).

نفاق جماعي بعد فتح مكة

وخلاصة القصة أنه بعد فتح مكة ارتفع عدد المسلمين ضعفين (من عشرة آلاف يوم الفتح إلى ثلاثين ألفاً في تبوك) أي في سنة واحدة فقط! وأكثر إسلام هؤلاء لم يكن عن صدق إسلام وإنما عن نفاق جماعي ولتحقيق المصلحة العاجلة ولانتهاز الفرصة لتحقيق الانقلاب، وهذا الأمر ينطق به القرآن الكريم في آيات كثيرة (ولا أنتم عابدون ما أعبد) (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون)[1]، إلى غير ذلك من الآيات التي استلبها منا بنو أمية حتى كأننا لا نقرأها!

تلخيص القصة قبل سرد الروايات

والخلاصة: أن هؤلاء النفر الأربعة عشر أو الخمسة عشر هم الذين خططوا وحاولوا اغتيال النبي (ص) وهو عائد من تبوك، أرادوا أن ينفروا به ناقته بعد أن صعد من عقبة صعبة مختصرة، وأمر سائر الجيش أن يأتوا الوادي، فعرف هؤلاء المنافقون (وهم من قريش وحلفائهم) أن النبي (ص) سيصعد تلك العقبة لنهْي النبي (ص) إياهم أن يأتيها أَحد، فسبقوه إليها وأرادوا تنفير الناقة لتنفر برسول الله (ص) وتلقيه في تلك الشعاب السحيقة ثم يقال (قضاء وقدر)! وقد همُّوا به وكادت الناقة أن تقع الناقة، ووقعت بعض الأمتعة، التي التقطها وأعادها حمزة بن عمرو الأسلمي، ولكن النبي (ص) انتهرهم وأمر عمار بضرب وجوه دوابهم وكانوا ملثَّمين فخافوا وتراجعوا عن هذه المحاولة

---

(١) انظر الملحق: وفيه مبحث عن إخبار القرآن على أن هؤلاء الكفار المحاربين لن يؤمنوا، والدلائل تدل على صدق هذا حرفياً لا نحتاج إلى مجاز، هم أسلموا ولكن لم يؤمنوا، والإسلام واسع يشمل حتى المنافقين.

وعادوا ودخلوا في غمار الناس، فأخبر النبيُّ (ص) حذيفةَ بأسمائهم وأنهم سيكونون أعداء الله ورسوله إلى يوم القيامة، وأنهم منافقون، وأنه نُهِيَ أن يصلي عليهم، هذا هو مختصر القصة.

وقد كان عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان هما فقط رفيقي النبي (ص) أحدهما يقود الناقة والآخر يسوقها[1]، ففوجئوا بتلك العصابة التي تهاجمهم فجأة، وعندما ضرب عمار وجوه دوابهم لم يرهم، وكانوا ملثمين أيضاً، إلا أنه عرف بعض رواكبهم، فنزل جبريل مخبراً النبي (ص) بهم وبأسمائهم، فأخبر النبي (ص) حذيفة بهم وفي رواية أخبره وعماراً أيضاً، لكن المشهور أنه اختص بهم حذيفة؛ وأمره بالتكتم على ذلك تلك الأيام لحكمة، ولم يأمره بكتمانهم مطلقاً، بدليل أن حذيفة أفصح بهم لبعض الخاصة كعمار وأبي الطفيل، وقد ألمح إليهم عمار بن ياسر بتلميح أقرب إلى التصريح في حديث الدُّبَيْلَة (الذي يقصد به معاوية وحزبه)، وأما أبو الطفيل فسردهم لبعض خاصته، ولكن أهل الحديث تأثراً منهم بالواقع الفكري الذي أوجده معاوية وبنو أمية لم يرووا هذه الأحاديث إلا مقطعة مفرقة وفي بعضها تناقض. بحيث لا يستطيع الباحث العادي أن يصل إلى أسماء هؤلاء وإنما لبعضهم وعلى شك، ولكن الباحث الواعي بالظروف المحيطة بنشأة أهل الحديث ثم ميولهم ثم بالتاريخ يستطيع أن يحدد هؤلاء ويعرفهم كما أبناءه. ولكن الذي يمنعه من التصريح هو ما منع حذيفة من التصريح بهم، بسبب تكذيب الناس واستعظامهم ذلك.

وفي البحث الموسع ستأتي القرائن والدلائل على أن أبا سفيان ومعاوية منهم، وهناك روايات أخرى تجعل أبا موسى الأشعري منهم، وروايات تذكر أسماء أخرى أكبر من هؤلاء فإن صح أن هؤلاء الكبار منهم فلعلهم تابوا كما ثبت في حديث حذيفة في صحيح مسلم، أما معاوية وأبو سفيان فلم يحسنوا السيرة حتى تحتمل توبتهم، ولو احتملنا توبة معاوية وأبيه لما بقي في الاثني عشر متهماً، وبطل الحديث.

التشويش على القصة... بين معذور ومتعمِّد

ونظراً لتشويش أهل الحديث على هذه القصة فإننا للإنصاف لا نتهم السلفية

---

(١) نعم قد يكون معهم أو لحقهم حمزة بن عمرو الأسلمي.. الذي التقط الأمتعة. وذكر كرامة النور.

العتيقة بالإخفاء، ولم نحصل على الروايات والأحاديث إلا منهم رغم قسوة بني أمية والرأي العام المؤيد لهم وتتبعهم العلماء الربانيين، بل حتى لو وجدنا رواياتهم مقطعة ومتفرقة فإننا نعذرهم للظروف السياسية المحيطة بهم، فأهل الحديث الصادقين في العهد الأموي خاصة كانوا معرضين لسيف السلطة وسجونها، فلذلك ربما رووا الحديث وأخفوا بعضه أو رووه بالمعنى الذي يدركه البصير، إلا أن استمرار متأخري أهل الحديث (السلفية المحدثة) في عمليات التشويش والبتر والتعمية والإهمال مع زوال أكثر أسباب الاضطهاد أمر مزعج ويدل على قلة أمانة وعصبية شديدة، وهو دليل على أن غلاتهم وسلفهم القليل هم الذين استفادوا من الاضطهاد الأموي في تثبيت السقف الذي أراده الأمويون، فثبتوا الشائع والآراء السائدة وسموها (رأي السلف) وثبتوا التشويش والغموض كما هو، مانعين ذوي العقول من إعمال عقولهم بالمنهج الأموي نفسه الذي أنشأه معاوية، بأن الناصبي ثقة دائماً والشيعي ضعيف كذاب دائماً (وهو عكس المنهج الذي أراد النبي (ص) تثبيته: لا يحب علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق) فالأمور متشابكة جداً، ظلمات بعضها فوق بعض وتحت بعض وجوار بعض، وتفكيك هذا الخليط من السياسة والمذهب والعصبية والتقليد والذكاء والحماقة يحتاج إلى جهود جبارة، لا تتوقف على باحث ولا على عدة باحثين في فن من الفنون، والجهل أصبح من القوة بحيث عنده من المناعة ما يسد كل مدخل للمعرفة.

تأسيس علم الجهل!

وكما قال أستاذنا الكبير الفيلسوف إبراهيم البليهي[1]، إننا بحاجة إلى تأسيس (علم الجهل) وبيان قواعده وأنظمته ومساراته... إلخ، فهو المفتاح لمعرفة العلم الحق، لأن ما في أيدي الناس مما يسمى علماً أكثره جهل كبير ولكن بغلاف علمي خداع،

---

(١) مفكر سعودي (هو حالياً عضو بمجلس الشورى السعودي) وقد أخبرني بعجائب عن نواصب القصيم! أترك له فرصة أن ينشرها بنفسه، وقد وصل إلى معرفة هذه الأمور والحقائق التاريخية دون شيخ ولا مساعد، مما يدل على أن من أعمل عقله وضميره فإنه يدرك أكثر الحق، مع أن اهتمامه أوسع، ومشروعه العام هو (العقل البشري خصائصه ونقائصه) لكنه مع أفقه الواسع يستطيع أن ينظر بعيون الصقر إلى ما داخل بيوت النمل، وهذا هو المفكر، وليس المفكر من ناقش الهواء، ولم يهبط إلى الأرض، ولأستاذنا البليهي كثير من الندوات والمحاضرات والمقالات، وله كتاب (بنية التخلف منشورات مؤسسة اليمامة) يشير بها إلى هذا التخلف الذي أتحدث عنه.

يوقع المخلصين في شراك المنافقين، وهذه فتنة تدع الحليم حيران، لذلك سنستعرض روايات حديث الدُّبَيْلَة بأسانيدها وطرقها وألفاظها ومحاولات النواصب لإخفاء دلالتها على معاوية وأبي سفيان، وخاصة معاوية فإنهم قد سمحوا بروايات تتهم أبا سفيان بأنه من هؤلاء الاثني عشر ولكن لم يسمحوا برواية شيء يدل على أن معاوية منهم إلا تلميحاً في صحيح مسلم.

إذن سنستعرض الأحاديث في ذلك ولكن باختصار، وسأترك التوسع في الكتاب القادم عن (محاولات اغتيال النبي (ص) من العهد المكي إلى نهاية العهد المدني، قبل الهجرة وفي أحد وفي فتح مكة وحنين وتبوك وبعد غدير خم... إلخ).

لا حجة في تولية عمر بن الخطاب لمعاوية

والآن نأمل من القاريء الكريم إن أراد فهم المسألة والقصة وتوابعها التركيز لننتقل به من مسألة إلى أخرى وسيدرك ذلك بسهولة إذا ترك التعصب جانباً، وليترك أيضاً الاحتجاج بما لا حجة فيه، كذلك الاحتجاج الساذج الذي يحتج بأن معاوية ولاه عمر بن الخطاب، فهذا ليس كافياً في إثبات براءة معاوية من النفاق أو محاولة الاغتيال أو البغي، فالنبي (ص) قد ولى الوليد بن عقبة صدقات بني المصطلق ثم نزل القرآن بفسقه وتكذيبه، فإذا كان النبي (ص) غير معصوم في تولية من يحسن به الظن أو يريد تألفه واختباره فمن باب أولى أن لا يكون عمر معصوماً، وكذلك لا يجوز الاحتجاج بأن عمر كان يعلم أن معاوية من أصحاب العقبة التبوكية؟ فربما لا يعلم، وربما رجا أن يتوب أو يتألفه بالولاية أو أنه اجتهاد خاطيء من عمر وهذا ما نرجحه، وكان النفاق غالباً على الطلقاء، والمنافق قد يتوب ولكن هذا نادر، وإن تاب المنافق خمل ذكره وأقبل على نفسه وترك المظالم. ولا بدَّ من الإشارة إلى أن معاوية كان في عهد عمر يتظاهر بأقصى ما يمكنه من الصلاح الظاهري خشية من عزل عمر له.. وكان أخوف من غلام عمر لذلك أبقاه عمر، ثم كان حتف عمر على يديه، على أن بعض الناس يرى أن عمر بن الخطاب كان يعلم بسوء معاوية وإنما استعمله كما استعمل غيره من رقيقي الدين ليكونوا أطوع له من أنداده من المهاجرين والأنصار الذين قد يجتهدون ويخالفون عمر في بعض القضايا الفقهية أو الإدارية، ولذلك عزل عمر عتبةَ بن غزوان

مع سابقته وولى المغيرةَ بن شعبة لرقة دينه، فرقيق الدين يكون مطيعاً للخليفة هكذا يعتذر بعضهم عن عمر، والأولى أن يقال أخطأ فليس بمعصوم.

والآن تعالوا بنا إلى الأحاديث والروايات من مصادره، وسنختار أهمها:

طرق وألفاظ حديث الدُّبَيْلَة في الاثني عشر منافقاً (من رواية حذيفة)

وهذه أبرز طرق وألفاظ حديث الدُّبَيْلَة وسأعلق عليها لاحقاً.

إجمال عن الحديث وطرقه عن حذيفة

روي عن خمسة من الصحابة، وهم حذيفة بن اليمان (صاحب السر الذي لا يعلمه غيره، وهو هذا السر) روي عنه من سبع طرق[1]، وروي عن عمار بن ياسر، وأبي الطفيل، وجابر بن عبد الله، وحمزة بن عمرو الأسلمي، وأبي قتادة الأنصاري، وأبي سعيد الخدري، والأسانيد إليه بين الصحيح والحسن.

ومن التابعين رواه مرسلاً: عروة بن الزبير (في مغازيه)، والحسن البصري، والزهري، وطاووس بن كيسان، ثم ابن إسحاق.

الطريق الأول: عمار عن حذيفة

وحديث عمار عن حذيفة له أسانيده، وساعد على حرص أهل الحديث على إخراجه مكانة شعبة في الحديث، فقد كان أميرَ المؤمنين في الحديث، مع إمامته في الجرح والتعديل، وكان يراقب التدليس فلا يروي إلا ما سمعه شيخه من شيخ شيخه، وخاصة وأن في الإسناد قتادة وهو شيخ شعبة (وهذا المنهج في مراقبة السماع عند شعبة أخذه من زميله عبد الغفار بن القاسم الأنصاري الذي اتهموه لتشيعه):

فرواه مسلم في صحيحه: عن أبي بكر بن أبي شيبة[2]، حدثنا أسود بن عامر، ح: وعن محمد بن المثنى ومحمد بن بشار عن غندر، كلاهما (أسود بن عامر وغندر) عن شعبة.

---

(١) رواه عن حذيفة: عمار بن ياسر وأبو الطفيل وأبو البختري وعبد الله بن سلمة وزر بن حبيش وصلة بن زفر وزيد بن وهب.

(٢) ومن طريق أبي بكر بن أبي شيبة رواه أيضاً ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني.

ورواه أحمد في المسند عن غندر وحجاج[1] عن شعبة.

وأبو يعلى في مسنده عن القواريري عن غندر عن شعبة.

والبزار في مسنده عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة.

فانتهت أسانيد هذا الحديث إلى شعبة.

ورواه شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن عمار عن حذيفة.

وألفاظهم متقاربة جداً، والسند صحيح، كلهم ثقات وكلهم سمع بعضهم من بعض، وصرح بذلك، إلا قتادة) وقد قال شعبة: كفيتكم تدليس قتادة، وهذا يعني أن كل حديث رواه شعبة عن قتادة فقد تثبت من سماعه من شيخه، ولذلك طال هذا الإسناد.

هذا أجملنا أسانيده لتعددها إلى شعبة، ثم سنفصلها، بعكس الأحاديث الأخرى إذ سنفصلها مباشرة لقلة المتابعات والأسانيد فيها.

وأما الألفاظ فمتطابقة إلا في ألفاظ يسيرة لا تستوجب السرد والمقارنة، وسنختار هنا ما في صحيح مسلم:

التفصيل في حديث عمار (عن حذيفة) = طريق أسود بن عامر:

في صحيح مسلم: (حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ[2]، حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ[3]، حَدَّثَنَا

(١) هو حجاج بن محمد المصيصي (ت ٢٠٦هـ)، ويختلط عند بعض المحققين بحجاج بن محمد الشاعر (ت ٢٥٩هـ)، فالشاعر شيخ عبد الله بن أحمد في زياداته على المسند ولم يروه عنه أحمد، وأما المصيصي، فهو شيخ أحمد نفسه، ولم يدركه عبد الله بن أحمد. إذن فشيخ أحمد هو: حجاج بن محمد المصيصي الأعور أبو محمد، ترمذي الأصل نزل بغداد ثم المصيصة، ثقة ثبت لكنه اختلط في آخر عمره لما قدم بغداد قبل موته من التاسعة، مات ببغداد سنة ست ومائتين ع (تقريب التهذيب). وأما الشاعر فهو: حجاج ابن أبي يعقوب يوسف بن حجاج الثقفي البغدادي المعروف بابن الشاعر ثقة حافظ من الحادية عشرة مات سنة تسع وخمسين م.

(٢) أبو بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) صاحب المصنف ثقة وهو شيوخ البخاري ومسلم.

(٣) أسود بن عامر الملقب بشاذان (ت ٢٠٨هـ) ثقة عندهم من رجال الجماعة، وهو شامي فيه نصب نزل بغداد.

شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ[1]، عَنْ قَتَادَةَ[2]، عَنْ أَبِى نَضْرَةَ[3]، عَنْ قَيْسٍ[4]، قَالَ: قُلْتُ لِعَمَّارٍ[5]، أَرَأَيْتُمْ صَنِيعَكُمْ هَذَا الذي صَنَعْتُمْ في أَمْرِ عَلِيٍّ؟ أَرَأْيًا رَأَيْتُمُوهُ أَوْ شَيْئًا عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فَقَالَ (عمار): مَا عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَلَكِنْ حُذَيْفَةُ أَخْبَرَنِى عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم في أصحابي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَة، وَأَرْبَعَةٌ لَمْ أَحْفَظْ مَا قَالَ شُعْبَةُ فِيهِمْ)[6]. والحديث في ذم معاوية لأنه منهم كما يفهم من سياق الحديث، ولأنه مات بالدُّبَيْلَة، ولروايات خاصة في مشاركة أبي سفيان وهو لا يفارق أباه، ولكن هذه الأحاديث خرجت في زمن كان لبني أمية الدولة فلا يمكنها أن تخرج إلا مقطعة غامضة، ثم أتت السلفية المحدثة وقضمت منها ما قضمت! إلا أنه بقليل من التدبر والتأمل يمكن استنتاج هذا بوضوح.

التعليق على هذا الإسناد ومتنه (طريق الأسود بن عامر عن شعبة)

السند صحيح، رجاله ثقات، إلا أن في بعضهم نَصْباً، والنصْب محفز على إخفاء بعض الحقائق، وواضح أن شعبة قد تحدث لكن تلميذه السلفي الشامي الأصل البغدادي الموطن الأسود بن عامر اعترف بأنه لم يحفظ ما ذكره شعبة في أربعة منهم! ولا أظن هذا إلا إخفاء متعمداً، والله أعلم بحقيقة الحال. وقيس بن عباد يسأل عمار عن حماسهم مع علي وقتالهم معه هل معهم في ذلك عهد خاص أم لا؟ فأجابه عمار أنه (لم يعهد إلينا النبي (ص) شيئاً لم يعهده إلى سائر الناس كافة). فلم يذكر حديث عمار تقتله الفئة الباغية ولا العهد بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ولا قتال الخوارج...

---

(١) شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ) وهو أمير المؤمنين في الجرح والتعديل والحديث، لا يحتاج إلى تعريف.

(٢) قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧هـ)، بصري ثقة عندهم وهو مدلس، ولكن رواية شعبة عنه لا تدليس فيها.

(٣) صحيح مسلم، ٨/ ١٢٢.

(٤) هو قيس بن عُباد الضبعي أبو عبد الله البصري ثقة من الثانية مخضرم مات بعد الثمانين، خ م د س ق.

(٥) عمار بن ياسر العنسي (وعنس من مذحج)، من السابقين بدري مشهور، استشهد بصفين سنة ٣٧هـ.

(٦) صحيح مسلم، ٨/ ١٢٢.

إلخ، لأن هذه أمور علنية عامة وليست سرية وكان قيس بن عباد يسأل عمار بن يسار عن العهد الخاص (السِّرِّي) لأنه رأى عمار بن ياسر متحمساً للقتال مع علي.

والسلفية المحدَثة تستدل بهذا الحديث على نفي الوصية لعلي، في لفظ محرف للحديث سيأتي بيانه وتناست حديث مسلم! فقلبت الحديث من دلالته على ذم معاوية وفئته إلى ذم علي وفئته! والحديث لا يفيد نفي الوصية كما يستدل به السلفيون فهذا لا يفيده النص، لأن الحديث يسأل عن العهد الخاص (السر)، وحديث (المنزلة) أو (الغدير) أو (عمار)، ليست أحاديث سرية كما أسر النبي (ص) المنافقين، وفي لغة العرب قاعدة مفادها: إذا اجتمع نفيان فالقاعدة على نفي النفيين، فعندما تقول (لم يعهد إليَّ فلان شيئاً لم يعهده إليك) أي قد عهد إلي شيئاً عهده إليك؛ هذا أمر معروف في اللغة والعقل، وإنما قام عمار بسرد حديث سري لا يعلمه إلا حذيفة، وهو ما كان يطلبه قيس بن عباد، وهذا الحديث أبلغ في الذم والتحريض على قتال معاوية، لأن حديث عمار (تقتله الفئة الباغية)، لم يتحقق بعد، ولا يدري عمار أيقتل في المعركة القادمة (معركة صفين) أو غيرها، لكنه يجزم أن معاوية من تلك العصابة فذلك كان جوابه سديداً، وكأنه يقول لقيس بن عباد وأصحابه: هؤلاء الذين نقاتلهم وتسألوننا عن محاربتهم هل معنا فيه نص، أخبركم بأكثر من ذلك، إن هؤلاء منافقون، أرادوا اغتيال النبي (ص) وهم سيكونون منافقين إلى أن يموتوا، وفي الآخرة لن يخرجوا من النار، حتى لا يتوهم متوهم أنهم مجرد عصاة يخرجون بالشفاعة (عند من يعتقد ذلك، ولا أستبعد أن بعض الكوفيين كانوا يرون الشفاعة في خروج العصاة).

إذن فهذا أكبر دليل على وجوب قتال معاوية وأصحابه، وعلى نفاقه مع رؤوس من أصحابه (اشتركوا في محاولة الاغتيال وأبرز هؤلاء الذين كانوا مع معاوية أبو الأعور السلمي، وكان النبي يقنت ويلعنه في القنوت)، وربما عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد بن أبي السرح وأوس بن الحدثان وغيرهم.

ويهمنا هنا أن فهم عمار بن ياسر من هذا الحديث أنه يدل على قتال معاوية وأصحابه وأنهم منافقون وأنهم استسلموا ولم يسلموا، هذا هو فهم السلف الصالح الذي كان يجب على السلفية اتِّباعه، ولكن غلاة السلفية لا يأخذون من كبار الصحابة كعلي وعمار وأمثالهم ممن لا شك في فضلهم وحسن فهمهم. وإنما يأخذون من

تابعي هنا أو صحابي من عامة الصحابة هناك أو فقيه جامد أو محدث متمذهب...، فيجمعون هؤلاء في نظام واحد ويسمونهم (السلف الصالح)! ثم تنصرها الدول وتشيع في العامة، ويصبح الخارج على هذا الفهم الملفق خارجاً على فهم السلف الصالح ومعادياً للصحابة وضالاً مبتدعاً... إلخ.

يجب على العقلاء إيقاف هذا اللعب، فإنه يتسبب في تسرب الخزان السني من تحت أرجلهم ومن فوق رؤوسهم! وهذا التسرب سيزيد مع تقدم المعرفة يوماً بعد يوم، إن بقوا على هذا الجمود المعرفي والحواري والضيق الشديد بالرأي المخالف وإن كان له وجه من دليل، وإن شئتم فراجعوا المتحولين من السنة إلى الشيعة أو العلمانية الصرفة أو حتى الإلحاد الأحمر،.. ستجدون لضعف الأمانة العلمية الدورَ الأكبرَ في هذا التسرب، كيف يطالبون بالشفافية وهم بهذه الخيانات العلمية قديماً وحديثاً.

واجِهوا الحقائق وثِقوا بأن الإسلام قوي، لا يهتز إذا تم القول في أحد الظالمين بأنه ظالم! ولا يبقى بالدفاع عن دعاة النار ومغيري السنن. لا يستاهل معاوية كل هذا التكتم والتحريف للأحاديث والإبطال للسنن والقدح في الصالحين والمنافحة عن الكاذبين وإلغاء العقل وسفك دماء المسلمين... الخ.

يبقى أن نشير إلى أن الاثني عشر منافقاً هؤلاء هم خلاصة المنافقين الذين حاولوا اغتيال النبي (ص) يوم عقبة تبوك، لأن من سواهم إما أنه قد تاب أو كان له دور ثانوي كالتجسس على رسول الله ولا يعرف المراد من ذلك، أو فعل ذلك عن غفلة وسلامة باطن، كأن يقال: انظر لنا من أين يأتي رسول الله (ص) حتى لا نضايقه في الطريق!، ثم تكون خطتهم بعكس ذلك، وسيتبين بعض هذا في بقية الأحاديث والروايات الآتية.

عمار عن حذيفة (من طريق غندر عن شعبة)

في صحيح مسلم: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لاِبْنِ الْمُثَنَّى[1] قَالاَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ[2]، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِى نَضْرَةَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ

---

(١) محمد بن المثنى ومحمد بن بشار بغداديان، وماتا في سنة واحدة (٢٥٢هـ)، وهما ثقتان من رجال الجماعة.

(٢) هو غندر راوية شعبة، مات بعد (١٩٠هـ)، وهو ثقة على غفلة فيه، وهو من أكبر شيوخ أحمد

عُبَاد، قَالَ: قُلْنَا لِعَمَّار أَرَأَيْتَ قِتَالَكُمْ، أَرَأْيًا رَأَيْتُمُوهُ؟ فَإِنَّ الرَّأْيَ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، أَوْ عَهْدًا عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ـ؟

فَقَالَ مَا عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً. وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ إِنَّ فِي أُمَّتِي. قَالَ شُعْبَةُ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ حَدَّثَنِي حُذَيْفَةُ. وَقَالَ غُنْدَرٌ أُرَاهُ قَالَ: فِي أُمَّتِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدُونَ رِيحَهَا حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَة سِرَاجٌ مِنَ النَّارِ يَظْهَرُ فِي أَكْتَافِهِمْ حَتَّى يَنْجُمَ مِنْ صُدُورِهِمْ)[1].

التعليق على هذا الطريق في مسلم (غندر عن شعبة)

السند أيضاً صحيح أيضاً من طريق غندر عن شعبة، وفيه وصف لمرض الدُّبَيْلَة، وهو دمل كبير ينجم في الظهر ويخرج من البطن، أي يخترق الجسد اختراقاً، وقد يظهر في الجنب فينفجر في دخل الجسد وهو يميت غالباً.. وله أحوال ذكرها أهل اللغة والطب القديم، وسيأتي أن معاوية مات بالمرض نفسه، أي مات بالدُّبَيْلَة (ومن ذلك: ما قاله ابن إسحاق وهو إمام أهل المغازي والأخبار وأقره على ذلك ابن قتيبة الذي قال في كتاب المعارف: (وولي معاوية الخلافة عشرين سنة إلا شهراً وتوفي سنة ستين وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقال ابن إسحاق: مات وله ثمان وسبعون سنة وكانت علّته النقابات وهي الدُّبَيْلَة ولم يولد له في خلافته ولد،... إلخ)[2]. وإن أهل العراق كان عندهم علم بهذا وأنهم يحدثون أنفسهم أنها ستقتله، فمن أين لهم أن يعرفوا ذلك لولا أنهم سمعوه من حذيفة وعمار وتلامذتهم؟ وتذكروا أن حذيفة وعمار هما فقط من كان مع النبي (ص) في العقبة أحدهما يقود الناقة والآخر يسوقها، ولن يجدوا هذا التفصيل إلاّ مما علموه من حذيفة وعمار، وسيأتي.

الطريق الثاني: عبد الله بن سلمة عن حذيفة

روى الطبراني وغيرُه القصة بسند صحيح فقال: (حدثنا موسى بن هارون (ثقة)

وطبقته.

(١) صحيح مسلم، ٨/ ١٢٢.

(٢) المعارف لابن قتيبة، ١/ ٧٩.

[1]، حدثنا إسحاق بن راهويه (ثقة مشهور)، حدثنا يحيى بن آدم (ثقة مشهور)، حدثنا أبو بكر بن عياش (ثقة مشهور)، عن الأعمش (ثقة مشهور)، عن عمرو بن مرة (ثقة مشهور)، عن عبد الله بن سلمة (ثقة)[2]، عن حذيفة بن اليمان، قال:

إني لآخذ بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوده وعمار يسوق به أو عمار يقوده وأنا أسوق به إذ استقبلنا اثنا عشر رجلا متلثمين قال هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة.

قلنا يا رسول الله ألا تبعث إلى كل رجل منهم فتقتله؟

فقال: أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه وعسى الله أن يكفيهم بالدُّبَيْلَة.

قلنا وما الدُّبَيْلَة؟

قال: شهاب من نار يوضع على نياطِ قلبِ أحدِهم فيقتله)[3].

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلا أبو بكر بن عياش تفرد به به يحيى بن آدم.

قلتُ: السند صحيح، ولم يتفرد به يحيى بن آدم، بل روي من طرق أخرى صحيحة عن الأعمش، إلا أن الأعمش يرويها عن أكثر من طريق.

---

(١) وهو الحمال (ت ٢٩٤هـ) وقد صرح باسمه كاملاً الطبراني أكثر من مرة، وليس القيسي (٢٢٤هـ) فهذا قديم.

(٢) عبد الله بن سلمة: ثقة من أصحاب علي، وكان صاحب يقين ففي مصنف ابن أبي شيبة (٨ / ٧١٨): (حدثنا إسحاق بن منصور قال: حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة، عن أبيه، عن عبد الله بن سلمة، قال: وشهد مع علي الجمل وصفين وقال: ما يسرني بهما ما على الأرض). وقد زعم بعضهم أنه اختلط في آخر عمره، ولا أرى هذا القول إلا تبرعاً لمعاوية، وكان من الملتصقين بالكبار كعلي وحذيفة، ثم بعمار بن ياسر يوم صفين (ففي مسند أحمد بن حنبل (٤ / ٣١٩): (حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، قال: سمعت عبد الله بن سلمة يقول: رأيت عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدمَ طوالاً آخذاً الحربةَ بيده ويده ترعد، فقال: والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحق وأنهم على الضلالة)، يعني معاوية وأصحابه، وهؤلاء الضُّلاَّل عند عمار بن ياسر وأهل بدر أصبحوا من رموز السلفية المحدثة، ضلالٌ بعضه تحت بعض.

(٣) المعجم الأوسط للطبراني، ٨/ ١٠٢.

والحديث عند البزار، مع اختلاف يسير في اللفظ

في مسند البزار: (حدثنا إبراهيم بن زياد الصائغ، قال: أخبرنا يحيى بن آدم، قال: أخبرنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة[١]، عن حذيفة رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليلة العقبة، وعمار يقوده، وأنا أسوق به فإذا رواحل قد عرضت تريد رسولَ الله فضرب عمار رضي الله عنه، وجوهَها، فإذا رجال متلثمون اثنا عشر رجلاً فلما جاوزوا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضرب عمار رضي الله عنه، وجوهها فإذا رجال متلثمون اثنا عشر رجلاً فلما جاوزوا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أراد القوم؟، قلت: أرادوا أن ينفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: هل تعرفهم؟، قلت: نعم)[٢].

وعقَّب البزار بالقول: وهذا الكلام ونحوه قد روي عن حذيفة من غير هذا الوجه، ولا نعلم روى عبد الله بن سلمة، عن حذيفة حديثاً مسنداً غير هذا الحديث.

التعليق: الصواب أن حذيفة عرف رواكبهم فقط ثم أخبره النبي (ص) بالأسماء، وهذه القصة فالرجال كانوا بضعة عشر رجلاً، وكأنهم من كبار القوم فركائبهم معروفة، وإن قال قائل: إنه يظهر أن فيهم بعض السابقين بدلالة قوله (أكره أن تحدث العرب بينها أن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم)، فهذا لن يقوله في مثل معاوية وأبي سفيان، لابد أن يكون فيهم بعض السابقين، فإن صح هذا الاحتمال فيحتمل أنهم تابوا أو أن الثلاثة الذين عذرهم منهم. والتيار السلفي سيفرح بهذه الرواية وأمثالها، لأنها بظنهم تزحلق التهمة من معاوية إلى السابقين! مما يدل على أن نظرية الدفاع عن الصحابة وعدالة الصحابة ليس المقصود منها إلا معاوية، إلا أن معاوية وأبا سفيان تدل عليهم روايات أخرى، وهم أولى بهذا العمل الشنيع من غيرهم من المهاجرين أو الأنصار

---

(١) عبد الله بن سلمة دفعه العلم بهذه الأحاديث إلى اليقين في نصرة علي، ولو كان الناس على يقينه ما عبث اللك العضوض في ديننا ولا دنيانا، ففي مصنف ابن أبي شيبة (٨ / ٧١٨) حدثنا إسحاق بن منصور قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبيه عن عبد الله بن سلمة قال: وشهد مع علي الجمل وصفين وقال: ما يسرني بهما ما على الارض اهـ قلت: هذا والله اليقين.

(٢) مسند البزار، ٧/ ٤٣٤.

الطريق الثالث: أبو البختري عن حذيفة

في دلائل النبوة للبيهقي: (أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا أبو عمرو الحراني، حدثنا أبو الأصبع عبد العزيز بن يحيى الحراني، حدثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن حذيفة بن اليمان، قال: كنت آخذ بخطام ناقة رسول الله أقود به وعمار يسوقه أو أنا أسوقه وعمار يقوده، حتى إذا كنا بالعقبة فإذا أنا باثني عشر راكباً قد اعترضوه فيها، قال فأنبهتُ رسولَ الله بهم، فصرخ بهم فولوا مدبرين؛ فقال لنا رسول الله: هل عرفتم القوم ؟ قلنا: لا يا رسول الله كانوا متلثمين! ولكنا قد عرفنا الركَّاب! قال هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة! وهل تدرون ما أرادوا ؟

قلنا: لا؟

قال: أرادوا أن يزحموا رسول الله في العقبة فيلقوه منها!

قلنا: يا رسول الله أولا تبعث إلى عشائرهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم؟

قال لا، أكره أن تحدث العرب بينها أن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم، ثم قال اللهم أرمهم بالدُّبَيْلَة.

قلنا يا رسول الله وما الدُّبَيْلَة ؟

قال: شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك)[1].

التعليق: قد ذكر أهل السنة من هؤلاء معتب بن قشير الأنصاري وهو بدري (ذكره ابن إسحاق وغيره)، وذكر الشيعة منهم أبا بكر وعمر وأمثالهم وهم بدريون، وأنا أبرِّئ البدريين وأتهم الطلقاءَ وحلفاءهم وأبرزهم أبو سفيان ومعاوية، وسأترك السلفية المحدثة لأرى هل تدافع عن البدري أم عن الطليق[2]؟!

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي، ٥/ ٢٦٠.

(٢) مع أني أجزم أنهم سيخرجون الكتب في الدفاع عن معاوية، أما معتب بن قشير فسيحاولون إبطال بدريته وتثبيت نفاقه! لأن ابن تيمية والسلفية ممن يتهمه، وكذا الوهابية؛ مع أن الأسانيد في اتهامه مرسلة، وأما اتهام معاوية فموصولة ومرسلة، صحيحة وحسنة، متواترة وآحاداً! ولعله هنا يعرف العاقل والجاهل أن نظرية عدالة الصحابة وفضل الصحابة والدفاع عن الصحابة... إلخ، مقصود بها الطلقاء لا أهل بدر! والمكر مستمر، بما يصبه الدهاة في عقول المغفلين!

الطريق الرابع: أبو الطفيل عن حذيفة

في مسند البزار: (حدثنا عباد بن يعقوب (ثقة وقد توبع)، قال: أخبرنا محمد بن فضيل (ثقة بإطلاق)، قال: أخبرنا الوليد بن جميع (صدوق شيعي)، عن أبي الطفيل (صحابي)، عن حذيفة رضي الله عنه قال: لما كان غزوة تبوك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً فنادى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ العقبة فلا تأخذوها. فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة، وعمار يسوق، وحذيفة يقود به، فإذا هم برواحل عليها قوم متلثمون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قَدْ قُدْ، ويا عمار سُقْ سُقْ)، فأقبل عمار على القوم فضرب وجوه رواحلهم، فلما هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم من العقبة قال: يا عمار، قد عرفت القوم، أو قال: قد عرفت عامة القوم أو الرواحل أتدري ما أراد القوم؟، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أرادوا أن ينفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم)(١).

قال البزار: (وهذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روي عن حذيفة من غير هذا الوجه، وهذا الوجه أحسنها اتصالاً، وأصلحها إسناداً إلا أن أبا الطفيل قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث، والوليد بن جميع هذا فمعروف إلا أنه كانت فيه شيعية شديدة، وقد احتمل أهل العلم حديثه، وحدثوا عنه).

التعليق: بل الحديث صحيح الإسناد، وهو من أحسنها اتصالاً كما قال البزار، وتشيع الوليد بن جميع لا يضر مادام أنه ثقة، ثم قد توبع، وهو من رجال مسلم. والحديث في المعنى كغيره مما سبق وصح سنده، نعم لو ذكر البزار بقية الحديث فمن حقه أن يقول في الوليد بن جميع ما قاله، لأن بقية الرواية فيها سرد لأسماء هؤلاء الملثمين، وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر. وهذا وإن كان منكراً إلا أن هذا أخف من زعم معاوية وأشياعه أن علياً كان منهم! فالإمام علي كان قد استخلفه النبي (ص) على المدينة بالإجماع، ولم يكن في غزوة تبوك، فالذي يطعن على هذا الإسناد بسبب ذكره أبا بكر وعمر وعثمان وأبا عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وأبا موسى والمغيرة وأبا سفيان ومعاوية

---

(١) مسند البزار، ٧/ ٢٧١.

وعمرو بن العاص وأبا الأعور السلمي وأوس بن الحدثان... إلخ، فإنكار كون عليّ منهم من باب أولى وأولى، إلا أن النواصب يتشددون على من يذكر أبا بكر وعمر في هؤلاء ولا يتحدثون عن حريز بن عثمان وأمثاله ممن يفترون بذكر علي فيهم، فعلي لم يكن في تبوك بعكس هؤلاء، وسنناقش في الملحق تلك الروايات التي تتهم أبا بكر وعمر وأمثالهم بهذه المحاولة، والراجح عندنا أن رأس هذه المحاولة هم طلقاء قريش أبو سفيان ومعاوية وأمثالهم وشاركهم حلفاؤهم كأبي الأعور السلمي وأبي موسى الأشعري (وعندي حرج من ذكر أبي موسى الأشعري ولولا صحة الأسانيد فيه لما ذكرته).

لفظ آخر للحديث واعتراف البزار بحذف بعضه:

ففي مسند البزار: (حدثنا علي بن المنذر، قال: حدثني محمد بن فضيل، قال: أخبرنا الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل، عن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك: (لا يسبقني إلى الماء أحد)، قال أحمد[١]: بقيَ فيه كلامٌ تركته[٢]، وهذا الحديث لا نعلمه يروى من حديث أبي الطفيل، عن حذيفة إلا بهذا الإسناد،

حدثنا محمد بن المثنى (ثقة)، قال: أخبرنا أبو عاصم (هو النبيل ثقة)، قال: أخبرنا مهدي بن ميمون (ثقة ١٧٢هـ)[٣]، عن عثمان بن عبيد(ثقة)[٤]، عن أبي الطفيل، عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم)[٥].

التعليق: هكذا ذكر البزار هذا الإسناد بعد حديث الوليد بن جميع، ولا أدري أيريد به متابعةً أم لا، ومحقق الكتاب ذكر هذا الحديث تحت رقم حديث الوليد بن جميع

---

(١) هو البزار نفسه صاحب المسند، واسمه أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار.

(٢) قلت: بقية الكلام فيه سرد أسماء أبي بكر وعمر وأصحابهم وسنناقشها في الملحق.

(٣) تقريب التهذيب، ١ / ص ٥٤٨،: مهدي بن ميمون الأزدي المعولي أبو يحيى البصري ثقة من صغار السادسة مات سنة اثنتين وسبعين ع اهـ. وحديثه في الكتب الستة.

(٤) الجرح والتعديل، ٦ / ص ١٥٨ : عثمان بن عبيد الراسبى روى عن ابى الطفيل، روى عنه حماد بن زيد ومهدي بن ميمون، سمعت أبى يقول ذلك، حدثنا عبد الرحمن، قال ذكره أبي عن إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين، قال: عثمان بن عبيد البصري ثقة؛ حدثنا عبد الرحمن، قال سألت أبي عن عثمان بن عبيد فقال: مستقيم الأمر.

(٥) مسند البزار، ٧/ ٢٧٤.

(رقم الحديث ٢٤٣٥)، فإن كانت هذه متابعة للوليد بن جميع فالمتابعة قوية صحيحة الإسناد جداً.

جزء من حديث أبي الطفيل عن حذيفة

في صحيح مسلم: (حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ[١]، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الكوفي[٢]، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ جُمَيْعٍ[٣]، حَدَّثَنَا أَبُو الطُّفَيْلِ[٤]، قَالَ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعَقَبَةِ[٥]، وَبَيْنَ حُذَيْفَةَ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ.

فَقَالَ (حذيفة) أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ كَمْ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ؟

قَالَ فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: أَخْبِرْهُ إِذْ سَأَلَكَ.

قَالَ كُنَّا نُخْبَرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ.

(قال) فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ خَمْسَةَ عَشَرَ، وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ اثْنَي عَشَرَ مِنْهُمْ حَرْبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ، وَعَذَرَ ثَلاَثَةً قَالُوا مَا سَمِعْنَا مُنَادِىَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلاَ عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ. وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ فَمَشَى فَقَالَ: إِنَّ الْمَاءَ قَلِيلٌ فَلاَ يَسْبِقُنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ. فَوَجَدَ قَوْمًا قَدْ سَبَقُوهُ فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ)[٦].

التعليق: والحديثان هما حديث واحد رووه مفرقاً وقد رواه مجموعاً الطبراني والضياء في المختارة وغيرهم، لكنهم جعلوا عمار بن ياسر هو المتخاصم مع أبي موسى، والرجل المفضوح هو أبو موسى الأشعري، وسيأتي بيان ذلك، ولكن ورد

---

(١) زهير بن حرب بن شداد أبو خثيمة النسائي نزيل بغداد ثقة ثبت روى عنه مسلم أكثر من ألف حديث من العاشرة مات سنة أربع وثلاثين وهو ابن أربع وسبعين خ م د س ق. من رجال الشيخين.

(٢) اسمه: خلف بن خليفة بن صاعد الأشجعي مولاهم (١٨١هـ) صدوق اختلط في الآخر... بخ م ٤.

(٣) نسب إلى جده، واسمه الوليد بن عبد الله بن جميع الزهري المكي نزيل الكوفة صدوق عندهم ورموه بالتشيع لأنه روى بعض التفاصيل، وهو من الطبقة السادسة (يعني توفي في حدود ١٤٠هـ). وهو من رجال مسلم والسنن.

(٤) أبو الطفيل صحابي، وهو آخر الصحابة موتاً (١١٠هـ).

(٥) هذا الرجل قيل أنه أبو موسى الأشعري، وقيل ثابت بن وديعة الأنصاري، والأول أقرب لأن ثابت بن وديعة بدري وكان من أنصار أمير المؤمنين، بعكس أبي موسى فإسلامه متأخر وكان حليف لمعاوية قبل التحكيم وبعده، وكان الإمام علي يقنت عليه مع كبار البغاة مما يدل على خطورته.

(٦) صحيح مسلم، ٨ / ١٢٣.

الحديث بأن المهدد له هو حذيفة بن اليمان، وورد حديث آخر بأن المهدد له هو عمار بن ياسر، وسيأتي حل هذا الإشكال.

وفي حديث مسلم هنا أن حذيفة بن اليمان هو المهدِّد لذلك الرجل المنافق بفضح قصته، بينما روى الواقدي عن ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه الرواية مثلها تماماً إلا أن فيها أن عمار بن ياسر هو المهدد لذلك الرجل المفضوح. ولكل من الحديثين شواهد وقرائن، فإما أن يكونا في زمنين مختلفين وإما يكون إحداهما وهماً، وإما أن الاسمين موجودان في الرواية برواية عمار عن حذيفة قصة العقبة، فوهم أحد الرواة وجعل القصة بين حذيفة وأبي موسى، وإنما لحذيفة حديث آخر يتهم فيه أبا موسى بالنفاق، فدخل عليهم لفظ في لفظ.

وعلى احتمال أن تكون القصتان مختلفتين فهذا يعني أنهما حدثتا في زمنين مختلفين، لأن حذيفة مات بعد أربعين يوماً من خلافة علي، وبقي عمار إلى صفين، فتكون الأولى منهما بين حذيفة وأبي موسى الأشعري أواخر عهد عثمان، وتكون الثانية بين عمار بن ياسر وأبي موسى الأشعري في أول عهد علي، قُبيل الجمل، عندما بعث عليٌّ عماراً لاستنفار أهل الكوفة فوجد من أبي موسى معارضة ولم يمكنه قمعه إلا بتذكيره بأنه من أصحاب العقبة[1].

ويظهر أن القصة واحدة فالأرجح أن القصة حدثت بين عمار وأبي موسى فخصومتهما في الكوفة قبيل الجمل أشهر في التاريخ، وكان جابر بن عبد الله من أنصار الإمام علي، فلعله كان من ذلك البعث الذي بعثه الإمام علي مع عمار بن ياسر وابنه الحسن لاستنفار أهل الكوفة.

وقد اتهمه عمار بن ياسر بتحريف حديث النبي (ص) في النهي عن الفتنة، وأنه كذب على النبي (ص) وهدده بإقامة الشهود على أنه كذب على رسول الله، وأن النبي (ص) إنما حذر من دوره في الفتنة، ونقرأ الخبر لدى ابن عساكر من طريقين: (قالا: حدثنا أبو يعلى، حدثنا عقبة بن مكرم الهلالي، حدثنا يونس بن بكير، حدثنا علي بن أبي فاطمة، عن أبي مريم، قال: سمعت عمار بن ياسر يقول: يا أبا موسى أنشدك الله ألم

(١) تاريخ دمشق، ٣٢/ ٩٢. ورجح ابن حجر في فتح الباري هذه الرواية في الجمع بين الأحاديث في هذه المسألة.

تسمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار؟ وأنا سائلك عن حديث فإن صدقت وإلا بعثتُ عليك من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من يقرّرك به! أنشدك الله أليس إنما عناك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنت نفسك! فقال إنها ستكون فتنة بين أمتي أنت يا أبا موسى فيها نائماً خير منك قاعداً وقاعداً خير منك قائماً وقائماً خير منك ماشياً فخصك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يعم الناس؟ فخرج أبو موسى ولم يرد عليه شيئاً)[1].

والحديث حديث حذيفة سواء وردت القصة عنه أو عن عمار لأنه صح أن عمار بن ياسر إنما أخذ هذه الأسرار من النبي (ص) والروايات التي تقول إن النبي (ص) أسر بأسمائهم إلى حذيفة وعمار معاً ضعيفة، والصحيح أنه أسر بها إلى حذيفة وحده، ثم حذيفة خصَّ بها عمار بن ياسر لكونه كان مع حذيفة في حراستهم النبي (ص) وصدهم المنافقين عن رسول الله (ص) فمن حقه أن يعلم، لكن لماذا الإسرار إلى حذيفة فقط، فإنما هذا لسر لا نعلمه حالياً ربما لأن حذيفة كان حريصاً على السؤال، وكان يسأل عن الشر مخافة أن يقع فيه، ولقوة ذاكرته، وأما عمار فهو رجل نَسِي فإن ذُكِّر ذَكَر (كما وصفه الإمام علي).

أما علي فعنده من أخبار الفتن والمنافقين ما هو أكثر وأخطر من حذيفة وعمار، والفتن بعض عِلم علي، فهو أعلم الصحابة مطلقاً بالنبي (ص)، وألصقهم به، وأقربهم إليه، وأتبعهم له، هو بمنزلة هارون من موسى وكفى، ولا يختص عنه صحابي بشيء من علم حتى لو كان حذيفة، بل حذيفة وعمار من أخلص تلامذة الإمام علي، كما كان الثلاثة من تلامذة النبي (ص)، وإنما يجب إخراج الإمام علي من كل مقارنة مع أي صحابي.

وأما كون الرجل الذي هددوا بفضحه وكان من أصحاب العقبة فهو أبو موسى الأشعري على المشهور، بل اتهامه بالنفاق صح عن حذيفة وعلي وعمار، وهم من أعمدة السلفية العتيقة.

ومن أحاديث حذيفة في أبي موسى

(١) صحيح مسلم، ٨/ ١٢٣.

في مسند البزار: (حدثنا أحمد بن عبدة (ثقة) قال: أنبأنا يزيد بن زريع (ثقة عندهم وهو ناصبي)، قال: أخبرنا سعيد يعني ابن أبي عروبة (ثقة مدلِّس)، عن قتادة (ثقة مدلِّس)، عن أبي مجلز (ثقة من رجال الجماعة)، أن حذيفة رضي الله عنه رأى رجلا جلس في وسط الحلقة[1]، فقال: أما هذا فملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، أو قال: ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم من جلس وسط الحلقة.

وهذا الحديث لا نعلم يروى إلا عن حذيفة بهذا الإسناد)[2].

التعليق: تحريفه من اللفظ الأول إلى اللفظ الثاني متوقع من يزيد بن زريع وابن أبي عروبة وقتادة، فثلاثتهم ثقافتهم بصرية عثمانية، وخاصة يزيد بن زريع، وهذه النماذج من التحريفات كثيرة جداً، إذ ينقلون العام إلى خاص والخاص إلى عام، كل هذا لوطأة السلطة على العقل المسلم.

التعليق على حديث أبي الطفيل (بين حذيفة وأبي موسى) ونماذج من الحرج السلفي

وهؤلاء الأربعة عشر أو الخمسة عشر منافقاً، هم الذين حاولوا اغتيال النبي (ص) في عقبة تبوك، وقد تم التكتم الشديد على هذه الحادثة رغم ورودها في الصحاح والمغازي والسير بل والقرآن الكريم في قوله تعالى)وهموا بما لم ينالوا(! ومن بحث لي خاص، رجَّحت أن منهم أبا سفيان ومعاوية وأبا موسى الأشعري، إلا أن أبا موسى زعم أنه لم يكن يدري وأن النبي (ص) استغفر له، ولكن لم يصدقه عمار ولا حذيفة وبقيا على اتهامه، وكان أبو موسى حليف معاوية (ولا يحالفه تائب)، وكانت ذرية أبي موسى على النصب ومظاهرة الظالمين مما يدل على أثر الأب، فابنه أبو بردة من الشهود زوراً على حجر بن عدي بأنه كفر كفرة صلعاء، وحفيده بلال بن أبي بردة وكان رأي حذيفة فيه شديد كان يتهمه بالنفاق (وحذيفة صاحب السر الذي لا يعلمه غيره)!

وانقسم أهل السنة في هذا الأمر

فاختار بعضهم أن يتهموا بدرياً وهو وديعة بن ثابت الأنصاري بدلاً من أبي موسى! مع أنهم يجعلون لأهل بدر مكانة لا يساويها الطلقاء ولا من يقاربهم، وأبو موسى

---

(١) هو أبو موسى الأشعري! ولم يكن مع حذيفة بالكوفة من أصحاب العقبة غيره، فكان كلما رآه لمزه وحذَّر منه! إلا أنه بقي علماً كبيراً لم يؤثر فيه صاحب السر الذي لا يعلمه غيره!

(٢) مسند البزار، ٧/ ٤٤٦.

الأشعري إنما هو من طبقة أبي هريرة (ليس من أصحاب الصحبة الشرعية، أسلم بعد خيبر). وقسم تحرج فلم يأت على ذكر القصة أصلاً فأخفاها حتى لا يعلم به أحد (وهم معظم السنة للأسف في كتب السنة المشهورة).

ذكر الطبراني في المعجم الكبير [1] في الحوار نفسه بين عمار ورجل إلا أنه سمى ذلك الرجل فجعله وديعة بن ثابت، ذكر ذلك بسنده عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن مصعب بن عبد الله الزبيري عن الواقدي، إلا أن ابن أبي شيبة أو الزبيري هو الذي سمّى وديعة بن ثابت، وأرجّح أن الذي فعله الزبيري والزبيريون مذكورون بالعصبية لقريش ولهم اهتمام خاص بتبرئة قريش، وهم من كرروا ذكر مجموعة من منافقي الأنصار وحشروهم في العقبة، أعني الزبيري وعنه حفيده والدليل على أن تسمية الرجل زيادة من الزبيري أو ابن أبي شيبة هو أن المصدر الذي نقلوا عنه ليس فيه تسمية الرجل، فالذي في المغازي للواقدي هو: (قَالَ حَدّثَنِي ابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ تَنَازَعَ عَمّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَرَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فِي شَيْءٍ فَاسْتَبّا، فَلَمّا كَادَ الرّجُلُ يَعْلُو عَمّارًا فِي السّبَابِ قَالَ عَمّارٌ: كَمْ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ؟ قَالَ اللّهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ عِلْمِكُمْ بِهِمْ فَسَكَتَ الرّجُلُ؛ فَقَالَ مَنْ حَضَرَ بَيّنْ لِصَاحِبِك مَا سَأَلَك عَنْهُ. وَإِنّمَا يُرِيدُ عَمّارٌ شَيْئًا قَدْ خَفِيَ عَلَيْهِمْ فَكَرِهَ الرّجُلُ أَنْ يُحَدّثَهُ؛ وَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَى الرّجُلِ فَقَالَ الرّجُلُ: كُنّا نَتَحَدّثُ أَنّهُمْ كَانُوا أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلاً. قَالَ عَمّارٌ فَإِنّك إنْ كُنْت مِنْهُمْ فَهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً؟ فَقَالَ الرّجُلُ مَهْلاً، أَذَكّرَك اللّهُ أَنْ تَفْضَحَنِي! فَقَالَ عَمّارٌ وَاللهِ مَا سَمّيْت أَحَدًا، وَلَكِنّي أَشْهَدُ أَنّ الْخَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً، اثْنَا عَشَرَ مِنْهُمْ حَرْبٌ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ)[2].

ثم على افتراض أنه في أحد كتب الواقدي غير المغازي أو في نسخة أخرى من المغازي ففي السند عدة علل وليس كالأسانيد في اتهام أبي موسى ومن أهمها: إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة الأشهلي مولاهم، وقد أجمعوا على تضعيفه إلا أحمد! وكان ضعيفاً وعثمانياً، ثم وديعة بن ثابت بدري على الراجح، وشهد صفين مع علي إضافة إلى أنه من شهود علي بحديث الغدير عندما ناشد الناس، ولا ننسى استشهاد ابنه

---

(١) المعجم الكبير، ٣/ ١٥٦.

(٢) المغازي للواقدي، ٢٠٧١ / ١٠٤٤.

يوم الحرة ضد بني أمية، فكل هذه قرائن على البراءة، بينما أبو موسى وأبناؤه وأحفاده ليس لهم هذه القرائن فهم في الطرف الأموي من أيام الجاهلية (لأبي موسى حلف في بني أمية)، من هنا تترجح تهمة أبي موسى القريب من الطلقاء إسلاماً وقلباً وحلفاً على البدري القريب من آل محمد سناناً وقلباً وتاريخاً.

قسم ثالث من أهل السنة (موقف ابن عبد البر)

وقسم ثالث تحرج من الإخفاء الكامل، فأشار إليه إشارة، وصرح بأنه يكره ذكر ذلك الحديث! كابن عبد البر رحمه الله فهو على تشيعه للإمام علي صرح بأنه يكره ذكر كلام حذيفة، مع أن كلام حذيفة له حكم المرفوع لخصوصية حذيفة بالعلم بالمنافقين أصحاب العقبة، يقول ابن عبد البر في ترجمة أبي موسى: (... وكان (أبو موسى) منحرفاً عن علي لأنه عزله (عن الكوفة) ولم يستعمله وغلبه أهل اليمن في إرساله في التحكيم فلم يجزه، وكان لحذيفة قبل ذلك فيه كلام)[1]. وأعاد هذا القول في الكنى من الاستيعاب فقال: (وعزله علي رضي الله عنه عنها (عن الكوفة)، فلم يزل واجداً منها على عليّ، حتى جاء منه ما قال حذيفة. فقد روى فيه لحذيفة كلام كرهت ذكره والله يغفر له. ثم كان من أمره يوم الحكمين ما كان)[2].

وقول حذيفة الذي أشار إليه ابن عبر البر هو اتهام حذيفة لأبي موسى بالنفاق.

قسم رابع: موقف الذهبي.. وعجائبه!

وبعضهم كالذهبي حاولوا حماية أبي موسى مرة باتهام حذيفة نفسه بأنه صدر منه عن غضب! وكأن حذيفة يلعب بمثل هذا الأمر الخطير! وكأنه ليس مؤتمناً على سِرّ رسول الله (ص) ولذلك نجد الذهبي يتتعتع فيخبر أنه يجهل معناه، ثم يعود ويكاد يتهم حذيفة بأنه وضع الحديث! ومرة بالشك في الأعمش (مع أنه ثقة وقد توبع)، وثالثة باتهام الأعمش بأن فيه تديناً زائداً جعله يستسهل نقل الحديث ولم يكتمه كما كتمه غيره! ورابعة بالإيحاء بأن هذا غضب في قلب حذيفة نفَّسَ عنه بهذه التهمة الخطيرة! وخامسة بالهروب إلى ذم غلاة الشيعة وأحداث التاريخ!

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٢/ ٦٨.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١/ ٣٠٠.

فقال الذهبي[1]: (الأَعْمَشُ: عَنْ شَقِيْقٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ حُذَيْفَةَ جُلُوْساً، فَدَخَلَ عَبْدُ اللهِ (بن مسعود)، وَأَبُو مُوْسَى (الأشعري) المَسْجِدَ، فَقَالَ (حذيفة): أَحَدُهُمَا مُنَافِقٌ! ثُمَّ قَالَ: إِنَّ أَشْبَهَ النَّاسِ هَدْياً وَدَلاًّ وَسَمْتاً بِرَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُ اللهِ[2].

قُلْتُ (الذهبيُّ): مَا أَدْرِي مَا وَجْهُ هَذَا القَوْلِ (!)، سَمِعَهُ عَبْدُ اللهِ بنُ نُمَيْرٍ مِنْهُ (يعني من الأعمش)[3]، ثُمَّ يَقُوْلُ الأَعْمَشُ: حَدَّثْنَاهُمْ بِغَضَبِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ(!) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاتَّخَذُوْهُ دِيْناً[4].

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ إِدْرِيْسَ: كَانَ الأَعْمَشُ بِهِ دِيَانَةٌ مِنْ خَشْيَتِهِ[5].

قُلْتُ (الذهبيُّ): رُمِيَ الأَعْمَشُ بِيَسِيْرِ تَشَيُّعٍ فَمَا أَدْرِي[6].

وَلاَ رَيْبَ أَنَّ غُلاَةَ الشِّيْعَةِ يُبْغِضُوْنَ أَبَا مُوْسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِكَوْنِهِ مَا قَاتَلَ مَعَ عَلِيٍّ،

---

(١) في سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٤٦.

(٢) وهذا واضح في تبرئة عبد الله بن مسعود فلم يبقَ إلا أبو موسى! ولكن حذيفة كان يخشى على نفسه، وقوله هذا كان في عهد عثمان، وكان معاوية (حليف أبي موسى) هو الحاكم الفعلي في عهد عثمان، ولذلك كان عثمان يحيل إليه كبار الأمور (كما في قصة إحالة أشراف الكوفة إلى معاوية، وكأن عثمان هو الوزير ومعاوية هو الأمير)، وعلى هذا فلا يستطيع حذيفة أن يفصح أكثر من هذا! ومن لا يريد أن يعلم فلا علّمه الله.

(٣) ورواه يعقوب بن سفيان، عن محمد بن عبد الله بن نمير، عن أبيه عبد الله بن نمير، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة، ففي المعرفة والتاريخ (٣ / ٨٧): (حدثني ابن نمير، حدثني أبي، عن الأعمش، عن شقيق قال: كنا مع حذيفة جلوساً، فدخل عبد الله وأبو موسى المسجد فقال: أحدهما منافق، ثم قال: إن أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله). والإسناد سلفي وقد توبع الأعمش (تابعه حكيم بن جبير عن أبي وائل، عند الطبراني).

(٤) هذا القول لا علاقة له بالحديث، إن كان له علاقة بخصومات أخرى فيمكن، ولم يكن هناك من خصومة بين أبي موسى وحذيفة، وإنما هو علم أخبر به حذيفة، لمن شاء أن يتقيه في المستقبل، ولا نشك في أن اختيار النبي (ص) لحذيفة كان موفقاً في الإسرار إليه ببعض أسرار المنافقين، فتخوين أبي موسى أولى من تخوين حذيفة بن اليمان، فحذيفة لا يوهم الناس بسبب هذه الاختصاص النبوي بأن فلاناً منافق وفلاناً من أهل العقبة، فهذا غش لن يفعله حذيفة، وعجبي من الذهبي كيف يحاول تبرئة أبي موسى باتهام حذيفة! مَن منهما من السابقين؟ مَن منهما أولى بالاتّباع والاحتذاء؟ من هنا تميزت السلفية العتيقة صاحبة الحق المر، والسلفية المحدثة المصلحة بين الملائكة والشياطين.

(٥) وما الضرر من ذلك؟ عثماني يعترف للأعمش بالتدين؟.

(٦) يقصد لا يدري أوضعه الأعمش أم كان صادقاً! مع أن الأعمش قد توبع، وهو دعامة كبيرة من دعائم الرواية، وحديثه يملأ الكتب الستة، ولو زالت أحاديثه من الصحيحين لاضطربت! وهذا كله يبين الحرج السلفي من روايات الكبار كحذيفة بن اليمان.

ثُمَّ لَمَّا حَكَّمَهُ عَلِيٌّ عَلَى نَفْسِهِ عَزَلَهُ، وَعَزَلَ مُعَاوِيَةَ، وَأَشَارَ بِابْنِ عُمَرَ؛ فَمَا انْتَظَمَ مِنْ ذَلِكَ حَالٌ)[1].

التعليق: بل العجب من الذهبي رحمه الله! كيف تتعتع وأثبت ونفى واتَّهم وبرّأ وسرد وشكَّك وهرب إلى التاريخ والتشنيع على الشيعة والانتقال من احتمال التشيع اليسير في الأعمش إلى ذم غلاة الشيعة الذين ليس منهم الأعمش،... إلخ؟ مع أن المتهم لو كان بدرياً من الأنصار وصحَّ الإسناد لما جرى كل هذا، ولكان استخراج العبر هو المستراح.

فهذا الاضطراب الكبير هو نتيجة من نتائج إهمال السلفية الأولى وآرائها، ورفع السلفية المحدثة وعقائدها، فإننا لا نجد هذه التعتعة والاضطراب عندما يتم اتهام بدريين بالنفاق كمعتب بن قشير، أو رضوانيين بالنفاق كعبد الله بن أبي بن سلول، مع أنهما أسبق إسلاماً من أبي موسى فكيف بمعاوية؟ فإما أن يكون الورع كاملاً فنحرص على تبرئة البدري والطليق وإما أن يحتمل في الطليق وما يقاربه ما يجزم به في البدري وما يقاربه.

فالذهبي رحمه الله لا يتحرج عندما يجد رواية تتهم معتب بن قشير، فهو يقول فيه: (وتكلم المنافقون حتى قال معتب بن قشير أحد بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط... إلخ)[2].

وهذا التراخي هنا، والتشدد في أبي موسى ليس له إلا سبب صغير لكنَّ فهمه صعب جداً، وهو أن معاوية صديق لأبي موسى وليس صديقاً لمعتب بن قشير! هذه هي الخلاصة الأخيرة، لكن لا يدركونها وهي حالة داخل نفوسهم من خلال تشكيل السياسة القديمة لعقل هذا الفقيه من خلال ما ورثه من التراث المفصل على قياس

---

(١) هذا الكلام كله هروب! وقد تبين لي أن أبا موسى لم يكن مغفلاً، لكنه يتغافل، والمغفل من يصدّق أنه مغفل! كان رجلاً خطيراً في ظني الراجح، والله يغفر لي إن أخطأت في حقه. ولعمري لماذا كان الإمام علي يدعو عليه وعلى أشياعه في القنوت؟ ويقرنه بمعاوية وأشياعه وأبي الأعور السلمي وأشياعه؟. السلف الصالح هم مثل علي وعمار وحذيفة، وليسوا أبا موسى ومعاوية وأبا الأعور.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي، ١/ ٢٤٠.

الحاكم الذي كان صديقاً لهذا ولا يهمه ذاك، وأنا أجزم أن الذهبي لا يدرك هذا ولا أحمد ولا أكثر السلفية المحدثة، لأنهم نتيجة، هم ينظرون من الداخل وليس من الخارج، مثل الطفل الذي يتبناه أحدهم فيخرج الطفل وهو يناديه (يا أبتاه) ولا يخطر على باله أن يعمل تحليلاً، ولا أن يسأل جاراً أو خليلاً.

والأحاديث في نفاق أبي موسى مع تحرجي منها ربما تأثراً كتأثر الذهبي وابن عبد البر إلا أنها أقوى من الأحاديث في نفاق معتب بن قشير، ودلائل براءة معتب أولى لبدريته وسابقته، وأنا هنا لم أبريء معتب بن قشير كما لا أتهمه، أنا متوقف فيه إلى أن أبحثه، نعم عبد الله بن أبي أنا أتهمه ولكن أحتمل توبته، أما الأحاديث والروايات السنية في اتهام أبي موسى فهي أكثر وأقوى وجوبه بها في آخر عمره، واحتمال تحققها قوي، فكيف بمعاوية وأبيه أبي سفيان وأمثالهم؟.

الطريق الخامس: صلة بن زفر عن حذيفة

في المعجم الكبير للطبراني[1]: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بن عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بن عُمَرَ بن أَبَانَ، حَدَّثَنَا عُبَيْدَةُ بن أَسْوَدَ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ أَصَابَ حُذَيْفَةُ مَا لَمْ يُصِبْ أَبُو بَكْرٍ وَلا عُمَرُ؟ قَالَ صِلَةُ بن زُفَرَ: قَدْ وَاللَّهِ سَأَلْنَا حُذَيْفَةَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرٍ ذَاتَ لَيْلَةٍ[2]، فَأَدْلَجْنَا دُلْجَةً، فَنَعَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَقَالَ أُنَاسٌ: لَوْ دَفَعْنَاهُ السَّاعَةَ فَوَقَعَ فَانْدَقَّتْ عُنُقُهُ اسْتَرَحْنَا مِنْهُ، فَلَمَّا سَمِعْتُهُمْ تَقَدَّمْتُهُمْ، فَسِرْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقْرَأُ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ، فَاسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: حُذَيْفَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ادْنُ، فَدَنَوْتُ، فَقَالَ: مَا سَمِعْتَ هَؤُلاءِ خَلْفَكَ مَا قَالُوا؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ سِرْتُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ مُنافِقُونَ، فُلانٌ وَفُلانٌ وَفُلان)[3].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني، ٣/ ٢٦٩.

(٢) والحديث يبين أن اختصاص حذيفة بالعلم بالمنافقين إنما هو ليلة العقبة، ولو كانوا منافقين كسائر المنافقين لما كان لحذيفة ميزة، فابن سلول وأمثاله يعرفهم أكثر الصحابة، فلاحظ هذا فإنه مهم ولا يعرفه أكثر الناس.

(٣) ولا بأس أن نذكر متابعة للطبري الإمامي (ت ٣١٠هـ)، وهو غير الطبري السُّني رواها في كتابه

قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الكبير وفيه مجالد بن سعيد وقد اختلط وضعفه جماعة.

قلت: رجاله كلهم ثقات إلا مجالد بن سعيد، وهو عندهم يصلح في المتابعات والشواهد، وهو عندي ضعيف وفيه نصب مشهور. وإخفاء الأسماء هنا كان للسياسة أو الخوف أو الهوى، وهم لا يخفون أسماء الأنصار، إنما يخفون أسماء منافقي قريش.

سند آخر عن مجالد

في مسند البزار: (حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: أخبرنا أبو أسامة، عن مجالد، عن الشعبي، عن صلة، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قلت: كيف عرفت المنافقين؟، قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم، ذات ليلة فسمَّاهم)[1].

التعليق: والكلام في إسناده كالكلام في سابقه، يدور على مجالد. والحديث يبين أن اختصاص حذيفة بالعلم بالمنافقين إنما هو بسبب ليلة العقبة، وأن هؤلاء الذين يعرفهم حذيفة كانوا من الخطورة والمكانة بحيث يتكتم عليهم ويخشى على نفسه القتل إن ذكرهم، ولا أظنه سيقتل لو ذكر منافقي الأنصار، إنما سيقتل لو أفصح عن منافق له سلطة كبيرة كمعاوية، فقد كان في عهد عثمان الحاكمَ الفعلي، وإن لم تؤمن

المسترشد (ص ٥٩٢)، وهو صادق النقل، رغم تشيعه: قال: (رواه أحمد بن مهدي (بن رستم ثقة حافظ) قال: حدثنا نعيم بن حماد (شيخ البخاري سلفي ضعيف)، قال: حدثنا هشيم (هو ابن بشير شيخ أحمد ثقة)، عن مجالد (بن سعيد الهمداني ضعيف)، عن عامر (هو الشعبي، مشهور)، عن صلة بن زفر (ثقة)، قال: قلت لحذيفة: أين علمت أسماء المنافقين من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال: بينا أنا في الحجيج مع رسول الله ليلاً، إذ أنا بركب المسلمين، يقولون: إذا أتينا العقبة فعُقْنَا بناقته فيقع عنها فندقّ عنقه فنستريح منها. فلما سمعت ذلك، أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان نائماً جعلت أقرأ وأرفع صوتي حتى استيقظ فقال مَن هذا؟ فقلت: أنا، قال: ما شأنك؟ فقلت: سمعت فلاناً وفلاناً وفلاناً يقولون كذا وكذا، فقال: إن فلاناً وفلاناً وفلاناً منافقون، أعداء الله وأعداء رسوله فلا تخبرنَّ بذلك أحداً). قلت وهذا اللفظ كأنه في المحاولة الثانية التي حدثت في عقبة هرشى بعد حجة الوداع، يدل على ذلك قوله (الحجيج). ولكن أسانيد هذه القصة ضعيفة، والتكرار محتمل. أعني تكرار الطلقاء وحلفائهم كأبي الأعور السلمي وأبي موسى الأشعري محتمل، إلا أن أبا موسى الأشعري إن كان قد زعم أن النبي (ص) استغفر له في عقبة تبوك في السنة التاسعة فلماذا يكررها في ثنية هرشى في السنة العاشرة؟ فأنا استبعد أن يكون أبو موسى في المحاولة الثانية.

(١) مسند البزار، ٧/ ٤٠١.

السلفية المحدثة بهذا فهي تدفع الناس للاعتقاد في أبي بكر وعمر وعثمان، والسلفية المحدثة لا تمانع في هذا الاتهام لأنه يبريء معاوية، وتبرئة معاوية هو الهدف الأكبر عندهم وقد ساعدهم بعض الشيعة على هذا.

الطريق السادس: زيد بن وهب عن حذيفة

في صحيح البخاري: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ (هو ابن أبي خالد)، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ فَقَالَ: مَا بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ هَذِهِ الْآيَةِ[1] إِلَّا ثَلَاثَةٌ، وَلَا مِنْ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا أَرْبَعَةٌ؛ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ إِنَّكُمْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُخْبِرُونَا فَلَا نَدْرِي فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْقُرُونَ بُيُوتَنَا وَيَسْرِقُونَ أَعْلَاقَنَا؟ قَالَ أُولَئِكَ الْفُسَّاقُ، أَجَلْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةٌ أَحَدُهُمْ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَوْ شَرِبَ الْمَاءَ الْبَارِدَ لَمَا وَجَدَ بَرْدَهُ)[2]. وقد توبع إسماعيل بن أبي خالد. والشيخ الكبير هو أبو سفيان، وكان معه في هذه المحاولة ابناه معاوية عتبة، وأما بقية الأربعة عشر فعرفنا منهم أبا موسى الأشعري على الأرجح، ولكن كان حذيفة وأمثاله يذكرونه بالتعريض لإظهاره التنسك (وما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) فلو أن حذيفة صرح بأن فلاناً وفلاناً قد شكوت في النبوة لقال بعض من يعظمهم لو كان محمد نبياً لما شكّ هؤلاء وقد صحبوه ولازموه... إلخ، فيفتتنون، فالحق ثقيل لا تتحمله العقول الضعيفة ولا القلوب المائلة.

والبخاري أورد الحديث في تفسير هذه الآية، في صحيحه[3] بَاب:)فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُم(، ثم ذكر الحديث، وهذا يدل على اشتراكهم في قصة العقبة، لأن سورة التوبة نزلت أيام تبوك في هؤلاء وأمثالهم، أما لماذا لم يقاتلهم النبي (ص) فالآيات أجابت على ذلك فانظروها فهي مشروطة باستمرار طعنهم في الدين (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) (التوبة: ١٢). وقال الحافظ ابن حجر: (وَرَوَى الطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيق السُّدِّيِّ

---

(١) يعني)فقاتلوا أئمة الكفر(.
(٢) صحيح البخاري، ١٤/ ٢١٧.
(٣) صحيح البخاري، ١٤/ ٢١٦.

قَالَ: المرَاد بِأَئِمَّةِ الْكُفْر كُفَّار قُرَيْش. وَمِنْ طَرِيق الضَّحَّاك قَالَ: أَئِمَّة الْكُفْر رُؤُوس الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْل مَكَّة)[1]، أي لا دخل لمنافقي الأنصار بذلك! والسورة (التوبة) نزلت بعد تظاهر هؤلاء المشركين بالإسلام وإبطانهم الكفر والنفاق وأذية النبي (ص)، وهؤلاء هم الذين كفروا بعد إسلامهم، ورؤوسهم أصحاب العقبة بلا شك، ثم حتى لو وجب قتالهم وكان في المسلمين تقاعس عن ذلك خشية منهم ومن حلفائهم فقد يبطل تنفيذ الأمر لعدم وجود الناصر، وكان أبو سفيان قد استغل فترة إسلامه فتواصل مع منافقي الأنصار وبني سليم وبني أسد ومسيلمة وبعض الأوس (أبي عامر الفاسق حليف أبي سفيان وهو رأس منافقي الأوس)، بل بعض المهاجرين انبهروا بأبي سفيان عندما هاجر وأصبح يطلق عليه (سيد قريش)! مع أن رسول الله حيٌّ لم يُتوفَّ بعد! فلا نستبعد بعد كل هذا أن يكون حرب أبي سفيان بعد إسلامه كانت أصعب منها قبل إسلامه لتداخل النفاق وصعوبة إقناع الناس بأن هؤلاء يستحقون القتال، وهذا تفيده الآية اللاحقة (أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (التوبة: ١٣) ففي هذه الآية استنكار لهذا النكوص والتقاعس المخيف عن قتالهم، بل في الآية اتهام للصحابة بالخشية من هؤلاء وأحلافه، ثم من هم الذين بدأوا أول مرة؟ سواء بمعاداة النبي (ص) أو بإخراجه؟ أليسوا كفار قريش؟ والكلام في هذا الباب طويل جداً لأن التحريف والإخفاء وترك تدبر القرآن قد غلب على الأمة، ولعل الله ييسر لي إخراج تفسير سورة براءة (الفاضحة) التي كادت أن لا تبقي أحداً! ليتبين لكل مغرَّر به أن الأدلة بين يديه في القرآن الكريم، لكن السلطة وعلماءها أرادوا حصر هذا الاستنكار الإلهي في مجموعة ضعيفة من الأنصار، بينما هناك حلف كبير سري أقامه أبو سفيان مع كثير من القبائل والمنافقين والصالحين المخدوعين أيضاً! وهذا الحلف كشفته سورة التوبة لو وجدت متدبراً.

وفي فتح الباري لابن حجر في شرح حديث البخاري: (قَوْله: (إِلَّا ثَلَاثَة) سُمِّيَ مِنْهُمْ فِي رِوَايَة أَبِي بِشْر عَنْ مُجَاهِد: أَبُو سُفْيَان بْن حَرْب)[2]، وفيه أيضاً: (قَوْله: لَوْ

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ١٣/ ٩١.

(٢) فتح الباري لابن حجر، ١٣/ ٩١.

شَرِبَ الْمَاءَ الْبَارِدَ لَمَا وَجَدَ بَرْدَهُ، أَيْ لِذَهَابِ شَهْوَته وَفَسَاد مَعِدَته، فَلَا يُفَرِّق بَيْنَ الْأَلْوَان وَلَا الطُّعُوم).

وفي مصنف ابن أبي شيبة: (حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن زيد، عن حذيفة، قال: ما بقي من المنافقين إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير لا يجد برد الماء من الكبر، قال: فقال له رجل: فمن هؤلاء الذين ينقبون بيوتنا ويسرقون علائقنا، قال: ويحك! أولئك الفسّاق)[1].

ولفظه في مسند البزار: بإسناد البخاري: (وإن أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء لمات)[2].

وفي مصنف ابن أبي شيبة: (حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن زيد قال: قرأ حذيفة (فقاتلوا أئمة الكفر) قال: ما قوتل أهل هذه الآية بعد)[3].

أي أن الأمر بقتالهم هنا (فقاتلوا أئمة الكفر) لا علاقة لها بالحث على قتال الكفار ببدر أو أحد أو الخندق أو فتح مكة أو حنين أو حروب الردة أو فتوح العراق والشام، كلا، إنهم صنف آخر لم يقاتلهم المسلمون بعد نزول الآية، والآية نزلت بعد تظاهر الطلقاء بالإسلام، فماذا يعني هذا؟ يعني أن لا نظن أنَّ هذه الآيات كانت في التحريض على قتال الكفار، ولا على قتال المنافقين المسالمين، وإنما على قتال من)كفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا(! فابحثوا عن هؤلاء!

التعليق على هذا الحديث، وعلاقته بقصة العقبة

الحديث صحيح الإسناد، ويكفي عند السلفية المحدثة أنه في صحيح البخاري، وحذيفة هنا شبه الصريح لمن عنده عقل ووعي بالتاريخ أنه يريد بهذا الشيخ الذي لا يجد برد الماء أبا سفيان بن حرب، وأنه من أولئك الاثني عشر منافقاً، وإنما رجحت لهذا للروايات التي صرحت باسم أبي سفيان وموت معاوية بالدُّبَيْلَة ومناسبة حديث قيس بن عباد وثارات أبي سفيان ورفسه قبر حمزة ولعن معاوية لعلي ومن يحبه (وهو يعرف أن رسول الله يحبه، فكأنه يقصده! وهذا ما صرحت به أم سلمة وهي من السلف

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ٨/ ٦٣٧.
(٢) مسند البزار، ٧/ ٢٩١.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة، ٨/ ٦٣٧.

العتيق)، ولنا بهذا الشأن وقفة نراها ضرورية:

ففي مسند أحمد: (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ لِي أَيُسَبُّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيكُمْ؟ قُلْتُ مَعَاذَ اللَّهِ أَوْ سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي)[1].

وفي مصنف ابن أبي شيبة: (حدثنا عبد الله بن نمير عن فطر عن أبي إسحاق عن أبي عبد الله الجدلي قال: قالت لي أم سلمة: يا أبا عبد الله! أيسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم ثم لا تغيّرون؟، قال: قلت: ومن يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: يُسَبُّ علي ومن يحبه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه)[2].

فهذا فهم السلف العتيق لأفعال معاوية.

وفي مسند أبي يعلى: (حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَجَلِيُّ، عَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيِّ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَيُسَبُّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمَنَابِرِ؟ قُلْتُ: وَأَنَّى ذَلِكَ؟ قَالَتْ: أَلَيْسَ يُسَبُّ عَلِيٌّ وَمَنْ يُحِبُّهُ؟ فَأَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُحِبُّهُ)[3].

قلت: ومعاوية ما أراد إلا هذا، لكنه داهية، ومحبُّوه حمقى، وحديث أم سلمة في مصادر أخرى كمستدرك الحاكم بزيادة ألفاظ ومتابعات، وفي معاجم الطبراني وشريعة الآجري وغيرها.

وهناك سياق عند ابن عبد ربه الأندلسي، ففي العقد الفريد: (ولما مات الحسنُ بن عليّ حَجّ معاوية، فدخل المدينة وأراد أن يَلْعن عليًّا على مِنبر رسول الله صلى عليه وسلم. فقيل له: إن ها هنا سعدَ بن أبي وقاص، ولا نراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخُذ رأيه. فأرسل إليه وذكر له ذلك. فقال: إن فعلت لأخرُجن من المسجد، ثم لا أعود إليه. فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد. فلما مات لَعنه عَلَى المنبر، وكتب إلى

(١) مسند أحمد، ٥٤/ ١٨٥.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ٧/ ٥٠٣.

(٣) مسند أبي يعلى، ٦/ ٢٥٦.

عماله أن يَلعنوه على المنابر، ففعلوا. فكتبتْ أم سَلمة زوج النبيّ صلى عليه وسلم إلى معاوية: إنكم تلعنون اللّه ورسولَه على منابركم، وذلك أنكم تلعنون عليّ بن أبي طالب ومن أحبّه، وأنا أشهد أن اللّه أحبَّه ورسولَه، فلم يلتفت إلى كلامها)[1].

ولهذا شواهد انظر فضائل علي في صحيح مسلم وأمر معاوية سعداً بلعن علي وامتناعه محتجاً بفضائل علي، إلا أن ما ذكروا من امتناع معاوية في عهد سعد ليس صحيحاً، فمعاوية لم يتوقف إلا في المدينة فقط وعندما خرج منها أمر واليه مروان فيها بلعن علي وكذا وصية معاوية للمغيرة مشهورة، وقد جمعت الروايات في أمر معاوية بسب علي على المنابر وهي متواترة من سيرة معاوية، وهو غير معذور بالجهل كما قد يعذر بعض الشيعة والنواصب ممن تأخر زمنهم وورثوا المذاهب.

ففي مسند أحمد: (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ لِي أَيُسَبُّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيكُمْ؟ قُلْتُ مَعَاذَ اللَّهِ أَوْ سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي)[2].

وفي مصنف ابن أبي شيبة: (حدثنا عبد الله بن نمير عن فطر عن أبي إسحاق عن أبي عبد الله الجدلي قال: قالت لي أم سلمة: يا أبا عبد الله! أيسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم ثم لا تغيّرون؟، قال: قلت: ومَن يسبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: يُسَبُّ علي ومن يحبه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه)[3].

فهذا فهم السلف العتيق لأفعال معاوية.

قلت: ومعاوية ما أراد إلا هذا، لكنه داهية، ومحبُّوه حمقى، وحديث أم سلمة في مصادر أخرى كمستدرك الحاكم بزيادة ألفاظ ومتابعات، وفي معاجم الطبراني وشريعة الآجري وغيرها.

وإنكار يزيد بن معاوية للنبوة، من قرائن فساد هذا البيت، وذلك عند وتمثله بأبيات

---

(١) العقد الفريد، ٢/ ١٢٧.

(٢) مسند أحمد، ٥٤/ ١٨٥.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، ٧/ ٥٠٣.

ابن الزبعرى بعد قتله الحسين وأهل المدينة وهي كما في كتاب المأمون المشهور[1] ـ:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزعَ الخزرج في وقع الأسلْ
قد قتلنا الضعفَ من أشرافكم   وعدَلنا مَيلَ بدرٍ فاعتدلْ

وزاد فيها:

فأهلُّوا واستهلُّوا فرحاً   ثم قالوا يا يزيد لا تُشلْ
لستُ من خندف إن لم أنتقمْ   من بني أحمد ما كان فعلْ
لعبتْ هاشمُ بالملك فلا   خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزلْ

وهو لم يتعلم ذلك إلا من أبيه، كما تعلمه أبوه من جده، والثلاثة يخفون ثارات بدر وأحد والخندق، والقرائن تدل على ذلك. والبيت السفياني أشد بغضاً للنبي (ص) وأهل البيت من البيت المرواني لكثرة من قُتلوا من أشراف هذا البيت في بدر خاصة، واللاحق من هذه العائلة يأخذ عن السابق، ثم أصبحوا كلهم من سلف السلفية المحدثة، وهذا يدمي الفؤاد، إذ كيف ترى شباباً وشيوخاً يتديَّنون بحب من يعادي الله ورسوله ابناً عن أبٍ عن جدةٍ وجدٍّ! لكنها الفتنة.

وأما أبو سفيان فقد توفي كهلاً في خلافة عثمان وعمره فوق التسعين عاماً، وحذيفة رجل أريب ذكي، يقول القول ليلتقطه العقلاء ويعرض عنه شر الدواب، فالذين لا يعقلون ومن شابههم كأهل التشغيب والمعاندة لا ينفعهم بيان، حتى لو ذكر لهم حذيفة أبا سفيان ومعاوية صريحاً فسيستمرون في التشغيب كما يفعل أتباعهم اليوم، وربما شكوه إلى عثمان كما يشكوننا اليوم! ولعل عثمان يبعث به إلى معاوية كما فعل بأشراف الكوفة عندما شكوا الوليد وسعيد بن العاص وأمثالهم، وكان عثمان بن عفان سامحه الله يحدب على بني أمية لضعفه مع قرابته، فحذيفة قال هذا القول في عهد

---

(١) وقد خرَّجنا هذه الأبيات بطرقها ومصادرها في (جامع يزيد بن معاوية لم يكتمل). والبيت السفياني أشد بغضاً للنبي (ص) وأهل البيت من البيت المرواني لكثرة من قُتلوا من أشراف هذا البيت في بدر خاصة، واللاحق من هذه العائلة يأخذ عن السابق، ثم أصبحوا كلهم من سلف السلفية المحدثة، وهذا يدمي الفؤاد، إذ كيف ترى شباباً وشيوخاً يتدينون بحب من يعادي الله ورسوله ابناً عن أبٍ عن جدةٍ وجدٍّ! لكنها الفتنة.

عثمان وكان أبو سفيان على وشك الوفاة، وكان لعثمان ومعاوية عيون لا يفارقون مجلس حذيفة! لعلمهم بأن عنده ما يسيء إلى أبي سفيان ومعاوية، وقد بشر حذيفة هؤلاء الجواسيس بالنار كما ورد في صحيح البخاري: (حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن همام قال: كنا مع حذيفة فقيل له إن رجلاً يرفع الحديث إلى عثمان فقال حذيفة: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (لا يدخل الجنة قتات)[1]. يعني نمام، وكان حذيفة من معارضي عثمان كسائر السابقين يومئذ مثل عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر وطلحة بن عبيد الله، فهم قادة الثورة وليس تلك الرواية الخرافية التي تتحدث عن عبد الله بن سَبأ، وكان عثمان رحمه الله ورضي عنه وسامحه وغفر له قد أخذه الطلقاء إلى موقع آخر وفصلوه عن كبار الصحابة وصالحي الأمة، من المهاجرين والأنصار، فلذلك وضع العيون على مثل حذيفة وكان الأولى أن يضع العيون والجواسيس على معاوية والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وابن أبي السرح ومروان وأمثالهم ممن دفعوا هذه الأمة إلى فتنة إلى اليوم.!

التكتم على عذاب أبي سفيان ومعاوية بالأدواء المختلفة

والغريب أن المؤرخين أخفوا هذا الضرر الذي لحق بأبي سفيان كما أخفوا دَبَيْلَة معاوية وإصابته بداء اللَّقْوَة، وعذابه عشر سنين بهذه الأدواء! فأبو سفيان في آخر عمره لا يميز بين الطعوم عقوبة من الله إضافة للعمى، فكان يتضرر من الماء بحيث لو شربه وربما لو يصيبه الماء البارد لمات، لماذا؟ هل يعني أنه لو شرب الماء البارد أو لو اغتسل بالماء البارد لتضرر أو أنه فقد حاسة الطعم واللمس؟ وعلى افتراض أنه كان في أواخر سنواته يعاني من مس الماء فما علاقة الماء البارد بقرحة الدُّبَيْلَة؟! فدبيلة معاوية تتأذى بالرداء ولو كان من حواصل الطيور! ولعل دَبَيْلَة أبي سفيان[2] تتأذى حتى من الماء البارد؟ الأول في معاوية ثابت، والثاني في أبي سفيان محل بحث.

ولا يقولنَّ أحدٌ أن هذه الأدواء التي أصابت أبا سفيان ومعاوية ستمحو خطاياهم،

---

(١) صحيح البخاري، ٥/ ٢٢٥٠.

(٢) هل مات أبو سفيان بالدُّبَيْلَة؟ لم أبحث هذا الموضوع بعد، وهناك تعتيم كبير على مرض أبي سفيان، وأمراض كثير ممن وردوا في قصة العقبة..فأبو سفيان لا أدري بأي مرض مات؟، وهل طال مرضه أم لا؟.. ولكن حديث حذيفة يدل على شيء من هذا، رغم أنه قال هذا الحديث وهو بالعراق، وكان أبو سفيان يومئذ شيخ أعمى بالمدينة.

لأنهم بقوا على النفاق، وإنما التوبة على الذين يتوبون من قريب! وليس من يبقى إلى أن يرفس قبرَ حمزة، ويقول ما من جنة ولا نار! (كما فعل أبو سفيان بعد عشرين سنة من حادثة العقبة)، ولا من يحزُّ رأسَ عمار ويلعن علياً ويوصي بسفك دماء أهل الحَرَّة (كما فعل معاوية بعد ثلاثين سنة في الحادثة الأولى، وبعد خمسين سنة من الحادثة الأخيرة، وبينهما اللعن على المنابر)!

ما معنى قوله تعالى: (سنعذبهم مرتين)؟

وقد وعد الله بتعذيب هؤلاء مرتين! لأنهم لم يتوبوا ولم يعترفوا بذنوبهم ولا اعترف أبتاعهم إلى اليوم، قال تعالى: (مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ. وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التوبة: ١٠١ ١٠٢). فهذه الآيات من سورة التوبة، وكانوا من سكان المدينة يومها، وهي في سياق المنافقين الذين همُّوا بما لم ينالوا والذين أغناهم الله من فضله. والتوبة إنما هي على المعترفين بذنوبهم كالثلاثة الذين خلفوا وأمثالهم، وأما أبو سفيان ومعاوية فلم يؤثر عنهم ندماً حتى على أيام الشرك! فمن أين لهم التوبة؟!.

جوانب من التعتيم والتعمية على هذا الحديث

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح حديث البخاري السابق: (قَوْله: (إِلَّا ثَلَاثَة) سُمِّيَ مِنْهُمْ فِي رِوَايَة أَبِي بِشْر عَنْ مُجَاهِد: أَبُو سُفْيَان بْن حَرْب، وَفِي رِوَايَة مَعْمَر عَنْ قَتَادَةَ أَبُو جَهْل بْن هِشَام وَعُتْبَةُ بْن رَبِيعَة وَأَبُو سُفْيَان وَسُهَيْل بْن عَمْرو (!)، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ أَبَا جَهْل وَعُتْبَةَ قُتِلَا بِبَدْرٍ (!) وَإِنَّمَا يَنْطَبِقُ التَّفْسِير عَلَى مَنْ نَزَلَتْ الْآيَة الْمَذْكُورَة وَهُوَ حَيٌّ، فَيَصِحّ فِي أَبِي سُفْيَان وَسُهَيْل بْن عَمْرو وَقَدْ أَسْلَمَا جَمِيعًا)[1].

التعليق: إذن فالحافظ قد كفاني بعض ما أراد الواقع الأموي أن يخدعنا به، هم يريدون من المسلمين استمرار ذم أبي جهل وأبي لهب والأخنس بن شريق! مع أنه ليس لهم أثر على فهمنا للدين، أما من تظاهر بالإسلام وعمل على تفريغ الإسلام من الداخل، بل تحويله إلى خادم للظالمين؛ فيجب علينا عند هؤلاء أن نغض الطرف عنهم

(١) فتح الباري، ١٣/ ٩١.

ليعبثوا كما يشاؤون!

وبقي لي تعليق على آخر كلام الحافظ وهو قوله (وقد أسلما جميعاً)، فهذه عبارة مشتبهة، ونقول باختصار: نعم لكن كان لأبي سفيان أعمال لا يعرفها ابن حجر لتسالمه مع الثقافة السائدة كرفس قبر حمزة في عهد عثمان وقوله (قد عدنا يا حمزة! وهؤلاء صبياننا ولاة الأمصار)! أو بمعناه، وتمنيه هزيمة النبي (ص) يوم حنين (وهذه يعرفها ابن حجر)، وتمنيه مع سهيل بن عمرو هزيمة المسلمين يوم اليرموك وانتصار الروم (وأظنه يعرف هذا، لكنهم شوَّشوا على هذه الرواية وعدلوا إلى من غاب عن اليرموك وتركوا شهادات شهود العيان)!، وانفرد أبو سفيان عن سهيل بن عمرو بقصة العقبة (وقد ذكر سهيل بن عمرو فيهم أيضاً ولكن السند فرد غريب، فالله أعلم). وأما يوم اليرموك فلن يتمنيا هزيمة المسلمين إلا عن استحكام نفاق، وربما عن صلة قوية بعظيم الروم[1] كالعملاء اليوم (ولأبي سفيان وحليفه أبي عامر الفاسق تنسيق كبير مع الروم والغساسنة لا يعرفه أكثر الناس، وآخر اجتماع بين ملك الروم وأبي سفيان في هدنة الحديبية! تلك الرواية التي ينقلونها في فضائل هرقل وفضائل أبي سفيان!)، وهذا التمني لأبي سفيان وسهيل بن عمرو يرجح هذا التنسيق، وكأن هناك وعداً بجعله ملكاً على العرب، كما كان يفعل المناذرة والغساسنة، ولن ندرس هذه الروايات هنا لأننا سنخرج بها من موضوع معاوية إلى أبي سفيان، ولأبي سفيان عندي كتاب جامع مفرد، وفيه دراسة كل هذه الروايات وأضعافها، ولكن لا بأس أن نذكر هذا الأمر الأخير في تمنِّيه انتصار الروم، نقرأ لدى الإمام ابن عبد البر في ترجمة أبي سفيان قوله: (وفي خبر ابن الزبير أنه رآه يوم اليرموك قال: فكانت الروم إذا ظهرت قال أبو سفيان إيه بني الأصفر؛ فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان: وبنو الأصفر الملوك ملوك الروم لم يبقَ منهم مذكور، فحدث به ابن الزبير أباه لما فتح الله على المسلمين فقال الزبير: قاتله الله يأبى إلاَّ نفاقاً أوَ لسنا خيراً له من بني الأصفر؟)[2]. وسيأتي الإسناد وصحته في كتابي عن أبي سفيان مع جملة وافرة من الأحاديث والآثار في نفاق أبي سفيان وإسراره الكفر.

---

(١) وكل هذه الأخبار ستأتي موثقة موسعة في كتابي عن أبي سفيان.
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٢/ ٣٧.

وفي آخر عمره قال (ما من جنة ولا نار، فتلقَّفوها يا بني أمية)، وطرده عثمان بن عفان من مجلسه عندما قالها، ولا نريد هنا جميع مثالب أبي سفيان ولا حتى جميع مثالب معاوية وإنما علاقتهما بحديث الدُّبَيْلَة، ولكونهما لم يفترقا في جاهلية ولا إسلام!.

الطريق السابع: زر بن حبيش عن حذيفة

في المعجم الأوسط للطبراني: (حدَّثنا علي بن سعيد الرازي (ضعيف وقد توبع) قال: حدَّثنا عباد بن يعقوب الأسدي (ثقة من شيوخ البخاري) قال: حدَّثنا تليد بن سليمان (مختلف فيه والراجح أنه صدوق)[1]، عن أبي الجحاف (وهو ثقة)، عن عدي بن ثابت (وهو ثقة)، عن زر بن حبيش (وهو ثقة جليل)، عن حذيفة بن اليمان قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بطن الوادي، وأخذ الناس العقبة[2]، فجاء سبعة نفر متلثمون فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان حذيفة القائد، وعمار السابق قال: سُدَّا ما يليكما. فلم يصنعوا شيئاً؛ فنظر إليهم رسول الله، فقال: يا حذيفة، هل تدري من القوم؟. قلت: ما أعرف منهم إلا صاحب الجمل الأحمر، فإني أعلم أنه فلان. لم يرو هذا الحديث عن عدي بن ثابت، إلا أبو الجحاف، ولا عن أبي الجحاف إلا تليد، تفرَّد به: عباد)[3].

---

(١) تليد بن سليمان المحاربي الكوفي (ت نحو ١٩٠هـ) أبو إدريس الأعرج، محدث من عامة أهل الحديث، قواه أحمد وغيره، وضعفه ابن معين وغيره مذهبياً عندما يقولون (كذاب يشتم عثمان)! واتهم بالرفض لهذا وأمثاله مع أن له أحاديث في ذم (الرافضة) نقلها كما ينقلها غيره (وهي منكرة)، وأحاديث أخرى في فضائل أبي بكر وعمر (كحديث الوزيرين عند الترمذي وهو منكر)، والظاهر من رواياته أنه سلفي يثني على أبي بكر وعمر. وإنما سخط عليه النواصب لروايته أحاديث في مثالب معاوية، فيدافعون عن معاوية بزعمهم أنه يشتم أبا بكر وعمر والصحابة! وهذا أسلوب متبع من النواصب إلى اليوم، وهو أفضل وسيلة في الدفاع عن الظالمين كمعاوية ونحوه (التوسع في ترجمته في الملحق).

(٢) في الحديث قلب، والصواب أن النبي (ص) هو الذي أتى العقبة وأتى الناس الوادي. وتليد بن سليمان فيه كلام، ولكن معظم الكلام فيه مذهبي، وهو صالح في المتابعات والشواهد، وقد روى في فضائل الشيخين. فليس تشيعه بذاك الشديد، وحتى لو كان تشيعه شديداً فالمعوَّل على الصدق في الراوية وليس على المذهب.

(٣) المعجم الأوسط للطبراني، ٩/٢٦.

التعليق: هذا آخر طريق عن حذيفة في موضوع محاولة الاغتيال، وقد بقيت أحاديث أخرى عن القصة من روايات الصحابة والتابعين وبعض المراسيل والمقطوعات التاريخية، فبقيت من أحاديث الصحابة أحاديث أبي الطفيل وأبي سعيد الخدري وأبي قتادة وجابر بن عبد الله وعمار بن ياسر وحمزة بن عمرو الأسلمي، فهؤلاء ستة من الصحابة لم نذكر أحاديثهم (انظرها في الملحق)؛ وبقي من روايات التابعين روايات الحسن البصري وعروة بن الزبير والضحاك والزهري وطاووس بن كيسان وابن إسحاق أي ست من روايات التابعين أيضاً (فانظرها في الملحق)؛ وبقي من المعارضات ومحاولات صرف الحديث وقد يكون فيها بعض الزيادات، ولكن نريد هنا أن نقتصر على ما روي عن حذيفة وأن نصلها بما بعدها مما سيأتي بيانه وحتى لا نكرر ألفاظ الحديث لأن معظمها مكرر الألفاظ وقد يمل القارئ، فمن أراد الاستزادة فلينظر: بقية أحاديث الدُّبَيْلَة في الملحق.

شيخ الطبراني ضعيف (وقد توبع) وشيخه عباد بن يعقوب ثقة شيعي وهو من شيوخ البخاري (وقد توبع أيضاً)، وتليد مختلف فيه (انظر ترجمته في الملحق)، وفيه سوء حفظ وسوء حفظه ظاهر في بعض ألفاظ الرواية، وأبو الجحاف صدوق، وعدي بن ثابت وشيخه زر بن حبيش ثقتان من رجال الصحيح، وحذيفة حذيفة، فالسند أقل أحواله الحسن لغيره، وهنا ذكر سبعة فقط، والصواب أنهم أربعة عشر، ولعلهم انقسموا قسمين، أو يكون هذا من ذلك الضعف الذي لحق بعض رجال الإسناد. ولعل النبي(ص) أخبر ببقيتهم من متجسسين ومخططين... إلخ، وقوله (لم يصنعوا شيئاً) يراد بهم هؤلاء الملثمون، أي لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً بسبب ضرب وجوه دوابهم وثَبات النبي (ص) ومن معه.

وقول الطبراني (تفرد به عباد)، غير صحيح، فقد توبع من عبد السلام الهروي عند البزار[1]، وإن كان يقصد لم يتابع على القصة فهذا أبعد، فالقصة وردت من طرق كثيرة

(١) متابعة الهروي؛ لعباد بن يعقوب، رواها البزار في مسنده (٧/ ٣٨٤)، فقال: حدثنا الفضل بن سهل، قال: أخبرنا عبد السلام بن صالح، قال: أخبرنا تليد بن سليمان، عن أبي الجحاف، عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش، عن حذيفة رضي الله عنه قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليلة العقبة عدة رجال يعني في العقبة سماهم. وهذا الحديث لا نعلم رواه عن عدي، عن زر، عن حذيفة، إلا أبو الجحاف).

عن حذيفة وعمار وأبي الطفيل وغيرهم. نعم هذا السياق فيه قلب، والصواب أن النبي (ص) أتى العقبة وهم أتوا الوادي.

أما صاحب الجمل الأحمر فالأرجح أنه أبو سفيان. وهذا يفسر (ليلة الجمل، في أخبار أبي سفيان). فقد رويت لفظين (ليلة الجبل) و(ليلة الجمل)، وكلاهما دال، فالجمل جمل أبي سفيان، في ذلك الجبل (العقبة) وكان معاوية يقوده وعتبة يسوقه، وقد جاء لعن الثلاثة، كما في الحديث الآخر، أن النبي (ص) رأى أبا سفيان على جمل أحمر ومعاوية يقوده وعتبة يسوقه فقال: (لعن الله الراكب والقائد والسائق)، وأسانيده صحيحة فهو من شواهد هذا الحديث، والمناسبة هي نفسها على الراجح.

وسننتقل في البحث الآتي عن قصة هذا (الجمل الأحمر)، ولعْن أصحابه (راكبه وقائده وسائقه)، فحديث حذيفة قد أعطانا السبب الذي من أجله لعن النبي (ص) أبا سفيان ومعاوية وعتبة، إذ لا بد لهذا اللعن النبوي من مبرر كبير، فالنبي (ص) كان أعظم الناس خُلُقاً ولا يلعن إلاَّ من لعنه الله، كالذين يؤذون النبي (ص): قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) (الأحزاب: ٥٧).

وقد أشاعت ثقافة الطلقاء ذم اللعن مطلقاً، ويرددون بمكر: (لم يكن النبي (ص) لعَّاناً)؛ وهذه كلمة حق أريد بها باطل، فكونه لم يكن لعاناً، أي لا يهوى اللعن ولا يبحث عنه؛ وإنما يلعن من استحق اللعنة، واللعنة دعاء، ومن لعنه الله لا يتورع النبي(ص) عن لعنه، ثم هؤلاء أعني بني أمية هم مِن أكثر الناس لعناً للأخيار، ومِن أرضى الناس عن الأشرار، هذا علي وآل محمد لُعنوا فوق منابرهم ثمانين سنة، وهؤلاء المقتدون بهم يلعنون المسلمين في قنوتهم، يريدون فقط أن نحرّم على الناس لعنة من لعنَه اللهُ ورسولُه، ونسكت عن لعن مَن يحبه الله ورسوله، وهذا موضوع صغير من جملة مواضيع نكسوا فيها الإسلامَ على رأسه! وليس هذا بأول إفساد أموي لثقافتنا ولن يكون الأخير.

قلت: الفضل بن سهل بن إبراهيم الأعرج البغدادي (ت ٢٥٥هـ) ثقة من رجال الشيخين، وشيخه عبد السلام بن صالح الهروي ثقة (بعضهم ضعَّفه مذهبياً لروايته حديث الطير ونحوه من فضائل علي، وقد توسع الشيخ محمود سعيد ممدوح في توثيقه في تعليقه على تعليقات ابن حجر على أحاديث مشكاة المصابيح)، وتقدم الكلام في بقية رجال الإسناد، فالسند في مرتبة الحسن، والحديث مروي بالمعنى ومختصر.

وقد جاء حديث الجمل الأحمر مرتبطاً بحادثة العقبة وبعض الطرق تذكر الحديث بلا مناسبةٍ، وبلا ذكرٍ للجمل الأحمر، وهي الأكثر، فلذلك خفي الربط بين الجمل الأحمر وقصة العقبة، وسأحاول هنا أن أذكر الأحاديث والروايات في الحديث والرواية بادئاً بذكر الأحاديث والروايات التي فيها ذكر الجمل.

المبحث الثاني
شواهد حديث الدُّبَيْلَة

شاهد (١) حديث الجمل الأحمر

إن من شواهد وقرائن اشتراك أبي سفيان ومعاوية في محاولة اغتيال النبي صلوات الله عليه، حديث الجمل الأحمر، فصاحب الجمل الأحمر هو أبو سفيان وكان معه ابناه معاوية وعتبة، وهو مروي من طريق أبي أيوب الأنصاري وابن عمر والحسن بن علي وسفينة وعاصم الليثي والبراء بن عازب (سنتوسع في هذه الأحاديث في كتاب منفصل عن: الأحاديث في لعن معاوية)، وللحديث قرائن مدعمة من أحاديث قصة العقبة وحديث حنين، وقد سبق حديث الجمل الأحمر في بعض ألفاظ حديث حذيفة، وسننتقي هنا بعض هذه الأحاديث التي فيها إشارة ما إلى أن أحاديث الجمل الأحمر تشير إلى اشترك معاوية وأبي سفيان في تلك القصة أعني محاولة اغتيال النبي(ص) ليلة العقبة، وأن حادثة لعن راكب الجمل وقائده وسائقه كانت قُبيل أو بُعيد أو اثناء المحاولة، وسنترك بقية الأحاديث التي فيها لعن معاوية لكتاب قادم مفصل وفق محاسن منهج أهل الحديث مع اجتناب مساوئ ذلك المنهج وأبرزها العصبية المذهبية جرحاً وتعديلاً، تصحيحاً وتضعيفاً، إعلاناً وإخفاءً.

إذن من الأحاديث ذات الدلالة القريبة على اشتراكه في قصة العقبة والتي فيها ذكر ذلك الجمل الذي كان أبو سفيان راكبه ومعاوية قائده أو سائقه ما يلي:

حديث أبي أيوب الأنصاري: في الجمل الأحمر

قال ابن عساكر: (أخبرنا أبو محمد السلمي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي، وأخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد، أخبرنا أبو بكر بن الطبري، قالا: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل، أخبرنا عبد الله بن جعفر، أخبرنا يعقوب، أخبرنا عبيد الله بن معاذ[1]، أخبرنا

---

(١) تقريب التهذيب، ١/ ٦٣٩: عبيد الله بن معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري أبو عمرو البصري ثقة حافظ رجح بن معين أخاه المثنى عليه من العاشرة مات سنة سبع (أي سنة ٢٠٧هـ) قاله الحافظ.

أبي[١]، أخبرنا ابن عون[٢]، أخبرنا عمر بن كثير بن أفلح[٣]، قال: قدم أبو أيوب على معاوية فأجلسه معه على السرير فجعل معاوية يتحدث ويقول فعَلنا وفعَلنا وأهل الشام حوله فالتفت إلى أبي أيوب وقال من قتل صاحبَ الفرس البلقاء التي جعلتْ تجول يوم كذا وكذا، قال أبو أيوب: أنا قتلتُه إذ أنت وأبوك على الجمل الأحمر معكما لواء الكفر!

قال فنكس معاوية وتشمَّر أهل الشام لأبي أيوب وقالوا وتنمَّروا.

فرفع معاوية رأسه وقال مَهْ مَهْ[٤]، وإلاَّ فلعمري ما عن هذا سألناك ولا هذا أردنا منك)[٥].

قلت: ورواه ابن عساكر بلفظ مقارب بإسناد من طريق ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن عباد بن موسى حدثنا معاذ بن معاذ[٦]، عن ابن عون عن عمر بن كثير بن أفلح مولى أبي أيوب قال.. فذكر نحوه.

والإسنادان متابعان لبعضهما عن معاذ بن معاذ فمن فوقه، وهم ثقات، وفي بعضهم نصب كمعاذ بن معاذ، فهو من النواصب الذين تستر عليهم أهل الحديث، وأهل الحديث لا يرون النصب إلا إذا كان فجّاً، وصاحب البدعة لا يرى بدعته، وعلى كل حال فالسند رجاله ثقات، لكن ظاهره الإرسال إلا أن يكون عمر بن أفلح مع أبي أيوب وهذا هو الراجح لأنه قديماً روى عن كعب بن مالك (وقد مات في خلافة علي على ما ذكره الحافظ في التقريب) وأبو أيوب مات بعد ذلك بأكثر من عشر سنين (نحو ٥٢هـ) وكان والده وهو كلاهما من موالي أبي أيوب، وهم معه في الحضر والسفر، فلا بدَّ

---

(١) هو معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري أبو المثنى البصري القاضي ثقة متقن من كبار التاسعة مات سنة ست وتسعين ع (قاله ابن حجر في التقريب) قلت: وفيه نصب وقد توبع.

(٢) عبد الله بن عون بن أرطبان أبو عون البصري ثقة ثبت فاضل من أقران أيوب في العلم والعمل والسن من السادسة مات سنة خمسين على الصحيح ع (قاله الحافظ)، وفيه نصب فقد يكون أخفى بعض تفاصيل القصة.

(٣) ثقة من رجال مسلم، وفي تقريب التهذيب (١ / ٧٢٥) عمر بن كثير بن أفلح المدني مولى أبي أيوب ثقة من الرابعة خ م. ووالده أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري أبو عبد الرحمن وقيل أبو كثير مخضرم ثقة من الثانية مات سنة ثلاث وستين م.

(٤) مَهْ: فعل أمر بمعنى انكَففْ.

(٥) تاريخ دمشق، ١٦/ ٥٥. مَهْ: فعل أمر بمعنى انكَفِفْ.

(٦) معاذ بن معاذ ثقة سبق، وفيه نصب.

أن يكون شهد القصة (قصة أبي أيوب مع معاوية) التي حدثت قبيل وفاة أبي أيوب.
والإسناد له متابعة عن ابن عون بلفظ مقارب فقد:

رواه البلاذري من طريق المدائني

ففي أنساب الأشراف: (المدائني عن أزهر[1]، عن ابن عون، عن مولى لأبي أيوب الأنصاري، أن أبا أيوب قدم على معاوية فجلس معه على سريره، فقال له: يا أبا أيوب من قتل صاحب الفرس الأشقر الذي كان يجول؟ قال: أنا قتلته يوم كنت أنت وأبوك على الجمل الأحمر تحملان لواء المشركين)[2].

قلت مولى أبي أيوب هو كثير بن أفلح في الإسناد الأول.

التعليق: السند صحيح، فالمدائني ثقة ثقة ثقة (كما قال ابن معين)، وشيخه أزهر بن سعد ثقة بصري من رجال الشيخين، وابن عون وما بعده ثقات تقدموا.

ونقل الذهبي حديث أبي أيوب فقال: (ابن عون: حدثنا محمد، وحدثنا عمر بن كثير بن أفلح...)[3]، فذكر الحديث، ولم يتعقبه الذهبيُّ بشيء مع حرصه على تعقب كل ما يسيء إلى معاوية.

إسناد آخر للقصة عن ابن سيرين عند ابن عساكر

وروي بسند صحيح عن ابن سيرين، ففي تاريخ دمشق: (قال وأخبرنا ابن عون، حدثني محمد بن سيرين مثل هذا الحديث)[4].

التعليق: السند صحيح بمجموع الطرق، وأما المتن فهل هو يوم العقبة؟ أم يوم آخر؟. الأمر يحتاج إلى تدبُّر، وإذا كان معهما لواء الكفر فربما يرجح بعضهم أنه يوم أحد أو الخندق، فيوم أحد محتمل لحصول القتال المباشر بعكس يوم الخندق، إذ لم تحدث يوم الخندق إلا مبارزات ورمي بالسهام، أما يوم العقبة لم يحدث فيه قتال بين

---

(١) هو أزهر بن سعد السمان أبو بكر الباهلي بصري ثقة من التاسعة مات سنة ثلاث ومائتين وهو بن أربع وتسعين خ م د ت س (كما في تقريب ابن حجر) وهو مقرب جداً من ابن عون، وإليه أوصى ابن عون (كما يف تهذيب المزي).

(٢) أنساب الأشراف، ٢/ ١٠٦.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٢/ ٤١١.

(٤) تاريخ دمشق، ١٦/ ٥٦.

المسلمين وغيرهم، ولكن هل من مناسبة ليذكر أبو أيوب عيباً لمعاوية في الجاهلية؟ أم أن بعض النواصب في الإسناد رووا هذه القصة لتتم التغطية على القصة الكاملة (وكان في ابن عون نصب رغم جلالته)، فزادوا قصة الفَرس الذي قتل أبو أيوب صاحبَه، مع أنه لا يعرف في التاريخ حصول هذه الحادثة؟ هل كان سؤال معاوية في موضوع آخر فأجابه أبو أيوب بذكر قصة العقبة والجمل الأحمر؟ وكان أبو سفيان زعيم تلك المحاولة ومعه معاوية. لا ريب في أن الحديث غموضاً قد يكون مقصوداً للتغطية على مصارحة أبي أيوب لمعاوية بقصة الجمل الأحمر ليلة العقبة، فزادوا فيه تلك الفرس التي تجول، ولا أعرف عن قصة هذا الفرس شيئاً ولا عن قتل أبي أيوب لأحد المشركين؛ والنواصبُ أصحابُ مكرٍ، فقد يسبقون إلى الحديث الذي يظنه المنصفون ضد معاوية فيدخلون فيه ما يبطله، فكل سلفي اليوم سيقول: لا يضر، إنما كان ذلك في الجاهلية! وقد جبَّ الإسلامُ ما قبله! والجواب عليهم يقال: فلماذا فهِم أبو أيوب من ذلك ذماً لمعاوية؟ أليس أبو أيوب الأنصاري من السلف الصالح عندكم؟ وهل أنتم أفقه منه حتى يذم معاوية بما جبه الإسلام؟ أم أن في السند نواصب شوَّشوا عليكم، وأن أبا أيوب ربما ذم معاوية بذلك اليوم الذي لعن فيه رسول الله الراكب والقائد والسائق لأنهم كفروا بعد إسلامهم كما في الآية التي نزلت في قصة الاغتيال ليلة العقبة، في سورة التوبة التي نزلت عام تبوك، وهي قوله تعالى: (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (التوبة: ٧٤). فكل التفاسير مجمعة على أن المراد بقوله (وهموا بما لم ينالوا) أي هموا بالفتك برسول الله (ص) تلك الليلة، وكان النبي (ص) قد أعطى أبا سفيان مئة ناقة (يوم حنين) وكذلك أعطى معاوية مثلها، وأدخل لهم حقوقاً في المؤلفة قلوبهم، فأغناهم الله ورسوله من فضله لكنهم كفروا هذه النعم واستخدموها في تكوين أحزاب سرية تعمل على اغتيال النبي (ص) وأذيته بالقول والعمل.

أحاول من وقت لآخر أن أذّكر السلفية المحدثة بأعلام السلفية الأولى إن كانوا جادين في اتِّباع السلف، ولعلهم يعرفون في نهاية هذه الأبحاث التي يتم بها كتاب

معاوية أنهم كانوا مخدوعين من أعلام السلفية المحدثة، وأن السلف الحق أو السلفية العتيقة في وادٍ وهم في واد آخر، بل لو اقتصروا على أعلام الصحابة في مثل هذه الأحاديث لعرفوا ذلك، فقد ذكرنا عدداً لا باس به من أعلام الصحابة والتابعين كعلي وأم سلمة وأبي أيوب الأنصاري وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وأبي ذر وأبي الطفيل وغيرهم كثير وفي حديث واحد فقط من أحاديث مثالب معاوية. فليأتوني بمثل هؤلاء؟ لن يجدوا إلا أن يكذِبوا. نعم السنة غريبة كالإسلام، والزمن الذي يكون فيه الإسلام غريباً ستكون السنة النبوية غريبة قطعاً، لأنها أخص من عموم الإسلام.

حديث الحسن بن علي في الجمل الأحمر

ويشهد له أيضاً حديث الحسن بن علي الذي رواه الزبير بن بكار في المفاخرات[1]، وفيها ذكر الحسن بن علي للمواطن التي لعن فيها النبي (ص) أبا سفيان ومنها قوله:

(والسادسة: يوم الجمل الأحمر

والسابعة: يوم وقفوا لرسول الله وآله في العقبة ليستنفروا ناقته وكانوا اثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان) انتهى ما يخص هذا الحديث.

وهو في جمهرة خطب العرب قول الحسن لمعاوية: (وأنشدك الله يا معاوية أتذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده فرآكم رسول الله وآله فقال اللهم العن الراكب والقائد والسائق)

التعليق: وحديث الحسن هذه مع معاوية في حوار مشهور بأسانيد صحيحة في غير هذا الحديث وقد أفردناه، وسيأتي عند مناقشة حديث (لعن الله الراكب والقائد والسائق)، لكن المتون فيها المختصر وفيها المطول، وإنما قدمت هذه الروايات هنا لأنها من الروابط بين الجمل الأحمر والعقبة، ولكن في لفظ حديث الحسن هنا، يفهم منها أن قصة الجمل الأحمر غير قصة العقبة، فإن كان كذلك فلا يمنع الجمع وأن يكون ذلك الجمل الأحمر الذي كان معهما يوم أحد كان معهما أيضاً يوم العقبة، أو

---

(١) ونقله عنه ابن أبي الحديد، ففي شرح نهج البلاغة (٦/ ٢٨٩) عن كتاب المفخرات قول الحسن: (وأنشدك الله يا معاوية أ تذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده فرآكم رسول الله ص فقال اللهم العن الراكب والقائد والسائق).

أن لعنهم يوم الجمل قبل العقبة، فكان اللعن الأول والثاني متقارباً، بمعنى أن النبي (ص) لعنهما نهاراً قبل العقبة، وكانوا قد كمروا بجوار قبة النبي (ص) فلعنهم لعلمه بتجسسهم وتخطيطهم لاغتياله، ثم لعنهم أثناء المحاولة، فيكون لعنه يوم الجمل الأحمر سابقاً للعنه ليلة العقبة، ويكون ذلك اليوم هو الذي سبق العقبة مباشرة، إذ بلغ التخطيط والتجسس والتحفز ذروته، ولهذا شواهد سبقت وستأتي.

ولكني وجدت في كتب الشيعة الإخبارية ما يبريء معاوية من حديث الحسن هذا، ويجعل يوم الجمل الأحمر يوم الأحزاب، كما في بحار الأنوار للمجلسي[1]، إلا أن روايات أهل السنة أثبت من روايات الشيعة سنداً ومعنى.

حديث عمار بن ياسر في الجمل الأحمر

حديث أبي تحيى عن عمار، ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة أبي موسى الأشعري قول عمار لأبي موسى (وأن النبي (ص) لعنه ليلة الجمل)! واعتراف أبي موسى وزعمه أن الرسول قد استغفر له فلم يصدِّقه عمار[2]. وكان أبو موسى حليف معاوية (كما سيذكر ذلك معاوية نفسه وسيأتي، وكان أبو موسى حليفاً لبني أمية من أيام الجاهلية، وكانت أمه من عك (وعك منها قبائل عسير حالياً) أقامت بمكة وولدته بمكة، ومع أن أبا موسى أفضل من معاوية بكثير إلا أن الحديث في نفاقه واتهامه صح

---

(١) بحار الأنوار، ٤٤/ ٧٧. وقد جاء ذلك في حديث طويل وفيه قول الحسن: (أنشدكم بالله! هل تعلمون أنها أقول حقا، إنك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر، ويقوده أخوك هذا القاعد، وهذا يوم الأحزاب، فلعن رسول الله صلى الله عليه وآله الراكب والقائد والسائق، فكان أبوك الراكب، وأنت يا أزرق السائق وأخوك هذا القاعد القائد؟). والسند ضعيف من مرسل الشعبي ويزيد بن أبي حبيب أما أحاديث أهل السنة فمتصلة وصحيحة وأنها بعد إسلامه كما سيأتي في حديث سفينة.

(٢) تاريخ دمشق، ٣٢/ ٩٣: (... من طريق ابن عدي، حدثنا احمد بن الحسين الصوفي، حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار، حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن عمران بن ظبيان، عن أبي تحيى حكيم، قال: كنت جالساً مع عمار فجاء أبو موسى فقال: ما لي ولك، قال ألست أخاك؟ قال: ما أدري، إلا أني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يلعنك ليلةَ الجمل. قال إنه قد استغفر لي. قال عمار: قد شهدتُ اللعنَ ولم اشهد الاستغفار).

قلتُ: قد حاولوا تضعيف الحديث لوجود العطار، وهو ثقة وقد وثقه الخطيب البغدادي وقال محمد بن منصور (كان ثقة مأموناً حسن النقل)؛ بينما استنكره ابن عدي مذهبياً، وقد صحَّ اتهام حذيفة وعمار لأبي موسى من غير هذا الطريق.

سنده عندهم كما سبق، فإذا صح السند بأن أبا موسى كان منهم فلماذا لا يكون معاوية منهم؟ إذن فمعاوية لأنه سلطان القوم وعنه نتج الفكر الأموي فقد تعرضت الأحاديث في ثلبه واتهامه لكثير من البتر والتعمية والغموض والبتر والإخفاء والصرف إلى غيره... إلخ، إذ كان له جهاز كبير من القُصَّاص والوعَّاظ والمحدِّثين والفقهاء... إلخ، والتلازم بين سلاطين السوء وعلماء السوء هو الأصل في النصوص الشرعية والواقع التاريخي.

وقد تحرَّفت كلمة (الجمل) في بعض الروايات إلى كلمة (الحملق)! وهي كلمة لا معنى لها، ولا استبعد أن تكون مقصودة! وهناك أيضاً ليلة الجبل (وهذه قريبة من الصواب فالعقبة والجبل معنى متقارب.

شاهد (٢): (لعن الله الراكب والقائد والسائق)

وهذا الحديث فيه ذكر الجمل الأحمر، أو الجمل فقط، أو البعير،... إلخ، وذلك في كثير من طرق الحديث، إلا أن الحديث روى بالمعنى فلا يتم التركيز على مناسبة الحديث حتى نتيقن أنه يوم العقبة، فمناسبته ليست بتلك الصريحة بأن هذا الحديث كان يوم عقبة تبوك، ولكن تشابك الأحاديث (حديث العقبة عقبة تبوك مرتبط بحديث الجمل الأحمر، وحديث الجمل الأحمر مرتبط بحديث لعن الله الراكب والقائد والسائق)، وهذا الحديث روي عن سفينة وابن عمر والحسن بن علي والمهاجر بن قنفذ وغيرهم، وقد أهملنا أحاديث أخرى قريبة في المعنى إلا أن مناسبات تلك الأحاديث متباعدة عن مناسبة حديث الجمل الأحمر.

أما حديث سفينة في لعن الراكب والقائد والسائق

فروي من طريق سعيد بن جمهان، رواه البلاذري والبزار.

والحديث من طريق سفينة في مسند البزار، قال البزار: (حدثنا السكن بن سعيد، قال: حدثنا عبد الصمد[1]، قال: حدثنا أبي[2]، ح: وحدثناه حماد بن سلمة عن سعيد بن

(١) هو عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد العنبري مولاهم التنوري البصري صدوق ثبت في شعبة من التاسعة مات سنة سبع روى له الجماعة ووالده هو عبد الوارث بن سعيد ثقة أيضاً..

(٢) هو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان العنبري مولاهم أبو عبيدة التنوري بفتح المثناة وتشديد النون البصري ثقة ثبت رمي بالقدر ولم يثبت عنه من الثامنة مات سنة ثمانين ومائة ع (قاله الحافظ ابن

جمهان عن سفينة، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان جالساً فمر رجل على بعير وبين يديه قائد وخلفه سائق، فقال: لعن الله القائد والسائق والراكب)[١].

التعليق:

السند صحيح[٢]، إلا أن قوله (كان جالساً)، يصرفه إلى مناسبة أخرى، فلعله مروي بالمعنى. ولن يلعنهما النبي (ص) إلا على شيء عظيم لما تواتر من خلق النبي (ص) وأنه لا يلعن إلا مستحقاً.

و رواه البلاذري في أنساب الأشراف

قال: حدثنا خلف[٣]، حدثنا عبد الوارث بن سعيد[٤]، عن سعيد بن جمهان[٥]، عن سفينة مولى أم سلمة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان جالساً فمرَّ أبو سفيان ومعه معاوية وأخ له أحدهما يقود البعير والآخر يسوقه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لعن اللهُ الحاملَ والمحمولَ والقائدَ والسائقَ)[٦].

أقول: الإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات لكن في المتن لفظة (الحامل) شاذة والصواب الحديث المشهور (لعن الله الراكب والقائد والسائق) والراكب هو

حجر في التقريب).

(١) مسند البزار، ٩/ ٢٨٦.

(٢) وقال الهيثمي في المجمع، ١/ ١١٨: رواه البزار ورجاله ثقات.

(٣) خلف: هو خلف بن هشام البزار (٢٢٩هـ)، ثقة من رجال مسلم، وفي تقريب التهذيب: (خلف بن هشام بن ثعلب البزار المقرىء البغدادي، ثقة له اختيار في القراءات من العاشرة مات سنة تسع وعشرين م د).

(٤) عبد الوارث بن سعيد (١٨٠هـ) ثقة من رجال الجماعة. وفي تقريب التهذيب: (عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان العنبري مولاهم أبو عبيدة التنوري البصري، ثقة ثبت رُمي بالقدر ولم يثبت عنه من الثامنة مات سنة ثمانين ومائة ع). وقد توبع من حماد بن سلمة (من رجال مسلم) فالتقت الأسانيد عند سعيد بن جمهان.

(٥) سعيد بن جمهان الأسلمي (١٣٦هـ) (بصري صدوق له أفراد) قاله ابن حجر. والصواب أنه ثقة وكان أحمد يطرد من المسجد من يضعِّف حديثه (الخلافة ثلاثون عاماً...)، ورغم خطأ أحمد في هذا العنف إلا أنه يدل على غاية في التوثيق لابن جمهان، والغريب أن نواصب العصر كمحب الدين الخطيب ومن تبعه ينفردون عن أهل السنة بتضعيف حديثه (الخلافة ثلاثون عاماً ثم تكون ملكاً عضوضاً)، لحماية معاوية من وصفه بالملك العضوض، ويبالغون في الثناء على أحمد وعلمه بالحديث والعقائد، ولو كانوا في عهد أحمد لأخرجهم من المساجد!.

(٦) أنساب الأشراف (بنو عبد شمس)، ١٢٩، تحقيق إحسان عباس.

المحمول، وأما البعير فلا ذنب له.

التعليق:

ولكن قوله (كان جالساً)، يُشعر بأن المناسبة قد لا تكون يوم العقبة، إلا أن يكون تكرر هذا في المدينة بعد عودتهم، فمروا على النبي (ص) ومعهم ذلك الجمل الأحمر، وكان النبي (ص) جالساً، أو يكون الحديث مروياً بالمعنى، لأنه لا معنى لأن يلعنهم النبي (ص) دون ارتكابهم ذنباً عظيماً يستحقون عليه اللعنة، وأبلغ ما يمكن أن يكون ذلك هو محاولة اغتيال النبي (ص) في تلك العقبة، ويدل على ذلك سياق حديث قيس بن عباد، وذكر الجمل الأحمر، وذكر أن أبا سفيان كان منهم.

ثم وجدت لذلك احتمالاً بأن النبي (ص) رآهم بعد العقبة، فإن النبي (ص) بعد تجاوزه العقبة استراح بأصحابه وعرض عليه بعض الصحابة أن يبعث إلى هؤلاء فيقتلهم، فأجابهم بالحديث المشهور (حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)؛ وهذا الحديث قد كرره النبي (ص) في موضعين على الأقل يوم المريسيع عندما تخاصم المهاجرون والأنصار ويوم عقبة تبوك.

والحديث رواه ابن عمر أيضاً (أي حديث: لعن الله الراكب والقائد والسائق)

رواه نصر بن مزاحم، عن تليد بن سليمان (مختلف فيه)[1]، حدثني الأعمش (ثقة)

---

(١) قوّى أمرَه أحمد وقال (كان مذهبه التشيع ولا بأس به كتبت عنه حديثاً كثيراً عن أبي الجحاف)؛ والعجلي وقال (لا بأس به وكان يتشيع ويدلس)؛ ومحمد بن عبد الله بن عمار وقال: (زعموا أنه لا بأس به)؛ وحسن له الترمذي وضعفه يحيى بن معين بسبب تشيعه وقال (كذاب يشتم عثمان)!!؛ وأبو داود (رافضي خبيث يشتم أبا بكر وعمر)؛ والنسائي (ضعيف)؛ ويعقوب بن سفيان (رافضي خبيث)؛ وعبيد الله بن موسى وصالح جزرة وابن عدي (ضعيف)؛ والدارقطني والحاكمان أبو عبد الله وأبو أحمد وابن حبان والدارقطني والساجي.

أقول: وقد روى الجوزجاني عن أحمد تكذيبه، لكن الجوزجاني ناصبي فلا يؤمن كذبه عن أحمد لا سيما وأن الثابت عن أحمد تقوية أمره والإكثار من الرواية عنه.

ثم معظم المضعفين له كان بسبب التشيع وشتمه لعثمان أو لأبي بكر وعمر وهذا لا يعد طعناً لأن الخوارج كان يلعنون علياً ويشتمونه وكذا النواصب ومع ذلك فالثقة منهم ثقة، وكذا الأمر في الشيعي أو الرافضي، فإن كان شتم الصحابي طعناً فيجب أن يكون شتم علي ولعنه طعناً، وإن كان لا يعد طعناً فلا يجوز أن يكون شتم عثمان طعناً بينما شتم علي لا يعد طعناً، هذه ازدواجية النواصب، بل إن التحذير من شتم علي كان أبلغ لحديث (من سب علياً فقد سبني)، وهو حديث حسن.

فالصواب في تليد بن سليمان أنه ضعيف إلا في المتابعات والشواهد وهذه منها؛ وأما تدليسه فمأمون

عن علي بن الأقمر (ثقة) قال: وفدنا على معاوية وقضينا حوائجنا ثم قلنا لو مررنا برجل قد شهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعاينه فأتينا عبد الله بن عمر.. فذكر الحديث وفيه قال:

(وخرج من فجٍّ فنظر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (اللهم العن القائد والسائق والراكب)، قلنا: أنت سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قال: نعم وإلا فصمتا أذناي كما عميت عيناي..الحديث)[1].

والحديث رواه الحسن بن علي (أي حديث: لعن الله الراكب والقائد والسائق)

رواه الطبراني في المعجم الكبير، فقال: (حدَّثنا زكريا بن يحيى الساجي (ثقة)[2]، حدَّثنا محمد بن بشار بندار (ثقة من شيوخ البخاري) حدَّثنا عبد الملك بن الصباح المسمعي (ثقة)[3]، حدَّثنا عمران بن حدير (ثقة)[4]، أظنه[5]، عن أبي مجلز (ثقة)[6]، قال: قال عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة لمعاوية في حديث صلح الحسن ومعاوية في رواية طويلة وفيها قول الحسن: (بالله عليك يا عمرو وأنت يا مغيرة تعلمان أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: لعن الله السائق والراكب) أحدهما فلان؟ قالا: اللهم بلى...الحديث)[7].

أقول: الإسناد صحيح ورجاله كلهم ثقات، فالحديث بهذا الإسناد وإسناد سفينة

لأنه قد صرح بالتحديث عن الأعمش.

(١) وقعة صفين، ٢٢٠.

(٢) زكريا بن يحيى الساجي (٣٠٧هـ) وهو ثقة مشهور من شيوخ النسائي ومعاصريه.

(٣) عبد الملك بن الصباح المسمعي الصنعاني ثم البصري (٢٠٠هـ) ثقة من رجال الشيخين.

(٤) في الأصل (جدير) وهو خطأ والتصحيح من التقريب ترجمة (٨٤١٥) وهو عمران بن حدير السدوسي أبو عبيدة البصري، قال عنه الحافظ (ثقة ثقة) من رجال مسلم والسنن، مات سنة ١٤٩هـ فهو في طبقة معمر وهشام بن حسان.

(٥) لا أعرف من الظان؟! ولعله المسمعي لقلة الكتابة يومئذ.

(٦) أبو مجلز هو لاحق بن حميد البصري (١٠٦هـ) وهو ثقة من رجال الجماعة وهو تابعي روى عن بعض الصحابة كأسامة بن زيد والحسن بن علي وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عمر وغيرهم وقد اتهم بحب علي ومرة بحب عثمان وحب الرجلين مع الثقة لا تضر!!

(٧) المعجم الكبير للطبراني، ٣/ ٧١.

أقل أحواله الحسن لذاته الصحيح لغيره وكلاهما حجة عند أهل الحديث.

وسبق أن الحسن بن علي ذكر أن النبي (ص) لعن أبا سفيان في سبعة مواطن، منها يوم العقبة يوم الجمل الأحمر، وكلاهما في عقبة تبوك، أو أن أحدهما يوم تبوك والأخرى في ثنية هرشى، وهذا يحتاج إلى بحث.

وتعقيباً على ما ورد في الخبر من أن النبي (ص) (لعن الله السائق والراكب، أحدهما فلان)، نقول إن المعني بـ (فلان) هو معاوية كما هو واضح في الرواية، وأكثر ما ورد في السير والمغازي والمثالب من قولهم (فلان) هو في معاوية وحزبه ولكنهم عندما وصلوا للسلطة تمَّ إخفاء هذه الأسماء، والتراث الإسلامي امتاز عن غيره من تراث الأمم بكثرة ورود اسم (فلان)! لأن هؤلاء (الفلانيين) حكموا فخافهم الرواة ثم قلَّدهم المصنفون، وبعض المصنفين ورثوا هذا الهوى، فيؤدي هذا الإخفاء لذهاب ثمرة الحديث، لأنه إن لم نعلم من هو المذموم بطلت ثمرة الحديث، فلا يطيب حلو الحديث إلا بمره، ولم يذهب النبي (ص) من الدنيا إلا وقد علم أصحابه كل شيء يحتاجون إليه ويحذون منه، ثم تركهم للابتلاء ليعلم الصادقين منهم ويعلم الكاذبين، وهذا التمحيص كان في عهد النبوة وبعدها، ومثلما عاتب الله الصحابة بأن فيهم سماعون للمنافقين فهذه العادة إن لم يتخلصوا منها في عهد النبي (ص) فلن يتخلصوا منها بعده، والنفاق هو الذي فرق الأمة شيعاً، وقد علمنا صفات المنافقين العامة كالكذب، ولكن إذا لم نعلم ما حدثونا هل هو كذب أم لا، فلننظر المحددات الأخرى الأكثر خصوصية مثل بغض أخلص الناس للنبي (ص): (لا يبغض الأنصار إلا منافق).. (لا يبغض علياً إلا منافق) وعندئذ سنعرف أن أمتنا قد خاضت في النفاق إلى الرُّكَب، وتركت صفة الخيرية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلو قامت هذه الأمة بالأمر بالمعروف على وجهه والنهي عن المنكر على وجهه لما شاع الاستبداد في وقت مبكر (بعد ثلاثين سنة من وفاة النبي (ص)، ولما استمر الاستبداد إلى يومنا هذا، وهذه الفتن يرقق بعضها بعضاً، من ترك إرشادات النبي (ص) للأفضل لهم، إلى ترك الشورى بين صالحيهم، إلى التخاذل في نصرة مؤمنيهم، إلى السكوت عن ظالميهم، إلى الركون إلى الذين ظلموا وإعانتهم، إلى تحريف الدين للسلطة والمصالح الشخصية إلى استثمار مجموعة من المغفلين ليجعلوا كل هذا ديناً وعقيدة، إلى تصديق الخلف وتدينهم بما طبخه

لهم السلطان ووعاظه، إلى ما ترون اليوم! لا عقل ولا مروءة، لا علم ينجي ولا دين على جادة، حتى مكارم الأخلاق التي بعث الأنبياء لإتمامها عملت السلطة وعلماؤها ومغفلو الصالحين لتدمير ما تبقى من مكارم أهل الجاهلية، فأصبحنا لا مؤمنين مع الذل ولا كفاراً أحراراً.

حديث المهاجر بن قنفذ (الثلاثة والبعير):

قال: (رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثلاثة على بعير فقال: الثالث ملعون).

قال الهيثمي في المجمع: (رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات)[1].

ولفظ هذا الحديث ليس بذاك المستقيم فقوله (الثالث ملعون)، فيه غموض، والصواب أنه لعنهم جميعاً، لكن كأن في الخبر اختصار شديد وفي لفظه اختلاف عما سبق، وقد تركت أحاديث من هذا الجنس، واقتصرت على ما يشبه حديث الجمل الأحمر، ومن أحاديث الجمل الأحمر ما يشبه أحاديث (ليلة الجمل = أي العقبة) وهكذا.

فإما أن تكون هذه مناسبة واحدة تعددت فيها ألفاظ الحديث وإما أن رسول الله (ص) لعن معاوية وأبا سفيان في مناسبات متعددة. فلتختر السلفية المحدثة ما شاءت منهما.

تعامل النبي (ص) مع هؤلاء بعد الوصول إلى المدينة

يظهر أن النبي (ص) ومن باب الاستجابة لقوله تعالى)جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم(، أن مجاهدته المنافقين كانت بالموعظة البليغة وذمهم الذم الظاهر الذي يعرفه كل شاهد عيان، ورغم فقر التاريخ والحديث في هذا الجانب ورغم أن السلطة ستضع ثقلها الأكبر في التكتم على هذه المرحلة الخطيرة (حال هؤلاء بعد تبوك)، إلا أنه قد وردت أحاديث وروايات كتب الله لها النجاة من مقص الرقيب فوصلت إلينا، لأنه لا يعقل أن يأمر الله نبيه الأكرم بالغلظة على المنافقين ثم لا ينفذ هذا الأمر، فالصواب أن السلطة أخفت هذه الغلظة، ولو كانت في منافقي الأنصار لما خفيت على

---

(١) مجمع الزوائد، ١/ ١١٨. قلت: مسند المهاجر في الأجزاء المفقودة من معجم الطبراني فلا أستطيع الحكم على الإسناد لكن هذا الحديث شاهد قوي لاسيما مع توثيق الهيثمي

أحد، إنما لأن الغلظة كانت في منافقي قريش ولكونهم قد حكموا وتحكموا في كثير من هذا الإنتاج فقد خفيت استجابة النبي (ص) لهذه الغلظة المأمور بها شرعاً.

ومن الأحاديث والآثار التي وصلت إلينا وأرجِّح أنها بعد تبوك (بعد محاولة حادثة الاغتيال) في آخر النبوة ما يلي:

المبحث الثالث
الأحاديث الرابطة بين محاولة الاغتيال والإغلاظ عليهم في المدينة

١. من الأحاديث الرابطة: حديث الحسن البصري:

وهو يربط بين العقبة وما جرى في المدينة ـ: ففي الدر المنثور: (وأخرج أبو الشيخ عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن قوماً قد هموا بهم سوءاً وأرادوا أمرا فليقوموا فليستغفروا فلم يقم أحد ثلاث مرار!

فقال: قم يا فلان قم يا فلان!

فقالوا: نستغفر الله تعالى!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله لأنا دعوتكم إلى التوبة والله أسرع إليكم بها وأنا أطيب لكم نفساً بالاستغفار أخرجوا)[1].

التعليق: الحديث مرسل، ولم أجد إسناده، وأبو الشيخ سلفي، وقوله (بهم) لعله (به)، أي هموا بالنبي (ص) سوءاً وأرادوا أمراً. واللفظ الأخير فيه غموض (يفسره ما ننقله عن الطوسي والرازي)، ثم التعمية على الأسماء وتفصيل الحادثة لها ظروف سياسية ومذهبية.

وقد جاءت رواية الحسن البصري عند الشيعة الإمامية مع تفصيل أفضل، ففي تفسير التبيان للطوسي، قال: (وذكر الحسن في هذه الآية: أن اثني عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق وائتمروا به فيما بينهم، فأخبره الله بذلك، وقد دخلوا على رسول الله، فقال رسول الله: إن اثني عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق، وائتمروا به فيما بينهم، فليقُم أولئك فليستغفروا ربهم، وليعترفوا بذنوبهم حتى اشفع لهم. فلم يقم أحد. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا تقومون؟ مراراً. ثم

---

(١) الدر المنثور، ٤/ ٢٤٥.

قال: قم يا فلان وأنت يا فلان، فقالوا يا رسول الله نحن نستغفر الله ونتوب إليه، فاشفع لنا. قال: الآن أنا كنت في أول أمركم أطيب نفساً بالشفاعة، وكان الله تعالى أسرع إلى الإجابة أخرجوا عني، فأُخرجوا عنه حتى لم يرهم)[1].

ونحو هذا ذكر الرازي في تفسير سورة التوبة: (واعلم أنهم كانوا يسمون سورة براءة، الحافرة حفرت عما في قلوب المنافقين، قال الحسن: اجتمع اثنا عشر رجلاً من المنافقين على أمر من النفاق، فأخبر جبريل الرسول عليه الصلاة والسلام بأسمائهم، فقال عليه الصلاة والسلام: إن أناساً اجتمعوا على كيت وكيت، فليقوموا وليعترفوا وليستغفروا ربهم حتى أشفع لهم. فلم يقوموا، فقال عليه الصلاة والسلام بعد ذلك: قم يا فلان ويا فلان، حتى أتى عليهم ثم قالوا: نعترف ونستغفر فقال: الآن أنا كنت في أول الأمر أطيب نفساً بالشفاعة، والله كان أسرع في الإجابة، اخرجوا عني اخرجوا عني. فلم يزل يقول حتى خرجوا بالكلية، وقال الأصم[2]: إن عند رجوع الرسول عليه الصلاة والسلام من تبوك وقف له على العقبة اثنا عشر رجلا ليفتكوا به فأخبره جبريل، وكانوا متلثمين في ليلة مظلمة وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم، فأمر حذيفة بذلك فضربها حتى نحاهم، ثم قال: من عرفت من القوم فقال: لم أعرف منهم أحداً، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم أسماءهم وعدَّهم له، وقال: إن جبريل أخبرني بذلك، فقال حذيفة: ألا تبعث إليهم ليُقتلوا، فقال: أكره أن تقول العرب قاتلَ محمدٌ بأصحابه حتى إذا ظفرَ صار يقتلهم، بل يكفينا اللهُ ذلك)[3].

وقال في موضع آخر ناسباً الرواية كلها للأصم: (قال أبو بكر الأصم إن قوماً من المنافقين اصطلحوا على كيد في حق الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم دخلوا عليه

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، ٣/ ٢٤٤.

(٢) هو أبو بكر الأصم (ت ٢٠١هـ): صرح باسمه الرازي في مكان آخر، ونسب له رواية الحسن مع زيادته هذه، وهو المعتزلي المشهور في الظاهر، وهو من طبقة شيوخ أحمد، وفيه نصب، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٠٢): (شيخ المعتزلة، أبو بكر الأصم، كان ثمامة بن أشرس يتغالى فيه، ويطنب في وصفه، وكان ديناً وقوراً، صبوراً على الفقر، منقبضاً عن الدولة، إلا أنه كان فيه ميل عن الإمام علي، مات سنة إحدى ومئتين، وله تفسير، وكتاب خلق القرآن، وكتاب الحجة والرسل، وكتاب الحركات، والرد على الملحدة، والرد على المجوس، والأسماء الحسنى، وافتراق الأمة، وأشياء عدة، وكان يكون بالعراق).

(٣) تفسير الرازي، ١٦/ ١٢٠.

لأجل ذلك الغرض فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره به، فقال صلى الله عليه وسلم: إن قوماً دخلوا يريدون أمراً لا ينالونه، فليقوموا وليستغفروا الله حتى أستغفر لهم فلم يقوموا، فقال: ألا تقومون، فلم يفعلوا فقال صلى الله عليه وسلم: قم يا فلان قم يا فلان حتى عد اثني عشر رجلاً منهم، فقاموا وقالوا: كنا عزمنا على ما قلت، ونحن نتوب إلى الله من ظلمنا أنفسنا فاستغفر لنا، فقال: الآن اخرجوا أنا كنت في بدء الأمر أقرب إلى الاستغفار: وكان الله أقرب إلى الإجابة اخرجوا عني)[1].

وهذه الرواية كأنها تخبر أن هؤلاء الاثني عشر كرروا المؤامرة في المدينة بعد أن فشلت مؤامرة العقبة في تبوك، وهذا إن صح فنفاقهم خطير وإصرارهم عظيم، ولأمرٍ ما منع معاوية الحديث عن رسول الله وكان يرسل للصحابة مهدداً (وهذا له مبحث خاص)، ومعاوية لن ينهى عن الحديث مطلقاً إلا من يخشى منه شيئاً، وإنَّ حجة خشية الاختلاط بالقرآن الكريم المزعومة لا تقنع أحداً، ذلك أن معاوية كان يستخدم الحديث الموضوع وينهى عن رواية الحديث الصحيح حتى اختلطت المنظومة الحديثية كما ترون.

ومن الأحاديث الرابطة: حديث ثابت البناني

في الطبقات الكبرى لابن سعد: (أخبرنا هاشم بن القاسم، قال: حدثني سليمان، عن ثابت، يعني البناني، قال: اجتمع المنافقون فتكلموا بينهم، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: إن رجالاً منكم اجتمعوا فقالوا كذا وقالوا كذا، فقوموا واستغفروا الله وأستغفر لكم، فلم يقوموا فقال: ما لكم؟ قوموا فاستغفروا الله وأستغفر لكم، ثلاث مرات، فقال: لتقومن أو لأسمينَّكم بأسمائكم! فقال: قم يا فلان، قال: فقاموا خزايا متقنعين)[2].

وكلام المنافقين هو تداولهم قبيل العقبة في أمر اغتيال النبي (ص) ومن ذلك قولهم: (فَقَالَ أُنَاسٌ: لَوْ دَفَعْنَاهُ السَّاعَةَ فَوَقَعَ فَانْدَقَّتْ عُنُقُهُ اسْتَرَحْنَا مِنْهُ)، ونحو هذا الكلام، إلا أن ضغط السلطة أدى إلى تشتت الأحداث والأقوال وغموضها.

---

(١) تفسير الرازي، ١٠/ ١٦٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ١/ ١٧٦.

ومن الأحاديث الرابطة حديث ابن عباس:

هو يربط المنافقين بما نزل في سورة التوبة في حقهم

ففي المعجم الأوسط للطبراني: (حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس في قوله: (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) (التوبة: ١٠١). قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة خطيباً، فقال: قم يا فلان فاخرج، فإنك منافق، اخرج يا فلان، فإنك منافق. فأخرجهم بأسمائهم، ففضحهم، ولم يكن عمر بن الخطاب شهد تلك الجمعة لحاجة كانت له، فلقيهم عمر وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منهم استحياء أنه لم يشهد الجمعة، وظن أن الناس قد انصرفوا، واختبأوا هم من عمر، وظنوا أنه قد علم بأمرهم، فدخل عمر المسجد، فإذا الناس لم ينصرفوا. فقال له رجل: أبشر يا عمر، فقد فضح الله المنافقين اليوم، فهذا العذاب الأول، والعذاب الثاني عذاب القبر)[1].

التعليق:

قوله: والعذاب الثاني عذاب القبر كأنه مدرج من أحد الرواة، وهي زيادة مخالفة للقرآن الكريم، وإلا فماذا يكون عذاب المنافقين يوم القيامة؟ هل هو العذاب الثالث؟ كلا، فالله لم يذكر إلا عذابين، وذكر أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، فهذا هو العذاب الثاني، وأما العذاب الأول فيظهر أن العذاب في الدنيا بالخزي والأمراض كالدبيلة ونحوها.

ثم عذاب القبر ونعيمه وإن كان فيه خلاف بين المسلمين، هل هو لكل البشر أم لحالات، وهل يقع على الجسد والروح أم يقع ذلك على الروح فقط، وهذا كله يحتاج إلى بحث، وقناعتي لو قلتها الآن لن تفيد لأنها غير مبنية على بحث، وقد تتغير حسب البحث.

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني، ٢/ ٣٠٣.

ومن الأحاديث الرابطة: حديث أبي مسعود البدري

وهو شاهد لحديث ابن عباس فاللفظ متقارب

ففي مسند أحمد: (حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن سلمة، عن عياض بن عياض، عن أبيه عن أبي مسعود، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن فيكم منافقين فمن سمَّيتُ فليقم، ثم قال: قم يا فلان قم يا فلان قم يا فلان، حتى سمى ستةً وثلاثين رجلاً، ثم قال إن فيكم أو منكم فاتقوا الله؛ قال فمرَّ عمر على رجلٍ ممن سمَّى مقنع قد كان يعرفه قال: مالك؟ قال فحدَّثَه بما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: بُعداً لك سائر اليوم)[1].

والحديث لدى البيهقي من طريقين، (قالا: حدثنا أبو أحمد، حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن عياض بن عياض، عن أبيه، عن أبي مسعود، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر في خطبته ما شاء الله عز وجل، ثم قال: أيها الناس، إن منكم منافقين، فمن سميت فليقم، قم يا فلان، قم يا فلان)، حتى عد ستة وثلاثين، ثم قال: إن فيكم أو إن منكم فسلوا الله العافية، قال: فمرَّ عمر برجل متقنع قد كان بينه وبينه معرفة، فقال: ما شأنك؟ فأخبره بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: بُعداً لك سائر اليوم)[2].

التعليق: إذن فهؤلاء الستة والثلاثون كأنهم رؤوس الخليَّتين، خلية العقبة، وخلية مسجد الضرار، فخلط الناس وذكروا خلية الضرار وتركوا أخرى. ولن يتركوا إلا الأقوى للظروف السياسية، وإذا كانت خلية العقبة بين اثني عشر وخمسة عشر رجلاً، فالخلية الأخرى قريبة العدد من هذا، والاختلاف في الخلية الواحدة كخلية العقبة بين اثني عشر وخمسة عشر يمكن الجمع بينه بأنه عذر ثلاثة لم يكونوا يعلمون بخطة القوم، وكان مجيئهم من العقبة معصية أو أنهم لم يسمعوا نهي النبي (ص) بعد الإتيان من العقبة أو نحو ذلك مما يخرجهم من المنافقين بعد قبول عذرهم[3].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ٥/ ٢٧٣.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي، ٥/ ٣٦٤.

(٣) والسلفية المحدثة خرجت هذا الحديث من أحاديث الروابط تخريجاً ضعيفاً هزيلاً، ففي الفتاوى الحديثية للحويني (١/ ٩٩): (عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله

والحديث الآتي حديث عاصم الليثي سمَّى لنا بعض هؤلاء المنافقين ومنهم أبو سفيان ومعاوية.

صلى الله عليه وسلم خطبة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: إن منكم منافقين، فمن سميت فليقم)، فذكر الحديث.

فقال الحويني: أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ١ / ٢٣)، والطبراني في الكبير (ج١٧ رقم ٦٨٧)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٢٨٦) من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين، ثنا سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن رجل، عن أبيه قال سفيان: أراه عياض بن عياض عن أبي مسعود. فذكره، قلتُ الحويني ــ: كذا شك في شيخ سلمة بن كهيل، وقد رواه وكيع بن الجراح وأبو حذيفة معًا عن الثوري، عن سلمة، عن عياض بن عياض، عن أبيه، عن أبي مسعود به، أخرجه أحمد (٥ / ٢٧٣)، والبيهقي في الدلائل (٦ / ٢٨٦)، قال الهيثمي في المجمع (١/ ١١٢): (فيه عياض بن عياض عن أبيه، ولم أر من ترجمها). كذا قال! وعياض بن عياض ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ ١ / ٤٠٩)، وقال: (روى عن أبيه عن أبي مسعود الأنصاري، روى عن سلمة بن كهيل وموسى بن قيس الحضرمي). ولم يزد على ذلك، وأما أبوه فهو عياض بن عياض أيضاً، فترجمه ابن حبان في الثقات (٥/ ٢٦٧)، وقال: (عياض بن عياض يروي عن أبي مسعود، روى عنه الثوري وابنه عياض بن عياض. فالسند ضعيف لجهالة عياض بن عياض وأبيه. والله أعلم)، قلت: ولم يذكر الشيخ الحويني إلا هذا الطريق وأهمل الطرق الأخرى والقصة كلها، أو كان يجهل تلك الطرق والشواهد والقصة، وهذا الذي أضعف أهل الحديث، فهم لا يصلون إلى معلومة في الأحاديث المفرقة والمقطعة ولا يراقبون الأثر السياسي والمذهبي فلذلك تكون نتائجهم هزيلة جداً ليس فيها إلا استدراك على إسناد واحد أخطأ فيه الهيثمي.

المبحث الرابع
الإغلاظ للمنافقين بالمدينة

أمر الله عز وجل في سورة التوبة النبيَّ (ص) أمراً واضحاً بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (التوبة: ٧٣ ٧٤)

والسؤال: أين تنفيذ النبي (ص) لهذا الأمر الإلهي، من الإغلاظ على المنافقين ومجاهدتهم ولو بالقول؟

والجواب: لأن هذا الإغلاظ كان في حق معاوية وأبي سفيان وأمثالهما فاختفى هذا الإغلاظ، إلا أنه لم يختفِ تماماً بل بقيت أحاديث قليلة صحيحة الأسانيد ومنها:

حديث عاصم الليثي (القائد والمقود) في المدينة:

أخرجه الطبراني فقال: (حدثنا العباس بن الفضل، حدثنا موسى بن إسحاق، وحدثنا عبد الرحمن بن الحسين التستري، حدثنا عقبة بن سنان، قالا: حدثنا غسان بن مضر (ثقة)، عن سعيد بن يزيد أبي سلمة (ثقة)، عن نصر بن عاصم الليثي (تابعي ثقة)، عن أبيه، قال: دخلت مسجد المدينة فإذا الناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله.

قال: قلت: ماذا؟!

قالوا: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخطب على منبره فقام رجل فأخذ بيد ابنه فأخرجه من المسجد، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لعن الله القائد والمقود، ويل لهذه الأمة يوماً من فلان ذي الأستاه)[1].

(١) المعجم الكبير، ١٧/ ١٧٦. وذكر الحديث في ترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة.

التعليق: الرجل الذي أخرج مع ابنه من المسجد هو أبو سفيان وابنه معاوية، والمقود، يعني المقود به، ولن يلعن النبي (ص) الجمل الذي لا ذنب له، وإنما غضب الله ورسوله على أبي سفيان ومعاوية، وكأن النبي (ص) بعد أن عاد إلى المدينة خطب فيهم وفضحهم ولعنهم، فغضب أبو سفيان وخرج من المسجد وأخذ بيد ابنه معاوية.

والحديث عند ابن عبد البر:

وقد رواه في الاستيعاب في ترجمة عاصم الليثي، فقال: (حدثنا عبد الوارث بن سفيان، حدثنا قاسم، حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا غسان بن مضر، حدثنا أبو سلمة سعيد بن يزيدن عن نصر بن عاصم الليثي، عن أبيه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ويل لهذه الأمة من ذي الأستاه؛ وقال مرة أخرى: ويل لأمتي من فلان ذي الأستاه.

قال ابن عبد البر: قال أحمد: لا أدري أسمع عاصم هذا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أم لا؟)[1].

قلتُ: في حديث الطبراني دلالة واضحة على صحبته[2]، وقد ذكر هذه الدلالة ابن حجر، وحضوره الحادثة والإسناد صحيح غاية، والنبي (ص) لم يكتفِ بهذا، وإنما حذر من معاوية، ولكن الحديث لا يذكرونه كاملاً إما من باب الرواية بالمعنى أو من باب الخوف من التصريح بكل الحقيقة فالحق ثقيل. وفي هذا الحديث أخبر النبي (ص) بما ستلقاه الأمة من معاوية (وهذا التحذير كثير في أحاديث أخرى)، أما لماذا لم يقتلْه فهذا يتعلق بسنة الله في خلقه وإبقاء بعض الأشرار من باب ابتلاء الأمة وتمحيصها، فالابتلاء غاية كبرى من غايات خلق الإنسان وإلا لما أبقى الله إبليس وهو أخطر من معاوية.

والحديث قد روي من طريقين صحيحين عن غسان بن مضر (وهو ثقة) عن سعيد

---

(١) الاستيعاب، ٢/ ٧٨٤.

(٢) على تعريف الصحبة عند أهل الحديث ولو انفرد عاصم بهذا الحديث ربما يحق للآخرين رده لكن قد تابع عاصماً مجموعة من الصحابة.

بن يزيد أبي مسلمة[١] (وهو ثقة عابد)، عن نصر بن عاصم الليثي (وهو ثقة)[٢]، عن والده (وهو صحابي).

ولا يخفى أن هذا الحديث في معاوية لما سبق من تفسير (فلان) و(الأقيعس) و(ذي الأستاه)، كلها أوصاف لمعاوية، وسيأتي صريحاً في رواية ابن سعد.

والحديث في الطبقات الكبرى، ترجمة عاصم أبو نصر بن عاصم الليثي:

قال: (أُخبرتُ عن أبي مالك كثير بن يحيى البصري[٣]، قال: حدثنا غسان بن مضر،

---

(١) في الأصل (سلمة) وهو خطأ والتصحيح من تهذيب الكمال وتقريب التهذيب.

(٢) قد رمي برأي الخوارج وصح رجوعه عنه (قاله ابن حجر في التقريب مع توثيقه له). وهو من رجال مسلم.

(٣) وهذا ثقة ففي الجرح والتعديل (٧/ ١٥٨): كثير بن يحيى بن كثير أبو مالك البصري روى عن أبى عوانة ومطر بن عبد الرحمن الأعنق وواهب بن سوار وسعيد بن عبد الكريم بن سليط سمعت أبى يقول ذلك، قال أبو محمد روى عنه أبي وأبو زرعة، حدثنا عبد الرحمن، قال: سألت أبي عن كثير بن يحيى بن كثير، فقال: محله الصدق وكان يتشيع، حدثنا عبد الرحمن، قال سئل أبو زرعة عن كثير بن يحيى فقال: صدوق. إلا أن بعضهم ضعفه مذهبياً بسبب قليل من التشيع زعموا أنه فيه، فقال الذهبي فيما نقله عنه الحافظ في لسان الميزان (٢/ ٣١١): (كثير بن يحيى بن كثير صاحب البصري: شيعي نهى عباس العنبري الناس عن الأخذ عنه! وقال الأزدي: عنده مناكير ثم ساق له عن أبي عوانة عن خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه سمعت علياً رضي الله عنه يقول: ولي أبو بكر رضي الله عنه وكنت أحق الناس بالخلافة. قلت الذهبي ـــ: هذا موضوع! علي أبي عوانة ولم أعرف من حدث به عن كثير انتهى. قال ابن حجر: وقد روى عنه عبد الله بن أحمد وأبو زرعة وغيرهما؛ قال أبو حاتم: محله الصدق وكان يتشيع. وقال أبو زرعة: صدوق وذكره ابن حبان في الثقات. فلعل الآفة ممن بعده).

قلتُ: لا آفة في الحديث فعلي يرى نفسه أحق بالخلافة فكان ماذا؟ وقد تواتر عن الإمام عليّ هذا الأمر.

وقال ابن حجر في تعجيل المنفعة (١/ ٣٤٩): كثير بن يحيى بن كثير الحنفي أبو مالك البصري: عن أبي عوانة ومطر بن عبدالرحمن وغيرهما، وعنه عبد الله بن أحمد وأبو حاتم، وقال كان يتشيع، وأبو زرعة وقال صدوق، وقال الأزدي عنده مناكير، قلت ابن حجر كان يعرف بصاحب البصري وكان عباس بن عبد العظيم ينهى الناس عن الأخذ عنه).

قلت: قد روى عنه غلاة أهل الحديث عبد الله بن أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم ووثقوه (فلا يروون إلاَّ عن ثقة عندهم). وأما العنبري فهو ناصبي، ولا يقبل قول ناصبي في شيعي، بل في سني، لأن بعض السنة عند النواصب تشيُّع، وبعض السنة عند الشيعة نصْب، وأما الأزدي فقد أنكر عليه ما لا نكارة فيه، وهو راوي حديث: جندب وما جندب والأقطع الخير (أي زيد بن صوحان)، وهو من رواة حديث إني وإياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة، ومن رواة حديث أبي بلج عن ابن عباس، وحديث الناكثين، ولكنه أيضاً قد روى في فضل أبي بكر وعمر، وهذا دليل أنه ليس متشيعا بل محدِّث يروي ما سمع بالإسناد.

قال: حدثنا سعيد بن يزيد، عن نصر بن عاصم الليثي، عن أبيه، قال: دخلت مسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله! قلت: ما هذا! قالوا: معاوية مر قبيل أخذ بيد أبيه ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، على المنبر يخرجان من المسجد، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيهما قولاً)[1].

قلت: والقول الذي أخفاه الرواة هو لعن النبي (ص) وتحذيره من معاوية، ولم تثبت صحبة عاصم الليثي إلا بهذا الحديث، ولم يذكر ابن سعد ولا غيره أحاديث أخرى أو أخبار لهذا الصحابي. أما قول ابن سعد (أُخبرتُ عن أبي مالك كثير...)، فهو لم يخبر بشيخه هنا، كأنه استسره ذلك، فهو في البصرة والبصرة عثمانية، ويكون ابن سعد قد احتال على ذكر هذا الحديث بعدم تسمية شيخه في بداية الإسناد ليتعلق النواصب بعدم تسمية شيخه. وأهل الحديث المتقدمون يفعلون هذا، مع إيمان كثير منهم بثبوت ذم معاوية أو بني أمية في حديث ما، إلا أنهم يلهون أصحاب الصناعة بطرق شتى، مرة ببتر وأخرى بتورية كأن يقولوا (فلان) بدلاً من معاوية، وثالثة بعدم تسمية شيخ أو راوٍ... إلخ حتى يكفوا أنفسهم شر العامة الذين كانوا يغضبون إذا لم يجدوا في الحديث علة من العلل.

حديث أبي سعيد الخدري:

ولعلَّ في هذا المناسبة كان حديث (إذا رأيتم معاوية على هذه الأعواد فاقتلوه) وقد أفردناه في كتاب فقد قاله النبي (ص) وهو على المنبر، وهذا الطريق لحديث (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)، من رواية أبي سعيد، له طرق كثيرة صحيحة عن علي بن زيد بن جدعان، عن أبي نضرة عن أبي سعيد.

فقد رواه عن علي بن زيد بن جدعان كل من سفيان بن عيينة وجعفر بن سليمان الضبعي وحماد بن سلمة، وثلاثتهم ثقات مع تنوُّع مذهبي، فابن عيينة وحماد بن سلمة ميولهم حديثية سلفية عثمانية أقرب لبني أمية منها إلى آل البيت، وجعفر بن سليمان الضبعي محدث له ميول شيعية، وثلاثتهم ثقات، ومن أهل البصرة، تلك البلدة العثمانية

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٧/ ٧٨.

المنحرفة عن الإمام علي[1]، فاتفق السنة والشيعة في مدينة عثمانية ناصبية على رواية هذا الحديث عن علي بن زيد بن جدعان، فيبقى التحقيق في علي بن زيد وشيخه أبو نضرة إذ هما محل البحث.

أما رواية الثلاثة الثقات عن علي بن زيد به؛ ففي هذا الطريق الذي أخرجه ابن عساكر الدمشقي الشامي المحب لمعاوية من طرق عن حماد بن سلمة وجعفر بن سليمان الضبعي وابن عيينة ثلاثتهم عن علي بن زيد بن جدعان بالإسناد والمتن، ولفظه (إذا رأيتم معاوية على منبري، وفي لفظٍ: على هذه الأعواد فاقتلوه)[2].

وقوله: (على هذه الأعواد)، يدل على أن النبي (ص) قاله وهو يخطب على المنبر، وفي بعض الألفاظ (على منبري هذا). ولعل الحديث كان إضافة إلى لعن أبي سفيان ومعاوية وخروجهما من المسجد استمر النبي (ص) في التحذير من معاوية وأن عليهم قتله إن رقى على منبر النبي (ص) لأنه يكون وقتها قد بدأت خطته العملية في إفساد الدين. وقد أخرجنا هذا الحديث في كتاب مفرد، ومجموع أسانيده يقتضي أنه صحيح على منهج أهل الحديث، لولا ممانعة السلفية المحدثة ومكابرتها حماية لمعاوية، وقد شرحنا ذلك بما لا مزيد عليه في الكتاب المذكور.

وكذلك كثير من الأحاديث في ذم معاوية لعل مناسبتها هي هذه من باب الاستجابة النبوية للإغلاظ للمنافقين، ذلك الإغلاظ الذي أخفته السياسة، وقد جاءت أحاديث أخرى منقطعة في الإغلاظ لمجموعة من أصحاب مسجد الضرار إلا أنها ليست في قوة الأحاديث التي جاءت في الإغلاظ لأبي سفيان ومعاوية، رغم وطأة الدولة الأموية على الصحابة والتابعين وتهديد معاوية لهم بالقتل إن حدَّثوا بتلك الأحاديث، ومنها حديث أبي هريرة (لو حدَّثتُ به لقطعتم هذا البلعوم)، وحديث ابن عمر في تهديد معاوية له بالقتل، وحديث أبي سعيد الخدري في عتابه التابعين على إيصال الأحاديث إلى معاوية، وقول أحد الرواة عن شيخه: (ثم استكتمني الحديث ما عاش معاوية)...

(١) قد يأتي بعض طلبة العلم ويستغربون مثل هذا الحشد المعلوماتي، أن هذا فيه نصب وهذا فيه تشيع والبصرة ناصبية و.... إلخ؛ وأنا إنما أتحدث هنا مع أهل العلم، ومن الصعب توثيق كل شيء، وليراجعوا الملحق (في نصب أهل البصرة).

(٢) تاريخ دمشق، ٥٩/ ١٥٥ ١٥٦.

إلخ؛ فخروج مثل هذه الأحاديث ومن طرق صحيحة تعد إعجازاً ودليل على شهرتها، فقد رواها أهل الحديث، بل لا يكاد حديث منها يخلو من بعض النواصب في أسانيده، ولروايتهم لها أسباب ذكرناها في ترجمة مجالد بن سعيد في كتاب (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)،أغلب من رواها فيهم نصب متوسط أو يسير.

وخلاصة القول في الأحاديث الرابطة والإغلاظ

هذه الأحاديث الرابطة تربط بين قصة العقبة (عقبة تبوك) ولعن المنافقين وإخراجهم من المسجد، والتفسير الطبيعي أن النبي (ص) استجاب لأمر الله في الإغلاظ على المنافقين (وخاصة رؤوسهم أصحاب الاغتيال)كقوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَحْلِفُونَ باللَّه مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (التوبة: ٧٣ ٧٤). ولم يحفظ لنا التاريخ هذا الإغلاظ على المنافقين إلا في مثل هذه الروايات والأحاديث التي أفلتت من دولة قاسية ذبحت عشرات الآلاف من الصحابة والتابعين في صفين والحَرَّة وكربلاء والجماجم... إلخ، وتتبعت من سواهم بالسجن والتضييق والسم والاغتيال... إلخ.

ولو كان هذا الإغلاظ في أصحاب عبد الله بن أُبي لاشتهر، لأنه لم يحكم وكانت الأنصار ضعيفة أمام السلطة، ولأن أهل الحديث والرواية يذكرون عبد الله بن أبي بمناسبة وبلا مناسبة، إنما الإخفاء يتحقق عندما تكون السلطة وثقافتها مع كتمان الحقيقة ونشر ما يضادها، فهنا تستحكم الفتنة ويظهر واجب العلماء، ولا ريب عندي أن سرد هذا الحدث الخطير وأمثاله هي من البينات والهدى التي أمر الله العلماء ببيانها، فهي من الأمور الكبرى التي تهتدي بها أمم من الناس، هذا لو عرفوها حق معرفتها، لكنهم يكتمون ويلبسون ويبترون ويسكتون ويضعون الأحاديث المقابلة والروايات المعارضة.

انظر قوله تعالى:)إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ

لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (البقرة: ١٥٩ ١٦٠). ياترى لو أن العلماء بينوا وصرَّحوا أنَّ منهم أبا سفيان ومعاوية. هل كان معاوية يستطيع أن يغير السنن ويشرع للسلاطين المظالم؟ هل كان سيقتدي به هؤلاء من مغفلي الصالحين وعامة الناس؟ إن البيان مسؤولية العلماء، ومن لم يبيِّن فقد يكون في الأرض عالماً ولكنه في السماء من الملعونين، جنَّبنا الله وكلَّ المخلصين هذا السكوت والتعمية والتشويش وحماية الظالمين ومحاربة الأحاديث الصحيحة والوقائع الثابتة، لو أدرك الناس هذا هل سيأخذون دينهم عن علماء السلاطين الأمويين؟... إلخ

ثم نقول: لم يحفظ لنا التاريخ هذا القول البليغ أبلغ مما هو هنا من لعن هؤلاء وطردهم من المسجد وتحذير الأمة منهم ووصية ألأمة بقتلهم إذا رقوا منبره، وإخبار الأمة بأنهم أول من يبدل سنته... إلخ، ليس هناك أبلغ من هذه المواقف، إلا أن التاريخ أغمض عينيه عن البيان الشافي فروى هذه المواقف مشتتة مقطعة. لأن التاريخ مضطهد، خاضع للسلطة في مجمله، حتى أن المسلم لو يُسأل عن تنفيذ النبي (ص) لهذه الأوامر الإلهية متى كان؟ وما هي دلائل ذلك التنفيذ؟ لما عرف.

وكل أمر لا تجدون النبي (ص) منفِّذاً له في الراوية فلا يعني أنه غير منفَّذ له في الواقع، ولكن الرواية تحكمت في التاريخ فأخفت ما يمكن إخفاءه، وكان حرصها على طمس هذا الكلام البليغ أكثر من حرصها على غيره، ولعل الله ييسر لنا إخراج الدلائل الواضحة على أثر السلطة في الرواية حديثاً وتاريخاً، وكيف أن هذه الرواية فيما بعد أصبحت سلطة تُرهِب الباحثين وتعصم عن تدبر كتاب الله وعن معرفة سيرة النبي (ص) وحديثه الحق الذي لا يتعارض مع قرآن ولا عقل ولا عدل، وإنما يسير في المسار نفسه مؤكداً ومفسراً وموضحاً وشارحاً... إلخ.

فالأحاديث الرابطة هنا، لو لم يكن من علمها وفضلها إلا أنها أخبرتنا كيف تحقق الإغلاظ لهؤلاء المنافقين، وكيف تحقق ذلك القول البليغ المأمور به قرآناً، وكيف تحقق خزي الكافرين (المكرر في سورة التوبة) وكيف يتحقق تلتقي ألقاب (الإسلام والكفر والنفاق) لكفى.

فالمنافق منافق ومسلم وكافر في الوقت نفسه! بحسب الموقع أو الزاوية الذي

نظر منها إلى المنافق، فهو مسلم حسب الأحكام الدنيوية، وكافر حسب الأحكام الأخروية، ومنافق حسب الوصف، ومعرفة مستويات هذا الخطاب وسياقاته في كثير من الألفاظ والإطلاقات من أكبر المعينات في تدبر القرآن الكريم، لأن القرآن حي متحرك، واللغة جامدة، فالإسلام مثلاً في القرآن ثلاث مستويات أو أكثر، وكذا الإيمان والكفر والشرك... إلخ، لكن هذه الألفاظ في اللغة تكاد يكون واحداً، والسياق يعطي المعنى المراد، ولن يعطيه إلا مع الوعي التاريخي لكبار المسائل من التاريخية والفلسفية الخاصة بالنفس والحركة الاجتماعية.

الخلاصة التذكيرية لحديث حذيفة بن اليمان وشواهده

لقد روي حديث حذيفة من سبع طرق أو أكثر فيها الصحيح والحسن والضعيف المعتضد بما صح. وسياقات الحديث تدل على أن أبا سفيان ومعاوية منهم. وبعد أن وصلوا المدينة خطب النبي (ص) ولعنهم وأخرجهم من المسجد، وسيأتي إثبات هذا بأمور تكفي عند العقلاء المتدبرين، أما المكابرين فلا شأن لهم بهذا البحث أصلاً، وسيأتي المزيد من التعليقات والقراءات للحديث. وقبل استعراض الأحاديث الأخرى يحسن بنا الوقوف عند حديث حذيفة هذا، فنتساءل ونحاول فك بعض رموزه ونقد العقل السلفي الذي لا يتساءل عن معنى الحديث فنقول:

أسئلة لم تسألها السلفية المحدثة، وما سر هذا الضمور العقلي؟

إذا أحسنَّا الظن، وقلنا إن السلفية المعاصرة لا تتعمد إخفاء مثالب معاوية، فما معنى أن لا يثيرهم هذا الأمر؟ وخاصة وأن الحديث من الشهرة وكثرة الطرق لا يخفى على صاحب حديث، لا سيما وأنه في صحيح مسلم أيضاً؟ ألاَ يدفعهم هذا لطرح عدة أسئلة توصلهم إلى الحقيقة أو شيء منها، سواء تلك الأسئلة العامة التي تتحدث بالاغتيال نفسه أو محاولة الاغتيال التي نقلتها كتب المغازي والسير؟

فالعلمُ سؤالٌ وبحثٌ عن جوابٍ. وكل عقل ضامر الأسئلة لن يعرف أسرار الله في خلقه، ولنطرح بعض الأسئلة هنا مساعدة للسلفية المحدثة على حسن تدبر النصوص وفهمها، فإن استغلاق الفهم عقوبة من الله يجب العمل على رفعها بتفعيل العقل وطلب الهداية من الله، ونماذج الأسئلة هي:

مَن هم هؤلاء الذين حاولوا اغتيال النبي (ص) وهو في أوج قوته؟ بعد غزوة تبوك؟

هل هم ضعفاء كمنافقي الأنصار فيما يقال أم أقوياء كزعماء قريش الجدد وحلفائهم؟

وهل لهم حماية أم لا؟ علماً أن حلفاء أبي سفيان يمتدون من بني سلم إلى الروم؟

وما مصلحتهم من ذلك؟ هل لمنافقي الأنصار مصلحة؟ أم لقريش وزعاماتها؟

وما هي تلك الفئة التي حاولت اغتيال النبي (ص) مراراً؟ أقريش أم الأنصار؟

هل الأَولى بذلك قريش أم الأنصار؟ ومن منهما له ثأرات وتِرَات وأحقاد؟

مَنْ مِنْ الجماعتين لها تاريخ طويل ومحاولات متكررة لاغتيال النبي (ص)؟

مَنْ مِنْ الفئتين نزل فيهم من قبل ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠) هل نزلت هذه الآية في قريش أم الأنصار؟

أم أن تلك العصابة فئة مختلطة من الفريقين؟

وإن كان كذلك فمن لهم الزعامة على الفئتين؟

وهل هناك حلف شرير بين أطياف من قريش وأطياف من الأنصار؟

وما قصة حلف أبي سفيان (القرشي) مع أبي عامر الفاسق (الأوسي)؟

أليس هذا الحلف هو الأقرب، مما يطرحه السنة والشيعة؟

فالسنة يطرحون على أن تلك العصابة من ضعفاء الأنصار ليس فيهم قرشي!

والشيعة يطرحون على أن تلك العصابة هم أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة وأبو عبيدة وأمثالهم من الطامعين في السلطة؟

أليس اختيار أبي سفيان ورهطه من منافقي قريش، وأبي عامر الفاسق ورهطه من منافقي الأنصار أَولى بهذه الفعلة الشنعاء؟ لا سيما وأن للاثنين (أبي سفيان وأبي عامر) حلفاً كبيراً تُرْجِم في أُحد والخندق وسائر الحروب؟ ولهما علاقات قوية بالروم ودويلتهم الغساسنة، ولهم ظهر طويل من الأحلاف كقبائل سليم وثقيف ودوس وبني أسد وكثير من كنانة، بل حتى بني حنيفة في اليمامة كان لهم صلة قوية بأبي سفيان (مسيلمة تزوج أخت أبي سفيان)؟ بينما منافقو الأنصار لن يكون لهم مصلحة في

اغتيال النبي (ص) وقد لبث فيهم عشر سنوات لم يقوموا بمحاولة واحدة.

ثم ما هي خطة تلك العصابة للاستفادة من هذا الاغتيال؟

ما هي أجندتهم المقبلة؟ هل هناك مشروع (نبي جديد) متمثلاً في أبي عامر الراهب الذي بَنوا له مسجد الضرار؟ ومشروع قائد سياسي جديد هو أبو سفيان؟... إلخ

ومن له مصلحة في إخفاء تفاصيل هذا الاغتيال أهو معاوية أو عبد الله بن أُبَيّ؟

ومن امتلك الدولة وضغط في التشويش على أمثال هذه الموبقات أهو معاوية أم عبد الله بن أُبَيّ؟

ومن اشترك في غزوة تبوك أهو معاوية وأبو سفيان أم عبد الله بن أُبَيّ؟

ومن روى هذه القصة أهم خصوم معاوية من الصحابة أم خصوم عبد الله بن أُبَيّ؟

أترى حذيفة وعمار وأمثالهم كانوا يحذرون من عبد الله بن أُبَيّ المتوفى عام ٩هـ أم من معاوية المؤهل لامتلاك الأمة وفتنتها؟

هذه أسئلة عامة على الحدث نفسه، لأنه حادث كبير له دلالات كبيرة، ويستوجب على كل مؤرخ وصاحب عقل أن يتوقف عنده طويلاً وطويلاً، وهذه الأسئلة لم يطرحها المؤرخون ولا أهل الحديث، فضلاً عن السلفية، فالجميع مضرّس بأنياب المذهب تحت منسم السلطة، ولكن الباحث الجاد وإن كان نسياً إن ذُكِّر تذكَّر، فعليه أن يطرح الأسئلة ليستنطق من إجاباتها ما سكت عنه التاريخ، أو لذكر ما أجبرته السلطة على السكوت عنه نتيجة التشويش أو الإغماض أو حتى الوضع المضاد. أعني قد يضعون الأحاديث والروايات من باب المعارضة والمقابلة والمضادة لما ثبت عند الناس، وللسلطات الأموية جهاز كامل في هذا الباب، ولعله أقوى الأجهزة وأكثرها أثراً وأعمقها مكراً، فهم لا يأتون إلى الأمر الذي لا يستطيعون دفعه من حديث أو حادثة، وإنما يضعون ما يشبهه أو يصرفه أو يقيِّده أو يعمِّمه. حسب الحاجة وتوجيه الخضراء، وفي هذا الموضوع حديث الدُّبَيْلَة وضعوا هنا اثني عشر من منافقي الأنصار (أكثرهم لم يشهد تبوك!)، فيرددون أسماء هؤلاء الاثني عشر في كل حادثة! حتى يحفظهم الناس وينصرفوا بهم عن المنافقين الكبار أصحاب الأثر والطموح والمحاولة والمصلحة والثأر والحسد! فنسي الناس المنافقين الكبار الذين جاء القرآن بالتحذير منهم وكان لهم جمهورهم)وفيكم سماعون لهم(، فسكت عنهم التاريخ، لأن دولة

أولئك الأشخاص قامت بعد ثلاثين سنة فقط من رحيل النبي (ص) وارتكبت مجازر في علماء الصحابة والتابعين حتى وصل الخوف إلى بعض المناصرين لهم فسكت عن نصف الحديث وخشي قطع البلعوم، فكيف بغيره؟ وما ضاع من الحديث أكثر مما دوّن، وما تمَّ تدوينه لا تجده إلا مشوشاً غامضاً مقطعاً غالباً.

الأسئلة الخاصة بالحديث

وأما الأسئلة الخاصة عن حديث عمار وحذيفة (الموجود في صحيح مسلم) فيجب على أهل الحديث خاصة والسلفية العتيقة منها والمحدثة أن تطرح أسئلة أخص مثل:

متى قال عمار هذا الكلام؟ ألم يقله وهو متجه إلى حرب معاوية بالشام؟ ولماذا أجاب قيس بن عباد بهذا الجواب الذي قد يبدو لأول نظرة لا علاقة له بالسؤال؟! هل كان عمار عيياً ولم يكن فصيحاً حتى يجيب جواباً لا تعلق له بالموضوع؟ كلا! إذن فما معنى جواب عمار؟ وما مناسبة ذكره للمنافقين هنا وهو متَّجه لحرب معاوية؟ ومن يقصد بهؤلاء الاثني عشر أو الأربعة عشر؟ هل يلمح إلى أنه مع علي يقاتلان منافقين؟ وإذا قلنا أنه لم يقصد أهل الجمل فهو أيضاً (لا يقصد الخوارج) بحديثه عن المنافقين، لأن الخوارج يومها لم يظهروا بعد فلم يظهروا إلا بعد استشهاد عمار بصفين، والخوارج ليسوا منافقين، وإنما ضُلاَّل. من بقي إذن؟ لقد بقي رؤوس أهل صفين (وقد ورد ذكر بعضهم معاوية وأبي الأعور السلمي في أصحاب العقبة) فهل يقصد عمار أن معاوية ونحوه من المنافقين الذين أخبره حذيفة بأسمائهم؟

الظاهر نعم، ولِمَ لا؟ ما الذي يمنع؟ هل يمنع من ذلك سابقة في الدين؟ أو هجرة على ترقب؟ أو نصرة من خصاصة؟ أو قتال في سبيل الله؟ أو قوة إنفاق؟ أو تبشير بالجنة؟ أو حبّ لله ورسوله والمؤمنين؟ وهل هو وأبوه إلا حزب من هذه الأحزاب؟ دخلا في الدين كرهاً وخرجا منه طوعاً، حسب تعبير قيس بن سعد بن عبادة، أو استسلموا ولم يسلموا حتى وجدوا على الحق أعواناً، كرأي عمار وأهل بدر؟ لا سيما مع سوء السيرة ووفرة النصوص الصحيحة في الذم وكثرة من ذمه من أهل بدر؟.

ألم يمت معاوية بالدُّبَيْلَة؟

ألم يتعذب منها أشهراً؟ وقبلها من اللَّقْوَة[1] سنيناً؟

ألم يجمع المؤرخون على أن قرحة قبيحة ظهرت في ظهر معاوية وسَبَرت (دخلت) إلى الداخل؟ وأنهم كانوا يقلبونه على الفراش وهو يتعذب؟ ألم يجلبوا له رداء من حواصل الطير ثم تأذى منه ولم يحتمله على جسده كما لم يحتمل غيره؟ أليس في هذا عبرة لمعتبر؟ أليس هذا الحديث من دلائل النبوة؟ ألم ينقل هذه الوقائع أهلُ بيت معاوية وزوارُه ونواصبُه؟ مع حرصه الشديد على إظهار التجلد وتمثله بالبيت المشهور:

وتجلُّدي للشامتينَ أُرِيهمُ   أني لرَيبِ الدهرِ لا أتضعضعُ؟

مع كل هذا التجلد والإخفاء واستقبال الناس مطيباً في أكثر من وقت ليخفي هذا المرض. ألا يدل على أن مرض الدُّبَيْلَة طال حتى أوفد أهل العراق وفوداً ليستيقنوا الخبر فتجلَّد لهم واستقبلهم متطيباً فعادوا منكرين الخبر؟

ألم يعترف معاوية بأن أهل العراق يتحدثون أن تلك القرحة ستقتله؟ من أين لهم ذلك إن لم يكن حديث الدُّبَيْلَة؟ وما ورثوه من أحاديث حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وأبي الطفيل... إلخ؟

ألا تعتبِر السلفيةُ المحدثةُ وتعيد النظر في غبطتها بظلم معاوية وتجبره مع ظهور هذه الأخبار بأسانيد صحيحة من شهود عيان داخل بيت معاوية رغم كل الحرص على التكتم على هذا الخبر حتى لا يصدق فيه الحديث، وحتى يبقى الناس موالين لأسرته مخلصين ليزيد وذريته؟ فلو اعترف لافتضح وانكفأ الناس عن أسرته، وتحدثوا بهذا في كل مصر من الأمصار وكان عذراً لنقل الخلافة وتأكيد الحديث وجمع مروياته وألفاظه ليصبح من أكبر دلائل النبوة وعلى ألسنة الخاصة والعامة؟

هذه أسئلة كان يجب أن يسألها الجميع، لكنهم ينظرون لكل حدث وكل حديث منفرداً، ولا يربطون حديث عمار عن حذيفة بالسياق ولا طريقة السؤال ولا دقة الجواب ولا موت معاوية بالمرض نفسه ولا بإخبار حذيفة أنه لم يبق من المنافقين

(١) اللَّقْوَة: داء يصيب وجه الإنسان فيعوجّ شِدقُه إلى أحد جانبي عُنقه. وفي تاج العروس: (مَرَضٌ يَنْجذِبُ له شِقّ الوجْهِ إلى جِهَةٍ غيْرِ طَبِيعِيَّة ولا يحسنُ الْتِقاء الشفَتَيْن ولا تَنْطَبِقُ إحْدَى العَيْنَيْن).

إلا أربعة (أحدهم شيخ لا يجد برد الماء وهو أبو سفيان)؟ ولا يربطونه بمرض معاوية وعلة ذلك المرض أي الدُّبَيْلَة التي حرص معاوية على تغيير اسمها إمعاناً في التلبيس وإصراراً على النفاق، وهذا من حرمان الله له، وقد أخبرنا الله أنه لا يهدي القوم الظالمين.

ثم كيف يعقلون في الحديث الآخر لدى مسلم أنه لم يبق من المنافقين إلا أربعة؟

والنفاق حالة مصاحبة للبشر، وليست مخصوصة بأفراد فيموتون وينتهي النفاق، والنفاق في عهد حذيفة (عام ٣٠هـ) أكثر منه في عهد النبي (ص) إنما المقصود أنه لم يبق من هؤلاء الاثني عشر (أصحاب العقبة) إلا أربعة، وإلاَّ فحذيفة يعترف بأن المنافقين في عهده أصبحوا يجهرون... إلخ.

مجموع التعليقات على الأحاديث

أبرز مصادر الحديث: صحيح مسلم (٤/ ٢١٤٣)؛ سنن البيهقي الكبرى (٨/ ١٩٨)؛ مسند البزار (٧/ ٢١٥)؛ مسند أحمد (٤/ ٣١٩)؛ الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٢/ ٤٦٥)، وغيرهم كثير.

التعليق على الحديثين (حديث عبد الله بن سلمة وأبي البختري عن حذيفة)

إذن ففي هذه القصة كان الرجال بضعة عشر رجلاً، وكأنهم من كبار القوم فركائبهم معروفة، ويظهر أن فيهم بعض السابقين بدلالة قوله (أكره أن تحدث العرب بينها أن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم)؛ فهذا لن يقوله في مثل معاوية وأبي سفيان، لابد أن يكون فيهم بعض السابقين، إلا أن هؤلاء السابقين يحتمل أنهم تابوا أو أن الثلاثة الذين عذرهم منهم، والتيار السلفي سيفرح بهذه الرواية لأنها بظنهم تزحلق التهمة من معاوية إلى السابقين! مما يدل على أن نظرية الدفاع عن الصحابة وعدالة الصحابة ليس المقصود منها إلا معاوية، إلا أن معاوية وأبا سفيان تدل عليهم روايات أخرى، وهم أولى بهذا العمل الشنيع من غيرهم من المهاجرين أو الأنصار.

المبحث الخامس
موت معاوية بالدُّبَيْلَة (تصديقاً لحديث حذيفة)

أولاً: ما هي الدُّبَيْلَة؟

الجواب: هي قرحة تظهر في الظهر ورأسها إلى الداخل فتنفجر في الداخل أو تستمر في هؤلاء المنافقين خاصة حتى تنجم من الصدر! وقد تظهر في الجنب وتنفجر في الداخل، ولكن إصابة معاوية وأصحاب عقبة تبوك لا بد أن تكون كما وصف الحديث (أي تخترق الجسم من الظهر إلى أن تخرج من الصدر)، وهذا مصداق قوله تعالى (سنعذبهم مرتين)، فقد ذكر بعض العلماء كقتادة أن العذاب الأول بالدُّبَيْلَة، وهي التي أصيب بها معاوية، وجاء ذكر هذا تصريحاً عند ابن إسحاق، وجاءت وصفاً مع إخفاء اسم القرحة عن أحد شهود العيان ممن يوثقهم أهل الحديث وفيه نصب وهو أبوة بردة بن أبي موسى الأشعري، لكن أكثر أهل الحديث وخاصة السلفيين منهم أخفوا هذه الحقيقة وسكتوا عنها ومنهم من اخترع لها أسماء تبعاً لمعاوية، وقد طال مرض معاوية بها كما سيأتي وطول مرض معاوية بها مصداق لقوله تعالى)سنعذبهم مرتين(، وقرينة على حادثة قلادة طبيب معاوية النصراني التي ذكرها بعضهم، وعلى حديث (يموت على غير ملتي)، كما في حديث حذيفة وخبر قلادة النصراني.

وتعريفها عند أهل اللغة مشهور رغم أثر السلطة حتى على اللغة منها ما ذكره الخليل الفراهيدي: (والنّاقِبةُ: قرحة تخرج بالجنب تهجم على الجوف يكون رأسها من داخل)[1].

وقال الزمخشري: (وخرجت به الناقبة والنّقابة: قرحة تخرج بالجنب تهجم على الجوف رأسها من داخل)[2].

ونقل ابن منظور عن ابن الأعرابي قوله: (الدَّبَال والدَّمَال: النَّقَّابات)[3].

---

(١) كتاب العين، باب القاف والنون والباء معهما.
(٢) أساس البلاغة، نَقَبَ.
(٣) لسان العرب، دَبَلَ.

وفي تاج العروس: (وقال ابنُ الأعرابِيِّ: الذُّبالُ كغُرَابٍ بالدَّالِ والذَّالِ: النَّقاباتُ وهي قُرُوحٌ تَخْرُجُ بالجَنْبِ فَتَنْقُبُ إلى الجَوْفِ)[1].

والخلاصة: أنها قرحة عظيمة بشعة قبيحة تخرج تبدأ بالظهر والجنب أو الكتف وتهجم على الجوف ورأسها بالداخل! ومجرد تصورها مخيف، وسيأتي أن معاوية أصيب بالنقابات وهي الدُّبَيْلَة، بل صرح ابن إسحاق وابن قتيبة بها والوصف الذي وصفوه في دَبَيْلَة معاوية كاف كما سيأتي.

وسنرى أن كل الأمور تقود إلى حقيقة إصابة معاوية بها، يدل على ذلك الرواية واللغة والتاريخ والحديث وسوء معاوية ومحاولات الإخفاء ووصف القرحة وحديث عمار والسياق والشيعة والنواصب وأهل السنة... كل هذه تصب في أن معاوية هو من أصحاب العقبة (ولوازمها)، وأنه مات بالدُّبَيْلَة، وكل هذا لم يفكّ السلفية عنه، فبقي المؤسس الظاهر والقدوة الخفية والعابث بالصميم السلفي.

قال ابن قتيبة: (وولي معاوية الخلافة عشرين سنة إلا شهراً وتوفي سنة ستين وهو ابن اثنتين وثمانين سنة.

وقال ابن إسحاق: مات (معاوية) وله ثمان وسبعون سنة وكانت علته النقابات وهي الدُّبَيْلَة ولم يولد له في خلافته ولد،...)[2].

وهذه الروايات في دَبَيْلَة معاوية:

الرواية الأولى: طلحة بن يحيى عن أبي بردة بن أبي موسى (شاهد عيان).

ففي تاريخ دمشق: (أخبرنا أبو سعد بن البغدادي، أخبرنا أبو منصور بن شكرويه ومحمد بن أحمد بن علي السمسار، قالا: أخبرنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد، أخبرنا

---

(١) تاج العروس، ذَبَلَ.
(٢) المعارف، ١/ ٧٩.

أبو عبد الله المحاملي[١]، أخبرنا سعيد بن يحيى الأموي[٢]، أخبرنا أبي[٣]، أخبرنا طلحة بن يحيى[٤]، عن أبي بردة[٥]، قال: دخلت على معاوية وهو يشتكي وبه قرحة في ظهره[٦]، قال والطبيب يعالجها وهو يتأوه تأوه الصبي!

قال: فقلت يا أمير المؤمنين إنك تأوَّه.

قال: قم فانظر إليها؟

قال: فقمت فإذا قرحة قبيحة!

فقال: هذه تدعونها الراقية! وأهل العراق يزعمون أنها النقابة أو الثقابة! ويزعمون أنها قاتلتي!!

قال ثم قال: أما ما ذكرت من تأوهي فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

---

(١) مصنف الأمالي ثقة مشهور (ت ٣٣٠هـ) وكتابه مطبوع، وليس فيه الرواية، فربما هو في بعض كتبه الأخرى، أو أن أحد حذاق السلفية حذفه، وطريق ابن عساكر إلى كتب المحاملي وغيره صحيحة.

(٢) تقريب التهذيب (١ / ٢٤٢): (سعيد ابن يحيى ابن سعيد ابن أبان ابن سعيد ابن العاص الأموي أبو عثمان البغدادي ثقة ربما أخطأ من العاشرة مات سنة تسع وأربعين خ م د ت س).

(٣) تقريب التهذيب (٢ / ٥٩٠): (يحيى ابن سعيد ابن أبان ابن سعيد ابن العاص الأموي أبو أيوب الكوفي نزيل بغداد لقبه الجمل صدوق يغرب من كبار التاسعة مات سنة أربع وتسعين [ومائة] وله ثمانون سنة ع).

(٤) صدوق من رجال مسلم، مات سنة ١٤٨هـ وكان فيه نصب. وفي تقريب التهذيب (٢ / ٢٨٣): (طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي المدني نزيل الكوفة صدوق يخطيء من السادسة مات سنة ثمان وأربعين م ٤).

(٥) هو أبو بردة بن أبي موسى الأشعري (١٠٤هـ)، من رجال الجماعة وكان ناصبياً، وهو كوفي، من رؤساء الأرباع بالكوفة، روى له الجماعة، وهو ابن أبي موسى (وهو مَن هو!) وأبو بلال بن أبي بردة (الخبيث)! وأوصى به معاوية ابنه يزيد. ووفد على معاوية وشهد وفاته بعد شهادته على حجر! وشكا إليه الشاعر عقيبة الأسدي. وأما أحواله من حيث الرواية والسيرة، فهو أولاً: صاحب الشهادة الأم ضد حجر بن عدي التي أمر زياد بالشهادة عليها؛ وهو ثانياً: راوي قصة إسلام أبي موسى وهجرته! وفيها نكارة فقد جعل لأبيه سابقة وليس له سابقة. واستنكرها أهل الحديث دون أن يتنبهوا لنصب أبي بردة هذا. وهو ثالثاً: راوي حديث (لا تضره الفتنة)، في قصة اعتزال محمد بن مسلمة! وهو منكر وفيه رجل مجهول، وهذه الرواية مقدَّسة عند السلفية لأنها تبرر خذلان من خذلَ عَليّاً. وهو رابعاً: راوي قرحة معاوية (وأخفى اسمها الدُّبَيْلَة)! وفيها اعتراف معاوية بأخوَّة أبي موسى له! وهذه قرينة على أن أبا موسى كان من هؤلا. وهو خامساً: راوي حديث (إذا جمع الخلائق للحساب أتي بيهودي أو نصراني قيل يا مؤمن هذا فداؤك من النار). وهذا غاية الإرجاء وفق الإرجاء الشامي لا العراقي وبينهما فرق ليس هنا مجال بيانه.

(٦) تذكروا الحديث (تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَة سِرَاجٌ مِنَ النَّارِ يَظْهَرُ فِي أَكْتَافِهِمْ حَتَّى يَنْجُمَ مِنْ صُدُورِهِمْ).

يقول: ما من مسلم يصيبه أذى في جسده إلا كفَّر الله بها خطاياه، ودون هذا يا أبا بردة أذى)[١].

التعليق: أما السند فصحيح، وزاد من صحتها أن في رواتها نواصب، بل يكاد أن يكون السند مسلسلاً بالنواصب، فإن تم إخفاء شيء فإنما يتم إخفاء ما يسيء إلى معاوية ونشر ما يدفع عنه، وللرواية شواهد صحيحة وستأتي، وقد حاول معاوية أن يخدع الناس حياً وميتاً لأجل استمرار الملك في ذريته.

وأما من حيث المتن فواضح، فهذا أبو بردة بن أبي موسى دخل على معاوية فرأى قرحته في ظهره! والطبيب يعالجها ومعاوية يتأوه تأوه الصبي! ورآها قرحة قبيحة! ويستبق معاوية دلالة الحديث فيقول: إن أهل العراق يسمونها كذا! ويصرف اسم (الدُّبَيْلَة) عنها! ثم ينقل عن أهل العراق أنهم يزعمون أنها قاتلته! وهذا أخذه أهل العراق من حذيفة وعمار وأبي الطفيل وأمثالهم فقد استطاعوا فكَّ هذه الرموز في أحاديث الدُّبَيْلَة وأصحاب العقبة وغيرها.

ويخبر معاوية بأنها تؤذيه أبلغَ الأذى[٢]! ومع ذلك يخبر عن النبي بأن الأذى يكفر الذنوب! ليخدع الناس بنشر الإرجاء لنفسه ولنسله، وبخدعة الناس والإخبار عن نفسه أنه مسلم، هذه القرحة التي زعم معاوية أن أهل الشام يسمونها: الراقية، وأن أهل العراق يسمونها: النقّابة أو الثقّابة!! متجنباً اسم (الدُّبَيْلَة)، إلا أن ما نقله معاوية عن التسمية العراقية (النقابة) هي من مرادفاتها، ورغم التشويش على اسمها إلا أنها تتفق مع الحديث (مرض يظهر في ظهورهم فينجم من صدورهم)، فقد رآها أبو بردة في ظهره! فهي تثقب الجسم أو تنقبه وهي الدُّبَيْلَة الموجودة في حديث حذيفة تماماً! وأظن أن معاوية هو يعرف اسمها لكن تجنبه إلى الثقابة والنقابة لأن أبا بردة عراقي وناصبي وسيروي لأهل العراق أنه لم تصبه الدُّبَيْلَة كما كانوا يشيعون عن حذيفة وعمار وإنما الثقابة أو النقابة أو الراقية! هذه الألفاظ الثلاثة التي علمه إياها معاوية وأسمعه هذه

---

(١) تاريخ دمشق، ٢٦/ ٤٥.

(٢) وهذا مصداق قوله تعالى:)سنعذبهم مرتين(! وقد قال قتادة (مرة بالدُّبَيْلَة ومرة بعذاب القبر)، فهذه عقوبة خاصة بهؤلاء.. إلا أن أهل الحديث عمموا عذاب القبر حتى شمل نصف البشر، وقللوا الدُّبَيْلَة حتى لم يذكروا أحداً مات بها إلا الفرزدق وأحد ملوك الروم! وعجبي إذ يعرفون أن ملك الروم مات بها ولا يعرفون أن معاوية مات بها!

الأسماء ليعرف أبا بردة (ابن حليفِه أبي موسى) أنه قد استوفى أسماءها! وأنه ليس منها (الدُّبَيْلَة)!! لا عند أهل العراق ولا أهل الشام! وعلى هذا فمعاوية يحارب معلومات الصحابة وأحاديثهم حياً وميتاً، فالفئة الباغية ليست الفئة الباغية! إنما قتلَ عمار مَن جاء به! والدُّبَيْلَة لم يمُتْ بها! وإنما مات بالنقَّابة أو الراقية!... إلخ.

قلت في تعليق آخر في أحد الأبحاث ــ: هي الدُّبَيْلَة التي أصابت من أراد اغتيال النبي (ص) يوم العقبة وكان منهم معاوية، وحديث قيس بن عباد ظاهر جداً أن المراد بهؤلاء معاوية وحزبه. وقد ذكر لها ابن عساكر أسانيد أخرى (أقصد دَبَيْلَة معاوية) وفي المعجم الكبير للطبراني (١٩/ ٣٥٩) من طريقين آخرين.

ومن اللطائف والموافقات موت ملاعب الأسنة عامر بن الطفيل بالدُّبَيْلَة (وقد حاول أن يغتال النبي (ص) مع صاحبه أربد) فكأن الدُّبَيْلَة عقوبة لكل من أراد اغتيال النبي (ص).

أما روايته لـ (ما من مسلم يصيبه أذى في جسده إلا كفَّر الله بها خطاياه)، فلنا معه وقفة قصيرة، ذلك أن هذا الحديث روي عن غير معاوية بألفاظ منها الصحيح ومنها الضعيف، ومعاوية يريد تكفير كل الخطايا بأي أذى! والحديث الصحيح الإسناد عن غيره لا يقول بكل هذا الإرجاء الفج، ففي جامع الأصول: (خ م ط ت، عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ــ: (مَا مِنْ مُصيبة تُصِيبُ المسلم إلا كفَّر الله عنه بها، حتى الشَّوكةِ يُشاكُها)، يعني كفر بها من ذنبه شيئاً، وهو ظاهر في الألفاظ الأخرى: كما في لفظ (لا يُصِيبُ المؤمن شوكة فما فوقها إلا نقص الله بها من خطيئته)، وفي أخرى (إلا رفعه الله بها درجة، وحطَّ عنه بها خطيئة)، وفي أخرى (لا يُصِيبُ المؤمنَ من مصيبة حتى الشوكة إلا قُصَّ بها أو كُفِّر بها من خطاياه)[1].

فالفرق بين حديث معاوية وأحاديثهم أن معاوية يجعل الأذى مكفراً للخطايا كلها! بينما الأحاديث تجعل المصائب والشدائد مكفرة لبعض الذنوب، فالفرق بين الإرجاء الشامي والتعويض الرباني واضح، فإن وجدتم رواية تجعل الأجر الكثير على الأذى القليل فابحثوا في الإسناد وستجدون في السند مَن فيه نصب أو غفلة، وكذلك العقوبة

---

(١) جامع الأصول من أحاديث الرسول، ١/ ٧٤٣٠.

الكبيرة على الذنب الصغير، فالثقافة الأموية دمغت العقل المسلم بالتناقضات حتى يلصقوا بالله وعدله تناقضات معاوية في العقوبة والعطاء، فيصورون الله على صورة السلطان، فقد يغفر للمجرم والظالم وقد يعاقب الفاضل والبريء.

لفظ آخر وإسناد آخر: من طريق طلحة بن يحيى عن أبي بردة مختصراً

في تاريخ دمشق: (أخبرنا أبو سعد محمد بن أحمد بن محمد بن الخليل، أخبرنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن أبي الحسن العارف، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل الصيرفي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني الصفار، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا[١]، حدثني إسماعيل بن أبي الحارث[٢]، حدثنا زكريا بن عدي[٣]، عن القاسم بن مالك المزني[٤]، عن طلحة بن يحيى[٥]، عن أبي بردة[٦]، قال كنت عند معاوية وطبيب يعالج قرحة في ظهره[٧]، فهو متضور (يتضور) فقلت له لو بعض شبابنا فعل هذا لعبنا ذلك عليه؛ فقال يعني معاوية ما يسرني أني لا أجده، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول ما من مسلم يصيبه أذى في جسده إلا كان كفارة

---

(١) أبو بكر بن أبي الدنيا (٢٨١هـ) حنبلي مشهور، وهو ثقة إلا أن فيه نصب ككثير من الحنابلة، وقد ألف في حلم معاوية، ولا يجرؤ على التأليف في فضائل معاوية إلا الحنابلة فيما أعلم، ولكنهم ليسوا في نصب أهل الشام، هم يحبون الجميع، إبليس وآدم، موسى وفرعون، علي ومعاوية،... إلخ، وحتى يقترب هذا من هذا، لا بدَّ من تقليل هذا إلى أدنى حد ورفع ذاك إلى أعلى حد، حتى تصبح نظريتهم في هذا التلفيق مقبولة. والله لم يكلفهم بهذا، لكنها الفتنة.

(٢) وهو ثقة، وفي الجرح والتعديل (٢/ ١٦١): (إسماعيل بن أسد وهو إسماعيل بن أبي الحارث، روى عن الحسن بن موسى الأشيب وأبي النضر هاشم بن القاسم وروح بن عبادة وشبابة ويزيد بن هارون ومعلى بن منصور وأبي بدر شجاع بن الوليد، ويحيى بن أبي بكير، كتبت عنه مع أبي وهو ثقة صدوق، سئل أبي عنه فقال: صدوق).

(٣) ثقة، وفي تقريب التهذيب (١/ ٢١٦): (زكريا بن عدي بن الصلت التيمي مولاهم أبو يحيى الكوفي نزيل بغداد، وهو أخو يوسف، ثقة جليل يحفظ من كبار العاشرة، مات سنة إحدى عشرة أو اثنتي عشرة ومائتين خ م مد ت س ق).

(٤) تقريب التهذيب (١/ ٤٥١): (القاسم بن مالك المزني أبو جعفر الكوفي صدوق فيه لين من صغار الثامنة مات بعد التسعين خ م ت س ق).

(٥) ثقة، سبق التعريف به

(٦) ثقة عندهم وهو ناصبي، سبق التعريف به..

(٧) نذكر مرةً أخرى بحديث: (تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَة سِرَاجٌ مِنَ النَّارِ يَظْهَرُ فِي أَكْتَافِهِمْ حَتَّى يَنْجُمَ مِنْ صُدُورِهِمْ).

لخطاياه)[1].

التعليق: السند حسن على شروطهم، وسبقت الفوائد والنكت العلمية، والإرجاء ظاهر في الحديث الذي رواه معاوية.

المعجم الكبير من طريق طلحة بن يحيى = زيادة وصف للدبيلة

(حدَّثنا أبو حصين بن محمد بن الحسن الوادعي القاضي، حدَّثنا عبيد بن يعيش، حدَّثنا يونس بن بكير، حدَّثنا طلحة بن يحيى، عن أبي بردة بن أبي موسى، قال: دخلت على معاوية بن أبي سفيان وبظهره قرحة وهو يتأوَّه منها تأوها شديداً، فقلت: أكلُّ هذا من هذه؟ فقال: ما يسرُّني إن هذا التأوه لم يكن، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من مسلم يصيبه أذى في جسده إلاَّ كان كفارة لخطاياه) وهذا أشد الأذى)[2].

أعلى السند سبق والمتن سبق معناه، وفيه زيادة وإيضاح.

تاريخ دمشق: أصبح كأنه سعفة محترقة!

(قال: وحدَّثنا ابن أبي الدنيا، حدَّثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي، حدَّثنا حفص بن غياث، عن طلحة بن يحيى، عن أبي بردة، قال: قال معاوية وهو يُقلَّب في مرضه وقد صار كأنه سعفة محترقة أي شيخ، يقلبون إن نجاه الله من النار غداً)[3].

قلت: التقليب من أثر الدُّبَيْلَة فلا يستقر على حال، وآثار الدُّبَيْلَة ظاهرة فكونه أصبح مثل سعفة محترقة يعني هذا أنه بلغ به الهزال مبلغاً عظيماً وسقط لحمه على ضخامته، وهذه من آثار الدُّبَيْلَة لكنه كان جباراً فبقي متماسكاً خداعاً للوفود الحاضرين من المقربين إليه كأبي بردة، فهؤلاء هم أنصار يزيد من بعده وهم من سينقلون عنه مثل هذه الكلمات التي تدع الحليم حيران وتستعطف العامة وتبعد عنه تلك التهم التي ستؤثر على ملْك ابنه من بعده، فالرجل صبار جبار وخداعه لا يطاق.

---

(١) تاريخ دمشق، ٢٦/ ٤٥.
(٢) المعجم الكبير للطبراني، ١٩/ ٣٥٩.
(٣) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٢٢٥.

رواية ثانية: (حميد بن هلال عن أبي بردة)

روى ابن عساكر من طريق محمد بن سعد: (أخبرنا عمرو بن عاصم الكلابي وعفان بن مسلم قالا: حدثنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن أبي بردة قال:

دخلت على معاوية بن أبي سفيان حين أصابته قرحته فقال هلمَّ يا ابن أخي تحوَّل فانظر!

قال فتحوَّلت فنظرت فإذا هي قد نشَرت[1]، يعني قرحته!

فقلت ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين

قال إذ دخل يزيد بن معاوية، فقال له معاوية إن وُلِّيتَ من أمر الناس شيئاً فاستوصِ بهذا فإن أباه كان أخاً لي أو خليلاً أو نحو هذا من القول غير أني قد رأيت في القتال ما لم تره)[2].

التعليق: السند صحيح، ويظهر أن قرحة معاوية قد عذبته دهراً طويلاً، فإن الرواية تفيد أن القرحة كانت في معاوية ويزيد حاضر في دمشق، بينما مات معاوية ويزيد في البادية عند أخواله من نصارى كلب، وقيل في حمص، وتولى الضحاك بن قيس تدبير الأمور حتى حضر، وأخواله من كلب في بادية السماوة، وقيل كان في حوران ناحية حمص، والمسافة بينها وبين دمشق لن تقل عن عدة أيام، ولا نعرف متى خرج من دمشق، ولا متى أصيب بها معاوية قبل خروجه؟ وفي الرواية تثبيت حلف أبي موسى لمعاوية.

حميد بن هلال عن أبي بردة

(أخبرنا علي بن محمد، عن سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن أبي بردة بن أبي موسى قال: دخلت على معاوية حين أصابته قرحته فقال: هلمَّ ابن أخي، تحول فانظر؛ فتحولت فنظرت فإذا هي قد سَبرت)[3].

ومعنى سبرت: أي دخلت في ظهره! قال الزمخشري: (سبر الجرح بالمسبار

---

(١) نشرت، وفي لفظ سبرت، أي دخل رأسها إلى الداخل.. تذكروا الحديث (تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةَ سِرَاجٌ مِنَ النَّارِ يَظْهَرُ فِى أَكْتَافِهِمْ حَتَّى يَنْجُمَ مِنْ صُدُورِهِمْ).

(٢) تاريخ دمشق، ٢٦/ ٤٥.

(٣) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، ١/ ٧٠.

والسبار: قاس مقدار قعره بالحديدة أو بغيرها)[1]. فالقرحة دخلت في ظهره لدرجة أنها تحتاج إلى قياس!

وقد رويت بلفظ آخر (ثبرت) ففي الفائق في غريب الحديث للزمخشري (مادة ثبر): (قال أبو بردة: دخلتُ على معاوية حين أصابته قرحة، فقال: هلمَّ يا ابن أخي فانظر. فتحولت فإذا هي قد ثبرت، فقلت: ليس عليك يا أمير المؤمنين بأس. أي انفتحتْ ونضجتْ وسالتْ مِدَّتُها لأن عادِيَتَها تذهب وتنقطع عند ذلك. وهذا من باب فعلته ففعل، يقال: ثبرة الله مثبر أي هلك وانقطع).

وفي نهاية ابن الأثير (مادة ثَبَرَ): (وفي حديث أبي بردة، قال: دخلتُ على معاوية حين أصابته قرحة، فقال: هلم يا ابن أخي فانظر، فنظرت فإذا هي قد ثبرت أي انفتحت. والثبرة: النقرة في الشيء).

وفي لسان العرب لابن منظور: (وثبرت القرحة: انفتحت. وفي حديث معاوية: أن أبا بردة قال: دخلت عليه حين أصابته قرحة، فقال: هلمَّ يا ابن أخي فانظر، قال: فنظرت فإذا هي قد ثبرت، فقلت: ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين، ثبرت أي انفتحت).

وفي تاج العروس للزبيدي: (وثبرت القرحة، كفرح: انفتحت ونفجت، وسالت مِدَّتُها. وفي حديث معاوية: أن أبا بردة قال: دخلت عليه حين أصابته قرحة، فقال: هلم يا ابن أخي فانظر، قال: فنظرت فإذا هي قد ثبرت، فقلت: ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين).

حميد بن هلال عن أبي بردة

(قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ الْكِلاَبِيُّ، وَعَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالاَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلاَلٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ حِينَ أَصَابَتْهُ قَرْحَتُهُ، فَقَالَ: هَلُمَّ يَا ابْنَ أَخِي، تَحَوَّلْ فَانْظُرْ، قَالَ: فَتَحَوَّلْتُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا هِيَ قَدْ سَبَرَتْ يَعْنِي: قَرْحَتَهُ ـ، فَقُلْتُ: لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ إِذْ دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: إِنْ وُلِّيتَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا فَاسْتَوْصِ بِهَذَا، فَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ أَخًا

(١) أساس البلاغة، سَبَرَ.

لِي أَوْ خَلِيلاً أَوْ نَحْوَ هَذَا مِنَ الْقَوْلِ غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِيَ الْقِتَالِ مَا لَمْ يَرَ)[١].

وقد سبق التعليق على الإسناد والمتن، وهنا زيادة متابعات إسنادية.

حميد بن هلال عن أبي بردة عند البلاذري

(حدثنا محمد بن سعد، عن عفان، عن سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن أبي بردة بن أبي موسى، قال: دخلت على معاوية حين أصابته قرحته فقال: هلمَّ يا بن أخي فانظر إليها، فنظرت إليها وقد سبرت، فقلت: ليس عليك يا أمير المؤمنين بأس، ودخل يزيد فقال له: إن وُلِّيتَ من أمر المسلمين شيئاً فاستوصِ بهذا فإن أباه كان أخاً لي وخليلاً، غير أني رأيت في القتال غير رأيه)[٢].

شيخ البلاذري هو ابن سعد صاحب الطبقات.

الآحاد والمثاني: الدُّبَيْلَة من طريق حميد بن هلال عن أبي بردة

(حَدَّثَنَا هدبة بن خالد بن هدبة القيسي، حَدَّثَنَا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن أبي بردة قال: دخلت على معاوية وبه قرحته التي مات فيها فقال يا ابن أخي أدنُ فانظر فرأيتها مبسورة، فدعا يزيد فقال إن أبا هذا كان لي أخاً فاستوصِ به خيراً فإن أباه كان لي أخاً، غير إني وإياه اختلفنا فرأيت القتال ولم يرَه)[٣].

هنا وصف أيضاً لدبيلة معاوية، ومعنى مبسورة أي مفقوءة قبل النضج! وفي تاج العروس (بَسَرَ): (بَسَرَ القَرْحَةَ: نَكَأَهَا قبلَ النُّضْجِ).

قلت: وكأن معاوية حاول إزالتها حتى لا تتحقق فيه النبوءة!

لفظ حميد بن هلال عن أبي بردة عند الطبري

(حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبو صالح سليمان بن صالح، قال: حدثني عبد الله بن المبارك، عن سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن أبي بردة قال: دخلتُ على معاوية حيث أصابته قرحته، فقال: هلمَّ يا ابن أخي نحوي فانظر، فنظرتُ فإذا هي قد سبرت، فقلت: ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين؛ فدخل يزيد فقال معاوية:

---

(١) الطبقات الكبرى كاملاً، ٤/ ١١٢.

(٢) أنساب الأشراف، ٢/ ٨٩.

(٣) الآحاد والمثاني، ١/ ٤٩١.

إن وُلِّيتَ من أمر الناس شيئاً فاستوصِ بهذا فإن أباه كان لي خليلاً أو نحو ذلك من القول، غير أني رأيت في القتال ما لم يرَه)[1].

قلت: واعترف بها الذهبي وغيره، فأوردوا رواية أبي بردة وقوله (حيث أصابته قرحته)، يدل على شهرتها حتى نسبوها إليه، وكأنه عليها عَلَم، فهي قرحته التي اشتهر بها!.

الرواية الثالثة: (عاصم بن كليب عن أبي بردة)

في المعجم الكبير للطبراني: (محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدَّثنا فروة بن أبي المغراء، حدَّثنا القاسم بن مالك المزني، حدَّثنا عاصم بن كليب، عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، قال: دخلت على معاوية وهو يتضوَّر وقرحةٌ بين كتفيه، فقال: ما يسرني أني لا أجد ما ترى، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من أذى يصيب المؤمن في جسده إلا كان كفارة لخطاياه)[2].

السند نفسه ولكن الألفاظ قد تكون فيها زيادات مفسرة، لأنها مروية بالمعنى، والإرجاء هنا ظاهر.

الرواية الرابعة: رواية عبد الملك بن عمير:

تصريح بالنقابة وهي الدُّبَيْلَة

(أخبرنا أبو عبيد، عن أبي يعقوب الثقفي، عن عبد الملك بن عمير، قال: لما ثقل معاوية وتحدث الناس أنه بالموت[3]، قال لأهله: احشوا عيني إثمداً، وأوسِعوا رأسي دهناً. ففعلوا وبرقوا وجهَه بالدهن، ثم مُهِّد له فجلس، ثم قال: ائذنوا للناس فليسلموا قياماً ولا يجلس أحد، فجعل الرجل يدخل فيسلم قائماً فيراه متكحلاً مدهناً فيقول: يقول الناس: هو لما به، وهو أصحُّ الناس. فلما خرجوا من عنده قال معاوية:

---

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ٢٦٦.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ١٩/ ٣٥٩.

(٣) تحدث الناس بالعراق، لأن عبد الملك بن عمير عراقي ناصبي، وقد وفد على معاوية بأخبار الناس هؤلاء! وهؤلاءِ هم تلاميذ حذيفة وعمار وأمثالهم من المؤمنين، وهم واثقون من ذلك لكن الرأي العام كان أموياً.

وتجلدي للشامتين أريهمُ أني لريب الدهر لا أتضعضع

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفعُ

قال: وكان به النقَّابة[1] فمات من يومه ذلك)[2].

وهذه الرواية في تاريخ دمشق (٥٩/ ٢٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٥)، والبداية والنهاية (٨/ ١٥١)، وغيرها.

التعليق: عبد الملك بن عمير ناصبي، وقد يصدق، وكان وافداً، وهو هنا يقلل الأمراض إلى مرض واحد! ويحرف النقابة إلى اللَّقْوَة تفسيراً ولعله من غيره ثم يجعل مدة المرض يسيرة، ولعله منه أخذ ابن سيرين تقليل مدة مرض معاوية، فابن سيرن لم يفد، والوفود كانت ناصبية وهي التي نقلت مواعظ معاوية لتثبيت دولة يزيد، وأن معاوية يخشى الله، ويخافه... إلخ، ومعاوية أول ملوك المسلمين عمل على إنشاء الأجهزة الاستخبارية المعقدة والمكثفة لأجل ملكه وملك أسرته، وقد لمس هذا أبو سعيد الخدري حتى في كثير ممن يثق فيهم.

والنقابة من أسماء الدُّبَيْلَة.. وعبد الملك بن عمير كان من نواصب الكوفة.... والناس هنا تحدثوا أنها ستقتله! وعبد الملك بن عمير من الوفود الذين قدموا من الأمصار بعد طول مرض معاوية وحديث الناس أنها ستقتله (أخذوا هذه الثقافة من حذيفة وعمار وخواصهما).

وكان عبد الملك بن عمير هو ذابح أحد أصحاب الحسين (وهو عبد الله بن يقطر) عندما ألقاه ابن زياد من فوق القصر وزعم كمَكْر معاوية أنه أراد أن يريحه[3]! وأحاديث عبد الملك بن عمير فيها مكر أموي شديد، لا يدركه أكثر الناس، ولذلك دخلت بعضُ

---

(١) والنقابة هي الدُّبَيْلَة، لأنها تنقب البدن، أو تنقب الظهر فتدخل إلى الجوف.

(٢) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، ١/ ٧١.

(٣) وكان ابن زياد قد أمر عبد الله بن يقطر وهو أخو الحسين من الرضاعة أن يصعد فوق القصر ويلعن علياً والحسين، فصعد وأمر بنصرة الحسين وذم ابن زياد، ففي تاريخ الرسل والملوك (٣/ ٢٥٧): (فصعد عبد الله بن يقطر، فلما أشرف على الناس قال: أيها الناس، إني رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة ابن سمية الدَّعيّ. فأمر به عبيد الله فألقي من فوق القصر إلى الأرض، فكسرت عظامه، وبقي به رمق، فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه، فلما عِيب ذلك عليه قال: إنما أردت أن أريحه)!.

أحاديثه صحيحَ مسلم.

الرواية الخامسة: رواية ثابت (لعله البناني = للبحث)

عذاب الدُّبَيْلَة من طريق ثابت

قال ابن عساكر: (أخبرنا أبو القاسم ابن السمرقندي، أخبرنا أبو بكر بن الطبري، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو علي بن صفوان، حدثنا ابن أبي الدنيا، حدثني إبراهيم بن راشد أبو إسحاق، حدثنا أبو ربيعة، حدثنا أبو عبيدة يوسف بن عبدة، عن ثابت، قال: لما كبر معاوية خرجت به قرحة في ظهره فكان إذا لبس دثاراً ثقيلاً والشام أرض باردة أثقله ذلك وغمَّه، فقال اصنعوا لي دثاراً خفيفاً دفيئاً من هذه السِّخال، فصنع له، فلما أُلقي عليه تسار إليه ساعة ثم غمه، فقال جافوه عني، ثم لبسه ثم غمه فألقاه، ففعل ذلك مراراً.

ثم قال: قبَّحكِ الله من دارٍ، ملكتُك أربعين سنة، عشرين خليفة وعشرين إمارة، ثم صيرتني إلى ما أرى قبحكِ الله من دار)[1].

التعليق: هذا عذاب أخفاه النواصب. ولا يعرف النواصب اليوم ما لقي معاوية من العذاب، تذكروا الآية:)سنعذبهم مرتين(. وإضافة العذاب إلى الله هنا دليل على أن هذا عذاب الله، ولو كان مقتولاً مثلاً لكان عذابه منسوباً ولو بنسبة ما إلى قاتله، أما الدُّبَيْلَة فقد أتت من الله فقط! فهي عذابه.

الرواية السادسة: عذاب الدُّبَيْلَة من طريق ابن سيرين

في تاريخ دمشق من طريق (ابن أبي الدنيا، حدَّثنا محمد بن الحسين، حدَّثنا عبيد الله بن محمد التيمي، حدَّثنا يوسف ابن عبدة، قال سمعت محمد بن سيرين يقول: أخذت معاوية قرَّة فاتخذ لحفاً خفافاً فكانت تلقى عليه فلا يلبث أن يتأذى بها، فإذا أُخذت عنه سأل أن تُردَّ عليه فقال: قبحك الله من دار مكثت فيك عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة ثم صرت إلى ما أرى)[2]. وفيه: (أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أخبرنا أبو

(١) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٢٢٠.
(٢) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٢٢٠.

بكر محمد بن هبة الله، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو علي بن صفوان، حدثنا ابن أبي الدنيا، حدثني أبو عقيل الأسدي، حدثنا عبيد الله بن موسى، حدثنا إسماعيل، عن عبد الله بن المختار، عن محمد بن سيرين قال: مرض معاوية مرضاً شديداً فنزل عن السرير... إلخ)[1].

التعليق: أظن (قرة) تصحيفاً وأن حرف الحاء سقط فهي (قرحة) لا (قرة) إلا إن كانت القرة (وهي البرد الشديد) كانت من آثار القرحة ونتائجها. أي من آثار الدُّبَيْلَة. وتقليب معاوية يدل على ذلك، لكن لأن معظم رواة القصة نواصب فهم يتبعون ذلك بأدعية لمعاوية تهز العامة وتجعلهم يحسنون الظن في معاوية، وقد يكون بعض هذا صحَّ عن معاوية من باب الدهاء. وبعض المخذولين يشعر بعذابه في آخر عمره ولا يستطيع أن يتوب. ومع كثرة روايات وفاة معاوية لم تذكر رواية أنه نطق بالشهادتين في سنوات مرضه! وهذا يدل على أنه ممنوع من الهداية والتوبة. ولكن الثقافة الأموية نَشرَت أن التوبة تقبل قبل الغرغرة وأن مَن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة وكل هذه الأحاديث أموية إرجائية مناقضة لكتاب الله (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (النساء: ١٧ ١٨).

فاحفظ هذا فإنه شافٍ كافٍ، ودعك من أحاديث الإرجاء التي بثها معاوية في الأمة ودخلت كتب الحديث، ومن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله. مع أن معاوية لم يتب وإنما أوصى وأوصى وأوصى بما يعلم يقيناً إنه استمرار في البغي والطغيان.

الرواية السابعة: رواية هشام بن حسان: عذاب الدُّبَيْلَة

تاريخ دمشق (ج ٥٩ / ص ٢٢١)

في تاريخ دمشق: (أخبرنا أبو طالب علي بن عبد الرحمن أنا أبو الحسن الخلعي أنا أبو محمد بن النحاس أنا أبو سعيد بن الأعرابي نا أبو سعيد الحارثي وهو عبد الرحمن بن محمد نا سعيد بن عامر نا هشام بن حسان أو غيره قال (١) كان معاوية بن أبي سفيان

(١) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٢٢٦.

قد أصابه قرة (لعلها قرحة) شديدة في مرضه فكان يلقى عليه الثوب فيدفئه فيثقل عليه فينحى عنه فألقي عليه ثوب حواصل (وعند ابن كثير: من حواصل الطير) فأدفأه وخف عليه فما لبث أن ثقل عليه فقال معاوية تبا للدنيا كنت عشرين سنة أميرا وعشرين سنة خليفة ثم صرت إلى هذا تبا للدنيا)[١].

الرواية الثامنة: رواية عبد الملك بن عمير والأشدق

في تاريخ دمشق: (أخبرنا أبو القاسم العلوي، أخبرنا رشأ بن نظيف، أخبرنا الحسن بن إسماعيل، حدَّثنا أحمد بن مروان، حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق، حدَّثنا سعيد بن يحيى الأموي، حدَّثنا محمد بن سعيد، حدَّثنا عبد الملك بن عمير، قال: دخل عمرو بن سعيد على معاوية في مرضه الذي مات فيه فقال له: واللهِ يا أمير المؤمنين ما رأيت أحداً من أهل بيتك في مثل حالك إلا مات.

فقال معاوية:

فإن المرء لم يخلَق حديداً ولا هضباً توقَّله الوبارُ

ولكنْ كالشهاب يُرى ويخبو وهادي الموت عنه ما يحارُ)[٢].

التعليق: هذه الرواية تدل على أن عمرو بن سعيد (وهو الأشدق) قد رأى الدُّبَيْلَة في أهل بيت معاوية؟ وأبرز هؤلاء أبو سفيان وعتبة بن أبي سفيان وهما مع معاوية أصحاب الجمل الأحمر، الذي سبق أن شرحناه، وهذا محتمل جداً، فهو يقول (ما رأيت أحداً من أهل بيتك في مثل حالك إلا مات)، والأشدق هو ابن سعيد بن العاص وهو مدني وأدرك أبا سفيان وعتبة بن أبي سفيان، ومن المرجح أنه حضر مرضهما وموتهما ولكن كتم الناس ذلك. وقد قيل إنه له رؤية واستبعد هذا ابن حجر وغيره، ولكن هذا يدل على أنه قديم، وأنه أدرك أبا سفيان وعتبة بن أبي سفيان. ولعله كان مع عتبة بمصر. مات عتبة سنة ٤٤هـ وأبو سفيان سنة ٣٢هـ؛ وإذا كان الأشدق مولوداً في عهد أبي بكر فقد أدرك موت أبي سفيان وعمره عشرون سنة، وأدرك موت عتبة بن أبي سفيان وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وقد روي أن الجزَع أصاب عتبة عند موته، ولم

---

(١) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٢٢١.

(٢) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٢١٨.

يفصِّلوا في كيفية وفاته وماذا أصابه، وكذلك أبو سفيان لولا أن حذيفة قال شيئاً، وكان قد عمي (أعني أبا سفيان) وعتبة أصابه عور (من أيام الجمل).

الرواية التاسعة: رواية أخرى لعبد الملك بن عمير: زيادة في آثار دَبَيْلَة معاوية

في تاريخ دمشق: (أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد، أخبرنا محمد بن هبة الله، أخبرنا علي بن محمد، أخبرنا الحسين بن صفوان، حدثنا ابن أبي الدنيا حدثني سعيد بن يحيى الأموي حدثنا محمد بن سعيد حدثنا عبد الملك بن عمير، قال: دخل عمرو بن سعيد على معاوية في مرضه فقال والله يا أمير المؤمنين لقد أبخر ماء أنفك وذبلت شفتاك وتغير لونك وما رأيت أحدا في أهل بيتك مثل حالك إلا مات.

فقال معاوية...)[1]، وذكر الشعر السابق... إلخ.

التعليق: فهذه الأوباء أصابت معاوية، وتحتاج إلى طبيب لتفسيرها.. إلا أنها أذى وخزي له ولأهل بيته..

الرواية العاشرة: رواية قيس بن أبي حازم

في طبقات ابن سعد: (قال: أخبرنا أبو أسامة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال: مرض معاوية مرضاً شديداً فحسر عن ذراعيه كأنهما عسيبا نخلٍ، فقال: ما الدنيا إلا كما قد ذقنا وجرَّبنا، والله لوددت أني لا أعبر فيكم فوق ثلاث ليالٍ حتى ألحق بالله تعالى؛ فقال جلساؤه: برحمة الله يا أمير المؤمنين، فقال: ما شاء الله أن يقضي لأمير المؤمنين قضاء، إنه قد علم أني لم آل، وما كره الله غيره)[2].

التعليق: السند صحيح على شرط الشيخين، وفيه نواصب كقيس بن أبي حازم، وكذلك إسماعيل بن أبي خالد فيه نصب دون قيس. وهنا فإن معاوية مثلما خدع بعض زواره بالإرجاء فهو يخدع آخرين بالجبر هنا!كما يظهر في آخر كلامه! ومعاوية من خلال هذه الآثار يعرف المؤمن أنه لم يكن مؤمناً، فكيف يقسم بالله أنه لم يأل خيراً؟ مع

---

(١) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٢٢١.

(٢) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، ١/ ٥٧.

ما تواتر من متاجرته بقميص عثمان ولعنه علياً على المنابر واستلحاقه زياداً ومتاجرته بالربا والخمور، وتغييره سننَ النبي (ص) ورده قضاء النبي (ص) رداً صريحاً في أكثر من مناسبة منها استلحاق زياد. كيف بمؤمن في آخر حياته أن يقول (قد علم الله أني لكم آل)؟ يعني لم آل خيراً، يعني أني فعلت الحق والخير بمقدار طاقتي وجهدي؟ هل هذا إلا مكابرة لما تواتر من سيرته وسنته؟ فمعاوية بهذا الكلام يريد إبقاء أكبر قدر من الناس معه، وليثبت لهم أنه مسلم وأنه يخشى الله وأنه وأنه، ليس للخوف منهم عليه وإنما لإبقائهم مع ابنه. ولا يقول هذا غالباً إلا للوفود العراقية من مغفلي النواصب الذين قد يغرهم هذا الكلام ويعودون إلى العراق وهم يشهدون لمعاوية بأنه مسلم ويذكر الله ويتبرك بآثار النبي (ص) ويروي الحديث و.... إلخ.

إنه معاوية داهية العرب. ومن الصعب على المغفل أن يفهمه.

وحديث قيس: آثار الدُّبَيْلَة.

في تاريخ دمشق: (أخبرنا أبو طالب علي بن أبي عقيل، أخبرنا أبو الحسن الفقيه الخلعي، أخبرنا أبو محمد بن النحاس، أخبرنا أبو سعيد ابن الأعرابي، حدثنا عباس الدوري، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا إسماعيل؛ ح: قال: وحدثنا الحسن بن علي بن عفان، حدثنا أبو أسامة، حدثنا إسماعيل، عن قيس قال: (مرض معاوية بن أبي سفيان مرضاً عيد فيه فجعل يقلب ذراعيه كأنهما عسيبا نخل وهو قول هل الدنيا إلا ما ذقنا وجربنا واللهِ لوددت أني لا أغبر فيكم فوق ثلاث حتى ألحق بالله قالوا إلى مغفرة الله ورحمته قال إلى ما شاء من قضاء قضاه لي قد علم الله أني لم آل وما كره الله غيره)[1].

التعليق: والخبر في السنة للخلال وسنده صحيح.

ومن آثار الدُّبَيْلَة هذا الهزال الشديد. ومعاوية باقٍ على الجبر وخداع الناس.

وفي تاريخ دمشق:

(أخبرنا أبو محمد السلمي، حدثنا أبو بكر الخطيب؛ ح: وأخبرنا أبو القاسم ابن السمرقندي، أخبرنا أبو بكر بن الطبري قالا: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل، أخبرنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يعقوب، حدثنا أبو بكر الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا إسماعيل،

---

(١) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٢٢٢.

قال سمعت قيساً يقول أخرج معاوية يديه كأنهم عسيبا نخل...)[1]، بمثله.

الرواية الحادية عشرة: رواية قبيصة بن ذؤيب

(قال قبيصة بن جابر: أتت معاوية النقَّابة، فأسرعتُ إليه، فقلنا له: الناسُ قد أكثروا وأرجفوا، فلو جلست لهم مرّةً واحدةً؟ فقال: أوسعوا رأسي دهناً واحشوا عيني إثمداً، وليسلموا عليّ قياماً ولا يجلس إليَّ أحدٌ! قال: فأذن للناس، فسلموا قياماً، فلما ولَّوا أتبعهم بصره، ثمّ قال:

وتجلُّدي للشامتين أريهمُ أني لريبِ الدهرِ لاأتضعضعُ

وإذا المنيَّة أنشبت أظفارها ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لاتنفعُ

فما أصبح حتى مات)[2].

التعليق: لم أجد إسنادها.. وقبيصة شاهد عيان.

الرواية الثانية عشرة: رواية عبد الله بن ثعلبة: كان يغمى عليه من شدة الألم

في الجزء المتمم لطبقات ابن سعد: (قال: أخبرنا يحيى بن معين، قال: حدثنا العباس بن الوليد النرسي (ثقة من رجال الشيخين)، قال: سمعت عبد الله بن ثعلبة يقول: جاء يزيد بن معاوية في مرض معاوية فوجد عمَّه محمد بن أبي سفيان قاعداً على الباب لم يؤذن له، فأخذ بيده فأدخله قال: فاطلع في وجه معاوية وقد أغمي عليه!

فقال (يزيد):

لو أنَّ حيَّاً يفوت فات أبو حيان لا عاجزٌ ولا وَكِلُ

الحُوَّل القُلَّب الأريبُ وهل يدفع وقت المنية الحيلُ

قال: ففتح معاوية عينيه وقال: أي شيء تقول يا يزيد؟

قال: خيراً يا أمير المؤمنين، أنا مقبل على عمي أحدثه.

فقال معاوية: نعم

---

(١) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٢٢٣.

(٢) نور القبس للمرزباني، ١/ ٨٧.

لو أنَّ حيًّاً يفوت فات أبو حيان لا عاجزٌ ولا وَكِلُ
الحُوَّل القُلَّب الأريبُ وهل يدفع وقتَ المنية الحيلُ

إن أخوف ما أخاف عليَّ شيء عملته في أمرك، وشهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما قلم أظفاره وأخذ من شعره، فجمعت ذلك فهو عندي، فإذا أنا متُّ فاحشوا به فمي وأنفي، فإن نفع شيء نفع، أو كما قال)[1].

التعليق: السند مرسل، وعبد الله بن ثعلبة لا أعرفه حالياً فلعله الحضرمي وهو مجهول أيضاً، ولم يدرك القصة بينه وبينها نحو مئة سنة، ولكن هذا يدل على شهرة الموضوع إلى القرن الثاني، أعني مرض معاوية ومعاناته عقوبة من الله، ولكن النواصب نجحوا في محو الذاكرة الإسلامية من هذا، والخديعة تستمر بإظهار معاوية التبرك، أو أن عبد الله بن ثعلبة ونحوه من المجهولي العقائد كانوا نواصب فيهم صلاح فأشاعوا هذا التبرك بشَعر النبي (ص) وأظافره في مقابلة صليب الطبيب النصراني الذي لبسه معاوية ليجد منه الشفاء!.

وقول معاوية بأن أكثر ما يخشاه تولية يزيد وقد جاءت في غير رواية فإما أن يكون صادقاً أو كاذباً. فإن كان صادقاً فهذا يدل على معرفته الدقيقة بيزيد وفسقه وفجوره وظلمه. وإن كان كاذباً فيريد أن يظهر للناس أن قتال علي ولعنه وسمّ الحسن وقتل عمار وقتل حجر بن عدي وأصحابه كانت أموراً يسيرة. وهذا نفاق، فكيف إن صح استهزاؤه بالنبي (ص) وسخريته منه ورده أحكام الإسلام علانية؟. إن تولية يزيد ليست أسوأ من حكم معاوية وخاصة على المستوى الثقافي والسياسي والمالي بل وسفك الدماء فماذا أبقى ليزيد من المنكرات حتى يخشى توليته؟ وإذا كان صادقاً وهو على عتبة القبر فلماذا لم يرجع الأمر شورى في الأمة مادام أنه يرى أن تولية يزيد أخطر من هذه الأمور كلها؟

(١) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، ١/ ٦٦.

المبحث السادس
أسرار في وفاة معاوية

ما سر ذكر معاوية للمواعظ في آخر حياته وتبركه بآثار النبي (ص)

إما أن يكون صادقاً في قوله هذه الأقوال والتصرفات معتقداً له أو كاذباً مخادعاً.

فإن كان كاذباً فهذا من الخداع والدهاء لتثبيت ملك ذريته على أهل الإسلام، فإذا سمعت الوفود والمقربون كأبي بردة وقيس بن أبي حازم وغيرهم كلمات معاوية في الخوف من العذاب وفي المواعظ! فإنهم سيشيعونها ويكذبون الأحاديث الصحيحة الواردة في ذمه والآيات التي تمنع التوبة ساعة الموت! وبالتالي يتم قبول تغييره للسنن والآيات، ثم نجد استغفاره من الصغائر وسكوته عن الكبائر وكأنها ليست ذنوباً أصلاً، وهذه خدعة أخرى.

وإن كان صادقاً معتقداً ما يقول فهذا فيه إشارة إلى أنه رأى العذاب عند موته وأيقن بذلك ولم يكن يستطيع أن ينطق الشهادتين لأنه يعلم أنها لن تفيد، بل لا يستطيع الظالمون أن يتوبوا في آخر حياتهم، يحرمهم الله من الهداية عقوبةً لهم على جرائمهم في حياتهم، وهذا من عدل الله، ولذلك قد يوقنون بعذابهم فيلهجون به، ولم يكن يشك أهله والمقربون منه في أنه من كبار أهل الجنة! لكثرة ما وضع في نفسه من أحاديث ووفرة الثقافة التي عمل عليها في هذا الاتجاه، إلا أن الله أخرج على لسانه في آخر حياته ما يبطل تلك العقيدة التي أنشأها في حق ما يسميه (خليفة الله في الأرض)! بعد رؤيته العذاب وهو حي: (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا) (مريم: ٧٥)

وقال تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ. أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ) (محمد: ٢٧ ٢٩). وأضغان معاوية خرجت في وصيته ليزيد بأن يضرب أهل المدينة من المهاجرين والأنصار بمسلم بن عقبة، وظهرت قبل

ذلك بما فعله من قبل بلعن علي ورأس عمار وقبر حمزة ومنبر النبي (ص) والسخرية من النبي (ص) وحديثه كما في حديث أبي أيوب الأنصاري.

ما السر في تقليب معاوية قبل وفاته؟

تواترت الروايات بأن أهله كانوا يقلبونه من جنب لآخر، فتقليبه قرينة على أن الدُّبَيْلَة اخترقته، من ظهره حتى نجمت من صدره كما في حديث عمار عن حذيفة، فهو لا يستريح على حال.

وقد وردت في الروايات كثير من الأحوال من تأوهه تأوه الصبي وإصابته بالإغماء وتغير رائحته وجفاف شفتيه وانقلاب فمه إلى تحت أذنه وبقاء إحدى عينيه جاحظتين دائمتي الدمع من آثار اللَّقْوَة، وأصيب في أحسن ما فيه وهو وجهه حتى كان يغطيه هروباً من فحش الصورة وقبحها إلى غير ذلك. إلا أن تقليب معاوية وإغماءه ونتن رائحته كلها تدل على الدُّبَيْلَة فهي من آثارها، ودبيلة معاوية أشد من غيرها لكونها عقوبة إلهية (شهاب من نار يضرب بين أكتافهم فينجم من صدورهم)، استمرت معه طويلاً حتى أرجف به أهلُ الأمصار ووفدت إليه وفودهم للعيادة أو الشماتة. وقد ذكر الله في أول براءة أنه (مخزي الكافرين) ذكر ذلك مرتين، وفي تفسيري لسورة براءة ثبت عندي أن المراد بها الحلف الجديد الذي زعيمه أبو سفيان وحليفه أبو عامر الفاسق صاحب مسجد الضرار، والحلف يضم بقايا منافقي قريش (الطلقاء) مع بني سليم وبقايا اليهود ومنافقي الأوس وقليل من منافقي الخزرج ثم الغساسنة ثم الروم الدولة الراعية لكل هذا الحلف السري الكبير، ولا مجال لإثبات هذا هنا.

ما سر اتخاذ حواصل الطير فرشاً وأردية؟

جاء في البداية والنهاية وغيره قالوا: (وذكروا أنه في آخر عمره اشتدَّ به البرد فكان إذا لبس أو تغطى بشيء ثقيل يغمه، فاتخذ له ثوباً من حواصل الطير، ثم ثقل عليه بعد ذلك، فقال: تباً لك من دار، ملكتك أربعين سنة، عشرين أميراً، وعشرين خليفة، ثم هذا حالي فيك، ومصيري منك، تباً للدنيا ولمحبيها)[1]. وقد سبقت هذه الرواية مسندةً،

---

(١) البداية والنهاية، ٨/ ١٥١.

وفي تقديري أن هذا من آثار الدُّبَيْلَة. فإن حواصل الطير لا تدفيء من البرد وإنما تتخذ للطف ملمسها، فقد أصبح جسده نافراً من أدنى خشونة، بسبب القرحة التي كانت كبيرة جداً وفاحشة قد اخترقت جسمه.

وفي مختصر تاريخ دمشق)[1]:

(وتمثل وقد تعرَّى ورأى تحول جسمه وتغيره فقال:

أرى الليالي مسرعاتِ النقضِ حنَيْنَ طُولي وركبن بعضي

أقعدنني من بعدِ طُول النَّهْضِ)

التعليق: في الرواية تغير جسمه وتحوله. فكان يتعرَّى ولا يقبل على جسده شيء حتى الثياب من حواصل الطير، ولعل هذا من الخزي الموعود.

طول مرض معاوية.. بعض أمراضه استمر سنوات

البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي: (لما مرض معاوية دخل إليه عمرو بن العاص فقال معاوية: أعائداً جئت أم شامتاً؟)[2].

قلت: عمرو بن العاص مات سنة ٤٣هـ على الصحيح، ولم يذكر نوع المرض هنا، ولم يصب معاوية باللَّقْوَة إلا سنة ٤٤هـ بعد وفاة عمرو بن العاص بسنة، كما لم يصب بالدُّبَيْلَة (النقابة) إلا بعد ذلك، فلعله مرض ثالث تكتم عليه معاوية كما يفعل كثير من السلاطين. والظاهر أن الأمراض قد توالت على معاوية من أول استلامه الملك، وتطورت من اليسير إلى العسير لأنها انتهت بالدُّبَيْلَة وتعذَّب منها شهوراً وربما سنوات، لأن الأمصار أوفدت الوفود وأرجف بمرضه بعض المعارضين، فاغتباط النواصب له بتمتعه بالملك لم يكن حقيقة لا دنيا ولا آخرة، لكن الرجل صبَّار كتَّام خدَّاع بلا إيمان أيضاً ولا اعتبار إذ أصر إلى آخر ساعة في عمره على نقض العهود وتولية يزيد والوصية بسفك الدماء والتمهيد للملك العضوض والأثرة ببيت المال والإبقاء على لعن الإمام علي... إلخ، وكأن الله يريد من خلال رميه بالأمراض طوال هذه السنين أن يرينا عناد

---

(١) مختصر تاريخ دمشق، ٧/ ٣٥٢.

(٢) البصائر والذخائر، ١/ ٣٩٤. والخبر في المستطرف للأبشيهي، ١/ ٤٩٦.

الرجل ونفاقه وامتناع الهداية عليه عقوبة من الله، وإلا فالمريض يرق ويضعف ويتخلى عن المظالم ويرغب أن يذهب من الدنيا خفيفاً... إلخ.

وفي الجزء المتمم لطبقات ابن سعد: طال مرضه! (مسلمة بن محارب)

(قال: أخبرنا علي بن محمد، عن مسلمة بن محارب، قال: مرض معاوية فأرجف به مصقلة بن هبيرة وساعده قوم على ذلك، ثم تماثل معاوية وهم يرجفون به، فحمل زياد مصقلة إلى معاوية وكتب إليه: إن مصقلة كان يجمع مُرَّاق أهل العراق فيرجفون بأمير المؤمنين، وقد حملته إليك ليرى عافية الله إياك.

فقدم مصقلة وجلس معاوية للناس، فلما دخل مصقلة قال له معاوية: ادْنُ. فدنا فأخذ بيده وجبذه فسقط مصقلة، فقال معاوية:

أَبقِ الحوادثَ من خليلِك مثل جندلة المراجمْ

قد رامني الأقوامُ قبلك فامتنعتُ من المظالمْ

وقال مصقلة: يا أمير المؤمنين، قد أبقى الله منك ما هو أعظم من ذلك حلماً وكلأً ومرعىً لأوليائك، وسماً ناقعاً لعدوِّك، فمن يرومك؟ كانت الجاهلية وأبوك سيد المشركين، وأصبح الناس مسلمين وأنت أمير المؤمنين.

وأقام مصقلة فوصله معاوية وأذن له في الانصراف إلى الكوفة، فقيل له: كيف تركت معاوية؟ قال: زعمتم فراغ يدي غمزة كاد يحطمها وجبذني جبذةً كاد يكسر مني عضواً)[1].

التعليق: الإسناد مرسل وله شاهد سيأتي، ثم مسلمة بن محارب كان مهتماً بأخبار بني أمية وهو منهم من نسل زياد بن أبيه، فهو مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد (مات سنة ١٤١هـ) وهو مرجع كبير في أخبار بني أمية رغم أنه متهم بوضع الأخبار في بني أمية، ولن يضع إلا ما يرفع قومه.

وهنا شهد شاهد من أهلها بأن مرض معاوية طال رغم التكتم الذي يفعله الملوك، حتى علم به أهل الأمصار وأرجفوا، ثم طلب استقدام مصقلة وجرى ما جرى، ومصقلة لم يرجف حتى شاع الخبر بمرضه في العراق وإلا فمصقلة بن هبيرة كان قد هرب إلى

---

(١) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، ١/ ٦٢.

معاوية أيام علي (في قصة بني ناجية) ولعل إرجافه مجرد إكثار من الحكايات.

محمد بن عبد المطلب بن ربيعة

وفي تاريخ دمشق: (حدثنا ابن أبي الدنيا، حدثنا ابن هشام، عن أبيه، عن محمد بن عبد المطلب بن ربيعة، قال: لما مرض معاوية أرجف به مصقلة البكري.... إلخ)[١].

والأثر في الجليس الصالح

(حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدّثنا ابن أبي الدنيا قال: حدّثنا أبو هشام، عن أبيه، عن محمّد بن عبد المطلب بن ربيعة، قال: لمّا مرض معاوية أرجف به مصقلة البكريّ ثم قدم عليه وقد تماثل... إلخ)[٢].

رواية العتبي في إرجاف مصقلة بن هبيرة

(قال: وحدثنا أبو بكر قال: حدّثنا أبو حاتم قال: حدّثنا العتبيُّ، قال: مرض معاوية رحمه الله، فأرجف به مصقلة بن هبيرة فحمله زيادٌ إلى معاوية)[٣].

وفي البداية والنهاية

(فروى ابن جرير: من طريق أبي مخنف: حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة، أنَّ معاوية لما مرض مرضته التي هلك فيها، دعا ابنه يزيد فقال: يا بني إني قد كفيتك الرحلة والرجال.

ووطأت لك الأشياء، وذللت لك الأعزاء، وأخضعت لك أعناق العرب، وإني لا أتخوَّف أن ينازعك هذا الأمر الذي أسسته إلا أربعة نفر، الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر.

كذا قال: والصحيح أن عبد الرحمن كان قد توفي قبل موت معاوية بسنتين كما قدَّمنا)[٤].

قلتُ: قوله في السنة التي هلك فيها وهمٌ من أحد الرواة، فهذه هي الوصية الثانية، وأما الأولى فقد كانت قديمة أيام حياة عبد الرحمن بن أبي بكر (أي نحو سنة ٥٦هـ)

---

(١) تاريخ دمشق، ٥٤/ ١٣٣.

(٢) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١/ ٤٥٩.

(٣) أمالي القالي، ١/ ٢٧٩.

(٤) البداية والنهاية، ٨/ ١٢٣.

بعد حجة معاوية ألأخيرة. ووصيته ليزيد تدل على أن المرض أصابه بعد عودته من المدينة، أي من بعد سنة ٥٦هـ ما يقارب نحو أربع سنوات، أما إصابته باللَّقْوَة فهذا مؤكد فقد أصيب بها قديماً سنة ٤٤هـ قبل وفاته بست عشرة سنة، وأما الدُّبَيْلَة فمتأخرة ويظهر أنها بقيت فيه سنوات من عام ٥٦هـ (مات نحو عام ٥٦هـ قبل موت عائشة بقليل، ولم يتأخر إلى ٥٨هـ كما قال ابن كثير).

وعلى هذا فلمعاوية وصيتان، الأولى حذر فيها من أربعة (الحسين وابن الزبير وابن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر)، والثانية ليس فيها عبد الرحمن بن أبي بكر، وهذا يدل على أن الرواية الأولى كان فيها عبد الرحمن بن أبي بكر حياً بخلاف الثانية، ولن يوصي معاوية إلا من شدة مرض، والدُّبَيْلَة هي التي أهلكته وأنهكته حتى سقط جلده فأوصى مرتين.

المبحث السابع
روايات إصابته باللَّقْوَة قديماً[1]

وذلك في أول عمرة اعتمرها في عهده! وبقيت فيه حتى مات[2]، وفي ذلك عبرة، فلم يمتعه الله بملكه، وما أن استوى له الأمر حتى مالت عافيته، وربما لولا هذه الأمراض لفعل أبشع وأفظع، لكنها رحمة الله بعباده، كما جرى بعد مقتل الحسين من الكرامات التي توقف بعض تهوك الظالمين عندما يظنون أنهم قادرون عليها، ولن أتوسع في دراسة الأسانيد هنا، لأن هذا البحث استطراد وليس أصلاً، فالأصل مرض الدُّبَيْلَة، إلا أن زيادة الأمراض على ضخامة ذلك المرض يدل على أن معاوية اغتال النبي (ص) أكثر من مرة، ولم يقتصر على تلك المحاولة، بل اغتال النبي (ص) في أخيه علي بن أبي طالب، وفي سبطه الحسن، وفي سبطه الحسين، وفي حمزة، فهنا

---

(١) أصيب في أحسنه بهذه اللَّقْوَة، وهي داء في الوجه فأصابت منه العين والشفة والشدق والخد والوجه بشكل عام، فكانت عينه تسيل دمعاً لا ترقأ، ولا يستطيع كشف وجهه، ولا أن تلتقي شفتاه، نقرأ في كتب اللغة تعريفاً لهذا الداء في مادة (لقو): في لسان العرب: اللَّقْوَة داء يكون في الوجه يَعْوَجُّ منه الشِّدق؛ في المحكم والمحيط الأعظم: اللَّقْوَة: داء يكون في الوجه يعوج منه الشدق؛ المخصص لابن سيده: اللَّقْوَة التي هي الداءُ إنما هو اضْطِرَاب شَكْلِ الوَجْهِ واعوجَاجُه؛ كتاب التوقيف على مهمات التعاريف: اللَّقْوَة مرض ينحدب له شق الوجه إلى جهة غير طبيعية ولا يحسن التقاء الشفتين ولا ينطبق إحدى العينين؛ تاج العروس من جواهر القاموس: (اللَّقْوَة)، بالفتح: داءٌ في الوَجْهِ زادَ الأزْهري: يَعْوَجُّ منه الشِّدْق. وقالت الأطبَّاء: اللَّقْوَة مَرَضٌ يَنْجذِبُ له شقّ الوجْه إلى جهَة غَيْر طَبيعيَّة ولا يحسنُ الْتقاء الشفَتَيْن ولا تَنْطَبقُ إحْدَى العَيْنَيْن؛ فقه اللغة: اللَّقْوَة أنْ يَتَعَوَّجَ وَجْهُهُ ولا يَقْدِرَ على تَغْميض إِحْدَى عَيْنَيْه؛ ويضرب بها المثل في قبح المنظر ففي شرح نهج البلاغة (١٩ / ٢٢٩): وقال العتابي: الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس، وهو عندهم أرفع من السماء، وأعذب من الماء، وأحلى من الشهد، وأزكى من الورد، خطؤه صواب، وسيئته حسنة، وقوله مقبول، يغشى مجلسه، ولا يمل حديثه، والمفلس عندهم أكذب من لمعان السراب، ومن رؤيا الكظة، ومن مرآة اللَّقْوَة... إلخ؛ إسفار الفصيح للهروي: ولقي من اللَّقْوَة يلقى لقوة، بفتح اللام، فهو ملقو، مثل مدعو: إذا اعوج وجهه والتوى شدقه إلى أحد جانبي عنقه، وهو ضرب من الفلاج أيضاً إلا أنه في الوجه، والفلاج في البدن.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٢٧/ ١٢٤: (وَقِيْلَ:كَانَ بِهِ اللَّقْوَة، بَقِيَ فِيْهَا حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ ــ)!!. بل لا رحمه الله.

لا تكفيه الدُّبَيْلَة فقط وإنما لا بد أن تجتمع عليه الأدواء، وهذه عبرة لكنه محروم من الهداية لتتابع بطر الحق وغمط الناس ودعوته إلى النار وبغيه ورده الشرائع علانية ودهائه الذي غرَّ به نصف الأمة، وتغييره الكبير في الثقافة الدينية... إلخ.

وقد رويت قصة إصابته باللَّقْوَة من طريق أبي زناد والشافعي وعبد المؤمن بن المهلهل والشعبي وغيرهم، وتم تأجيل التوسع في هذه الأسانيد في مبحث وفاة معاوية، وكذلك مرضه الثالث (القرة = شدة البرد) وإنما توسعنا في الدُّبَيْلَة هذه لأن لها علاقة بحديث الدُّبَيْلَة. ولا بأس أن نستعرض الروايات مختصرة هنا:

رواية أبي الزناد في اللَّقْوَة

روى البلاذري في أنساب الأشراف: (حدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه، قال: لما صار معاوية بالأبواء في حجته اطَّلع في بئر فأصابته اللَّقْوَة)[1].

التعليق: السند مرسل، وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان من طبقة الزهري، روى له الجماعة، وكان عظيماً عند بني أمية يدخل المسجد النبوي في حرس السلطان وهو من رهط أبي لؤلؤة قاتل عمر[2]؛ وابنه عبد الرحمن شيخ الواقدي صدوق في الجملة وهو على مذهب القوم؛ والواقدي إمام في التاريخ والأخبار وفيه تعصب عن روايات العراقيين، ومادته حجازية؛ ومحمد بن سعد صاحب الطبقات بصري وفيه نصب.

وهذا الداء الذي أصاب معاوية في عمرته سنة ٤٤هـ كما سيأتي، وقد حج معاوية بعد ذلك ثلاث مرات، أفسد فيها أيّما إفساد، ففي الأولى عبث بقبر حمزة وشهداء أحد، وحاول العبث بالمنبر النبوي الذي ذكّره بخُطب النبي (ص) فيه وفي المنافقين استجابة لقوله تعالى) واغلظ عليهم(، ولم يخبرنا التاريخ كيف استجاب النبي (ص) لهذا الأمر القرآني؟ ولكنا وجدناه والحمد لله! وفيها أرعب بجيشه الأنصار وسكان الحرمين، ولعل في عمرته تلك ومروره بالأبواء واطلاعه على البئر العادية كان يريد شراً برفات أم النبي (ص) آمنة بنت وهب فقد كانت مدفونة بالأبواء وليس عليها طريق

---

(١) أنساب الأشراف، ٢/ ٨٥.

(٢) وهذا التعظيم له من قرائن أن معاوية هو الآمر بقتل عمر، وهذا بحث آخر.

الحاج ولا المعتمر.

ماذا أراد من بئر الأبواء؟

إذن فأنا أرجح من خلال خبرتي بمعاوية وأمه وأبيه أنه أراد ينبش قبر أم النبي (ص) آمنة بنت وهب ووضعه ثم يطرح رفاتها في بئر عادية انتصاراً لجده وخاله وأخيه الذين وضعهم النبي (ص) في قليب بدر، مثلما رفس أبوه أبو سفيان قبر حمزة، ومثلما صرَّح يزيد في شعره بالانتقام من آل أحمد بعد مقتل الحسين وأنه عدَلَ ميلَ بدر فاعتدل، وفي هذه الساعة التي نظر فيها معاوية لتلك البئر ضربه الله باللَّقْوَة في الأبواء لحفظ رفات أم النبي (ص)، فالتوى شدقه حتى صار تحت أذنه فأشغله الله بنفسه فأسرع إلى مكة وترك ما هَمَّ به.

هذا تحليل وربط ولم ترد فيه رواية من العلم بالشخصية مع قرائن قد تكون قوية تتيح لنا التنبؤ بما يريد أن يعمله معاوية بقبر أم النبي (ص) وبسبب تلك العقوبة السريعة.

وعندي أنه همَّ بنبش قبر أم النبي (ص) ورمي رفاتها في بئر عادية، لكن الرجل داهية كبير، ولا يفهمه حتى في عصره إلا القليل ممن أنار الله قلوبهم فأصبحوا ينظرون بنور الله.

الرواية الثانية: رواية الشافعي في إصابته باللَّقْوَة (بتصرف وفيها شيء من الدُّبَيْلَة)

في حلية الأولياء ٤٣٠ (٩ / ١٥٤): (حَدَّثَنا أبي رحمه الله، حَدَّثَنا أَحمد بن محمد بن يوسف، حَدَّثَنا أبو نصر المصري، حَدَّثَنا وفاء بن سهيل بن أبي سحرة الكندي، حَدَّثَنا محمد بن إدريس الشافعي، قال: ذكروا أن معاوية بن أبي سفيان اعتمر فلما قضى عُمرته وانصرف بالأبواء فاطلع في بئرها العادية[1] فضربته اللَّقْوَة... أنا اليوم ابن ستين سنة[2]... ثم بكى! فارتفع الناس عنه، فقال له مروان بن الحكم: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال وقفت والله عما كنت عليه عروقا وكثر الدمع في عيني وابتليت

(١) اسمها بئر الطلوب ففي معجم ما استعجم (٣ / ٩٥٥) قال: فهذا ذكر الطريق من المدينة إلى الجحفة، وعلى سبعة أميال من السقيا بئر الطلوب وهي بئر عادية وهي التي اطلع فيها معاوية فأصابته اللَّقْوَة فأغذَّ السير إلى مكة.

(٢) سيأتي في رواية قادمة أنه قال (ابن بضع وستين).

في أحبتي وما يبدو مني، ولولا هواي في يزيد ابني لانصرف قصدي، فلما اشتد وجعه كتب إلى ابنه يزيد أدركني وسرج له البريد... إلخ)، وذكر شعر يزيد.

وفي آخر الرواية: (قال فانتهى يزيد الى الباب وبه عثمان بن عنبسة قال فقال له: مالك بجنبٍ عن أمير المؤمنين، قال: فأخذ بيده فأدخله على معاوية فاذا هو مغمى عليه... إلخ)[1]. وفيها ذكر أنه كان مع النبي (ص) في تبوك فقال (صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك...) ثم وضع حديثاً!

التعليق: الحديث اختصرته وهو مطول في مبحث وفاة معاوية.

إذا كان عمره ستين سنة ساعة إصابته باللَّقْوَة، فهذا يعني أنها أصابته في أول ملكه، لأن عمره كان (٧٨سنة) ومات سنة ٦٠هـ وهذا يعني أن اللَّقْوَة بقيت فيه ثماني عشرة سنة، من سنة ٤٢هـ بعد سنة واحدة من استلامه الملك، وعلى هذا ربما أنه اعتمر قبل سنة ٤٤هـ أو أن كلامه مبني على حذف الكسر، فيكون أصيب سنة ٤٤هـ وكان عمره ٥٨ سنة فقال (ستين) من باب جبر الكسر. وإن كانت الرواية (ابن بضع وستين كما في بعض الروايات) فهذا قريب أيضاً، فلا تفرق الثلاث سنوات أو الخمس، كلها تحمل على جبر الكسر[2].

أما أين أصيب باللَّقْوَة؟ ففي الأبواء وفيها قبر آمنة بنت وهب أم النبي (ص) مع أن طريق الحاج لا تمر بها في العادة (أعني طريق الجادة، وإنما كان النبي (ص) يفضل المرور بها ليزور قبر أمه)، وليست ثغراً من ثغور المسلمين حتى يتفقده معاوية، فلماذا كان في الأبواء؟ لا أجد سبباً كافياً إلا وجود قبر آمنة بنت وهب فيها، (نعم أصبحت الجادة منها فيما بعد، أما في عهد معاوية فلم تكن الجادة).

---

(١) حلية الأولياء، ٩/ ١٥٤.

(٢) ولد قبل النبوة بخمس سنين تقريباً، وعلى هذا فعمره عام الهجرة (١٨ سنة)، ويوم فاة النبي (ص) = ٢٨ سنة، ويوم وفاة أبي بكر = ٣٠ سنة، ويوم وفاة عمر = ٤٠ سنة، ويوم وفاة عثمان = ٥٢ سنة، ويوم وفاة علي ٦٢ سنة وولي الملك وهو في هذا السن ويوم وفاته ٨٢ سنة تقريباً. وعلى هذا إن كان أصيب عام ٤٤ هـ فيصح أنه ابن بضع وستين سنة، وقد بقيت فيه اللَّقْوَة من عام ٤٤هـ إلى وفاته سنة ٦٠هـ مدة ١٦ سنة، ومتى أضاف الله له مرض الدُّبَيْلَة؟ يحتاج إلى بحث، ولكنها استمرت فيه مدة لا يستهان بها بدلالة سماع أهل الأمصار وإرجافهم وإرسال الولاة لبعض الوفود عائدين له، فهذا خاص بالدُّبَيْلَة وهي التي تحدث الناس أنها قاتلته.

ليس هناك من سبب لزيارته الأبواء، ولا نظره في بئر عادية (قديمة) إلا وجود قبر أم النبي (ص) هناك، فليس الرجل محباً للتنزه لضخامة جسمه، وليس محتاجاً إلى الماء ليذهب إلى بئر فهو سلطان ومعه كل ما يلزمه من ماء وخدم، وليس باحث آثار حتى يتتبع الآبار القديمة المهجورة! وقد زرت الأبواء قبل سنة أو سنتين، ورأيت مكان قبر أم النبي (ص) ودعوت لها، وقد عبث هؤلاء الحمقى بالمكان ومسحوه بالآلات خشية الشرك! فهم يهربون مما يخشونه من عبادة الصالحين إلى عبادة الظالمين.

إذن فإذا صح هذا الاحتمال فماذا تتوقعون نية معاوية؟ وماذا يريد من رفات أو جثة أم النبي (ص)؟

فالجواب: من خلال معرفتي بمعاوية وأبيه وأمه، فأنا أرجح أنه أراد منها ما أراده من جثة سيد الشهداء حمزة! ونحن نعرف أن جثة حمزة أجرى عليها الماء مع حفر القبور (قبور الشهداء) بحجة أنه يريد ماء لقصر بناه هناك! وضربوا قدمه بالمسوح فثعب دماً، وربما قبر آمنة بنت وهب ليس بجوارها بئر أو ماء نضاح فماذا يكون الحل؟ كيف يستطيع أن يهين هذه الجثة الشريفة كما أهان جثة حمزة؟ الجواب سهل، أن ينبش قبرها ويرميها في بئر عادية قديمة، انتصاراً لخاله وجده وأخيه يوم بدر الذين ألقاهم النبي (ص) في قليب بدر.

إذن فقد ذهب الرجل يستطلع الآبار القديمة ومع أول بئر عادية ينظر فيها ضربه بالله باللَّقْوَة فشغله الله بنفسه، وأسرع إلى مكة، وجرى كلامه هذا في مكة.

وكلامي هذا ليس معلومات فقد أهمل التاريخ أكثر مما دوّن، ولكن هذا تحليل، فأنا أعرف معاوية جيداً، ولبثت معه سنوات، حتى كأني عشت معه، وأصبح عندي دربة على تفسير أفعاله وأقواله ومواقفه، وعلى الأوقات التي تتدخل فيها القدرة الإلهية لإيقاف الظالم، وسنة الله في حرمانه المتكبرين من الهداية والاعتبار، وبهذا كله يستطيع الباحث تحليل شخصية معاوية، وأما عند نقص واحد من هذه العوامل فسيفتقد الباحث لقوة التحليل، فالعلم والهداية والفراسة نور يبعثه الله في القلوب لكشف سبيل المجرمين، ولمعرفة سنن الصالحين، ومن أحب محمداً (ص) أمدّه الله بقوة كاشفة لتصرفات أعدائه.

وعلى كل حال، فهذا هو معاوية، وهذا هو مكره الذي خفي على الأجيال، وهذا هو

نفاقه، وهذا هو دهاؤه، وهؤلاء هم أتباعه الباكون ببكائه الداعون له بالصحة والعافية!

ثم ألا ترون هذا الرجل ودهاءه؟ وكيف أنه مصر على الزندقة والسخرية من الدين؟ فهو رغم هذه الأمراض التي يتأوه فيها تأوه الصبي ويستغيث بالقريب والبعيد، ويتباكى أمام العامة، لا يفتأ لسانه رطباً بالموعظة! متكلماً في الابتلاء وأحوال أصحابه! راجياً أن يكون من هؤلاء الصالحين! أو من هؤلاء الممحصين! طالباً للدعاء وهو لا يؤمن به! مستدراً العواطف، خادعاً أكثر الناس، مصراً على تولية يزيد! وفوق هذا يذكر تبوك التي كان له فيها قصة العقبة! ويضع الأحاديث! ثم يوصي بانتهاك أهل المدينة! ويصر على لعن عليّ... إلخ ويخدع الجميع بدعوى التبرك بآثار النبي (ص).. ففي هذا كله بقاء الملك لأسرته، فقد أسلم أكثر الناس في عهده، والإسلام الشكلي إسلام معاوية أكبر موطد للظالمين، وأكبر جالب للأموال، والناس لهذا الإسلام أطوع، وبه يصلون إلى الغايات الدنيوية، وبه تخف المنافسة بين اليمانية والقيسية... إلخ، فلا يظن المغفل أن هذا الخداع كله لا أثر له في تشييد الملك له ولأسرتهن وتقليل الأطماع من منافسيهم، والحب بظهر الغيب من كل بليد، ثم الأمة غارقة في الجهل إلا الندرة، وبأقل من هذا يمكن خداعهم، فقد خدعهم بدهائه كله، وهذا كثير عليهم.

ثم الإغماء المذكور من أثر الدُّبَيْلَة على الراجح، فلا يعرف في اللَّقْوَة أنها تؤدي إلى الإغماء.

وفي تاريخ الإسلام للإمام الذهبي

(وذكر غيره: أن معاوية أصابته اللَّقْوَة قبل أن يموت، وكان اطلع في بئر عادية بالأبواء لما حج، فأصابته لقوة، يعني بطل نصفه)[1].

التعليق: بطل نصفه، قد يعني نصف وجهه في منتصف ملكه! أي نحو عشر سنوات! وربما أكثر، فهي في أول حجة حجها، وكان عمره يومئذ ستين سنة! وقد بقي بعد ذلك ثمان عشرة سنة، مات وعمره (٧٨سنة) على المشهور، ولا أظن أن المراد نصف جسمه، ولا علم لي في تمدد اللَّقْوَة إلى الجسم، إنما نتيجتها في وجهه أن أصبح فمه معكوفاً تحت أذنه، وأصبحت إحدى عينيه مفتوحة تسيل دمعاً لا يرقأ، وهذا عذاب

---

(١) تاريخ الإسلام، ٤/ ٣١٥.

شديد، لكنه لم يعتبر، فإذا طبع الله على قلب متكبر جبار فإنه لا أمل في شفائه من هذا الختم الأبدي، وإنني لأستغرب أن يصل هذا العذاب إلى أيام الذهبي وتواتر في التاريخ ولا يعتبر به النواصب.

وفي البيان والتبيين آثار اللَّقْوَة

(ولما سقطت ثَنِيَّتا معاوية لفَّ وجهَه بعمامة)[1].

وفي البصائر والذخائر، اللَّقْوَة بالأبواء

(قال الهيثم بن عدي: خرج معاوية يريد مكة، حتى إذا كان بالأبواء، أطلع في بئر عادية فأصابته اللَّقْوَة، فأتى مكة)[2].

إصابة معاوية بالقرة (شدة البرد = من آثار الدُّبَيْلَة)[3]

في سير أعلام النبلاء: (يُوْسُفُ بنُ عَبْدَةَ: سَمِعْتُ ابْنَ سِيْرِيْنَ يَقُوْلُ: أَخَذَتْ مُعَاوِيَةَ قِرَّةٌ، فَاتَّخَذَ لُحُفاً خِفَافاً تُلْقَى عَلَيْهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ يَتَأَذَّى بِهَا، فَإِذَا رُفِعَتْ، سَأَلَ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: قَبَّحَكِ اللهُ مِنْ دَارٍ، مَكَثْتُ فِيْكِ عِشْرِيْنَ سَنَةً أَمِيْراً، وَعِشْرِيْنَ سَنَةً خَلِيْفَةً، وَصِرْتُ إِلَى مَا أَرَى)[4].

التعليق: زيادة العشرين سنة والعشرين سنة كأنها من ابن سيرين لزيادة الوعظ، أو أن ابن سيرين يريد أن يوحي بأن ذلك في آخر عمر معاوية وأن ذلك لم يكن طويلاً! لأن معاوية مات بعد أن حكم العشرين والعشرين، فليطمئن محبوه!.

وعلى كل حال: فهذا مرض ثالث، ولعله من آثار الدُّبَيْلَة، وهذه عقوبة ثالثة، إذ قد

---

(١) البيان والتبيين، ١/ ٣٣٢.

(٢) البصائر والذخائر للتوحيدي، ١/ ٤.

(٣) وهو البرد الشديد، ففي المعجم الوسيط (قرَّ): القرة: البرد وما يصيب الإنسان وغيره من البرد؛ وفي المخصص لابن سيده: القُرُّ البردُ عَامَّة وقال بعضهم القُرُّ في الشتاء والبردُ في الشتاء والصيف فأما القِرَّة فما أصاب الإنسانَ منه. وفيه أيضاً: أبو عبيد الحَرْجَفُ القِرَّةُ وهي الصَّرْصَرُ والصِّرُّ؛ وفي تاجِ العروس من جواهر القاموس (حَرَرَ): (مِن دُعائهم: (رَمَاه الله بالحِرَّة تَحْتَ القِرَّة)؛ يُريدُ العَطَشَ مع البَرْد، وأَوْرَدَه ابنُ سِيدَه مُنْكَراً فقال: ومِن كلامهم: حِرَّةٌ تَحتَ قِرَّة؛ أي عَطَشٌ في يَوم بارد، قال اللِّحْيَانيّ: هو دُعاءٌ معناه رَمَاه الله بالعَطَش والبَرْد. وفي تاج العروس أيضاً (قره): القَرَهُ أيضاً كالقَرَح، وهو (تَقَوُّبُ الجِلْدِ من كَثْرَةِ القُوَباءِ)، عن ابنِ الأعْرابيّ. وقيل: هو (اسوِدادُ البَدَنِ أو تَقَشُّرُهُ من شَدَّة الضَّرْب.

(٤) سير أعلام النبلاء، ٥/ ١٥٢.

وردت روايات أنه لا يقبل على جسمه أي رداء، إذ يتأذى حتى من الثوب المعمول من حواصل الطيور، ثم أصيب بالبرد على هذا وكان يتعرى في البرد، والشام باردة أيضاً، فجمع الله له الزمهرير الخارجي ونار الدُّبَيْلَة الداخلية، لكنه مع هذا رجل جبار لم يعتبر، أو لم يوفقه الله إلى ذلك، فلم يغير من مظالمه شيئاً، وكان أظهر تلك الأشياء أن لا يجعل أمر الأمة إلى رجل فسِّيق كابنه يزيد، وإنما يجعل الأمر شورى ويعيدها إلى الصحابة والتابعين، ويلقيها من رقبته، هذا أقل ما كان يمكن لمعاوية فعله. فكيف وقد أتبعه بوصية أن يرمي أهل المدينة بمسرف بن عقبة، ويوصي بلعن علي وبتعميم هذا، ونحو هذه الأمور التي تدل بوضوح على أن الله لم يوفقه للتوبة، فهو كبني إسرائيل، رأوا من آيات الله الحسية الكثير، لكن قال الله عنهم في ختام ذلك)ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة(. فلا يظننَّ أحد أنه سيردعه إصابته باللَّقْوَة أو الدُّبَيْلَة أو انبعاث الدم من قدم حمزة أو كسوف الشمس يوم المنبر... إلخ، فآيات بني إسرائيل أبلغ ولم يهتدوا، لأن تتابع الكبر والعناد والمضادة لله ورسوله يصرف القلب عن الهداية وتكون هذه الأكنَّة من عمل الكبر والعناد فتصبح في الوقت نفسه عقوبة، وليس هناك عقوبة أبلغ من الحرمان من الهداية، والمتعصبون له اليوم على المنهج نفسه، لو تأتيهم بكل آية ما تبعوا حجتك، وهذا من الكبر أن يقال: هؤلاء الشيوخ الأجلاء! يخضعون في آخر الأمر لدليل قدمه فلان؟

اللهم لا تصرف قلوبنا عن الحق كما صرفت قلوبهم.

استطراد (١): نبشه قبر حمزة

وما ذكرته عن ترجيحي بأن معاوية أراد نبش قبر أم النبي (ص) ورمي رفاتها في تلك البئر العادية بالأبواء لم أقله من فراغ أو من حب تتبع مساوئ معاوية، ولكنها قياس على ما نعرفه من سيرة معاوية.

وهذان استطرادان يبينان أن معاوية ليس سليم النية في كثير مما يعمله، وإنما الناس فيهم غفلة وسلامة باطن! فهذا ليس بغريب على معاوية فقد أمر بنبش قبور شهداء أحد لأجل أن يهين سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب[١]، وقد تم له ما أراد كما سيأتي،

(١) والحديث عند ابن إسحاق في المغازي وابن المبارك في الجهاد والواقدي في المغازي وعبد الرزاق

وتمكن من ذلك وضربوا قدم حمزة بالمسحاة فانبعث دماً، انتقاماً لقتله عتبة بن ربيعة يوم بدر، وأجرى معاوية عيناً على بقية الشهداء ثم صرخوا في أهل المدينة ليحملوهم من بين الأوحال يتثنون، حتى أن أبا سعيد الخدري قال (لا يُنكر بعد هذا منكر أبداً)، فقد عرف قصد معاوية من هذا العمل الدنيء. هذه الحادثة حادثة نبش قبور شهداء أحد والتمثيل بجثة حمزة كانت سنة ٥٠هـ، أي بعد ٤٦ سنة من وقعة أُحد (حسب الأشهر)، وهي في السياق نفسه من أكل أمه هند لكبد حمزة وتمثيل أبي سفيان بجثته يوم أحد ثم رفسه قبره في خلافة عثمان، فروى عبد الرزاق بسند صحيح على شرط مسلم: (عن ابن عيينة، عن أبي الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: لما أراد معاوية أن يجري الكظامة قال: من كان له قتيل فليأت قتيله يعني قتلى أُحد قال فأخرجهم (يعني معاوية) رطاباً يتثّنون؛ قال فأصابت المسحاة رِجْلَ رَجُلٍ منهم فانفطرت دماً، فقال أبو سعيد: لا ينكر بعد هذا منكر أبداً)[1]، وسنده صحيح على شرط مسلم. والرجل الذي عبثوا بجثته وقطعوا قدَمَه هو حمزة رضي الله عنه من رواية أبي الزبير عن جابر من طريق آخر (قال أبو عمر: الذي أصابت المسحاة إصبعه هو حمزة رضي الله عنه رواه عبد الأعلى بن حماد قال: حدثنا عبد الجبار يعني ابن الورد، قال: سمعت أبا الزبير يقول: سمعت جابر بن عبد الله يقول: رأيت الشهداء يُخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نُوَّم حتى إذا أصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانبثقت دماً)[2]، لكن سفيان بن عيينة فيه نصب فأخفى ذكر حمزة، ومن يعرف معاوية يعرف تماماً أن هذا لم يحدث مصادفة، وأنه نبش القبور بحجة أنه يريد إجراء عينٍ من ذلك المكان! وربما كان قصده الرئيس التمثيل بجثة حمزة فلما انبعث الدم من قدمه رطباً فعندها توقَّف العمال والوالي من مواصلة العبث بهذه الجثث الشريفة، ونادوا في أهل المدينة مستصرخين!

في المصنف، وهو في مصنف ابن أبي شيبة، والطبقات الكبرى لابن سعد؛ وهو أيضاً في: عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٢٥٥)؛ تفسير الثعالبي (١/ ٣٣٣)؛ دلائل النبوة للبيهقي؛ صفة الصفوة لابن الجوزي؛ البحوث العلمية (٥ / ٢٤٣) دار الإفتاء بالسعودية؛ سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢٦)؛ وذكره السفاريني الحنبلي في كتابه العقائدي لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٦٨)، وغير هذا كثير، وقد توسعنا يف هذا العمل ودلالاته في كتابنا عن معاوية، وسننتقي منها الأصح والأكثر شهرة.

(١) المصنف لعبد الرزاق، ٣/ ٥٤٧.

(٢) التمهيد لابن عبد البر، ١٩/ ٢٤٢.

بعد أن نبشوا بعض القبور وتعمَّدوا ضرب قدم حمزة، ولذلك قال أبو سعيد: (لا ينكر منكر بعد هذا أبداً)! ولو كان الأمر مجرد خطأ ما قال أبو سعيد الخدري هذا الكلام، فهذا فهم السلف الصالح لمعاوية يا أتباع السلف! ومعاوية وأشياعه يعرفون قبر حمزة تماماً، فقبل ذلك رفَسَه أبو سفيان في عهد عثمان قائلاً: قد عدنا يا حمزة، والأمر الذي اجتلدنا عليه وصل إلى غلماننا فهم يتلعَّبون بالملك، أو نحو هذا؛ فبنو أمية يعرفون قبر حمزة، ولأجل ذلك أخفى الحسن والحسين قبر الإمام علي حتى لا يجري معاوية عيناً بالنجف أيضاً ويعبث بجثة الإمام علي كما عبث هو وأبوه وأمه بجثة حمزة، وهذا الحقد الأموي السفياني على حمزة لأنه قتل عتبة بن ربيعة جدّ معاوية لأمه، فكيف بحقد هذه العائلة على علي وقد قتل حنظلة بن أبي سفيان أخا معاوية وأسر أخاه الآخر عمرو بن أبي سفيان يوم بدر، وقتل الوليد بن عتبة خال معاوية يوم بدر واشترك في قتل عتبة بن ربيعة نفسه، فلا بد هنا أن يكون بغضهم للإمام علي أكثر بكثير من بغضهم لحمزة، وهذه العائلة ماكرة لا يفهمها المغفلون. وقد ذكر القرآن الكريم عن مكر قريش ما فيه كفاية لمن أراد أن يفهم هؤلاء، وهم فضلاً عن ذلك متوحشون، يمثلون بالموتى ويرفسون القبور ويأكلون الأكباد ويقطعون المذاكير ويتخذون من هذا وهذا خلاخل وخواتم، كما فعلت هند وجواريها، نعوذ بالله من هذا الانحطاط في الخلق والدين والمروءة، ثم ما هذا الحفر العنيف؟ لدرجة أن تصاب رجل حمزة وتنبعث دماً؟! تصور لو أنك أنت تريد نقل جثة ميت هل سيحصل هذا؟ كلا، فمقاس اللحد معروف، والمسحاة يمكن أن تأخذ التراب شيئاً فشيئاً فهي ليست آلة كهربائية تقطع ما صادفها، وليس التراب صخراً يحتاج كل هذه القوة! إنما يستطيع الحافر أن يراعي ذلك بسهولة بجذب التراب بطرف المسحاة، وقد اشتغلنا في المزارع ونعرف أننا لو أردنا أن لا نجرح فسيلة موز لاستطعنا بسهولة دون أن يصيبها أدنى جرح، لكن حسن الظن السلفي بالأشرار وإساءة ظنهم بالأخيار أدى إلى البرودة في تفسير الموقف بل تسويغها كما سيأتي ضاربين بقول أبي سعيد الخدري عرض الحائط.

ومع كل ذلك فإن مغفلي الصالحين جعلوا هذا العبث بجثث شهداء أُحد من دلائل فقه معاوية واحتجوا به في كتب الفقه في مسألة نقل الموتى للمصلحة العامة! يقول الحطاب الرعيني على قول خليل: (والقبر حبس، لا يُمشى عليه، ولا يُنبش إلا أن يشح

رب كفن غصبه. قال الحطاب: وكذلك إذا احتيج للمقبرة لمصالح المسلمين كما فعل سيدنا معاوية رضي الله عنه في شهداء أحد، عن جابر رضي الله عنه)[1]!

هكذا معاوية سيدنا! أما جابر بن عبد الله فيذكره بلا تعظيم! وأصبح العابث بالشهداء فقيهاً مأجوراً كما أنه مأجور على كل مظالمه، وربما لو نجح في اغتيال النبي (ص) لكان مجتهداً مخطئاً وله أجر على اجتهاده! فقد اكتملت النبوة، ولا داعي لبقائه أكثر من هذا حتى لا تنزل تشريعات يعجز عنها المسلمون، فأجرى الله على يديه رحمة هذه الأمة!.... إلخ هذه شنشنة نعرفها من القوم، وهي عقوبة من الله.

فضلاً عن أن المصلحة هنا خاصة، وهي عينٌ لمعاوية يريد أن يُجري ماءها ولم يجد إلا أن يجريها من فوق قبور الشهداء، ثم لم يصرخوا في أهل المدينة حتى ضربوا حمزة بالمساحي! فهلا كان قبل ذلك؟ لكن أهل الغفلة لا يكتشفون دهاء الظالمين، ولا صدق الصالحين، فتراهم خلف كل ظالم نافرين عن كل عادل، وهذه عقوبة إلهية بحث من يعطل نعم الله عليه من عقل وقلب.

التفاتة: ونقرأ لدى عمر بن عقيل قوله: (ركل قبر حمزة برجله اقتداء بإبليس في ركله جسد آدم عليه السلام، ونرى أن أبا سفيان أراد بمخاطبته حمزة بقوله: إن الأمر الذي كنتَ تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم، مقابلة خطاب رسول الله (ص) لأصحاب قليب بدر بقوله: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإنا وجدنا ما وعد ربنا حقاً! انتهى. فلا تستبعد أبداً أن يكون أبو سفيان وقف على قبر النبي صلى الله عليه وآله وقال له شبيها بقوله لحمزة)[2]!.

قلت: لا أستبعد قول الشيخ ابن عقيل، والقرائن تدل على هذا، ومن عرف هذه العائلة عرف أن مدار مكرهم هو ضد النبي (ص) والثأر منه والانتقام من دينه وقرابته وأنصاره، وقد نجحوا إلى حد بعيد للأسف الشديد، كما نجح إبليس مع أهل سبأ من قبل (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (سبأ: ٢٠).

---

(١) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ٣/ ٧٦ ٧٧.

(٢) تحقيق النزاع والتخاصم، ٢٢٧.

استطراد (٢): عمل معاوية على اقتلاع المنبر النبوي أكثر من مرة!

أعني منبر النبي (ص) أراد معاوية اقتلاعه من موضعه سنة ٥٠هـ عندما حج، بمزاعم واهية، مرة بدعوى أن أهل المدينة قتلوا عثمان فلا يستحقون وجود المنبر النبوي هناك! وأنه يريد نقله إلى الشام! لكن ظهرت آيات من كسوف الشمس وشدة الريح وإظلام الدنيا ما جعله يتراجع عن عزمه ويتركه، ومرة بدعوى أنه يريد أن ينظر ما تحته! ومرة بدعوى أنه يخشى عليه الأَرَضَة! وظهرت الآيات. فواضح أن محاولاته اقتلاع المنبر النبوي ربما تكررت، ولا يعتبر كعادته، بل سبق أن كتب لمروان ليقتلعه وظهرت الآيات فكأن معاوية لم يقتنع فهو مادي دهري كأبيه، فلما حج أراد أن يجرب بنفسه فلما ظهرت الآيات توقف، وقيل نصحه بعض الصحابة، أنه إن أراد أن ينقل المنبر فلينقل المسجد، والأول أصح! فإنه لا يوقفه عن نية السوء إلا العجز إما لآية ظاهرة أو ممانعة شديدة، وربما لو نجح ونقله إلى الشام لألقاه على المزابل، وخصومة معاوية مع كل آثار النبي (ص) مشهورة فقد سلب عصا النبي (ص) من سعد القرظ ونبش قبر حمزة.

وقد بوب الطبري باباً في هذا الحادث الجلل من حوادث سنة ٥٠هـ لا بأس أن نذكره: (ذكر إرادة معاوية نقل المنبر إلى المدينة: قال محمد بن عمر: وفي هذه السنة أمر معاوية بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يحمل إلى الشام، فحُرك، فكسفت الشمس حتى رُئيت النجوم باديةً يومئذ، فأعظم الناس ذلك، فقال: لم أرِدْ حمله، إنما خفت أن يكون قد أَرِضَ، فنظرت إليه. ثم كساه يومئذ، وذكر محمد بن عمر، أنه حدَّثه بذلك خالد بن القاسم، عن شعيب بن عمرو الأموي.

قال محمد بن عمر: حدثني يحيى بن سعيد بن دينار، عن أبيه، قال: قال معاوية: إني رأيت أن منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصاه لا يتركان بالمدينة، وهم قتَلة أمير المؤمنين عثمان وأعداؤه، فلما قدم طلب العصا وهي عند سعد القرظ، فجاءه أبو هريرة وجابر بن عبد الله، فقالا: يا أمير المؤمنين؛ نذكرك الله عز وجل أن تفعل هذا، فإن هذا لا يصلح، تخرِج منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضعٍ وضعَه، وتخرج عصاه إلى الشام؛ فانقل المسجد. فأقصر وزاد فيه ست درجات، فهو اليوم ثماني درجات، واعتذر إلى الناس مما صنع.

قال محمد بن عمر: وحدثني سويد بن عبد العزيز، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن أبان بن صالح، عن قبيصة بن ذؤيب، قال: كان عبد الملك قد هَمَّ بالمنبر، فقال له قبيصة بن ذؤيب: أذكرك الله عز وجل أن تفعل هذا، وأن تحوِّله! إن أمير المؤمنين معاوية حركه فكسفت الشمس، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حلف على منبري آثماً فليتبوأ مقعده من النار؛ فتخرجه من المدينة وهو مقطع الحقوق بينهم بالمدينة! فأقصَرَ عبدُ الملك عن ذلك)[1].

والخبر في الكامل في التاريخ والسيرة الحلبية وغيرها من المصادر.

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ١٨٧.

المبحث الثامن
أساليب النواصب في حماية معاوية وأبي سفيان
من هذا الحديث

أنموذج (١): إنكار أن يكون الفاعلون من قريش!

وإذا تم تبرئة كل قريش فهي تبرئة لمعاوية لأنه من قريش، وهذه فعَلها بعض المقربين من معاوية نفسه، وهو نافع بن جبير بن مطعم بن عدي النوفلي، وهم (نوفل وأمية) حليفان من أيام الجاهلية ضد بني هاشم وبني المطلب.

ففي مغازي الواقدي: (قَالَ حَدّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سُحَيْم، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ[1]، قَالَ لَمْ يُخْبِرْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَحَدًا إلاّ حُذَيْفَةَ؛ وَهُمْ اثْنَا

---

(١) نافع بن جبير بن مطعم بن عدي النوفلي حليف بني عبد شمس، مات نحو عام ٩٩هـ، كان مقرباً من معاوية وبني أمية، يصلي معه في المقصورة ويستفيد منه، ويكسر أنف حاجبه إن حجبه عن معاوية ويفتخر بموقعه من معاوية. ففي أنساب الأشراف، ٢/ ٩٩: (المدائني عن مسلمة بن محارب، قال: استأذن نافع بن جبير بن مطعم على معاوية فمنعه الحاجب، فكسر أنفه ومعاوية ينظر، فلما دخل عليه قال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: وما يمنعني من ذلك وأنا بالمكان الذي أنا به من أمير المؤمنين؟ فقال له أبوه وكان عند معاوية ــ: ويحك، ألاَ قلت وأنا بالمكان الذي أنا به من عبد مناف بن قصي؟!). وقد بقي بعد وفاة معاوية يطريه ويثني عليه، ففي أنساب الأشراف، ٢/ ١٠٤: (المدائني، عن عبد الحميد الأشج، عن خالد بن سعيد، قال: خرج عبد الملك ومعه نافع بن جبير بن مطعم، فوقف على راهب، فذكر الراهب معاوية فأطراه، فقال عبد الملك لنافع: لشد ما أطرى هذا الراهب ابنَ هند، فقال نافع (بن جبير): إن معاوية كان لذلك أهلاً، أصمته الحلم وأنطقه العِلم!، بجأش ربيط، وكف ندية!). وفي سر الفصاحة، ١/ ٦٢: (وبلغ عليَّ بن الحسين عليه السلام قولُ نافع بن جبير في معاوية: كان يسكته الحلم، وينطقه العِلم، فقال: بل كان يسكته الحصر، وينطقه البطر. وفي نثر الدر للآبي، ١/ ٦٩: (وبلغه عليه الرحمة قولُ نافع بن جبير في معاوية حيث قال:كان يسكته الحلم،وينطقه العلم. فقال:كذب،بل كان يسكته الحصر،وينطقه البطر. وكان نافع مع الحجاج في حصار ابن الزبير وقتْله، ففي أنساب الأشراف، ٢/ ٤٢٠: (المدائني عن أبي طالب بن ميمون، عن ابن أبي عتيق، قال: كان ابن الزبير مضطجعاً في المسجد وولده وأهل مكة يخرجون إلى الحجاج، وأنا عند رجله فقال: ما هذه الأصوات، أين يذهبون؟ قلت: إلى الحجاج، قال: فما يمنعهم أن يكفوا أصواتهم فقد منعونا النوم، فقلت في نفسي: أتراه جاداً، ثم سمعت غطيطه؛ قال: ووقف الحجاج على جثة ابن الزبير ومعه نافع بن جبير بن مطعم، فقيل لنافع: ما قال لك؟ قال: أريد صلبه، فنهيته). ولم ينتهِ فقد صلبه الحجاج، وعجبي من وقوف هذا الفقيه مع الحجاج في حصار مكة وضرب

الكعبة؟ وقد واصل التواصل مع الحجاج فوفد إليه في العراق وغزا في جيوشه، يقول البلاذري في أنساب الأشراف، ٤/ ٣٢٤: (قالوا: وقدم نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل على الحجاج فأمره بقتل رجل، فاعتل فأغفل الحجاج برَّه، فمضي إلى المدينة فبعث إليه الحجاج بثلاثمائة دينار صلة لحِقَه بها الرسول وقال: استعن بها في سفرك). وكان مع الوليد بن عبد الملك أيضاً، ففي العقد الفريد، ١/ ١٥١: (دخل نافع بن جبيرة بن مطعم على الوليد، وعليه كساء غليظ، وخُفَّان جاسيان، فسلم وجلس، فلم يعرفه الوليد، فقال لخادم بين يديه: سل هذا الشيخ من هو. فسأله، فقال له: اعزُب؛ فعاد إلى الوليد فأخبره؛ فقال: عد إليه واسأله؛ فعاد إليه، فقال له مثل ذلك. فضحك الوليد، وقال له: من أنت؟ قال: نافع بن جبير بن مطعم). وفي أنساب الأشراف، ٣/ ٢٦٩: (وكان نافع بن جبير بن مطعم بن عدي تائهاً، عظيم النخوة والكبر، وكان فصيحاً جهير الكلام يفخم كلامه).

وكان يفخر بتواضعه إذا جلس إلى فقيه من الموالي ففي الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، ١/ ٩: (ونافعُ بن جُبير: كان ذا كبر، وجلس في حلقة العلا بن عبد الرحمن الحرفي، وهو يقرئ المسلمين، فلما فرغ قال: أتدرون لم جلست إليكم؟ قالوا: جلست لتسمع؟ قال: لا، ولكنِّي أردت أن أتواضع لله بالجلوس إليكم)! والتفاخر بالتواضع كبر، ولكن هؤلاء لا يفقهون، ثم هو غير جاد في ذلك ففي التذكرة الحمدونية، ١/ ٢٣: (وكان نافع بن جبير يقول لزين العابدين: غفر الله لك، أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه؟يعني زيد بن أسلم، فقال: إنه ينبغي للعلم أن يتبع حيث كان). وفي العقد الفريد، ١/ ٤١٨: (وقدَّم نافعُ بن جُبير بن مطْعِم رجلاً من أهل الموالي يُصلِّي به، فقالوا له في ذلك؛ فقال: إنَّما أردتُ أن أتواضع لله بالصَّلاة خلفَه. وكان نافعُ بن جُبير هذا إذا مَرَّت به جنازة قال: من هذا؟ فإذا قالوا: قُرشي؛ قال: واقَوْماه! وإذا قالوا: عربيّ؛ قال: وابلدَتاه! وإذا قالوا: مَوْلى؛ قال: هو مالُ الله يَأخذ ما شاء، ويَدَع ما شاء...)!، وذكر ابن سعد في ترجمته أشياء من هذه الأمور بأسانيد. وكان رفيق عروة بن الزبير! كما في ترجمته من سير أعلام النبلاء للذهبي. وعروة عروة! فهو من صنائع معاوية، ولا استبعد أن يكون عروة قد جلب لمعاوية من هو على منهجه، والثراء قرينة ما على ذلك، وعدَّه ابن المديني من أصحاب زيد بن ثابت، وقد اتهموه بالكبر فأخبر بأول أمره وكيف كان! ثم لبس الخز واستغنى وكان يفد على معاوية (ربما جره إلى معاوية رفيقُه عروة). وقد واصل التواصل مع بني أمية فدخل على عبد الملك بن مروان وسأله عن أسماء النبي (ص) التي كان أبوه يحفظها! (الشريعة للآجري).

إذن قد صحب معاوية وابنه وعبد الملك وابنه والحجاج فما الرجاء في مثل هذا؟

مع كبره وفخره بقريش وترفعه على الناس وكونه كان في جيش الحجاج الضارب للكعبة بالمنجنيق؟ وهو من بني نوفل حلفاء بني عبد شمس ضد بني هاشم وشاركوا بقية قريش في حصار الشعب، وذمهم أبو طالب في لاميته، فمثل هذا الرجل لا أطمئن لقوله لا سيما وأن الرواية ليست حديثاً فلن يتحرج أن يبرِّئ قريشاً كلها! ويتهم الأنصار إذا وجد من معاوية ثمناً مقبولاً. ثم إن الرواية ليست حديثاً حتى يزداد تحرجه ويتمنع؛ ثم هو لم يشهد وإنما ثقافته بين أبيه وأخيه ومعاوية وعنبسة بن سعيد وأمثالهم ممن لا تؤخذ منهم هذه الأخبار والدقائق إنما تؤخذ من أصحابها كحذيفة وعمار وعلي وأمثالهم.

حديثه: وقد أكثر عنه أهل الحديث، وهو متهم أو غير معتمَد على أقل الأحوال، فروى عن أبي هريرة (في القراريط) وفي الصلاة خلف الإمام من بني أمية (صحيح مسلم)، وعنه في فضل الحسن

عَشَرَ رَجُلًا فِيهِمْ قُرَشِيّ. وَهَذَا الْأَمْرُ الْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ عِنْدَنَا)[1].

كذا في المطبوع (فيهم قرشي)! وهذه عبارة ملتبسة، وكأن هناك سقطاً، فسقطت كلمة (ليس)، وبها يستقيم المعنى، وهو ما وجدته في تهذيب الكمال من طريق الواقدي ففي من طريق ابن سعد عن الواقدي: (حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن سليمان بن سحيم، عن نافع بن جبير بن مطعم، قال: لم يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسماء المنافقين الذي نحسوا به ليلة العقبة بتبوك غيرَ حذيفة، وهم اثنا عشر رجلاً، ليس فيهم قرشي، وكلهم من الانصار أو من حلفائهم)[2].

التعليق: حذيفة وعمار أصدق وأعلم بالمنافقين وأهل العقبة من نافع بن جبير

فقط (اللهم إني أحبه فأحبه)، وصواب الحديث في الحسنين (اللهم إني أحبهما فأحبهما)، لكنهم يريدون اختطاف الحسن معهم! وحديث (الناس تبع لقريش). كل هذه الأحاديث رواها عن أبي هريرة، وروى خبر وفاة مسيلمة على رسول الله وحوارهما (في البخاري) رواه عن ابن عباس، والجيش الذي يغزو الكعبة فيخسف بمهم (عن عائشة في البخاري وعن أم سلمة في غيره) وعن أبي عبيدة عن أبيه في شغل المشركين للمسلمين يوم الخندق عن الصلاة أربع صلوات وهو منكر، وكأنه اعتذار عن تقصير بني أمية في الصلاة وجمعهم أربع صلوات في وقت واحد! (في عدة مصادر) وكذا عن ابن عباس في الأيم والثيب، وأبغض الناس ثلاثة، ومواقيت الصلاة، وروى عن غيره في الإرجاء (أحاديث عثمان في الصلاة والوضوء)، والمسح على الخفين (عن آل المغيرة عن المغيرة في صحيح البخاري وفي غزوة تبوك.. وكان المغيرة يتتبع النبي (ص) حتى في الخلاء!)، وروى عن معاوية في صلاته معه بالمقصورة في وجوب الفصل بين صلاة الجمعة والركعتين بعدها بكلام (في مسلم)، وروى عن جرير بن عبد الله البجلي، وعن أبي شريح الخزاعي أحاديث قليلة، ومعظم مادته عن القوم.

وقد روى عن علي وصف النبي (ص)، وفي كلامه شيء! وروى حديث النزول إلى السماء الدنيا عن أبيه (واحتفت به كتب العقائد)، وروى كفارة المجلس (وهو في الإرجاء)، وهو راوي حديث العجوز (إن لم تجديني فأت أبا بكر).

وروى ما يتفق مع آراء بني أمية من أن النبي (ص) إنما يريد ملكاً! ففي الطبقات الكبرى لابن سعد، ١/ ١١٨: (عبد العزيز عن أبي الحويرث، قال: وحدثنا ابن أبي سبرة، عن سليمان بن سحيم، عن نافع بن جبير، دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يكون مع أمه آمنة بنت وهب، فلما توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضمَّه ورقَّ عليه رقَّة لم يرقها على ولده، وكان يقربه منه ويدنيه، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام، وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني، إنه ليؤنس ملكاً).

(١) مغازي الواقدي، ١/ ١٠٤٥.

(٢) تهذيب الكمال للمزي، ٥/ ٥٠٥.

الراكن إلى الظالمين المشارك للحجاج في هدم الكعبة المتفاخر بقريش الحليف لمعاوية وابنه وعبد الملك وابنه والحجاج وعنبسة... إلخ، بل روايته هذا مع شدة لصوقه ببني أمية قرينة على أن رؤوس هؤلاء النفر من قريش؛ وهذه الرواية من تلك الروايات التي يبثها بنو أمية وأشياعهم في صرف هذا الأمر عن قريش إلى الأنصار، وأخذ بعض الرواة هذه الإشاعة الأموية، فألصقوها بالأنصار، مثلما حاولوا صرف هذه التهمة من معاوية إلى علي، وهو النموذج التالي:

أنموذج (٢): إلصاق التهمة بالإمام علي بدلاً من معاوية وابي سفيان!

يظهر أن صرف الأمر عن قريش إلى الأنصار لم يوقف أحاديث حذيفة بن اليمان، فلجأ النواصب إلى اتهام الإمام علي بذلك، مع أن النبي (ص) استخلفه على المدينة، ولم يكن معهم في تبوك، هذا إذا تنزَّلنا معهم واعتبرنا الإمام علي من المنافقين، وهذه المحاولة لجأ إليها الوليد بن عبد الملك والمحدث الناصبي عمرو بن ثابت المعاصر لمعاوية، والمحدث المشهور حريز بن عثمان المعاصر للوليد بن عبد الملك وغيره من بني مروان.

أما عمر بن ثابت:

في كتاب الغارات للثقفي خلال سرده النواصب قال: (ومنهم يعني من النواصب عمر بن ثابت، قال يعني الثقفي ــ: حدثنا الواقدي أن عمر بن ثابت الذي روى عن أبي أيوب الأنصاري حديث (ستة أيام من شوال) كان يركب ويدور في القرى بالشام، فإذا دخل قرية جمع أهلها ثم يقول: أيها الناس إن علي بن أبي طالب كان رجلاً منافقاً أراد أن ينخس برسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة فالعنوه. قال: فيلعنه أهلُ تلك القرية؛ ثم يسير إلى القرية الأخرى فيأمرهم بمثل ذلك. [وكان في أيام معاوية])[١].

التعليق: وهذه من دلائل أن معاوية من أهل العقبة، لأنه بالاستقراء حاول أن يقلب كل مثالبه إلى علي، كما في حديث يموت على غير ملتي، ومثل هذا الحديث، ثم يحاول أن يجلب فضائل علي إليه أو يشتتها في غيره كما روى المدائني، وقد هيأ لهذا

---

(١) كتاب الغارات الثقفي، ٢/ ٥٨٣.

العمل الفكري عشرات الألوف من الوعاظ والقصاص والمحدثين والفقهاء.

وعمرو بن ثابت وقيل عمر بن ثابت ترجم له ابن حجر في التقريب وقال (ثقة وأخطأ من عده صحابياً)! ولعل من توهم أنه صحابي هو روايته هذا الخبر الذي كلَّفه معاوية ببثه! ولا أدري هنا لماذا إصرار معاوية على الست من شوال فهو الآمر لعمرو بن ثابت قطعاً هل كان عذراً لإفطاره في رمضان بحجة أن من صام ستاً فكأنما صام الدهر؟ وأن معاوية كان شرهاً في الأكل ويخشى مراقبة الناس له إذا أفطر في رمضان؟ أما الست من شوال فلا يستطيع مراقبته أحد!فمعاوية كان أكولاً، ولا بد أنه يأكل في رمضان، لأنه كان لا يصبر على شهوة بطن ولا دنيا، ولعله لما خشي بعض أهله أن يفضحه أو ينقل شيئاً من ذلك أمر عمرو بن ثابت ببث هذا الحديث عن أبي أيوب الأنصاري، ولعل أصل الحديث الموضوع كان (من صام ستاً من شوال فكأنما صام الدهر)، ثم دمجه مغفلو أهل الحديث برمضان بعد أن عجزوا عن أقناع النواصب به فضلاً عن السنة والشيعة، وهذا العجز لعله أتى من صراحة الآية الكريمة)شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ(، وأبو أيوب بريء من هذا الحديث وقد بقي في الأمة إلى اليوم مع أن الذي بثَّه هو هذا الكاذب، وإنما رواه عن أحد أصحاب علي وهو أبو أيوب الأنصاري، لأنه مشهور في العراق والحجاز والشام، وحتى إذا وقع تكذيب فيقع على أبي أيوب لا على معاوية! ولماذا لم يعرف تلامذة أبي أيوب إلا هذا الفاجر (عمر بن ثابت)؟ فلم يروِه عنه لا أهل الحجاز ولا أهل العراق.

إذن فهذا الرجل الذي بعثه معاوية لاتهام علي بجريمة أبي سفيان ومعاوية هو ردة فعل من معاوية على تلك الأسرار التي بثها (صاحب سر النبي (ص)، وهو حذيفة بن اليمان والتي تشير لأهل العقول أن معاوية من أولئك المنافقين الذين أخبر النبي (ص) بأنهم منافقون إلى يوم القيامة، وأنهم حاولوا اغتيال النبي (ص) وأنه وأنه... إلخ، ولسان حال معاوية يقول: إذا اشتهر هذا الحديث بين الناس وفي معظمهم تدين ولو قليل، فلن يرضوا بيزيد ابن المنافق ولا أسرة المنافق أن تحكمهم؟. إذن فما الحل؟ لا حل إلا بردِّ الحديث على أصحابه، وقتل الأحياء الذين يروونه، فكلف زياد بقتل أصحاب علي (فقتل منهم الآلاف) وكلف عمر بن ثابت هذا بالطواف في مدن

الشام الذين لم يسمعوا بالحديث، فليتحصنوا باتهام علي ولعنه قبل أن تنتشر فيهم تهمة معاوية ولعنه، هكذا كان عقل ودهاء معاوية.

حريز بن عثمان الذي يُشِيد به أحمد بن حنبل وغيره من السلفية المحدثة

كان حريز يلعن علياً في اليوم (١٤٠) مرة، وهو ثقة عاقل فاضل عند السلفية المحدثة من أيام أحمد بن حنبل وسلفه من البصريين والشاميين الذين لا يهجرون إلا من سب معاوية، أما من يلعن علياً كمروان ومعاوية وحريز فأحاديثهم تملأ الكتب الحديثية.

ففي تهذيب التهذيب: (حكى الأزدي في الضعفاء: أن حريز بن عثمان روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يركب بغلته جاء علي بن أبي طالب فحلَّ حزامَ البغلة ليقع النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال الأزدي من كانت هذه حاله لا يروي عنه)[1].

قلت: انظروا! فقد انزعج النواصب من اتهام معاوية فلم يروا بُدّاً من قلب التهمة إلى علي! فهؤلاء النواصب يريدون ستر جرائم معاوية باتهام علي، وهذه من القرائن على أن معاوية بثَّ في أشياعه ما كان يعرفه من مثالب عن نفسه هو (ولهذه المقابلات والمعارضات نظائر كثيرة جداً في منهج معاوية أشياعه)، وكأن معاوية خشي أن يذيع القصة تلامذةُ حذيفة بن اليمان! فاستبق الأمر بنسبة ما يعرف تماماً أنه فعله فنسبه ظلماً وزوراً إلى خصمه الذي يحبه الله ورسوله، وقد جمعت في هذه المعارضات جملة وافرة جداً، يعجب منها اللبيب والأحمق أرجو اللهَ أن ييسِّر إخراجها.

فحريز بن عثمان ورث هذه الثقافة الأموية وصدق بها وبثها، وإذا أخذناه أنموذجاً لما يفعله البغض في النفوس، وكيف أن من كان على رأيه ومذهبه ظلُّوا يشيدون به وبعلمه وفضله ووثاقته (!)، سنجد العجب العجاب:

نقرأ في ترجمة حريز بن عثمان في تهذيب التهذيب: (قال صاحب تاريخ الحمصيين لم يكن له كتاب إنما كان يحفظ لا يختلف فيه ثبت في الحديث!.

وقال معاذ بن معاذ: حدثنا حريز بن عثمان، ولا أعلم إني رأيت بالشام أحداً أفضِّله

---

(١) تهذيب التهذيب، ٢/ ٢٠٩.

عليه!.

وقال الآجري عن أبي داود: شيوخ حريز كلهم ثقات! قال: وسألت أحمد بن حنبل عنه فقال: ثقة ثقة! وقال أيضاً ليس بالشام أثبت من حريز إلا أن يكون بحير، وقال أيضاً عن أحمد وذُكر له حريز وأبو بكر بن أبي مريم وصفوان فقال ليس فيهم مثل حريز! ليس أثبت منه، ولم يكن يرى القدر.

وقال إبراهيم بن الجنيد عن ابن معين حريز وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر وابن أبي مريم: هؤلاء ثقات.

وقال ابن المديني لم يزل من أدركناه من أصحابنا يوثقونه!.

وقال دحيم: حمصيٌّ جيدُ الإسناد صحيح الحديث وقال أيضاً ثقة.

وقال المفضل بن غسان: ثبت.

وقال البخاري: قال أبو اليمان: كان حريز يتناول رجلاً ثم ترَك[1].

وقال أحمد بن أبي يحيى عن أحمد: حريز صحيح الحديث إلا أنه يحمل على علي[2].

وقال المفضل بن غسان: يقال في حريز مع تثبته إنه كان سفيانياً[3].

وقال العجلي: شاميٌّ ثقة وكان يحمل على علي.

وقال عمرو بن علي كان ينتقص علياً وينال منه وكان حافظاً لحديثه، وقال في موضع آخر: ثبت، شديد التحامل على علي.

وقال ابن عمار: يتهمونه أنه كان ينتقص علياً ويروون عنه ويحتجون به ولا يتركونه.

وقال أبو حاتم: حسن الحديث ولم يصح عندي ما يقال في رأيه، ولا أعلم بالشام أثبتَ منه، وهو ثقة متقن.

وقال أحمد بن سليمان الرهاوي: سمعت يزيد بن هارون يقول وقيل له كان حريز

---

(١) قلتُ: البخاري وأبو اليمان فيهما نصب لم يترك حريز لعنَ عليٍّ، ولماذا يقولان عن عليٍّ: رجل؟ فقط رجل؟ وكأنهما يتكلمانٍ عن أعرابي!

(٢) هكذا! يحمل على علي فقط!

(٣) يعني ناصبي، إلا أن لفظ النصب لا ينطقونه إلا بصعوبة!

يقول: لا أُحبُّ علياً، قَتَلَ آبائي[1]، فقال: لم أسمع هذا منه كان يقول: لنا إمامنا ولكم إمامكم؛ وقال الحسن بن علي الخلال عن يزيد نحو ذلك وزادَ: سألته أن لا يذكر لي شيئاً من هذا مخافة أن يضيق على الرواية عنه، وقال الحسن بن علي الخلال: سمعت عمران بن إياس سمعت حريز بن عثمان يقول: لا أُحبه قتل آبائي، يعني علياً.

وقال أحمد بن سعيد الدارمي عن أحمد بن سليمان المروزي: سمعت إسماعيل بن عياش قال: عادلتُ[2] حريز بن عثمان من مصر إلى مكة فجعل يسب علياً ويلعنه.

وقال الضحاك بن عبد الوهاب وهو متروك متهم[3]: حدثنا إسماعيل بن عياش: سمعت حريز بن عثمان يقول: هذا الذي يرويه الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى، حقٌّ، ولكن أخطأَ السامع. قلت فما هو؟ فقال: إنما هو أنت مني بمنزلة قارون من موسى. قلتُ: عمن ترويه؟ قال: سمعت الوليد بن عبد الملك يقوله وهو على المنبر!. وقد رُوِيَ من غير وجه أن رجلاً رأى يزيد بن هارون في النوم فقال له: ما فعلَ اللهُ بك؟ قال: غفر لي ورحمني وعاتبني قال لي: يا يزيد كتبتَ عن حريز بن عثمان؟ فقلت: يا رب ما علمتُ إلا خيراً، قال: إنه كان يبغض علياً.

وقال العقيلي: حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحسن بن علي الحلواني، حدثني شبابة، سمعت حريز بن عثمان قال له رجل: يا أبا عثمان، بلغني أنك لا تترحم على عليّ. فقال له: اسكت ما أنت وهذا؟ ثم التفت إليَّ فقال: رحمه الله مائة مرة[4].

وقال ابن عدي: وحريز من الأثبات في الشاميين ويحدِّث عن الثقات منهم، وقد وثَّقه القطان وغيره، وإنما وُضِعَ منه ببغضه لعليّ[5].

---

(١) وكان أجداده مع الفئة الباغية.

(٢) من المعادلة وهي أن يوضَع مَحملٌ على ظهر بعير فيركب فيه راكب من أحد جانبيه بينما يركب آخر من جانبه الثاني.

(٣) المتروك المتَّهَم هنا هو الضحاك بن عبد الوهاب. وأقول: كلا، بل هو صادق، وأنتم المتهمون.

(٤) قلتُ: شبابة هذا ناصبي لا يوثق به، وهو إنما يريد تمرير أحاديث حريز.

(٥) ونصُّ كلام ابن عدي في الكامل (٢/ ٤٥٣)، هو: (وحريز يحدث عن أهل الشام عن الثقات منهم، وقد وثقه يحيى القطان ومعاذ بن معاذ وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ودحيم، وإنما وُضع منه ببغضه لعلي وتكلَّموا فيه).

قلتُ ابنُ حجر وحكى الأزدي في الضعفاء أن حريز بن عثمان روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يركب بغلته جاء علي بن أبي طالب فحلَّ حزام البغلة ليقع النبي صلى الله عليه وسلم. قال الأزدي: مَن كانت هذه حاله لا يُروى عنه. قلت لعله سمع هذه القصة أيضاً من الوليد![1].

وقال بن عدي: قال يحيى بن صالح الوحاظي: أملى عليَّ حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً في تنقيص علي بن أبي طالب لا يصلح ذكره، حديث معضل منكَر جداً لا يروي مثله من يتقي الله. قال الوحاظي: فلما حدثني بذلك قمتُ عنه وتركتُه.

وقال غنجار قيل ليحيى بن صالح: لم لَم تكتب عن حريز؟ فقال: كيف اكتب عن رجل صليتُ معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن علياً سبعين مرة؟!

وقال ابن حبان: كان يلعن علياً بالغداة سبعين مرة وبالعشي سبعين مرة، فقيل له في ذلك فقال: هو القاطع رؤوس آبائي وأجدادي. وكان داعية إلى مذهبه يُتَنكَّب حديثه.

وإنما أخرج له البخاري لقول أبي اليمان[2] إنه رجع عن النصب كما مضى، نُقِل ذلك عنه والله أعلم)[3].

الغريب أن هذا لم يمنع السلفية المحدثة من الاهتمام بحديث حريز بن عثمان وتوثيقه ومحبته ووصفه بالعقل والفضل، مثلما اليوم يقولون عن النواصب: (الشيخ الفاضل فلان، الداعية فلان، العلامة فلان..)، وينقلون الأعاجيب من فضائل هؤلاء الحمقى والمغفلين، فالبلادة تحب أختها وتأنس بها وتستشرب هواها، ولا أرى محبتهم للظالمين ونفورهم عن العادلين إلا عقوبة من الله.

وقد سار النواصب على منهج معاوية هذا، وأشهر النواصب الذين ساروا على هذا المنهج من المقابلات والمعارضات الظالمة الجاهلة ابن تيمية وهو المجدد

(١) ترى أين الحديث: (فمن صدَّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه).
(٢) قلت: البخاري وأبو اليمان على منهج القوم لكن بدرجة أخف.
(٣) تهذيب التهذيب، ٢/ ٢٠٨ ٢١٠.

الثاني للنصب وقد توسع في هذه المقارنات بين الملائكة والأبالسة، بين المؤمنين والمنافقين، واحتفل بها أتباعه وظنوها علماً عظيماً يرضى الله عنه ورسوله! وتبعه على ذلك نواصب اليوم كالشيخ صالح الفوزان وتلميذه سليمان الخراشي فقال هذان الناصبيان الأحمقان في دفاعهما عن نصب ابن تيمية في كتاب الخراشي الذي قدم له شيخُه االفوزان: ابن تيمية لم يكن ناصبياً (١ / ٧٠): (فابن تيمية يحرج الرافضة بأن جميع ما يقولونه في عثمان أو معاوية هو لازمٌ لعليّ، لا مناص من ذلك)!!

فأنت ترى أن هؤلاء نواصب لا مرية في ذلك!

وعلى قاعدتهم هذه نقول: إذن فاجمعوا تلك الخصال من البغي، إلى الدعوة إلى النار، إلى استحلال الربا، إلى بيع الخمر، إلى محاولة اغتيال النبي (ص)، إلى نبش قبر حمزة، إلى قتل من لم يلعن أهل بدر، إلى استلحاق أبناء الزِّنى وضمِّهم لنَسبِهِ، إلى التمثيل بالجثث المؤمنة حيةً وميتة! إلى تولية الفاسق.... إلخ، أين تجدون هذه الذنوب والموبقات في عليّ؟

إنهم نواصب فلا تغترُّوا بتسترهم بالسنة فالتستر بالسنة قديم من أيام معاوية، بل هو أول من اخترع هذا اللقب، ولا بأس فقد قبلناه على غير ما يريد معاوية والنواصب، هم يريدون سنته ونحن نريد سنة رسول الله.

وكذلك عثمان هنا لا تقارن أخطاؤه بما نسب لعلي من أخطاء، مع سابقة عثمان وفضله إلا أن الملحوظات الكبيرة على سياساته محل إجماع حتى من محبيه ومناصريه. فأين مثلها في حق الإمام علي؟ بل أين ما فعله الشيخان أبو بكر وعمر رحمهما الله من عزل الأنصار والتفاضل في العطاء وتولية سفهاء قريش ودهم بيت فاطمة مع قرب المصيبة، أين ذلك من سياسة الإمام علي؟ ولكننا لا نريد أن يدفعنا النواصب للوقوع في الشيخين، لفضلهما وهجرتهما وسابقتهما وإنفاقهما الأموال. وإلا فإنه عند المقارنة لا نجد أعدل ولا أعلم من الإمام علي، غير أننا عندما نجدهم يلزمون علياً بكل جرائم معاوية فهنا لا بد من تنبيههم ليقفوا عند حدود الأدب، نحن نهمل كثيراً الرد على غلو البكرية والعمرية والعثمانية الذين يبالغون في تفضيل أبي بكر وعمر وعثمان على علي في كل شيء حتى في الشجاعة! نسكت عن هذا كله ولا نرد ولا نحب أو لا نتحمس أن ندخل في هذه المقارنات بين الكبار إلا اضطراراً.

أما أن يأتوا بمعاوية ويزيد وأمثالهم ويلزمون الإمام علي بجرائمهم ونفاقهم؟ فهذه كبيرة في حق أمير المؤمنين كما حاول حريز بن عثمان هنا أن ينقل محاولة اغتيال معاوية للنبي (ص) إلى علي بن أبي طالب، والغريب أن هذه السلفية المحدثة تدعي أنها تحب علياً وتدافع عنه، ولكننا نراهم يوثِّقون حريز بن عثمان رغم اعترافهم أنه يلعن علياً في اليوم مئة وأربعين مرة فقط! ورغم أنه يتهم علياً ببعض جرائم معاوية ورغم كل شيء؛ بل رأيناهم يوثقون من يجمع الأشعار في هجاء النبي (ص) كما فعلوا مع خالد بن سلمة المخزومي، هؤلاء نواصب لا مرية في ذلك، إنما نحن ننبه الشباب الطيب القلب، أما الشيوخ فقد يئسنا منهم منذ زمن طويل، فقد أُشربوا في قلوبهم معاوية وابن تيمية بتعصبهم وتمذهبهم وجهلهم وكبرهم وغمطهم الناس واستطالتهم بالكثرة والمال والإقصاء، وأشبهوا سلف معاوية الذين قالوا للذين آمنوا)أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا(؟ فنعوذ بالله من كثرة يسوقها إبليس ومن مال أخذ من سحت، فو اللهِ ليس بهذين مفتخر لمسلم ولا عليهما تدور الأدلة والبراهين.

أنموذج (٣) إماتة ذكر الحديث وتقليل مصادره

فالبخاري لم يروِهِ في الصحيح ولا في التاريخ الصغير مع كثرة طرقه وعلى شرطه. وابن تيمية، قلَّل مصادره إلى أبعد حد، فقال: وذكر بعض أهل التفسير (!) أن النبي صلى الله عليه وسلم عد المنافقين الذين وقفوا له على العقبة في غزوة تبوك ليكتفوا به فقال حذيفة: ألا تبعث إليهم فتقتلهم فقال: أكره أن يقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم، بل يكفيناهم اللهُ بالدُّبَيْلَة)[1].

قلت: ولم يذكره ابن تيمية في سائر كتبه إلا في هذا الموضع، ولم ينسبه إلى صحيح مسلم ولا مسند أحمد ولا كل المصادر التي سبق أن ذكرناها، بل إلى بعض أهل التفسير! (فقط)! فلو توسع لربما اكتشف الناس ذلك، وهذا منهج النواصب يعطلون ما شاءوا إخفاءه ولو كان متواتراً ومهماً، ويظهرون ما أحبوا إظهاره ولو كان ضعيفاً لا أهمية له.

---

(١) الصارم المسلول، ١/ ٣٦١.

أنموذج (٤): زعمهم بأن النبي (ص) لا يعرفهم أصلاً ولا أسرَّ بهم لحذيفة!

وهذا فعله ابن حزم الظاهري وكان ناصبياً إلا أنه رحمه الله أخفّ بكثير من نواصب عصرنا المتبعين لابن تيمية، فقال: (وأما حديث عمار في أمتي اثنا عشر منافقاً فليس فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرَّفهم بأعيانهم، وهو إخبار بصفةٍ عن عدد فقط، ليس فيهم بيان أنهم عرفوا باسمائهم؛ فسقط التعلق بهذا الخبر وبالله تعالى التوفيق)[١].

والجواب قد سبق فعودوا للأحاديث. وإذا كان هذا كذب ابن حزم فكيف بكذب ابن تيمية؟ فكيف بكذب الجهلة من نواصب العصر كالخراشي والفوزان وعبد المحسن العباد البدر وابنه عبد الرزاق وسليمان العودة وسليمان العلوان وكل هذه الطبقة من نواصب اليمن والشام ومصر والعراق... إلخ، والمعركة الأخيرة ستكون بين محمد (ص) ومعاوية. وقد بدأ النواصب في لبنان يصرِّحون بلعن الإمام علي والحسن والحسين (كما ذكر الشيخ السلفي عمر بكري، وكان هذا من أسباب اعتداله، والعاقل يعتدل وينصح في الأقربين، أما الجاهل فيباري عمرو بن كلثوم)، ولكن اعتراف الشيخ بكري بأن بعض السلفية المحدثة بشمال لبنان بدؤوا يصرحون بلعن الإمام علي وأهل البيت دليل على أن المعركة الأخيرة ستكون بين النبي (ص) ومعاوية، وأنا أعرف أن في القوم مَن لو يكتشف أن النبي (ص) لا يحب معاوية، فهو على استعداد للردة وإنكار النبوة، والقول إنَّ الله ابتلى قريشاً بالنبي (ص) كما ذكر الله عنهم: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ. أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (الزخرف: ٣١ ـ ٣٢)، كما ابتلى الله المسلمين من بعد النبي (ص) بآل محمد ليرى الله إلى أي حد سنتخلى عن العصبية والكبر والحسد (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (العنكبوت: ٢ ٣).

الله بهذا الابتلاء يريد أن لا يشاركه في الكبر والجبروت أحدٌ من الناس، فالكبر

---

(١) المحلى، ١١/ ٢٢٤.

والجبروت لا تنفع معهما طاعة، ولو نفعت الطاعة مع هذا الكبر لنفعت إبليس الذي أبى واستكبر فاستحق العذاب، وكان من أعرف الخلق بالله وأكثرهم عبادة، فلا يغتر أحد بعبادة هؤلاء فقد اختبرهم الله فسقطوا ولم يستطيعوا عبادة الله، إنما عبدوا المذهب والعادة والأُلفة، فلا يغرُّوكم بعد أن غروا أنفسهم وغرَّهم بالله الغرور وأمنوا من مكر الله ولن يتدبروا آية ولم يلتفتوا إلى حجة؛ دعوهم يخوضوا ويلعبوا، وتنبهوا لمحمد وآل محمد، دون غلوِّ مَن غَلا ولا جفاءِ مَن جفا، لكن أقبلوا عليهم إقبال المحب والمتواضع وليس إقبال المتكبر والحاسد، ففي الأولى تجد الهداية، وفي الثانية يحرمك الله من الهداية.

وهنا لا أقول إن ابن حزم ونحوه من العلماء باستثناء ابن تيمية لا أقول إنهم قد سقطوا في الابتلاء فأنا أرجو لهم وأدعو لهم، وربما لم يكن هذا اهتمامهم، وربما لم يبلغهم من الحجة ما بلغكم أنتم، والله بصير بالعباد، يحاسب كل فرد على ما يعلمه من بذله الوسع في معرفة الحقيقة.

أنموذج (٥) تحريفهم لحديث قيس بن عباد

وهذه حصلت من النواصب المتقدمين وهو يونس بن عبيد وربما شاركه في هذا ابن علية، ففي زوائد عبد الله بن أحمد على مسند أحمد وهو في سنن أبي داود من الطريق نفسه كلاهما عن (إسماعيل أبي معمر، حدثنا ابن علية، عن يونس، عن الحسن، عن قيس بن عباد، قال: قلت لعلي: أرأيت مسيرك هذا عهد عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأى رأيته؟

قال ما تريد إلى هذا؟

قلت ديننا ديننا.

قال: ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيئاً ولكن رأيٌ رأيتُه)[1].

التعليق: ويونس بن عبيد كان ناصبياً، وكذا ولكن بدرجة أخف أبو معمر وابن علية.

والحديث إنما هو قيس بن عباد عن عمار عن حذيفة، وأما حديث علي فصوابه في الإسناد والمتن غير ما حرفوا هنا، وهذا له بحث آخر: وقد توسَّعت فيه في ردِّي على

---

(١) زوائد عبد الله بن أحمد على مسند أحمد بن حنبل، ١/ ١٤٨.

بعض النواصب المعاصرين، في كتاب: التشظي السلفي لم يكتمل.

ولا يأتِ أحد ليقول لي: لم نجد في تهذيب التهذيب اتهام يونس بن عبيد أو ابن عون أو نحوهما بالنصب، فأنت لا تجني من الشوك العنب، فأنا إنما أستخرج النصب من قراءة سيرة الرجل وأحاديثه ومواقفه. وإلا فأهل الحديث لم يتهموا مروان بن الحكم بالنصب مع أن لعنه للإمام علي ثابت في صحيح مسلم ومتواتر التاريخ، وكذلك لم يتهموا معاوية بالنصب ولا من جمع الأشعار في هجاء النبي (ص) فأهل الجرح والتعديل معظمهم لا يرون النصب ولو كان لعن الإمام علي، لكنهم ينتبهون جيداً لمن يتنقص معاوية بربع ما يستحق، فلا تتعبوا أنفسكم في كل مرة بأنكم لن تجدوا في كتب الجرح والتعديل أنهم قالوا كذا أو كذا.. هؤلاء الذين تعودون إليهم لمعرفة حقيقة الراوي هم واقعون تحت تأثير النصب إذا أحسنا الظن إلا القليل جداً، وهذا القليل ليس باحثاً وإنما مقلد أيضاً، والحكم المثالي على الرجل أي رجل، هو بتتبع سيرته وأحاديثه وأقواله والحكم عليها نصباً أو سنة أو بدعة أو إسلاماً أو نفاقاً.. كما فعلنا في هذا الكتاب، فمن من شيوخكم وشيوخ شيوخكم كان يعرف هذه المعلومات؟ حتى لو لم يوافقني على كثير منها إلا أنه بالتأكيد إن أنصف سيذهل لكثرة ما وجد من الأبحاث والفوائد والمعلومات التي لم يكن يتوقعها، إذن فأنا لا أحب أن أزكي نفسي، لكن لا أحب أن أغمط نفسي حقها من البحث والعلم، ولا أرضى أن يحاكمني أحد إلى من يجهل ما بحثته، نعم حاكموني إلى من بحث وليس إلى من تمذهب وتعصب وتعلم الجهل والكذب والتلبيس وعبادة الشيوخ والأتراب.

أنموذج (٦) نقل العقبة إلى الطائف!

بعض الناس حاول نقل العقبة إلى الطائف، وسفهاء قريش إلى كفار ثقيف، وهذا الأمر يحتاج لبحث وتدقيق.

ففي صحيح مسلم: (وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى وَعَمْرُو بْنُ سَوَّادٍ الْعَامِرِيُّ وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ قَالُوا حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ أَخْبَرَنِى يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَا رَسُولَ الله هَلْ أَتَى عَلَيْكَ

يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

فَقَالَ: **لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ**، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ... إلخ)[1].

التعليق: وأظن هذا من تحريف عروة بن الزبير قبل أن يتوب، أو من الزهري أو يونس وكل هؤلاء فيهم نصب، ولعل عروة بعد توبته رواها على الاستقامة. وقصة الطائف صحيحة من حيث أن أهل الطائف كذبوه وآذوه وأرسلوا سفهاءهم لرميه بالحجارة. إلا أن هذا لا يسمى (يوم العقبة)! وإنما يوم عَرْض نفسِه على أهل الطائف.

ثم هناك قرينة أخرى وهو قوله (**لقد لقيت من قومِك**...) وأهل ثقيف ليسوا قوم عائشة؟ وإنما قومها قريش. فتدبَّر! فهذا قد يكون بقية حديث صحيح صرفه أهل الشام عن سياقه، ونسوا كلمة (قومك)! فكأن الرواية تمَّ إدماجها مع قصته بالطائف حتى يردوا على أحاديث حذيفة وعمار وغيرهم من الصحابة الذين نشروا ثقافة (قصة العقبة) من باب التحذير من معاوية وأمثاله، فأصبح من الصعوبة محوها وكتمها، فعمل معاوية وأشياعه بالشام على تكليف الرواة بتشتيت هذه القصة، فينقلون المكان، ويتوسعون في أسماء الأشخاص، حتى لو وصل بهم الأمر لاتهام الإمام علي أحب الناس إلى الله ورسوله، ورغم أنه في المدينة لا في تبوك! ورابعة يجعلونها في الأنصار... إلخ، والأنصار لا تحفظ لهم محاولة واحدة في اغتيال النبي (ص) حتى من المنافقين منهم! وأما قريش فالمحاولات وصلت صحتها وكثرتها أن دخلت في سورة الأنفال وسورة التوبة!

إذن فهذا الاضطراب الشامي في المكان والأشخاص والقبائل أتى من جهة واحدة فقط، من أهل الشام ونواصبهم وحلفائهم، وهذا دليل على تدخل السلطة في تشتيت هذا الحديث بأي شكل من الأشكال، حتى لو تمَّ نقل المكان من تبوك للطائف، أو نقل التهمة من معاوية وقريش إلى علي والأنصار اللذين لا يحبهما إلاَّ مؤمن ولا يبغضهما إلاَّ منافق! ولا يجب أن نستغرب هذا، فالسلفية المحدثة تعتقد أن والدَي النبي (ص)

---

(١) صحيح مسلم، ٥/ ١٨١.

في النار ووالدي معاوية في الجنة! فقد أحاطوا النبي بالنار من جميع الجهات، أُماً وأباً وعمّاً وجدّاً[١]، وأحاطوا معاوية بالجنة، أُمّاً وأباً وابناً[٢].

أنموذج (٧): حصرهم هذه العصابة في شخص مجهول!

ففي تفسير ابن أبي حاتم: (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا) قَالَ: هَمَّ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الأَسْوَدُ بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[٣].

وفي المعجم الأوسط للطبراني: (حَدَّثَنَا أحمد قال: حَدَّثَنَا إسحاق بن الأخيل، قال: حَدَّثَنَا مبشر بن إسماعيل، عن جناب بن نسطاس، عن شريك، عن عطاء بن السائب، عن مجاهد، عن ابن عباس في قول الله عز وجل:)وهموا بما لم ينالوا(، قال: هَمَّ رجل يقال له: الأسود بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم. لم يرو هذا الحديث عن عطاء بن السائب إلا شريك، ولا عن شريك إلا جناب، تفرَّد به مبشر)[٤].

وفي الدر المنثور: (وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن

---

(١) أعني بعمه أبا طالب، وقد تحقق عندي إسلامه، والروايات في موته على الكفر جاءت بأثر أموي، وديوانه وسيرته تدل على أنه مؤمن يكتم إيمانه، نعم عمه الآخر أبو لهب في النار بنص القرآن الكريم، وإنما أوردَه هذه الموارد قربُه من أبي سفيان وهند، فقد كانت هند بنت عتبة تحرضه، وكانت زوجته حمالة الحطب أختاً لأبي سفيان، فالذي أورد أبا لهب النار إنما هو قربه من بني أمية، وهذا تحذير لكل هاشمي يقترب من النواصب!.

(٢) هم رووا أن هؤلاء ممن وعدهم الله بالحسنى! ويحشرونهم في المشمولين بهذه الآية مهما ساءت سيرتهم بعد دعواهم الإسلام، فلا يضرهم شيء، فالسلفية المحدثة قرروا أنهم في الجنة وألزموا الله بأنه وعدهم بالحسنى! ولا رجعة في هذا الأمر وإلاَّ فهم يهددون بالكفر، وأن الله يخلف وعده، وأن وأن... إلخ، وقد رددنا على شبهاتهم في كتابنا (مع الشيخ عبد الله السعد). ثم زادوا وشهدوا ليزيد بالجنة بسبب حديث وضعه لهم عمرو بن الأسود العنسي (ابن متنبئ اليمن) في تبشيره بالجنة هو ووالده، وعلى هذا لا يضرهما عندهم ذنب حتى لو ثبت عندهم أن يزيد نصراني أو زنديق أو ثائر لأجداده ببدر، وحتى لو ثبت عندهم أن معاوية حاول اغتيال النبي (ص) ودعا إلى النار وتنقَّص رسول الله.... إلخ، كل هذا لا فائدة من ذكره عند هؤلاء الغلاة، فهم قرروا وانتهى الأمر ورفعت الجلسة!

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ٧/ ٣٤١.

(٤) المعجم الأوسط للطبراني، ٤/ ٢٨٦.

ابن عباس رضي الله عنهما في قوله)وهموا بما لم ينالوا(، قال: هم رجل يقال له الأسود بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1].

وفي الإسناد مجهولون، والمتن متهافت، ولا يعرف ذلك الرجل، والثابت خلافة، والإخبار عن جماعة.. وابن عباس بريء وكذلك مجاهد.. إنما البلاء في بقية رجال الأسانيد، إلا أننا لا نأمن التدليس حتى من الثقات أمثال شريك ومجاهد.. وقد يكون (الأسود) لقب لبعض أنصار طلقاء قريش في هذه المحاولة الدنيئة، أو هو مطيع بن الأسود العدوي (والد عبد الله بن مطيع، من المؤلَّفة)،كان من المؤلفة قلوبهم من الطلقاء، والبيت فيه نصب، وهو مذكور في أعداء أهل البيت، له أبناء منهم سليمان قتل يوم الجمل مع عائشة، وعبد الله بن مطيع مشهور كان مع ابن الزبير وولي له الكوفة وكان ضد المختار، وكان الشعبي كاتبه (ذكره في المحبر)!.. ومات مطيع هذا زمن عثمان وأوصى إلى الزبير، وهو راوي حديث: (لا يقتل قرشي صبراً بعد اليوم وهو منكر مخالف للواقع)، فربما كلفه أبو سفيان ومعاوية بمشاركتهم وكاد أن يصل إلى ناقة النبي (ص)، إلا أن الرواية ضعيفة.

وهكذا.. وإنما ذكرت هنا نماذج، وستجدون أكثر مما كتبت، فالنواصب كانت لهم الدولة والقصص والرواية، إلا أن الله ابتلاهم بالجهل، فلا تكاد تجد ناصبياً إلا جاهلاً بالقرآن والحديث والتاريخ والنفس البشرية... إلخ، فلذلك نستدل على مثالب معاوية بكثرة ما يسقطون من أكياسهم من حبات الألفاظ، فيدلون على بيوتهم بأنفسهم، وقد عملوا الكثير في تفسير القرآن وفي رواية الحديث وفي الجرح للثقات والتعديل للكذابين ما لا يقع تحت الحصر، وهذا لا يعني الزهد في كتب التراث، ففيها الكثير الطيب إلا أن كثرة النصب وتلبيسه ودخوله حتى في كتب المعارضة يدل على قوة انتشاره في زمن ما. وبعض النواصب أهل مكر شديد، يذكرون فضيلة من يبغضون ليقرنوا بها مثلبة تمحوها، وقد يذكرون مثلبة من يحبون ليختموها بتوبة خاتمة، وقد ينشرون العقيدة في الجبر والتجسيم عبر فضائل مَن يبغضون، ويعكسون، لكن النصب بمجمله أحمق، لأنه استجاب لداهية، ولو كان النصب ذكياً ما أخذ منه الداهية إلا

(١) الدر المنثور، ٤/ ٢٤٢.

أفراداً!.

وخير ما نختم به في نصيحة المحبين لمعاوية وأمثاله من الظالمين قوله تعالى (وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا. يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا. هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلا) (النساء: ١٠٧ ١٠٩).

وصلى الله وسلم وبارك وتحنن وترحم على محمد وعلى آل محمد.

انتهى من كتابة هذا الكتاب، بعد بحث استمر شهوراً.

حسن بن فرحان المالكي في صباح يوم الأحد ١/ ٢/ ١٤٣٢هـ

الملاحق التفصيلية

والزيادات وملاحق الرواة

ملحق (١) بقية أحاديث الدُّبَيْلَة

وهنا سنوردها لطالب العلم صامتة دون كثير تخريج ولا استنباط. والأصل كما قلنا هو حديث حذيفة بن اليمان من رواية عمار بن ياسر عنه (التي رواها الإمام مسلم في صحيحه)، وقد توسعنا في حديث حذيفة بما فيه الكفاية إن شاء الله.

حديث أبي الطفيل:

وله في القصة حديثان، وأبو الطفيل عامر بن وائلة من خواص السلف العتيق كعلي وعمار وحذيفة، ومعظم مادته في هذا الموضوع أخذها من هؤلاء، وهو آخر الصحابة موتاً، مات سنة ١١٠هـ، وله حديثان: الأول: ذكره للقصة، رواه الضياء في المختارة من طريق عبيد الله بن موسى عن الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل، ورجاله ثقات (والسند متصل)؛ والثاني: من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم عنه، وكاد أن يسميهم، لولا امرأته سودة، ذكرت له حديث بني أمية.

أما الحديث الأول: ففيه سرد لقصة العقبة من روايته نفسه، وكنا قد روينا روايته للقصة عن غيره كحذيفة وعمار، ففي الأحاديث المختارة للضياء المقدسي من طريق سليمان بن أحمد الطبراني: (حدَّثنا عبد الله بن محمد بن العباس الأصفهاني، حدَّثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات، حدَّثنا عبيد الله بن موسى، حدَّثنا الوليد بن عبد الله بن جميع، عن أبي الطفيل، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فانتهى إلى عقبة فأمر مناديه فنادى: لا يأخذنَّ العقبةَ أحدٌ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذها؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير وحذيفة يقوده وعمار يسوقه فأقبل رهط متلثمين على الرواحل حتى غشوا النبي صلى الله عليه وسلم فرجع عمار فضرب وجوه الرواحل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحذيفة: قُدْ قُدْ؛ فلحقه

عمار فقال: سُقْ سُقْ؛ حتى أناخ فقال لعمار: هل تعرف القوم؟ فقال لا كانوا متلثمين وقد عرفتُ عامة الرواحل. فقال: أتدري ما أرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيطرحوه من العقبة. فلما كان بعد ذلك نزع بين عمار وبين رجل منهم شيء مما يكون بين الناس فقال: أنشدك بالله كم أصحاب العقبة الذين أرادوا أن يمكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ترى أنهم أربعة عشر، فإن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر. ويشهد عمار أن منهم اثني عشر حرباً لله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)[1].

قال المحقق (ابن دهيش): (إسناده صحيح).

ولم يطبع فيما طبع من المعجم الكبير للطبراني، ولا أستبعد أن يكون النواصب أتلفوا كثيراً من مسند حذيفة وأمثاله في المعجم الكبير.

الحديث الثاني عن أبي الطفيل: وفيه كاد أبو الطفيل أن يسميهم، ففي مسند أحمد: (حَدَّثَنَا عَبْد اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَبِي مِنْ كِتَابِهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا رَبَاحُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ حَبِيبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الطُّفَيْلِ فَوَجَدْتُهُ طَيِّبَ النَّفْسِ فَقُلْتُ لَأَغْتَنِمَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الطُّفَيْلِ! النَّفَرُ الَّذِينَ لَعَنَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِهِمْ مَنْ هُمْ؟ فَهَمَّ أَنْ يُخْبِرَنِي بِهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ[2]! مَهْ يَا أَبَا الطُّفَيْلِ أَمَا بَلَغَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ دَعَوْتُ عَلَيْهِ دَعْوَةً فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً)[3].

تعليق شعيب الأرنؤوط: (صحيح لغيره وهذا إسناد قوي).

وهو في المعجم الأوسط للطبراني (٥/ ٣٥٥) بالسند نفسه؛ وفي معرفة الصحابة

---

(١) الأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ٣/ ٢٨٤.

(٢) وقد اصبح هذا اسمها! فقيل سودة امرأة أبي الطفيل! ولم يعرفوها إلا بهذا الحديث، ففي الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٧٢٥): (سودة امرأة أبي الطفيل تابعية أرسلت حديثاً فذكره أبو نعيم في الصحابة، فأورد من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم قال: دخلت على أبي الطفيل فوجدته طيب النفس فقلت لأغتنمن ذلك منه، فقلت يا أبا الطفيل! النفر الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن هم؟ فهمَّ أن يخبرني بهم فقالت امرأته سودة: أما بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنما أنا بشر فمن دعوت عليه بدعوة فاجعلها له زكاة ورحمة؟).

(٣) مسند أحمد، ٣٩/ ٢١٢.

لأبي نعيم الأصبهاني (٢٣/ ٢٥٨) بالسند نفسه؛ وقال الهيثمي في المجمع في موضعين: رواه أحمد ورجاله ثقات، ورواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات.

حديث أبي سعيد الخدري:

في مغازي الواقدي: (قَالَ: حَدّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمّدٍ، عَنْ رُبَيْحِ بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّهِ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْعَقَبَةِ الّذِينَ أَرَادُوا بِالنّبِيّ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، قَدْ سَمّاهُمْ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِحُذَيْفَةَ وَعَمّارٍ رَحِمَهُمَا الله)[١].

قلت: ونقله الطبري الإمامي في المسترشد بسنده ولفظه سواء.

حديث أبي قتادة:

ولكن فيها توجيه باتجاه منافقي الأنصار بزيادة الحوار مع أسيد بن الحضير! وكأن هذه الزيادة يراد منها تثبيت ذلك في الأنصار. وهي قصة منفصلة على ما أرجح.. ففي المغازي للواقدي: (قَالَ حَدّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخُو عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ الْمَازِنِيّ، عَنْ خَلّادِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ...)[٢]، فذكر قصة مشيهم ليلاً ثم ذكر روايات اعتراضية ثم عاد إلى ذكر الحديث بصيغة الجمع (قالوا).

فلا أدري هل هو من حديث أبي قتادة كما فهم الطبري في المسترشد أم أن القصة بإسناد آخر جمعي وهو الظاهر.

وفي المغازي للواقدي، بالإسناد الجمعي: (قَالُوا: لَمّا كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِبَعْضِ الطّرِيقِ مَكَرَ بِهِ أُنَاسٌ مِنْ الْمُنَافِقِينَ وَائْتَمَرُوا أَنْ يَطْرَحُوهُ مِنْ عَقَبَةٍ فِي الطّرِيقِ. فَلَمّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم تِلْكَ الْعَقَبَةَ أَرَادُوا أَنْ يَسْلُكُوهَا مَعَهُ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرَهُمْ فَقَالَ لِلنّاسِ اُسْلُكُوا بَطْنَ الْوَادِي، فَإِنّهُ أَسْهَلُ لَكُمْ وَأَوْسَعُ فَسَلَكَ النّاسُ بَطْنَ الْوَادِي وَسَلَكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه

---

(١) مغازي الواقدي، ١/ ١٠٤٠.
(٢) مغازي الواقدي، ١/ ١٠٤٠.

وسلم الْعَقَبَةَ، وَأَمَرَ عَمّارَ بْنَ يَاسِرٍ أَنْ يَأْخُذَ بِزِمَامِ النّاقَةِ يَقُودُهَا، وَأَمَرَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَسُوقُ مِنْ خَلْفِهِ، فَبَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَسِيرُ فِي الْعَقَبَةِ إِذْ سَمِعَ حِسّ الْقَوْمِ قَدْ غَشَوْهُ فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَمَرَ حُذَيْفَةَ أَنْ يَرُدّهُمْ فَرَجَعَ حُذَيْفَةُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ رَأَوْا غَضَبَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَجَعَلَ يَضْرِبُ وُجُوهَ رَوَاحِلِهِمْ بِمِحْجَنٍ فِي يَدِهِ، وَظَنّ الْقَوْمُ أَنّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ أُطْلِعَ عَلَى مَكْرِهِمْ فَانْحَطّوا مِنْ الْعَقَبَةِ مُسْرِعِينَ حَتّى خَالَطُوا النّاسَ وَأَقْبَلَ حُذَيْفَةُ حَتّى أَتَى رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فَسَاقَ بِهِ، فَلَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ الْعَقَبَةِ نَزَلَ النّاسُ فَقَالَ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم يَا حُذَيْفَةُ، هَلْ عَرَفْت أَحَدًا مِنْ الرّكْبِ الّذِينَ رَدَدْتهمْ؟ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ عَرَفْت رَاحِلَةَ فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ وَكَانَ الْقَوْمُ مُتَلَثّمِينَ فَلَمْ أُبْصِرْهُمْ مِنْ أَجْلِ ظُلْمَةِ اللّيْلِ، وَكَانُوا قَدْ أَنْفَرُوا بِالنّبِيّ صلى الله عليه وسلم فَسَقَطَ بَعْضُ مَتَاعِ رَحْلِهِ فَكَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَمْرٍو الأَسْلَمِيّ يَقُولُ فَنُوّرَ لِي فِي أَصَابِعِي الْخَمْسِ فَأُضِئْنَ حَتّى كُنّا نَجْمَعُ مَا سَقَطَ مِنْ السّوْطِ وَالْحَبْلِ وَأَشْبَاهِهِمَا، حَتّى مَا بَقِيَ مِنْ الْمَتَاعِ شَيْءٌ إلاَّ جَمَعْنَاهُ. وَكَانَ لَحِقَ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم فِي الْعَقَبَةِ، فَلَمّا أَصْبَحَ قَالَ لَهُ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا مَنَعَك الْبَارِحَةَ مِنْ سُلُوكِ الْوَادِي، فَقَدْ كَانَ أَسْهَلَ مِنْ الْعَقَبَةِ؟ قَالَ يَا أَبَا يَحْيَى، أَتَدْرِي مَا أَرَادَ الْبَارِحَةَ الْمُنَافِقُونَ وَمَا اهْتَمّوا بِهِ؟ قَالُوا: نَتْبَعُهُ فِي الْعَقَبَةِ، فَإِذَا أَظْلَمَ اللّيْلُ عَلَيْهِ قَطَعُوا أَنْسَاعَ رَاحِلَتِي وَنَخَسُوهَا حَتّى يَطْرَحُونِي مِنْ رَاحِلَتِي، فَقَالَ أُسَيْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَدْ اجْتَمَعَ النّاسُ وَنَزَلُوا، فَمُرْ كُلّ بَطْنٍ أَنْ يَقْتُلَ الرّجُلَ الّذِي هَمّ بِهَذَا، فَيَكُونُ الرّجُلُ مِنْ عَشِيرَتِهِ هُوَ الّذِي يَقْتُلُهُ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ وَالّذِي بَعَثَك بِالحَقّ فَنَبّئْنِي بِهِمْ فَلاَ تَبْرَحُ حَتّى آتِيَكُمْ بِرُؤُوسِهِمْ وَإِنْ كَانُوا فِي النّبِيتِ، فَكَفَيْتُكَهُمْ وَأَمَرْت سَيّدَ الْخَزْرَجِ فَكَفَاك مَنْ فِي نَاحِيَتِهِ، فَإِنّ مِثْلَ هَؤُلاَءِ يُتْرَكُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ حَتّى مَتَى نُدَاهِنُهُمْ وَقَدْ صَارُوا الْيَوْمَ فِي الْقِلّةِ وَالذّلّةِ وَضَرَبَ الإِسْلاَمُ بِجِرَانِهِ فَمَا يُسْتَبْقَى مِنْ هَؤُلاَءِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لأُسَيْدٍ: إنّي أَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ النّاسُ إِنّ مُحَمّدًا لَمّا انْقَضَتْ الحرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَضَعَ يَدَهُ فِي قَتْلِ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ فَهَؤُلاَءِ لَيْسُوا بِأَصْحَابٍ! قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَلَيْسَ يُظْهِرُونَ شَهَادَةَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ اللهُ؟ قَالَ: بَلَى، وَلاَ شَهَادَةَ لَهُمْ. قَالَ: أَلَيْسَ يُظْهِرُونَ أَنّي رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ:

بَلَى، وَلاَ شَهَادَةَ لَهُمْ، قَالَ فَقَدْ نُهِيت عَنْ قَتْلِ أُولَئِكَ)[1].

في إمتاع الأسماع للمقريزي، تحت عنوان (كيد المنافقين بإلقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنية)[2]، قال: (ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق مكرَ به أناسٌ من المنافقين، وائتمروا أن يطرحوه من عقبة، فلما بلغ تلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه فأخبر خبرهم، فقال للناس: اسلكوا بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع. فسلك الناس بطن الوادي، وسلك صلى الله عليه وسلم العقبة، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها، وأمر حذيفة بن اليمان يسوق خلفه؛ فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في العقبة، إذ سمع حسَّ القوم قد غشوه فغضب وأمر حذيفة أن يردَّهم، فرجع إليهم فجعل يضرب وجوه رواحلهم بمحجن في يده، فانحطوا من العقبة ونزل الناس. قال: يا حذيفة! هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم؟ قال: يا رسول الله، عرفت راحلة فلان وفلان، وكان القوم متلثمين فلم أعرفهم من أجل ظلمة الليل. وكانوا قد انفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فسقط بعض متاع رحله، فكان حمزة ابن عمرو الأسلمي يقول: فنوّر لي في أصابعي الخمس، فأضاءت حتى كنا نجمع ما سقط، السوط والحبل وأشباههما، حتى ما بقي من المتاع شيء إلا جمعناه. وكان [حمزة بن عمرو الأسلمي] قد لحق برسول الله (ص) بالعقبة)[3].

حديث جابر بن عبد الله في مغازي الواقدي:

قَالَ (حَدّثَنِي ابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ، عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ تَنَازَعَ عَمّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَرَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فِي شَيْءٍ فَاسْتَبّا، فَلَمّا كَادَ الرّجُلُ يَعْلُو عَمّارًا فِي السّبَابِ، قَالَ عَمّارٌ: كَمْ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ؟ قَالَ اللهُ أَعْلَمُ، قَالَ أَخْبِرْنِي عَنْ عِلْمِكُمْ بِهِمْ، فَسَكَتَ الرّجُلُ. فَقَالَ مَنْ حَضَرَ: بَيّن لِصَاحِبك مَا سَأَلَك عَنْهُ؟ وَإِنّمَا يُرِيدُ عَمّارٌ شَيْئًا قَدْ خَفِيَ عَلَيْهِمْ، فَكَرِهَ الرّجُلُ أَنْ يُحَدّثَهُ. وَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَى الرّجُلِ فَقَالَ الرّجُلُ: كُنّا نَتَحَدّثُ أَنّهُمْ كَانُوا أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا. قَالَ عَمّارٌ: فَإِنّك إنْ كُنْت

---

(١) مغازي الواقدي، ١/ ١٠٤٢.
(٢) وهذه كأنها في ثنية هرشى بعد غدير خم.
(٣) إمتاع الأسماع للمقريزي، ٢/ ٩٤.

مِنْهُمْ فَهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا. فَقَالَ الرَّجُلُ: مَهْلًا، أَذَكِّرَكَ الله أَنْ تَفْضَحَنِي. فَقَالَ عَمّارٌ: وَالله مَا سَمّيْت أَحَدًا، وَلَكِنّي أَشْهَدُ أَنّ الْخَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا، اثْنَا عَشَرَ مِنْهُمْ حَرْبٌ لله وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدّارِ)[1].

وهو عند الطبراني بذكر وديعة بن ثابت، وهذا ليس في الواقدي، وفي المسترشد للطبري الإمامي عن الواقدي بسنده ولفظه سواء، مما يدل على أن سند الطبراني هو الذي فيه الخلل (من تسمية وديعة بن ثابت)، ولا أستبعد أن تكون زيادة ثابت بن وديعة (وهو بدري) زيادة شامية ناصبية، فالصواب أن المتخاصم مع عمار هو أبو موسى الأشعري، لكن أصحاب الأهواء الشامية يكبر عليهم اتهام أبي موسى ويسهل عندهم اتهام أحد البدريين مكانه. وتبين هنا أن الشيعي الإمامي أصدق في النقل عن مغازي الواقدي من الحنبلي السلفي.

حديث عليّ

ورد في شرح نهج البلاغة: (قال له قائل: يا أمير المؤمنين! أرأيتَ لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله ترك ولداً ذكراً قد بلغ الحلم، وآنس منه الرشد، أكانت العرب تسلم إليه أمرَها؟

قال: لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلتْ، إن العرب كرهت أمر محمد صلى الله عليه وسلم وحسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه حتى قُذفت زوجته، ونفرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها، وجسيم مننه عندها، وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته، ولولا أن قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة، وسلَّماً إلى العز والإمرة، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً، ولارتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكراً؛ ثم فتح الله عليها الفتوح، فأثرَتْ بعد الفاقة، وتموَّلت بعد الجهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت: لو لا إنه حق لما كان كذا، ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد

---

(١) مغازي الواقدي، ١/ ١٠٤٥.

عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف... الخ)[١].

وقوله: (ونفرت به ناقته)، موجَّه لقريش كما هو ظاهر من سياق الكلام كله.

وللإمام علي أقوال كثيرة من قرائن هذا الموضوع تركت ذكرها للاختصار.

حديث عقيل بن أبي طالب

في كتاب الغارات للثقفي (هو محدث زيدي قديم ثقة في النقل) ولكن لأنه كان زيدياً وكان الاصطفاف في زمنه واضحاً بين إمامية وسلفية فقد أهمل الناس كتابه ولم يتنبه الباحثون لكتابه إلا في زمن متأخر، فلذلك تم إهمال كثير من رجاله وأسانيده، ولا نعرف كثيراً منهم إلا أن من قرأ كتابه علم أنه كان محدثاً كبيراً ومؤرخاً لا يستهان بالمادة التي قدمها، ومن تلك الروايات رواية عقيل بن أبي طالب ولم أجدها إلا عنده، وسأذكرها مع ترك التوسع في البحث عن الرجال:

ورد في كتاب الغارات: (حدثنا محمد قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا إبراهيم[٢]، قال: وأخبرني يوسف بن كليب المسعودي[٣]، قال: حدثنا الحسن بن حماد الطائي[٤]، عن عبد الصمد البارقي[٥]، عن جعفر بن علي بن الحسين[٦] عليهما السلام قال: قدم

---

(١) شرح نهج البلاغة، ٢٠/ ٢٩٨.

(٢) هو المؤلف إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي، وما سبقه كانوا من رواة الكتاب.

(٣) يوسف بن كليب (بن عبد الملك) المسعودي: يروي عن معاوية بن هشام والحسن بن علي بن أبي حمزة والحكم بن سليمان ويحيى بن سليمان (تلميذ عبد الغفار بن القاسم)، ويحيى بن سالم العبدي وأبي مالك الجهني وعامر بن كثير وغيرهم، وعنه عباد بن يعقوب ويحيى بن زكريا بن شيبان شيخ ابن عقدة، وصاحب الغارات والطبري الإمامي في المسترشد والحسن بن محمد الخزاز وغيرهم.

(٤) الحسن بن حماد الطائي من أصحاب الصادق (مترجم عند الإمامية) وعند أهل الحديث مجموعة كبيرة باسم (الحسن بن حماد) دون النسبة، وأظنه العطار الذي وثقه ابن حيان فله أحاديث في فضل علي، ويحتاج لبحث.

(٥) عبد الصمد البارقي: وآل عبد الصمد كثير، ولم أجد هذا الاسم مع هذه النسبة.

(٦) جعفر بن علي بن الحسين لا أعرفه، وقد تكون الرواية صوابها هكذا (عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين) وعلى هذا فهو جعفر الصادق، أو (عن جعفر عن علي بن الحسين)، أو أنه آخر، فليبحث، لم أشأ أن أتوسع في البحث عنه.

عقيل على علي عليه السلام وهو جالس في صحن مسجد الكوفة فذكر القصة ثم ارتحاله إلى معاوية، وفيها:

فقال له معاوية: أخبرني عن العسكرين؟ قال: مررت بعسكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإذا ليل كليل النبي صلى الله عليه وآله ونهار كنهار النبي إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس في القوم، ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة)[١].

قلت: كان من هؤلاء معاوية وعمرو بن العاص (في قول) وأبو الأعور السلمي وعتبة بن أبي سفيان (ثالث الثلاثة) وغيرهم. وهذا الحدث فيما يخص هؤلاء والأسماء التي ذكرها بعض المؤرخين في معارضة هذه الأسماء سنتوسع فيها في السيرة النبوية (مبحث: العقبة وهرشى وأهل العقدة)، وبحثنا هنا هو عن معاوية فقط، وهل كان ممن حاول اغتيال النبي (ص) أم لا؟ وجاء ذكر أبي موسى وأبي سفيان عرضاً، وأما بقية الأسماء كأبي الأعور السلمي وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وغيرهم من بقية الأربعة عشر أو أكثر من أحلاف معاوية وأبي سفيان وبني أمية من قريش ومن حلفائهم من منافقي الأنصار، فهذا له مبحث في السيرة وليس في معاوية.

وأخيراً: تركت بعض الروايات، مثل رواية حمزة بن عمرو الأسلمي، وبعضَ الأقوال للحسن بن علي، وقد سبق بعضها، وحديثَ عمار في خصومته مع أبي موسى وقد سبق بعضه[٢].

---

(١) كتاب الغارات، ١/ ٦٤.

(٢) وفي أمالي الطوسي (ص ١٨١)، رواه بالسند نفسه ولفظ مقارب، قال: (أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرني أبو الحسن علي بن مالك النحوي، قال: حدثنا أبو عبد الله جعفر بن محمد الحسني، قال: حدثني عيسى بن مهران المستعطف، قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد، قال: حدثنا شريك، عن عمران ابن طفيل، عن أبي تحيى، قال: سمعت عمار بن ياسر (رحمه الله) يعاتب أبا موسى الأشعري، ويوبخه على تأخره عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقعوده عن الدخول في بيعته، ويقول له: يا أبا موسى، ما الذي أخَّرك عن أمير المؤمنين؟ فو الله لئن شككتَ فيه لتخرجن عن الإسلام. وأبو موسى يقول له: لا تفعل ودع عتابك لي، فإنما أنا أخوك. فقال له عمار: ما أنا لك بأخ، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يلعنك ليلة العقبة وقد هممتَ مع القوم بما هممتَ. فقال له أبو موسى: أ فليس قد استغفر لي؟ قال عمار: قد سمعتُ اللعنَ ولم أسمع الاستغفارَ).

المراسيل:

رواية عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ).

قال البيهقي في دلائل النبوة: (أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال أخبرنا أبو جعفر البغدادي، حدثنا أبو علاثة محمد بن عمرو بن خالد، حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة قال: ورجع رسول الله قافلاً من تبوك إلى المدينة حتى إذا كان ببعض الطريق مكر برسول الله ناس من أصحابه فتآمروا عليه أن يطرحوه في عقبة في الطريق، فلما بلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها معه، فلما غشيهم رسول الله أخبر خبرهم فقال: من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم؛ وأخذ النبي العقبة وأخذ الناس بطن الوادي إلا النفر الذين مكروا برسول الله لما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا وقد هموا بأمر عظيم. وأمر رسول الله حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر فمشيا معه مشياً وأمر عماراً أن يأخذ بزمام الناقة وأمر حذيفة أن يسوقها، فبينا هم يسيرون إذ سمعوا بالقوم من ورائهم قد غشوهم فغضب رسول الله وأمر حذيفة أن يردَّهم. وأبصر حذيفة غضبَ رسول الله فرجع ومعه محجن فاستقبل وجوه رواحلهم فضربها ضرباً بالمحجن، وأبصر القوم وهم متلثمون لا يشعر إنما ذلك فعل المسافر. فرعبهم الله عز وجل حين أبصروا حذيفة وظنوا أن مكرهم قد ظهر عليه فأسرعوا حتى خالطوا الناس. وأقبل حذيفة حتى أدرك رسولَ الله فلما أدركه قال: اضرب الراحلة يا حذيفة وامشِ أنت يا عمار؛ فأسرعوا حتى استوى بأعلاها فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس، فقال النبي لحذيفة: هل عرفتَ يا حذيفة من هؤلاء الرهط أو الركب أو أحداً منهم؟ قال حذيفة: عرفت راحلةَ فلان وفلان، وقال: كانت ظلمة الليل وغشيتُهم وهم متلثمون. فقال: هل علمتم ما كان شأن الركب وما أرادوا؟ قالوا: لا والله يا رسول الله. قال: فإنهم مكروا ليسيروا معي حتى إذا أظلمت في العقبة طرحوني منها. قالوا: أفلا تأمر بهم به يا رسول الله إذا جاءك الناس فتضرب أعناقَهم؟ قال: أكره أن يتحدث الناس ويقولوا إن محمداً قد وضع يده في أصحابه فسماهم لهما وقال اكتماهم)[1].

والقصة عن عروة في السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٣٣)، والخصائص الكبرى

(١) دلائل النبوة، ٥/ ٢٥٦.

(١/ ٤٦٥)، وهي عند ابن كثير من طريق ابن لهيعة عن يتيم عروة عن عروة، وهي الطريق المعتمدة عن يتيم عروة.

رواية الضحاك بن مزاحم[١]

في أسباب النزول للواحدي: (قال الضحاك: همُّوا أن يدفعوا النبي صلى الله عليه وسلم ليلةَ العقبة وكانوا قومًا قد أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم معه، يلتمسون غرَّته حتى أخذ في عقبة، فتقدم بعضهم وتأخر بعضهم وذلك كان ليلاً؛ قالوا: إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي، وكان قائده في تلك الليلة عمار بن ياسر وسائقه حُذيفة، فسمع حذيفة وقع أخفاف الإبل، فالتفت فإذا هو بقوم متلثمين، فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله؛ فأمسكوا، ومضى النبيّ عليه الصلاة والسلام حتى نزل منزله الذي أراد، فأنزل الله تعالى قوله:)وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا)[٢].

التعليق: وهذا اللفظ قريب من لفظ إسحاق بن راهويه المبتور الإسناد (كما في تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٣٤٠)، فقد روى ابن أبي حاتم من طريق (إسحاق بن راهويه، حدثنا محمد...)، ثم سقط الإسناد من المطبوع وذكر مثل هذه الرواية، فلعلها عن الضحاك.

رواية الزهري (ت ١٢٤هـ)

في مغازي الواقدي: (قَالَ حَدّثَنِي مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ عَنْ الزّهْرِيّ، قَالَ نَزَلَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَأُوحِيَ إلَيْهِ وَرَاحِلَتُهُ بَارِكَةٌ فَقَامَتْ رَاحِلَتُهُ تَجُرّ زِمَامَهَا حَتّى لَقِيَهَا حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ فَأَخَذَ بِزِمَامِهَا فَاقْتَادَهَا حِينَ رَأَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ جَالِساً، فَأَنَاخَهَا ثُمّ جَلَسَ عِنْدَهَا حَتّى قَامَ النّبِيّ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَتَاهُ فَقَالَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَنَا حُذَيْفَةُ. فَقَالَ النّبِيّ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ: فَإِنّي مُسِرّ إلَيْك أَمْرًا فَلَا تَذْكُرَنّهُ، إنّي نُهيت أَنْ أُصَلّيَ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ رَهْطٌ، عِدّةٌ مِنْ الْمُنَافِقِينَ وَلَا يُعْلِمُ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذِكْرَهُمْ لِأَحَدٍ غَيْرَ حُذَيْفَةَ.

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ٢٨٠): (الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني صدوق كثير الإرسال من الخامسة مات بعد المائة).

(٢) أسباب النزول للواحدي، ١/ ٢٤٢.

فَلَمّا تُوُفّيَ رَسُولُ الله صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ إذَا مَاتَ رَجُلٌ مِمّنْ يَظُنّ أَنّهُ مِنْ أُولَئِكَ الرّهْطِ أَخَذَ بِيَدِ حُذَيْفَةَ فَقَادَهُ إلَى الصّلَاةِ عَلَيْهِ فَإِنْ مَشَى مَعَهُ حُذَيْفَةُ صَلّى عَلَيْهِ عُمَرُ وَإِنْ انْتَزَعَ يَدَهُ وَأَبَى أَنْ يَمْشِيَ انْصَرَفَ مَعَهُ)[1].

والرواية تماماً في المسترشد للطبري الإمامي

فائدة: إذا نقل الشيعة أو المعتزلة من كتب السنة فهم يصدقون في النقل، إنما خلاف السنة معهم في أسانيدهم وأحاديثهم التي لا يوردها أهل السنة، فهنا ممكن أن نقول إننا نجهل تلك المصادر وتلك الأحاديث، لكن إن وجدنا رواية للواقدي أو البلاذري أو المدائني أو ابن إسحاق في كتب الشيعة ثم لا نجدها في المطبوع من كتبهم فهذا يعني أنهم حفظوا لنا بعض المفقود من كتب وروايات هؤلاء، ولا يزيدون فيه حرفاً ولا ينقصون مثلهم مثل السنة تماماً؛ إلا إذا اكتشفنا كذاباً فيهم يزيد في الرواية أو ينسب لأهل السنة فهذا ممكن كما نكتشفه في أوساط أهل السنة أيضاً.

رواية طاووس بن كيسان

في تفسير البغوي:)قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ(. قال ابن كيسان: نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين، وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا علاها، ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنه، وتنكَّروا له في ليلة مظلمة، فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدَّروا، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم، وعمار بن ياسر يقود برسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته، وحذيفة يسوق به، فقال لحذيفة: اضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نحاها، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحذيفة: مَن عرفتَ من القوم؟ قال: لم أعرف منهم أحدًا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإنهم فلان وفلان حتى عدَّهم كلهم، فقال حذيفة: ألا تبعث إليهم فتقتلهم؟ فقال: أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم، بل يكفيناهم اللهُ بالدُّبَيْلَة)[2]. ثم ذكر

(١) المغازي للواقدي، ١/ ١٠٤٥.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٦٩.

حديث قيس بن عباد عن عمار... وقد ذكرناه في الأصل، وهو أصل الحديث.

رواية ابن إسحاق (ت ١٥١هـ)

قال البيهقي في دلائل النبوة: (وأخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس، عن ابن إسحاق، قال: فلما بلغ رسول الله الثنية نادى منادي رسول الله: أن خذوا بطن الوادي فهو أوسع عليكم فإن رسول الله قد أخذ الثنية، فذكر الحديث في مكر المنافقين بنحو مما ذكرنا في رواية عروة إلى قوله لحذيفة: هل عرفت من القوم أحداً ؟ فقال: لا ولكني أعرف رواحلهم. فقال له رسول الله: إن الله قد أخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم وسأخبرك بهم إن شاء الله عند وجه الصبح؛ فانطلق إذا أصبحتَ فأجمعهم. فلما أصبح قال: ادعُ عبدَ الله أظنه ابن سعد بن أبي سرحٍ وفي الأصل عبد الله بن أبي وسعد بن أبي سرحٍ إلا أن ابن إسحاق ذكر قبل هذا أن ابن أُبيّ تخلف في غزوة تبوك ولا أدري كيف هذا[1]؟ قال ابن إسحاق: وأبا حاضر الأعرابي، وعامراً، وأبا عامر، والجُلاس بن سويد بن الصامت، وهو الذي قال لا ننتهي حتى نرمي محمداً من العقبة الليلة ولئن كان محمد وأصحابه خيراً منا إنّا إذًا لَغَنَمٌ وَهُوَ الرّاعِي وَلَا عَقْلَ لَنَا وَهُوَ الْعَاقِلُ؛ وأمره أن يدعو مجمعَ بن جارية، وفليحَ التيمي وهو الذي سرق طيب الكعبة وارتدَّ عن الإسلام فانطلق هارباً في الأرض فلا يدري ابن ذهب؛ وأمره أن يدعو حصين بن نمير الذي أغار على تمر الصدقة فسرقه فقال له رسول الله: ويحك ما حملك على هذا ؟ قال حملني عليه أني ظننت أن الله لم يطلعك عليه فأما إذ أطلعك الله عليه وعلمته فإني اشهد اليوم أنك رسول الله وإني لم أؤمن بك قط قبل الساعة يقيناً. فأقاله رسول الله عثرته وعفا عنه بقوله الذي قال؛ وأمره أن يدعو طعمةَ بن أبيرق، وعبدَ الله بن عيينة، وهو الذي قال لأصحابه: اشهدوا هذه الليلة تسلموا الدهرَ كله، فو الله ما لكم أمر دون أن تقتلوا هذا الرجل. فدعاه رسول الله فقال: ويحك ما كان ينفعك من قتلي لو أني

---

(١) قالها البيهقي؛ والسبب هو السلطة والتاريخ، لأجل التغطية على قريش كأبي سفيان ومعاوية وأمثالهم. ولكن البيهقي لا يعرف أثر معاوية وبني أمية على التاريخ بحيث أصبحوا يلزقون كل شيء بالأنصار، لإبعاد الشبهة عن قريش إلا أنهم تورطوا في ذكر منافقين من الأنصار لم يشهدوا تبوك أصلاً.

قُتلت؟ فقال عدوُّ الله: يا نبي الله، واللهِ لا تزال بخير ما أعطاك الله النصر على عدوك، إنما نحن بالله وبك فتركه رسول الله. وقال لحذيفة أدع مرةَ بن ربيع، وهو الذي ضرب بيده على عاتق عبد الله بن أبي ثم قال تمطى والنعيم لنا من بعده كائن نقتل الواحد المفرد فيكون الناس عامةً بقتله مطمئنين. فدعاه رسول الله فقال: له ويحك ما حملك على أن تقول الذي قلت؟ فقال: يا رسول الله إن كنتُ قلتُ شيئاً من ذلك إنك لعالمٌ به، وما قلت شيئاً من ذلك. فجمعهم رسول الله وهم اثنا عشر رجلاً الذين حاربوا الله ورسوله وأرادوا قتله فأخبرهم رسول الله بقولهم ومنطقهم وسرهم وعلانيتهم، وأطْلع اللهُ عز وجل نبيَّه على ذلك بعلمه ومات الاثنا عشر منافقين محاربين لله تعالى ورسوله وذلك قول الله عز وجل)وهموا بما لم ينالوا(.

وكان أبو عامر رأسهم وله بنوا مسجد الضرار، وهو الذي كان يقال له الراهب فسماه رسول الله الفاسق؛ وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة. فأرسلوا إليه فقدم عليهم أخزاه الله وإياهم وانهارت تلك البقعة في نار جهنم، وقال مجمع حين بنى المسجد: إن هذا المسجد إذا بنيناه اتخذناه لسرنا ونجوانا ولا يزاحمنا فيه أحد فنذكر ما شئنا ونخيل إلى أصحاب محمد إنما نريد الإحسان)[1].

التعليق: وقائمة ابن إسحاق هنا غير قائمة الزبير بن بكار، وهي ضد رواية نافع بن جبير بن مطعم التي برأت قريشاً فهذه الرواية فيها قرشيون، ولكن فيها خلطاً بين خلية مسجد الضرار وقصة العقبة، وهي مخالفة لحديث عمار وسياقه وتعريضه. وكذلك ما يخص أبا موسى، لكن إذا كان أبو عامر رأسهم (من حيث القيادة غير الحاضرة)، فأبو سفيان رأسهم أيضاً لأنهما حليفان أساسيان، ولهم يسمع منافقو قريش والأنصار وبقايا اليهود. فالتاريخ تأثر بالسلطة بلا شك. والدليل هذا الاضطراب والتناقض، ثم لن يقدِم مجموعة من المغمورين على هذه المغامرة. لابد أن تكون الدوافع قوية.. واسألوا علماء الجريمة!

نقد ابن القيم لرواية ابن إسحاق وروايته لها كاملة

قال في زاد المعاد: (فَصْلٌ فِي رُجُوعِ النّبِيّ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ تَبُوكَ وَمَا هَمّ

---

(١) دلائل النبوة، ٥/ ٢٥٧ ٢٥٩.

الْمُنَافِقُونَ بِهِ مِنْ الْكَيْدِ بِهِ وَعِصْمَةُ الله إيّاهُ.

ذَكَرَ أَبُو الأُسُودِ فِي مَغَازِيه، عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: فسرد رواية عروة ثم قال:

وَقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ فِي هَذِهِ الْقِصّةِ إنّ الله قَدْ أَخْبَرَنِي بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَسَأُخْبِرُك بِهِمْ إنْ شَاءَ اللهُ غَدًا عِنْدَ وَجْهِ الصّبْحِ، فَانْطَلِقْ حَتّى إذَا أَصْبَحْتُ فَاجْمَعْهُمْ.

فَلَمّا أَصْبَحَ قَالَ أُدْعُ: عَبْدَ الله بْنَ أُبَيّ، وَسَعْدَ بْنَ أَبِي سَرْحٍ، وَأَبَا خَاطِرٍ الْأَعْرَابِيّ، وَعَامِرًا، وَأَبَا عَامِرٍ، وَالجُلَاسَ بْنَ سُوَيْدِ بْنِ الصّامِتِ وَهُوَ الّذِي قَالَ: لَا نَنْتَهِي حَتّى نَرْمِيَ مُحَمّدًا مِنْ الْعَقَبَةِ اللّيْلَةَ وَإِنْ كَانَ مُحَمّدٌ وَأَصْحَابُهُ خَيْرًا مِنّا إنّا إذًا لَغَنَمٌ وَهُوَ الرّاعِي وَلَا عَقْلَ لَنَا وَهُوَ الْعَاقِلُ؛ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ مُجَمّعَ بْنَ حَارِثَةَ، وَمُلَيْحًا التّيْمِيّ، وَهُوَ الّذِي سَرَقَ طِيبَ الْكَعْبَةِ وَارْتَدّ عَنْ الْإِسْلَام وَانْطَلَقَ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ فَلَا يُدْرَى أَيْنَ ذَهَبَ؛ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ حِصْنَ بْنَ نُمَيْرٍ الّذِي أَغَارَ عَلَى تَمْرِ الصّدَقَةِ فَسَرَقَهُ. وَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ: وَيْحَكَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ فَقَالَ حَمَلَنِي عَلَيْهِ أَنّي ظَنَنْتُ أَنّ الله لَا يُطْلِعُك عَلَيْهِ فَأَمّا إذَا أَطْلَعَك الله عَلَيْهِ وَعَلِمْته فَأَنَا أَشْهَدُ الْيَوْمَ أَنّك رَسُولُ الله وَإِنّي لَمْ أُؤْمِنْ بك قَطّ قَبْلَ هَذِهِ السّاعَةِ. فَأَقَالَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَثْرَتَهُ وَعَفَا عَنْهُ؛ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ طُعَيْمَةَ بْنَ أُبَيْرِقٍ وَعَبْدَ الله بْنَ عُيَيْنَةَ وَهُوَ الّذِي قَالَ لِأَصْحَابِهِ: اسْهَرُوا هَذِهِ اللّيْلَةَ تَسْلَمُوا الدّهْرَ كُلّهُ فَوَ اللهِ مَا لَكَم أَمْرٌ دُونَ أَنْ تَقْتُلُوا هَذَا الرّجُلَ. فَدَعَاهُ فَقَالَ: وَيْحَكَ مَا كَانَ يَنْفَعُكَ مِنْ قَتْلِي لَوْ أَنّي قُتِلْتُ؟ فَقَالَ عَبْدُ الله: فَوَ الله يَا رَسُولَ الله لَا نَزَالُ بِخَيْرٍ مَا أَعْطَاكَ الله النّصْرَ عَلَى عَدُوّك إنّمَا نَحْنُ بِاَللّهِ وَبِك. فَتَرَكَهُ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ؛ وَقَالَ: أُدْعُ مُرّةَ بْنَ الرّبِيعِ، وَهُوَ الّذِي قَالَ: نَقْتُلُ الْوَاحِدَ الْفَرْدَ فَيَكُونُ النّاسُ عَامّةً بِقَتْلِهِ مُطْمَئِنّينَ. فَدَعَاهُ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: وَيْحَكَ مَا حَمَلَك عَلَى أَنْ تَقُولَ الّذِي قُلْت؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إنْ كُنْتُ قُلْتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إنّك لَعَالِمٌ بِهِ، وَمَا قُلْتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ. فَجَمَعَهُمْ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا الّذِينَ حَارَبُوا الله وَرَسُولَهُ وَأَرَادُوا قَتْلَهُ فَأَخْبَرَهُمْ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِقَوْلِهِمْ وَمَنْطِقِهِمْ وَسِرّهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ وَأَطْلَعَ الله سُبْحَانَهُ نَبِيّهُ عَلَى ذَلِكَ بِعِلْمِهِ. وَمَاتَ الاثْنَا عَشَرَ مُنَافِقِينَ مُحَارِبِينَ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزّ وَجَلّ (وَهَمّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا) (التّوْبَةُ: ٧٤).

وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ رَأْسَهُمْ وَلَهُ بَنَوْا مَسْجِدَ الضّرَارِ وَهُوَ الّذِي كَانَ يُقَالُ لَهُ الرّاهِبُ فَسَمّاهُ

رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْفَاسِقَ وَهُوَ أَبُو حَنْظَلَةَ غَسِيلُ الْمَلَائِكَةِ فَأَرْسَلُوا إلَيْهِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَلَمّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ أَخْزَاهُ الله وَإِيّاهُمْ فَانْهَارَتْ تِلْكَ الْبُقْعَةُ فِي نَارِ جَهَنّمَ)[1].

ثم قال: فَصْلٌ [بَيَانُ وَهْمِ ابْنِ إسْحَاقَ فِي رِوَايَتِهِ هَذِهِ]

قُلْتُ (ابن القيم): (وَفِي سِيَاقِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إسْحَاقَ وَهم مِنْ وُجُوهٍ أَحَدُهَا:

أَنّ النّبِيّ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَسَرّ إلَى حُذَيْفَةَ أَسْمَاءَ أُولَئِكَ الْمُنَافِقِينَ وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِمْ أَحَدًا غَيْرَهُ وَبِذَلِكَ كَانَ يُقَالُ لِحُذَيْفَةَ إنّهُ صَاحِبُ السّرّ الّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ وَلَا غَيْرُهُ يَعْلَمُ أَسْمَاءَهُمْ؛ وَكَانَ إذَا مَاتَ الرّجُلُ وَشَكّوا فِيهِ يَقُولُ عُمَرُ انْظُرُوا فَإِنْ صَلّى عَلَيْهِ حُذَيْفَةُ وَإِلّا فَهُوَ مُنَافِقٌ مِنْهُمْ.

الثّانِي: مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَوْلِهِ فِيهِمْ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيّ وَهُوَ وَهْمٌ ظَاهِرٌ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إسْحَاقَ نَفْسُهُ أَنّ عَبْدَ الله بْنَ أُبَيّ تَخَلّفَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ.

الثّالِثُ: إنّ قَوْلَهُ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، وَهْمٌ أَيْضًا وَخَطَأٌ ظَاهِرٌ، فَإِنّ سَعْدَ بْنَ أَبِي سَرْحٍ لَمْ يُعْرَفْ لَهُ إسْلَامٌ الْبَتّةَ وَإِنّمَا ابْنُهُ عَبْدُ الله كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ ثُمّ ارْتَدّ وَلَحِقَ بِمَكّةَ حَتّى اسْتَأْمَنَ لَهُ عُثْمَانُ النّبِيَّ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَامَ الْفَتْحِ فَأَمّنَهُ وَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إسْلَامُهُ وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْءٌ يُنْكَرُ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ مَعَ هَؤُلَاءِ الِاثْنَيْ عَشَرَ الْبَتّةَ، فَمَا أَدْرِي مَا هَذَا الْخَطَأُ الْفَاحِشُ.

الرّابِعُ: قَوْلُهُ وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ رَأْسَهُمْ؛ وَهَذَا وَهْمٌ ظَاهِرٌ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ دُونَ ابْنِ إسْحَاقَ، بَلْ هُوَ نَفْسُهُ قَدْ ذَكَرَ قِصّةَ أَبِي عَامِرٍ هَذَا فِي قِصّةِ الْهِجْرَةِ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ أَنّ أَبَا عَامِرٍ لَمّا هَاجَرَ رَسُولُ الله صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَ إلَى مَكّةَ بِبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَلَمّا افْتَتَحَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَكّةَ خَرَجَ إلَى الطّائِفِ، فَلَمّا أَسْلَمَ أَهْلُ الطّائِفِ خَرَجَ إلَى الشّامِ فَمَاتَ بِهَا طَرِيدًا وَحِيدًا غَرِيبًا، فَأَيْنَ كَانَ الْفَاسِقُ وَغَزْوَةُ تَبُوكَ ذَهَابًا وَإِيَابًا).

ولي تعليق على ابن القيم يطول، ولا أستبعد أن يكون قد أكملوا مكان اسم معاوية وأبي سفيان وأمثالهم بآخرين لم يشهدوا تبوك كعبد الله بن أبي ومرارة بن الربيع أو لا يعرف لهم إسلام كسعد بن أبي سرح... إلخ.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/ ٤٧٧.

وللزبير بن بكار قائمة تختلف جذرياً عن هذه، فليس فيها قرشي **قط!** بينما رواية ابن إسحاق فيها قرشيون. وأنا لا أرى أكثر هذه الأسماء، نعم قد يكون أكثرهم منافقين ولكن في مناسبات أخرى، وقد كررهم أهل الحديث والتاريخ والسير حتى كأن هذا الحشد القرآني في المنافقين إنما هو في حق بضعة عشر منافقاً!!... استيقظوا...!

سياق الواقدي:

في مغازي الواقدي: (قَالُوا: لَمّا كَانَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ ببَعْض الطّرِيقِ مَكَرَ بِهِ أُنَاسٌ مِنْ الْمُنَافِقِينَ وَائْتَمَرُوا أَنْ يَطْرَحُوهُ مِنْ عَقَبَةٍ فِي الطّرِيقِ. فَلَمّا بَلَغَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ تِلْكَ الْعَقَبَةَ أَرَادُوا أَنْ يَسْلُكُوهَا مَعَهُ فَأُخْبرَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَبَرَهُمْ فَقَالَ لِلنّاسِ اُسْلُكُوا بَطْنَ الْوَادِي، فَإِنّهُ أَسْهَلُ لَكُمْ وَأَوْسَعُ فَسَلَكَ النّاسُ بَطْنَ الْوَادِي وَسَلَكَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْعَقَبَةَ، وَأَمَرَ عَمّارَ بْنَ يَاسِرٍ أَنْ يَأْخُذَ بِزِمَامِ النّاقَةِ يَقُودُهَا، وَأَمَرَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَسُوقُ مِنْ خَلْفِهِ. فَبَيْنَا رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَسِيرُ فِي الْعَقَبَةِ إذْ سَمِعَ حِسّ الْقَوْمِ قَدْ غَشَوْهُ فَغَضِبَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَمَرَ حُذَيْفَةَ أَنْ يَرُدّهُمْ فَرَجَعَ حُذَيْفَةُ إلَيْهِمْ وَقَدْ رَأَوْا غضبَ رَسُولِ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ وُجُوهَ رَوَاحِلِهِمْ بِمِحْجَنٍ فِي يَدِهِ. وَظَنّ الْقَوْمُ أَنّ رَسُولَ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ أُطْلِعَ عَلَى مَكْرِهِمْ فَانْحَطّوا مِنْ الْعَقَبَةِ مُسْرِعِينَ حَتّى خَالَطُوا النّاسَ. وَأَقْبَلَ حُذَيْفَةُ حَتّى أَتَى رَسُولَ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَسَاقَ بِهِ. فَلَمّا خَرَجَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْعَقَبَةِ نَزَلَ النّاسُ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَا حُذَيْفَةُ هَلْ عَرَفْت أَحَدًا مِنْ الرّكْبِ الّذِينَ رَدَدْتهمْ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ الله عَرَفْتُ رَاحِلَةَ فُلانٍ وَفُلانٍ وَكَانَ الْقَوْمُ مُتَلَثّمِينَ فَلَمْ أُبْصِرْهُمْ مِنْ أَجْلِ ظُلْمَةِ اللّيْلِ.

وَكَانُوا قَدْ أَنْفَرُوا بالنّبِيّ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَسَقَطَ بَعْضُ مَتَاعِ رَحْلِهِ، فَكَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَمْرٍو الأَسْلَمِيّ يَقُولُ فَنُوّرَ لِي فِي أَصَابِعِي الخمسِ فَأُضِئْنَ حَتّى كُنّا نَجْمَعُ مَا سَقَطَ مِنْ السّوْطِ وَالحَبْلِ وَأَشْبَاهِهِمَا، حَتّى مَا بَقِيَ مِنْ الْمَتَاعِ شَيْءٌ إلّا جَمَعْنَاهُ. وَكَانَ لَحِقَ النّبِيّ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْعَقَبَةِ.

فَلَمّا أَصْبَحَ قَالَ لَهُ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ: يَا رَسُولَ الله مَا مَنَعَك الْبَارِحَةَ مِنْ سُلُوكِ الْوَادِي فَقَدْ كَانَ أَسْهَلَ مِنْ الْعَقَبَةِ؟ قَالَ: يَا أَبَا يَحْيَى، أَتَدْرِي مَا أَرَادَ الْبَارِحَةَ الْمنافِقُونَ وَمَا اهْتَمّوا بِهِ؟ قَالُوا: نَتْبَعُهُ فِي الْعَقَبَةِ، فَإِذَا أَظْلَمَ اللّيْلُ عَلَيْهِ قَطَعُوا أَنْسَاعَ رَاحِلَتِي وَنَخَسُوهَا حَتّى يَطْرَحُونِي مِنْ رَاحِلَتِي!

فَقَالَ أُسَيْدٌ: يَا رَسُولَ الله فَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ وَنَزَلُوا، فَمُرْ كُلّ بَطْنٍ أَنْ يَقْتُلَ الرّجُلَ الّذِي هَمّ بِهَذَا، فَيَكُونُ الرّجُلُ مِنْ عَشِيرَتِهِ هُوَ الّذِي يَقْتُلُهُ وَإِنْ أَحْبَبْت والَّذي بَعَثَك بالحقّ فَنَبّئْنِي بِهِمْ فَلا تَبْرَحُ حَتّى آتِيَكُمْ بِرُءُوسِهِمْ وَإِنْ كَانُوا فِي النّبِيتِ فَكَفَيْتُكَهُمْ وَأَمَرْتَ سَيّدَ الْخَزْرَجِ فَكَفَاكَ مَنْ فِي نَاحِيَتِهِ، فَإِنّ مِثْلَ هَؤُلاءِ يُتْرَكُونَ يَا رَسُولَ الله؟ حَتّى مَتَى نُدَاهِنُهُمْ وَقَدْ صَارُوا الْيَوْمَ فِي الْقِلّةِ وَالذّلّةِ وَضَرَبَ الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ فَمَا يُسْتَبْقَى مِنْ هَؤُلَاءِ؟

قَالَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِأُسَيْدٍ: إنّي أَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ النّاسُ إنّ مُحَمّدًا لَمّا انْقَضَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَضَعَ يَدَهُ فِي قَتْلِ أَصْحَابِهِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، فَهَؤُلَاءِ لَيْسُوا بِأَصْحَابٍ. قَالَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَلَيْسَ يُظْهِرُونَ شَهَادَةَ أَنْ لَا إلَهَ إلّا الله؟ قَالَ: بَلَى، وَلَا شَهَادَةَ لَهُمْ قَالَ أَلَيْسَ يُظْهِرُونَ أَنّي رَسُولُ الله؟ قَالَ: بَلَى، وَلَا شَهَادَةَ لَهُمْ. قَالَ: فَقَدْ نُهِيت عَنْ قَتْلِ أُولَئِكَ)[1].

ثم ذكر حديث أبي سعيد وجابر بن عبد الله وأبي قتادة وقد سبقت هذه الأحاديث...

ثم ذكر حديث نافع بن جبير، وهي رواية قرشية منكرة في تبرئة قريش! وسيأتي مع نقده.

وتركت سياق بقية المؤرخين الناقلين عن هذه المصادر كابن الأثير وابن الجوزي وابن كثير والصالحي (وسياقه من أحسن السياقات وأجمعها للأسانيد والمتون إلا أنه لم يزدْ على ما سبق)، وكذا صاحب السيرة الحلبية وملا علي القارئ في شرحه لمشكاة المصابيح (اسم كتابه: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)... إلخ، تركنا كل هذا للاختصار.

(١) المغازي للواقدي، ١/ ١٠٤٠ـ١٠٤٣.

الفهرس